الجمهـــوريـــة الجـزائـريـة الديـــمقراطيـة الشـعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الـتـعـلـيـم الـعـالـــي و الـبـحـث الـعـلـمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



أسس الإعجاز القرآني
عند
مصطفى صادق الرافعي

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الحضارة الإسلامية

تخصص اللغة والدراسات القرآنية

تحت إشراف :

أ .د سلطاني الجيلالي

من إعداد:

الطالبة : بن نعوم سعاد

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة
أ.د العربي قلايلية	رئيسا	جامعة وهران1
أ.د الجيلالي سلطاني	مقررا	جامعة وهران 1
أ.د سليمان سليماني	عضوا	جامعة وهران 1
د .عبد الغفار بن نعمية	عضوا	جامعة وهران 1

السنة الجامعية : 1436هـ/2015م–1437هـ/2016م

.

الجمهـــوريـــة الجـزائـريـة الديـــمقراطيـة الشـعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الـتـعـلـيـم الـعـالـــي و الـبـحـث الـعـلـمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة وهران 1
Université d'Oran 1
أحمـد بـن بـلـة

أسس الإعجاز القرآني
عند
مصطفى صادق الرافعي

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الحضارة الإسلامية

تخصص اللغة والدراسات القرآنية

تحت إشراف :
أ .د سلطاني الجيلالي

من إعداد:
الطالبة : بن نعوم سعاد

السنة الجامعية : 1436هـ/2015م-1437هـ/2016


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الله في علاه

إلى كل من أحاطني حبّا و شملني عطفا و احتمل معي صبرا

إلى والديّ الكريمين

إلى عائلتي جميعا صغيرا و كبيرا.

إلى أمّة تدافعت عليها الخطوب فتزّت آلاما و أسقاما .

إلى رحاب في رحاب الله

إلى والديها الكريمين .

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل المتواضع ..





شكر وتقدير

يقول المولى عزّ وجلّ:﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ -النمل الآية 19-

أشكر الله العلي القدير على عظيم عونه وواسع نعمته
ثم إن الإنسان ضعيف بنفسه قوي بإخوانه ، لذلك أتقدم بما يليق في هذا المقام من عبارات الشكر والامتنان إلى كل من كان لي عونا في رحلتي العلمية حتيٍ رأى هذا العمل النور، و أرفع أسمى آيات الامتنان إلى كل من ساندني و شجّعني ،الى الذي تحمل تقصيري واصطبر على يسير مؤونتي وقلة زادي العلمي،وأتاح لي هذا الشرف هو شيخي وأخي الأستاذ الدكتور الجيلالي سلطاني فما حرمني جميل عونه ولا سداد رأيه ونصائحه مشرفا على إنجاز هذا العمل المتواضع ، وإلى السادة أعضاء لجنة المناقشة، على تكبّدهم عناء قراءة هذا العمل راجية من الله أن يغفروا لي فيه كثرة عثراتي وزلاّتي.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر إلى أسرة كلية الحضارة الإسلامية لجامعة وهران،أساتذة و زملاء وعمّالا، وأخص بالذكر- مثالا لا حصرا -:والدنا جميعا : أ.د بن نعمية ، وإلى أ.د بن معمر ، والى أخي بن نعوم عبد القادر على تشجيعهم ودعمهم .

هذا وأشكر علماء هذه الأمّة الذين انشغلوأ بكتاب الله ، فألّفوا وصنّفوا وأورثونا -نحن طلبة العلم- ثمرة جهودهم ، خدمة لكتاب الله ولأمّة رسول الله .

المقدّمة

مقدّمـــــــة

الحمد لله العزيز المنّان ، خالق الإنسان ، علّمه البيان وفضّله على سائر مخلوقاته بالعقل وباللسان ، وصلى الله وسلّم تسليما كثيرا على خير من تعلّم القرآن ،سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم العربي الأمي وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

أمّا بعد :

فإنّ القرآن كتاب الله ، فتح الله –تعالى – به أعينًا عميا ، وآذانا صمّا ، وقلوبا غلفاً، وهدى به من ضلّ ، وبصّر به من جهل ، جعله نورا وضياء للمتّقين، وحجة على الكافرين ، واختار له أمّة من خير الأمم لكمال أفهامهم ، وفصاحة لسانهم ،وفضّلهم على من تقدّمهم، فتحدّاهم بما اعتقدوا في أنفسهم القدرة عليه ، والتمكّن منه ، ولم يزل يقرعهم بعجزهم ، ويكشف نقصهم إلى اليوم الذي لاريب فيه.

فهو كلام الله ، المعجز في بلاغته ونظمه، وفي تأثيره على النفوس ، معجز في علومه،معجز في كشف الحجب عن ما خفي من الغيوب ،فقد شغل السلف حتى أحيوا به ليلهم،وشغل الخلف فأعياهم الطلب وما أضجرهم السبب فأعيتهم الحيلة لبلوغ غاية أسراره ولا يزال آية الله الخالدة ، ومعجزته الأبدية على تغير الأزمان وكرّها . فأسكتَ الشعراء وألجم الخطباء وحيّر العلماء ولله درّ من قال(أحمد شوقي) :

آياته كلّما طال المدى جدد يزينهن جمال العتق والقِدَم

لقد شكّل الخطاب القرآني قيمة جمالية منذ بداية التنزيل ، لذلك فإنّ دراسات الإعجاز باعتبارها الملكة الذوقية التي ترجمت جماله؛ أحقّ عناصر الدّرس الأدبي بالبحث والعناية ، خاصة وأنّ

القرآن معين اللغة الذي لاينضب ، وبظهور المناهج الحديثة الدراسات التي أصبحت أكثر تنوعا وتخصّصا ، فلا يزال هذا القرآن دفّاق الفيض مستمرّ العطاء ، لأن البحث فيه متشعّب الأطراف، لذا تعاقبت عليه أفهام العلماء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ، فاحتجّ به النّحوي ، ونهل منه البلاغي ، ونظر فيه المفسّر ، وتأمّل فيه الفقيه وتوقّف عنده المتكلّم وأفاد منه المناظر والأديب ، فكلّ واحد وجد فيه بغيته ، فنعم الورد المورود

وقد أولى الدارسون في كتبهم النقدية والأدبية اهتمامهم ببيان وجوه الإعجاز وأظهروا في ثناياها علوم البلاغة من معان وبيان وبديع لخدمة الإعجاز القرآني ومعرفة أحواله.

ومن جملة تلك الدراسات البحث القيّم الذي قدّمه الأديب الإمام : مصطفى صادق الرافعي الذي حاولت أن أقف على أهم أسس الإعجاز القرآني التي وردت في مصنّفه ، لذلك جاء هذا البحث موسوما بـــ : أسس الإعجاز القرآني عند مصطفى صادق الرافعي .

كما حاولت من خلال هذا العمل أن أجيب على جملة من التساؤلات شغلت كثيرين مثلي لاسيما المهتمّين منهم بالدراسات القرآنية أو المنشغلين بدراسة تراث الرافعي الأدبي والنقدي ، فما هي إذن حقيقة الإعجاز القرآني ، وما هي الأسس التي اعتمد عليها الرافعي لبيان جمالياته ؟ وما وجه عنايته بمسألة الإيقاع والتركيب الفني ؟ وما معنى روح التركيب والإيقاع الصوتي للحرف؟ وهل لوقعهما أثر في تنويع الصورة الإعجازية ؟ وما مدى تأثر الرافعي بدراسات العلماء السّابقين ، وهل كان في ذلك من المجددين أو المقلّدين ؟

كل هذه التّساؤلات شغلت فكري وشدّت انتباهي وجعلتني أخوض غمار هذه الدّراسة وأحاول – مجدّدا- بحث هذه القضية على صعوبتها بتشجيع من أستاذي المشرف ، الذي جعلني أستجمع قواي للبحث فيه ؛بعد إقبال وإحجام ، وصدّ وردّ وأنا أتوجس منه خيفة ، تعتريني وحشة الضعف وخطر البحث ، وخشيت أن أضرب في يمّ واسع مضطربٌ موجُه ، أشكو قلّة الزاد وبعد الغاية وطول الطريق .

مقدمة

يحتلّ الرافعي باعتباره أديبا رائدا ، صفحة مهمة في تراث الأمة العربية ، وقد كان نصيبه من عناية الدارسين لبعض جوانب حياته الأدبية والفكرية بقدر يستحقّه إلا أنه لم يكن لدراسة جانب من تراثه إمكانية الإيفاء بجوانب الدراسات الأخرى والكشف عنها؛ كفكرة الإعجاز القرآني إلا ضمنا أو إشارة .وأستثني الدراسات التي لم تصلني أو وصلتني منها شذرات ، كالبحث الذي قدّمه الدكتور فتحي عيد القادر فريد الموسوم بـ: بلاغة القرآن في تراث الرافعي ، وكذا الدكتور مصطفى الشكعة ببحثه أو مقالته إعجاز القرآن عند مصطفى صادق الرافعي .

ومن أبرز الأسباب التي دفعتني إلى البحث في هذا الموضوع محاولة الربط بين فكرة الإعجاز وأسسه عند المتقدمين وعند المتأخرين وكان كتاب الرافعي أنموذجا لهذه الدراسة باعتبار أن كتابه أولى الدراسات المستقلة في عصره بعد الجرجاني.

والرافعي ؛ علَم فذّ أخفت مواقفه المتشدّدة والقاسية بعضا من تألّقه فكان لا بدّ من يد تمسح الغبار عن ما أفاد به الأمّة والأجيال الطالعة خاصّة لما اعتُمد كتابه إعجاز القرآن مقرّرا يتدارسه طلاّب الجامعات.

كما كان لي مع الكاتب رحلة مع أدبه مذ وعيت في صباي فنون القراءة والإطلاع ، فأخذتني دهشة الصورة ، وسحر المشهد ، وبراعة أسلوبه .ومع ذلك ألفيت النّقاد يكيلون له لاذع النقد ، يعيبون أسلوبه ومنهجه النقدي ،وأسلوبه البلاغي خاصّة في كتابه: إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية ومنهجه الذي اعتمده . كلّ ذلك كان حافزا رئيسا شجّعني على دراسته .

وأقبلت على هذا البحث وأنا أشكو صعوبات جمّة ، أمّا أو:لها؛ فلم أجد أبلغ من وصف الرافعي نفسه في كتابه وكثيرون مثله إذ يقول: "إنّ مكاره هذا البحث مما لا يسعه طوق إنسان ؛ وإن أسرف على نفسه من القهر ، ولا يصلب عليه قلم كاتب وإن كان هذا القلم في يد الدّهر ، ولا بدّ للباحث في أوّله من فلتات الضّجر وإن اعتدّ وفي أثنائه من سقطات العزم وإن اشتدّ ، وفي آخره من العجز والانقطاع دون الحد "

مقدمة

صدق الرافعي ، الأديب الذي شحذ يراعه ، فكان سيفا قاطعا بلاغة وبيانا ، وجنّد للسانه وُسع ثقافته ، وإحاطته بكتب الأوّلين والآخرين ، هو الرافعي إذن يقف إزاء هذا البحث موقف المتوجّس خيفة من جلل الدراسة وخطر البحث ، فكيف بي وأنا الفقيرة لله ، لا أملك من زاد العلم إلّا يسيره ، ومن اللّغة إلّا أضعفه، إنّما حسبي في ذلك حسن النّية وبراءة المقصد والغاية.

وقد شكّلت ندرة المصادر والمراجع وقلّة الدّراسات التي تناولت تراث الرافعي أهم العقبات التي واجهتني ، إذ حاولت جاهدة الوصول إليها ولكن صعب عليّ ذلك لقِدم الطبعات أحيانا، ونفاذها من دور النشر والطبع ، وذلك مرده إلى أن أغلبها عبارة عن رسائل علمية نوقشت في مصر والسعودية ولبنان بتواريخ تُصعّب على الباحث الحصول عليها .

ثمّ إنّ التعامل مع نصوص القرآن المعجزة ليس بالأمر السّهل، ناهيك عن أسلوب الرافعي على رصانته وقوّته إزاء ما استيسر لي من لغة وعلم جعل من فهم مقاصده –غالبا – غاية عزيزة الطلب . ومع هذا حاولت وسع الجهد تجاوز هذه العقبات التي رأيت فيها حافزا للدّراسة والبحث ،وزادتني شغفا بالموضوع .إذ ساعدتني بعض المصادر والمراجع على جلاء مراد الرافعي إذ كانت نعم العون في جلاء بعض ما غمض من كتابه. وأذكر هنا على سبيل المثال :إعجاز القرآن للدكتور فضل عباس ،والعزف على أنوار الذكر الدكتور محمود توفيق سعد وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور عبد العظيم المطعني والإعجاز في دراسات السابقين للدكتور عبد الكريم الخطيب وأخرى كثيرة لا يسع المقام لذكرها كلّها .

إنّ هذا البحث يضع كتاب الرافعي بين يدي القارئ تحليلا ومقارنة ونقدا إذ حاولت استعراض أهم آراء القدماء وما اعتمدوه من أسس لنظرياتهم ومقارنة كل ذلك بما قدّمه الرافعي .وكشف جوانب التقليد والتجديد في بحثه. ولم أتوسع في عرض جميع الآراء لتشعبها وتداخلها بسبب تعدد الاختصاصات وتباين آراء العلماء فاقتصرت على بعضهم وكذلك اقتصرت على أشهر من أشار إليهم الرّافعي في كتابه .

وبناء على هذا اقتضت ضرورة البحث أن يأتي في ثلاثة فصول : أما الفصل الأول اختص ببيان إعجاز القرآن الكريم في دراسات السابقين ، إذ لم أجد بدّا من ضبط لمفهوم الإعجاز والمعجزة وتأريخ الفكرة

وأما الفصل الثاني : عرضت فيه لحقيقة الإعجاز القرآني عند الرافعي ، وفيه ضبط للمفاهيم عنده وعرض لمنهج الرافعي في كتابه .

ورمت في الفصل الثالث إلى بيان التأسيس الذي بنى عليه الرافعي وجوه الإعجاز ، لأسلط الضوء على رؤيته للنظم القرآني وأهم التطبيقات التي أوردها في كتابه والتركيز على مسألة

الإيقاع وأثره على النّفس والحسّ، وما يولّده من تنويع تصويري لمعاني القرآن ، بدراسة تحليلية فنّية أجلو فيها ملامح التقليد والتجديد من منطلق جهود العلماء المتقدمين في التأسيس الذوقي لمختلف أوجه الإعجاز وهذا الفصل بمثابة دراسة تطبيقية لجملة المباحث المذكورة في الفصلين السابقين .

ويبقى الرافعي كاتبا له من الإسهامات الأدبية والبلاغية ما يجعلنا نثق تماما أنه كان رائدا في حربه تلك ، وسهما لغويا أيده الله في معاركه التي خاضها إذ كانت تصب غاياتها في مصب واحد هو خدمة القرآن الكريم وخدمة لغته .

ومما يوجب الشكر الجزيل أستاذي الجليل أستاذي المشرف على عظيم صبره ورحابة صدره، إذ كان لدقة ملاحظاته وبعد النظر التين رعى بهما هذا البحث الأثر الواضح في تمامه على الوجه الذي ارتأيته له ، كما أتقدم بالشكر الجزيل للسادة الفضلاء أعضاء لجنة المناقشة .

ولا أدّعي في بحثي هذا أنني بلغت الغاية، أو ألممت بعناصر الموضوع أو أحطت بجميع تفاصيله ، ولكني اجتهدت ولم آلُ، وليس لي موئل الّا أن أقرّ بعجزي عن الوصول إلى كثير مما يحتاجه بحث كهذا علما وصبرا وحضور بديهة ، وكأي عمل إنساني لا يخلو من الزلّات

والسقطات ، فالكمال لله وحده وحسبي أنني عزمت وتوكّلت وأخلصت فإن أسأت حيث أردتُ الإحسان ، فإنّي أدعو الذي أعجزنا بالقرآن ، و رفع القلم عن الخطأ والنسيان أن يغفر زلاتي ، ويرحم عجزي وضعفي ،وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم ..

الفصل الأول

إعجاز القرآن الكريم في دراسات السابقين.

الفصل الأول:إعجاز القرآن الكريم في دراسات السابقين.

المبحث الأول:مفهوم الإعجاز

1.تعريف الإعجاز لغة واصطلاحا

2.الإعجاز والمعجزة وشروطهما ..

3-معجزة النّبي ومعجزة الأنبياء السابقين. .

المبحث الثاني: التحدي والمعارضة

1-البيئة العربية ونزول القرآن.

2- التحدي

3-.المعارضة.

المبحث الثالث:الإعجاز بشيء خارج عن محتوى القرآن

1-تعريف الصرفة

2-تقسيم القائلين بالصرفة

3-أثر القول بالصرفة في البيئة العلمية

4-القائلين بالصرفة وجهودهم البلاغية

المبحث الرابع :الإعجاز في محتوى القرآن

1-نظرية النـــــظم

2-جهود العلماء ونظرية النظم...

3-الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم..

4-الإعجاز النفسي

5-الإعجاز العلمي بين مؤيديه ومعارضيه

المبحث الخامس : مسير ة إعجاز القرآن التاريخية

1-نشأة فكرة إعجاز القرآن

2- مسيرة إعجاز القرآن التاريخية

المبحث الأول

مفهوم الإعجاز

1) تعريف الإعجاز لغة و اصطلاحا:

أ–لغـــة: إعجاز القرآن مركب إضافي مكون من كلمتين:«إعجاز» و«القرآن» و هذا المركب الإضافي خبر لمبتدأ محذوف تقديره:« هذا إعجاز القرآن»

القرآن الكلمة الثانية في هذا المركب–الراجح أنه مشتق من القراءة و الجذر للكلمة« قرأ » نقول قرأ و يقرأ و قراءة و قرآنا[1] ،و يؤخذ بمعنى الجمع و بمعنى القراءة إذ تقول العرب:قرئ الماء في الحوض بمعنى جمع و جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[2] على مصدر فعلان بالضم كالشكران و الغفران[3] .أما اصطلاحا فيعرف على أنه:كلام الله المنزل على سيدنا محمدﷺ،بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام،المتعبد بتلاوته.

– **إعجاز:** مصدر للفعل الرباعي، تقول:أَعْجَزَ يَعْجِزُ، إِعْجَازًا، و الجذر الثلاثي للكلمة هو«**عَجَز**»، تقول:**عَجَزَ يَعْجَزُ، عَجْزًا** فهو **عَاجِزٌ**،و من اللطيف

[1] – إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني د–صلاح عبد الفتاح الخالدي–دار عمار ط1421-1هـ/2000م.ص11.

[2] –سورة القيامة الآية 18-17

[3] – مناهل العرفان في علوم القرآن ،محمد عبد العظيم الزرقاني ، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ج2،ص331

الإشارة هنا إلى أن عين الكلمة جيم في الفعل الماضي تقرأ:مثلثه بالفتح و الكسر،في كل حركة لها معنى[1].

بالفتح تقرأ:عجزَ يعجزُ،عجزاً :من باب **ضرَبَ، يضربُ، ضربًا** و المعنى: ضعف عن الشيء و لم يقدر عليه.و تقول عجزت عن كذا أعجز و المعجزة بفتح الجيم و كسرها « مفعلة» من العجز أي عدم القدرة ،و أعجز عن الشيء عنه.و معنى الإعجاز الفوتُ و السبق يقال أعجزني فلان أي فاتنيِ[2] و التقدير في إعجاز القرآن الكافرين عن أن يأتوا بمثله بحيث عجزوا عن ذلك .

و في قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [3] قال الزجاج[4]: معناه ظانين أنهم يعجزوننا،و قرأت أنهم يعجزون من اتبع النبي ﷺ،و يثبطونهم عنه و عن الإيمان بالآيات ،و معنى الإعجاز:الفَوتُ و السّبق و قال أعجزني فلان إذا فاتني و منه قول الأعشى [5] :

---

[1]–العين، أبعبد الرحمن الفراهيدي ، تحقيق ، د.مهدي المخزومي ، ، ود .مهدي السامرائي ، (د س ط) دار مكتبة الهلال ،ج1،ص 215، وانظر تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ، شهاب الدين المقري ، (ت : د.عبد المالك بن عيضة الثبتي ، رسالة دكتوراه لفرع اللغة العربية جامعة أم القرى ، مكة المكرمة)، محرم 1417، ،ص71، وانظر أساس البلاغة ، الزمخشري ،(ت: محمد باسل عيون السود ، ط1، (1419هـ-1998م)، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان ، ج1،ص635

[2] –لسان العرب–ابن منظور مادة عجز،ط1(2000)،دار صادر–بيروت–لبنان. ج10.ص42

[3] –سورة الحج الآية 51

[4] –الزجاج هو:أبو اسحاق الزجاج أو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج البغدادي (241هـ/311هـ-923/855م)،ولد و توفي ببغداد ،كان يعمل في صناعة الزجاج فتركه و اشتغل بالأدب،تعلم على يد المبرد و ثعلب و غيرهما ،من أشهر كتبه:معاني القرآن في التفسير،و كتاب ما ينصرف و ما لا ينصرف و كتاب تفسير أسماء الله الحسنى.، انظر انباه الرواة على أنباء النحاة ، القفطي ، (تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ، ط1(1406هـ-1982م)،ج1،ص194

[5] – الأعشى:ميمون بن قيس بن جندل شراحيل بن عوف بن ثعلبة من بكر من وائل،لقب بالأعشى لأنه كان ضعيف البصر،شاعر جاهلي،أدرك الإسلام و لم يسلم يعتبر من جهابذة الشعر الجاهلي. انظر المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وألقابهم وأنسابهم ، الآمدي ، (تح:د.ف.كرنكو)، ط1(1991-1411م) ، دار الجيل ،بيروت،ص13وانظر معجم الشعراء ، المرزباني ، (تح كرنكو) ، ص401

فذاك و لم يعجز من الموت ربه و لكن أتاه الموت لا يتأنّق[1]

وقال الفيروزأبادي:العجز مثلثه و كَنْدُسٍ و كتف مؤخر الشيء،و العجز و المعجزة و تفتح جيمهما،و العجزان محركة،و العجوز بالضم ،الضعف و الفعل كضرب و سمع فهو عاجز من عواجز[2].

وقال الإمام الراغب الأصفهاني[3] في كتابه الفذ:رد مفردات ألفاظ القرآن عن العجز: «عجز الانسان:مؤخره،و به شُبِّهَ مؤخر غيره،قال تعالى:﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ[4]﴾

و العجز أصله التأخر عن الشيء و حصوله عند عجز الأمر،أي:مؤخَّره و صار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء و هو ضد القدرة.و يضيف الزمخشري:أعجزني فلان إذ أعجزت عن طلبه و إدراكه.

وعن الأعشري: المعجزة فعل خارق للعادة مقترن بالتحدي سليم عن المعارضة،ينزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرنية،و هو منقسم إلى حرف المعتاد و إلى إثبات غير المعتاد و إثبات غير المعتاد و قال صاحب تاج العروس :و العجز أصله التأخر عن الشيء و حصوله عند عجز الأمْر أي مؤخره،و لمعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي و الهاء للمبالغة و الجمع معجزات[5].

-العجز و الإعجاز: هذا عن المعنى اللغوي للجذر الثلاثي للمادة« **العجز**»

---

[1] – المعجم المفصّل في شواهد العربية ، د.غيميل بديع يعقوب ، ، ط1(1996-1417م) ، دارالكتب العلمية ، ج5، ص138

[2] – القاموس المحيط ، الفيروز ابادي ،(تح : مكتب تحقيق التراث العربي ، مؤسسة الرسالة ، إشراف نعيم العرقسوسي ط8 (1142هـ-2005) مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ،بيروت-لبنان، ج1-ص515.

[3] – المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني ، (تح: صفوان عدنان الداودي) ط1(1412هـ) ، دار القلم الشامية ، دمشق ، ص547

[4] – سورة القمر الآية 20

[5]– انظر الباقلاني و كتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية نقدية.د-عبد الرءوف مخلوف ص 18.

– أما **الإعجاز:** فهو مصدر الفعل الرباعي « **أعجز** » عندنا:فعلان:فعل ثلاثي تقول:عجز، يعجز عجزا فهو عاجز بمعنى:ضعف عن فعل الشيء، و قصر عن التنفيذ، و تأخر عن العمل المطلوب و لم يقدر عليه.

– الثانـــي:فعل رباعي:تقول:أعجز يعجز، إعجازا، فهو معجزٌ، بمعنى سبق و فازه، تقول:أعجز الرجل خصمه، بمعنى: فاته و سبقه و فاز عليه و غلبه بحيث لم يستطع الخصم العاجز عن إدراكه و اللحاق به.

ب–اصطلاحا: معنى « **الإعجاز**» هو الفوت و كما سبق و أن رأينا أن « **إعجاز القرآن**» مركب إضافي أضيف فيه المصدر إلى القرآن **و هو من باب الإضافة المصدر لفاعله**[1] و التقدير في « **إعجاز القرآن** » هو أعجز القرآن الكافرين عن أن يأتوا بمثله بحيث عجزوا عن ذلك.

و القرآن معجز لهم،إذ أوقع بهم الضعف و القصور و التأخر بتفوقه بلاغيا و موضوعيا و بيانيا.

معنى«**إعجاز القرآن**» هو:**عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن و قصورهم على الإتيان بمثله رغم توفر ملكتهم البيانية، و قيام الداعي على ذلك و هو استمرار تحديهم،و تقرير عجزهم عن ذلك**[2].

قال تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾[3]

---

[1] – اعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني،د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص16وما بعدها .

[2] – دلائل الإعجاز القرآني، الجرجاني ، تحقيق محمد رشيد رضا، ص32، وانظر اعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني عبد الفتاح الخالدي ، ص17

[3]–سورة الشورى الآية 52-53

2) الإعجاز و المعجزة و شروطها

أ- تعريف المعجزة:

هي مشتقة من الفعل الماضي أعجز،تقول،أعجز يعجز عجزا و إعجازا،فهو معجز،و النبي قدم معجزة.و الراجح أن التاء التي فيها للمبالغة،حيث أريد المبالغة في اثبات عجز الكافرين أمام معجزة النبي ﷺ،و عدم قدرتهم على معارضتها و نقضها،و بهذا تكزن المعجزة قد أعجزتهم و تطلق المعجزة على الآية التي أجراها الله على يد رسوله،و التي قدمها النبي لقومه لتكون دليلا على نبوته،

والراجح في تعريف المعجزة هي «الأمر الخارق للعادة،السالم من المعارضة يجريه الله على يد النبي،تصديق له في دعوى النبوة».

ب- شروط المعجزة:

الأول: أن تكون المعجزة فعلا لله تبارك و تعالى،فلا بد أن تكون آية من الله لا من مخلوق حتى و ان كان النبي على الشرف منزلته و علو مكانته بين الخلائق.

الثاني: أن يكون هذا الأمر خارقا:غير خاضع للسنن الكونية أو بأسباب الحوادث المادية،و خارجة عن ما ألفه الناس و اعتادوه و لهذا فالمعجزة خارقة للعادة لا للعقل،بشرط أن يكون هذا العقل واعيا متفتحا كثيرا.

الثالث: أن تكون معارضتها غير ممكنه،بمعنى أن الناس لا يقدرون أن يأتوا بمثلها إذ لو أمكن الإتيان بمثلها لم تصلح أن تكون معجزة.

الرابع: أن تكون هذه المعجزة ظهرت على يد من ادعى النبوة،فلو أتى غير من ادعى النبوة بما هو خارق للعادة،فان ما أتى به لا يسمى معجزة.فمن الشائع عند الناس أنه إذا فعل أحدهم شيئا غير مألوف أو غير اعتيادية عن أفعال البشر أطلقوا عليه اسم معجزة

كالفتوحات العلمية مثلا،أو النبوغ الفكري،و هذا لا يصح فالمعجزات يختص بها الأنبياء دون غيرهم و لا يمكن أن نصف بها غيرهم[1].

الخامس: أن يكون موافقا لما ادعاه النبي،فلو قال معجزين إحياء الموتى،و لكن خالف الحاصل القول كنطق الطير مثلا، لم تكن هذه معجزة،فكل نبي يختص بالمعجزة التي حباها الله له.

السادس: أن لا يكون هذا الأمر مكذبا لصاحبه، فلو قال مثلا معجزتي نطق الجبل فنطق الجبل،و قال:أنت كاذب لا تكون هذه معجزة.

السابع: أن تكون المعجزة بعد ادعاء النبوة و الخروج للناس بالتبليغ بعد أمر الله تعالى، أما إن حصلت قبل النبوة ككلام سيدنا موسى في المهد فلا نسميها معجزة و إنما إرهاصات للنبوة.

لذلك كان الأمر الخارق للعادة حجة الصدق لمن أدعن أنه يتكلم عن الخالق الحكيم،لأنه لا يغير العادات إلا هو،و إن الصادق يعلن دعواه و يتحدى الناس و يخرج إليهم بهذا التحدي[2].

ج- الفرق بين المعجزة و الكرامة:

- **الكرامة:** فعل الله سبحانه و تعالى يكرم به من يشاء من عباده الصالحين ؛ و ذلك مثل كرامة السيدة مريم، قال تعالى:﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٧ ﴾[3] و أيضا

---

[1] – انظر:فضل عباس –إعجاز القرآن الكريم ص 23 بتصرف، و: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّبّاني ، ص17 وما بعدها وانظر : نفحات من علوم القرآن ، محمدأحمد محمد معبد، ط2(2005-1426) ص12، ودراسات في علوم القرآن ، أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ،ط12 ،(1424هـ-2003م) ،ص 275

[2] – المعجزة الكبرى د-محمد أبو زهرة ،ص 7 بتصرف.

[3] – آل عمران الآية 37.

الفتية الذين آمنوا بربهم و هم بالكهف،و عادة ما يكون أهلها أهل ورع و صلاح و تقوى لا رياء و فتنة،محبين للشهرة و الظهور بين الناس.

د- **الفرق بين المعجزة و السحر**:و سأذكرها باختصار شديد:

1. المعجزة تظهر على النبي أما السحر فهو من قبل الساحر.
2. المعجزة فعل الله، لا يقدر عليه أحد من الناس كعصا سيدنا موسى عليه السلام و أما السحر فهو من فعل الساحر و هو أمر يمكن تلقينه و تعلمه.
3. المعجزة مناط المصلحة و ردء المفسدة عن الناس أما السحر فيه أذى و مفسدة، يقول تعالى: « وَ لَا يُفلِحُ السّاحِرُ حَيثُ أتَى» و قال أيضا:« نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ»

هـ- لفظ المعجزة في النص القرآني و دلالتها:

و هي خمسة: الآية ، البينة ،البصيرة ، البرهان، السلطان.إذلم ترد كلمة «**معجزة**» كلفظ ولا كلمة إعجاز في الخطاب القرآني و لا حتى في أحاديث الرسول ﷺ و لا في كلام الصحابة و لا التابعين.ورغم أن كلمة معجزة لم ترد في القرآن الكريم، إلا أنه ذكرت كلمات و ألفاظ و معاني دالة عليها.و كلمات متقاربة و قريبة من معناها، و لا قول كلمات مرادفة لها، لأنه لا ترادف في القرآن الكريم.و إليكم نماذج عن ذلك:د-صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه إعجاز القرآن البياني:

1- **الآية** :العلامة الظاهرة التي تدل دلالة واضحة على الدعوى و كثيرا ما دلت على ما يقدمه خوارق و براهين لقومه «آيات» لأنها ظاهرة الدلالة على نبوته كقوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ ﴾[1]

2- **البينة:** كقوله تعالى:﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ ﴾[2] و هي الدلالة الواضحة على صدق النبي في دعوى النبوة.

3- **البصيرة:** قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾[3]

لقد ورد في هذه الآيات كلمات «**مبصرة**» و « **الآيات**» و المبصرة هنا ليس البصر الحقيقي المتعلق بالناقة تبصر بعينها بصرا حسيا و لكن المراد أن الناقة بصيرة واضحة و هذا دليل على نبوة صالح و قال في مقام آخر:﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾[4]

---

[1] -سورة الاسراء-الآية 101.

[2] -اسورة لأعراف الآية 73.

[3] - سورة الاسراء-الآية 59

[4] -سورة الأنعام:104

4- **البرهان:** هو البيان الواضح و الدليل الظاهر الذي يقنع العقل و يؤثر في القلب،سمى الله آيات سيدنا موسى-العصا —و اليد-برهانين﴿ذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَسِقِينَ ٣٢﴾[1]و سمى الله القرآن برهانا و ذلك في قوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ١٧٤﴾ [2]

5- **السلطان:** هو الأمر القوي ،و البرهان الساطع،الذي يتمكن من العقول و يتسلط على القلوب فيقهرها و يتحكم فيها ،و يهجم عليها بحجته،و يجعلها خاضعة لمنطقه،قال تعالى:﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ١٠ ۞قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١١﴾[3]

هذه هي الكلمات التي جاءت قريبة من معنى لفظ «معجزة» و«إعجاز » في القرآن الكريم.

-العجز :هل ورد مادة «العجز» في القرآن الكريم؟ماهي صفتها و ما هي دلالتها؟

ذكرت مادة «**العجز**» في القرآن الكريم بمختلف الدلالات و الاشتقاقات ستا و عشرين مرة و قد وردت على الشكل التالي:

[1] -سورة القصص الآية 32

[2] -سورة النساء الآية 174.

[3] - سورة ابراهيم الآية 10-11.

الفعل الثلاثي (الماضي): «**العجز**» و قد ورد مرة واحدة مسبوقا بهمزة الاستفهام ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ **أَعَجَزۡتُ** أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾[1]

الفعل المضارع من الماضي المضارع«يعجز»: ورد الفعل المضارع يعجز و هو من الفعل الماضي الرباعي «**أعجز**» أربع مرات في القرآن الكريم :وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن **نُّعۡجِزَ** ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن **نُّعۡجِزَهُۥ** هَرَبًا ﴾[2]وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴾[3]

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾[4]

و من هنا يمكننا القول أن مادة العجز في صيغة الفعل المضارع كلها مشتقة من الفعل الرباعي «**أعجز**»،و أن الفعل المضارع فيها منفي و أنها دلت أربعتها على الصراع بين الحق و الباطل و تقرر في معناه عدم قدرة و قصور المخلوقات أمام قدرة الله،بما فيها ضعفها و عجزها الكامل.

[1]–ا سورة لمائدة الآية 31.
[2] – سورة الجن الآية 12.
[3] –سورة الأنفال الآية 59.
[4] – سورة فاطر الآية 44.

و- الآيات التي وردت فيها مادة «عجز» في القرآن الكريم (للمثال لا للحصر)

***عـجوز:** ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾[1] وفي قوله :﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾[2] و قوله:﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ١٧٠ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ١٧١ ﴾[3]

* **إعجـاز:** ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ٢٠﴾[4] و قال :﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ٨﴾[5]

* **معـــاجزيـــن:**قال :﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ٥١﴾[6] و في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ٥﴾[7]

---

[1] -سورة هود الآية 72.

[2] - سورة الذاريات الآية 29.

[3] - سورة الشعراء الآية 170-171.

[4] -سورة القمر الآية 19-20.

[5] -سورة الحاقة الآية :6-7-8.

[6] -سورة الحج الآية 51.

[7] -سورة سبأ الآية 05.

* **معـجـز** : قال تعالى :﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٣٢﴾[1] و قال :﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾[2]

* **مـعـجزيـن** : كما في قوله تعالى :﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ،وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾وقال:﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤﴾ وقال تعالى ::﴿۞.. قُل إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ٥٣﴾[3].

و المادة بصيغتها المختلفة تدل كلها على معنى واحد في الـ 26 موضعا التي ذكرت فيه،الا و هو قصؤر القدرة عن التحدي.

3) معجزة النبي و معجزة الأنبياء السابقين.

المعجزة اما حسية تجابه بالحواس و تتحدى القُدَر،و أغلب المعجزات التي سبقت معجزة نبي الإسلام كانت من هذا النوع،أي أنها كانت تقع في مجال الحس،و خاصة حاسة النظر،إذ أنها كانت تبدو تقريبا لجميع الناس في صورة واحدة فلا خلاق بين الناس

[1] –سورة الأحقاف الآية 32.

[2] –سورة الجن الآية 12.

[3] – سورة يونس الآية 53

و لا اختلاف في مدلول المرئيات،اللهم إلا إذا كان هناك قصور مادي أو علة في العين أو العقل مادية،و لكنهم يختلفون إختلافا بعيدا عن مسموعات...إلخ

و أما أن تكون المعجزة عقلية تواجه العقل،و تلقاه بكل ما فيه من قوى الإدراك و الإستبصار.و هذا النوع من المعجزات لا يقع من الناس موقعا متقاربا و إنما يلقاه كل إنسان بما لديه من إدراك و فهم و قدرة.

أ – معجزة الأنبياء السابقين: المعروف في تاريخ الأديان،و في نصوص الكتب المقدسة أن كل نبي كان يحمل بين يديه إلى قومه آية صدقه،في معجزة يلقاهم بها متحديا على صورة لم يسبقه الذين قبله،و لم يشهدها شهود عيان أو شهود أخبار[1].

*** سنّة الله سبحانه و تعالى في معجزاته:**

–التعدّد: كان كل نبي يحمل إلى قومه أكثر من معجزة و يأتي إليهم بأكثر من دليل و برهان يثبت أنه نبي أو رسول من عند الله،و كل نبي إلا و قد أيده الله بمعجزة مختلفة.

فسيدنا موسى عليه السلام قد حمل إلى بني إسرائيل عصا كانت تنفجر منها المعجزات،يلقي بها فتنقلب حية تلقف ما يأفكون،و يضرب البحر فينقلب جزئين ينجليان عن طريق ينجو به و قومه من فرعون و آله، و لم تقف معجزاته عند هذا الحد من النعم بل قد ساق معجزات فيها آيات النعمة و البلاء على فرعون و قومه:﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾[2]

- **البيئة:** و باستعراض معجزات الأنبياء السابقين و معجزات خاتمهم عليهم أفضل الصلاة و السلام،نجد أن المعجزة تختار وفقا لبيئة القوم الذين اختيروا ليبلغوا الرسالة و

[1] –الإعجاز في دراسات السابقين عبد الكريم الخطيب ، ص8 وما بعدها

[2] – المعجزة الكبرى ،محمد ابو زهرة ص 9و أنظر أيضا الإعجاز في دراسات السابقين ص9.

تكون المعجزة من النوع المشهور المتقن في عصرهم فيما برعوا فيه ووفقا لمستواهم الفكري و الحضاري.الأنبياء الذين عاشوا مثلا في بيئة عربية صحراوية كانت معجزاتهم تتناسب و بيئتهم،و نسوق لذلك مثالا،فمعجزة سيدنا صالح مثلا كانت ناقة غريبة المولد و الخلق بين نوق أهل البادية:﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥٦﴾[1]

- **الأخذ بالأسباب:** كان لانتشار الفلسفة الأيونية أم الفلسفة اليونانية المعروفة،القائمة على الأخذ بالأسباب و المسببات و تولد العلة من المعلول « **إذ لا يمكن أن ينفك السبب عن مسببه و اللازم عن ملزومه** »[2]،فلا ولد من غير والد و لا حياة تكون بعد موت من يموت،لذلك خص بني إسرائيل بمعجزات سيدنا عيسى عليه السلام متضمنة الرد من وجهين:

1- بيان سلطان الروح: فقد ظهر روح مسيطرة موجهة مرشدة في أنه كان يجزهم ما يأكلون و ما يدخرون،و إحيائه للموتى بإذن الله.

2- أن معجزاته كانت هادمة لارتباط الأسباب العادية بمسبباتها إذ ولد من غير أب،و العادي أن لا سبب للولادة إلا باقتران والدة بوالد،و تكلم في المهد صبيا و لم يخضع لأسباب النمو و التعلم،و الأخبار ببعض المعيب،و إحياء الموتى بإذن الله.

و كذا معجزة سيدنا سليمان عليه السلام خارجة عن ارتباط العلة بالمعلول فكانت حياة النبي سليمان في ملكه تجري على هدم هذا النظر،كتسخير الجن ،و تعلمه منطق الحيوان

[1] - الشعراء الآية 153-156

[2] -المعجزة الكبرى –محمد أبو زهرة ،ص 10.

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ١٦وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ١٧حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٨فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾[1]

ج- المعجزة الكبرى:معجزة سيدنا محمد ﷺ

القرآن ظاهرة لم يسبق لها مثال في اللسان العربي و ليست آياته مما اخترع النبي بل هي الصورة العربية ككلمة الله (إن جاز هذا القول) كما تلا سيدنا محمد ﷺ أو أوحي إليه عن أصل القرآن السماوي الذي في أم الكتاب و لا يستطيع "محمد" أن يضيف إليه كلمة واحدة، قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٧أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾[2] .

أرسل الله نبيه عليه السلام إلى الناس كافة ،قال تعالى:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٨﴾-سبأ الآية 28-،و قال

[1] -النمل الآيات:16-17-18-19.

[2] - سورة يونس الآية 37-38.

أيضا:﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا[1]﴾ -،و يقول النبي ﷺ: « **كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة و بعثت إلى كل أحمر و أسود....و ختم بي النبيون**»[2]

و كل معجزات الأنبياء :إبراهيم و موسى و عيسى و غيرهم سواء أكانت مادية في كونها أو حسية متضمنة لمعاني روحية كانت من النوع الذي يحس بالرؤية و يكون من بعدها التأمل،و ليس من النوع الذي يكون بالتأمل و لا يدرك إلا بالتأمل،و إن كانت حقيقة قائمة و موجودة،و حادثة سبق وقوعها و لكن لا يبقى منها إلا الإخبار بها فأنت لا تشاهدها و لا تلمسها،رأي العين و لمس الحواس،ولا يعرفها إلا يقين من شاهدها و شهد عليها. إلا أن معجزة النبي ﷺ كتب لها الخلود،هي من نوع آخر فليست حادثة تحكى ثم تزول و لا يبقى من أثرها إلا الخبر،بل هي قائمة تخاطب الأجيال في كل عصر وزمان و مكان و مناسبة للنبي ﷺ .

المعجزات السابقة لا يعلم وقوعها و أخبارها إلا من القرآن،فهو الذي سجل معجزات سيدنا نوح و إبراهيم و موسى و لوط و غيرهم عليهم السلام،أنه سجلها ما علما الناس،و إذا كانت بعض الكتب القائمة اليوم ذكرت بعضها محرفا يجانب الصدق و المصداقية.

تلك المعجزة الخالدة هي القرآن الكريم الذي تحدى الأجيال كلها أن يأتوا بمثله و لو اجتمعت الجن و الإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو تعاونوا بعضهم لبعض ظهير.

---

[1] – سورة الأعراف الآية 158

[2] – أخرجه البخاري ومسلم مرفوعا عن حديث جابر، انظر نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشية : بغية الألمعي في تخريج الزيلعي ، قدم للكتاب محمد يوسف النبوري، صححه : عبد العزيز الديوبندي ، تحقيق محمد عوامة ، ط1(1418هـ-1997م) مؤسسة الريان للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ج2،ص324

يقول محمد أبو زهرة:« **هو حجة قائمة على العرب و العجم إلى يوم الدين و هو معجز لكل الخلائق**»فهو المعجز ببليغ نظمه و حسن تأليفه،و هو حجة الله لنبيه و الآية الكبرى الدالة على نبوته.

و هو حبل الله المتين،لا تنقضي عجائبه،و لا يخلق عن كثرة الرد،من قال به صدق،و من عمل به رشد،و من اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم،امتاز عن بقية الكتب السماوية بوصوله إلينا،بعد تنقله عبر أربعة عشر قرنا من الزمان أو يزيد،خاليا من التبديل أو التغيير و التحريف و الزيادة و النقص،و ذلك بالعناية التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية أسوة بمعلمها الأول سيدنا محمد ﷺ.

وعد الله بحفظ هذا الكتاب فحفظه و أنجز وعده،لم تطله يد ولا عدو مقاتل و لا يد محب جاهل،فبقي كما نزل و كما أراد الله له،فلم يصب بما أصيبت به الكتب السماوية من التحريف و التبديل أو انقطاع السند و الهرطقة في الرواية،إذ أوكلها الله لحفظ الناس إذ قال:﴿وَٱلرَّبَّنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ[1]﴾

عموم رسالة النبي محمد ﷺ و دوامها يتطلبان أن تكون المعجزة باقية،تخاطب أسمى ما في الإنسان ؛قلبه و عقله و قد جاء القرآن الكريم ليكون في تربية للنمو الإنساني في مجالات حياته كلها،و من هنا كان رحمة،كما جاء يتحدى الخلق جميعا على أن يأتوا بمثله.

إن تلك الآيات التي نقلت عن النبي ﷺ و التي ذكرها أصحاب السير هي من الخوارق التي أجراها الله على يد أنبيائه عامة و نبينا محمد ﷺ خاصة،لكنها لا تعد من باب المعجزات لأنه لا يقصد بها التحدي كما أنها و إن كانت ثابتة للرسول الله ﷺ لا تكون شيئا إلى المنزلة التي رفعه الله إليها.أما تلك المعجزات التي رآها الناس على يد النبي

[1] – سورة المائدة ، الاية 44

ﷺ هي من خصوصيات النبي ﷺ ،و من مزيد فضل الله تعالى عليه و إحسانه،ثم إنها معجزات قائمة بذاتها إلى جانب المعجزة الكبرى(**القرآن الكريم**) تقوم منها حجة مادية إلى جانب تلك المعجزة العقلية تفتح طرقا إلى القلوب المغلقة للإيمان بالله و التصديق برسوله[1] كنبع الماء من أصابعه الشريفة و تسبيح الحصى في يده و حنين الجذع إليه[2] .

و بخلاف الرسالات السماوية السابقة التي كانت معجزتها تختلف عن كتابها و معجزة سيدنا موسى عليه السلام العصا و كتابه التوراة أما معجزة النبي ﷺ كان المعجزة و الكتاب في آن واحد،فهو يقوم مقام آيات كثيرة و هذا معنى قوله:﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَ لَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١﴾[3] و قد جاء القرآن و القوم قد بلغوا فصاحة و بلاغة في القول و العلماء يجدون فيه المعين الذي لا ينضب و الثروة التي لا تنفذ،فيه حكم الأمور كلها ما وقع و ما لم يقع،و أن كل ما فيه حق و أنه مصلحة الدنيا و الآخرة؛أحكم فيه التشريع فما من خبر إلا له في القرآن أصل معتمد و نص يمكن الحمل عليه فما ترك الله الإنسان سدى و قد قال تعالى و قوله حق:﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾[4] و فيه عبر الماضين و أخبار كل النبيين،فهو كتاب الله الكامل فيه معاني كل الكتب المنزلة على الرسل.

---

[1] -فكرة الإعجاز في كتب الدراسات القرآنية،بحث مقدم لنيل شهادة الماجيستير،إعداد مقدم محمد(2004-2003)،ص20

[2] -إعجاز القرآن الكريم-د.فضل عباس وسناء عباس ،ص 25.

[3] -سورة العنكبوت الآية 50-51.

[4] -سورة الأنعام 38.

كانت الآية العظمى لمحمد ﷺ القرآن الكريم و كان القرآن آية عقلية بيانية،أثرها مستمر باستمرار الرسالة و قد رفض الكافرون كون آية رسولهم ﷺ الأولى بيانية معنوية،رغم انسجامها مع ما مهروا به من القول و البيان،و طلبوا آيات مادية و قدموا له مجموعة من الطلبات التعجيزية،التي علقوا إيمانهم به على تقديمها لهم.

و قد سجل القرآن الكريم بعضا من طلباتهم و رد عليها و نقضها:

1- طلبوا منه تقديم آيات مادية قدمها الأنبياء السابقون فرد القرآن عليهم بأنه لو قدم لهم الآيات المادية فلن يؤمنوا بها،لأن السابقين لم يؤمنوا بها عندما قدمها لهم أنبياؤهم. قال تعالى:﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ٥مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ٦[1]﴾ و قال تعالى:﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ٥٩﴾[2]

و قدموا له مجموعة من الطلبات التعجيزية التي سجلوا فيها نماذج لآيات مادية يريدونها منه،و قد ذكرت بعض آيات القرآن ذلك.

قال تعالى:﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ٨﴾[3]

---

[1] – سورة الأنبياء الآيات 5- 6

[2] – سورة الإسراء الآية 59.

[3] –سورة الفرقان الآيات 7-8.

و أخبر الله أنه لو استجاب لطلباتهم و أنزل على رسوله ألآيات المادية التي طلبوها منه فإنهم لن يؤمنوا لإصرارهم، و لعلم الله بهم أنهم يطلبون المعجزات المادية تبكيتا للنبي،و سخرية منه و أن الكفر حقيقتهم التي لا يريدون التنازل عنها:

قال تعالى:﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١١٠ ۞وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ١١١﴾[1]

و بين الله أن سبب كفرهم لا لنقص الأدلة و لا لعدم وجود آيات مادية مع الرسول ﷺ و إنما هو عنادهم و استكبارهم و عدم رغبتهم في الإيمان،و المعاند لا ينفع معه أي دليل مادي أو معنوي،و يقول ابن خلدون:« و اعلم أن أعظم المعجزات و أشرفها و أوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد ﷺ ،و أشرفها و أوضحها دلالة–القرآن الكريم المنزل على سيدنا محمد ﷺ »[2]فمعجزة النبي محمد ﷺ على رأي ابن خلدون تحمل للناس أمرين:

شريعة يوحي إليه بها،يدعوعم إليها و معجزة تشهد له بأنه رسول الله و معجزة تشهد له بأنه رسول من عند الله،و أنه صادق فيما يدعو إليه،و ينقل ابن خلدون شارحا حديث النبي ﷺ[3]:«ما من نبي من الأنبياء إلا و أوتي من الآيات ما مثله من آمن عليه بشر، و إنما كان الذي أوتيته و حيا أوحي إليه،فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»

---

[1] – سورة الأنعام 109-110-111.

[2] –اعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني د،محسن سميح الخالدي، ص39-40 بتصرف.

[3] –إعجاز القرآن في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب ، ص128.

فغن الرسول الكريم يكشف في هذا الحديث عن المعجزة القرآنية بأنها معجزة عقلية،هي وحي يوحى أي شيء شيء يدرك بعين البصيرة،فيهتدي إليه العقل من خلال الإشارات الخفية و اللمحات البعيدة التي تتجمع من خيوطها شواهد الحق على أن هذا الكلام ليس من كلام بشر فليس المقصود بالوحي هنا الوحي الذي نزل عليه بالقرآن،و إنما هو الوحي الذي ينزل على قلوب الناس من القرآن حين يستمعون إليه أو يقرؤونه،فالوحي.. معناه،الإشارة الدالة و اللمحة الموحدة؛قال الشاعر[1]:

هل من مشاعر غيركم أدعوهـم فلقد سئمت دعا: يا لكـلاب

و لقد لحنت لكم لكيما تفهموا و وحيت وحيا ليس بالمـرتاب[2]

و ليس في القرآن الكريم آية من آياته تخلو من إشارة دالة أو لمحة موحية تتولد منها حقيقة كاملة،تنطق بأن هذا القرآن هو كتاب الله و أن هذا الكلام هو كلام الله.

[1] –هو القتال الكلابي:و اسمه عبيد الله بن مجيب المضرمي من بكر بن كلاب و غلب عليه هذا اللقب لتمرده و فتكه.، انظر المؤتلف والمختلف ، الآمدي ، (تح: ف.كرنكو) المصدر نفسه ، ص219، وانظر أعلام الزركلي ،ط15 (مايو 2002) دار العلم للملايين ج4،ص190

[2] –انظر :شرح شافية ابن الحاجب ، مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي ، الاستراباذي ،(تح: محمد نور الحسن وغيره) ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، (1975-1395م) ، ج4،ص181

المبحث الثاني :

التحدي والمعارضة

1) البيئة العربية و نزول القرآن

من بين ثلاثة آلاف لغة تستعمل اليوم في العالم حسب آخر تقديرات الباحثين تبدو اللغة العربية نتاجا متميزا و شيئا مختلفا من العسير أن يخضع في دراسته للقوانين التي وضعت لدراسة اللغات.

و إن نظرة واحدة و على تاريخ نشأتها لتكشف عن ذلك الإطار الذي احتواها منذ عصرها الأول و الظروف و الأوضاع التي أحاطت بها و التي ظهر من بعد كيف كانت تعدها لأخطر مهمة و لأكبر رسالة:لأن تكون لغة الكتاب الخاتم المنزل من السماء و رسالة الدين الذي جاء للعالمين و للناس كافة.

أ- البيئة العربية و مقتضياتها:

لا شك أن العرب كانوا قد بلغوا مرحلة من التطور في الفصاحة و البيان،و استقامت تعابيرهم إفرادا و تركيبا و تمت لهم أدوات الفصاحة على ما يقضي به قانون الارتقاء و النشوء في بيئتهم و يدل على نضج بيانهم أدب المعلقات.

كانت قريش من بين جميع القبائل العربية الأكثر فصاحة،و أحسنها نظاما وأرجحها أحلاما،و قد ساعدتها بيئتها و موقعها الإستراتيجي و مكانتها الدينية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية.

فموقعها بين الشمال و الجنوب و حملها التجارة من طرف إلى آخر و حمايتها البيت الحرام،أدى إلى اختلاطها بالقبائل العربية كلها عدنانية و قحطانية (و بالأولى من

شمالية و جنوبية) فرفع هذا الاختلاط و التمازج مستواها العقلي و الاجتماعي،و حملها على تنقية لغتها و تهذيب أساليبها[1].

- **الأدب الجاهلي:**

الحياة في هذا الوطن الجديب القفر،حياة لا تحملها النفس البشرية،إلا إذا دخل عليها عنصر جديد من شأنه أن يمد الناس هناك بقوى تشد عزائمهم و تربط على قلوبهم،و توثق عرى الألف بينهم و بين وجوه هذه الأرض المنكرة فتتحول دمامتها في ظل هذا الإحساس-حسنا مقبولا-يعايش معه و يسكن إليه و لم يكن بين يدي العرب في موطنهم هذا شيء يصلهم كسائر الأمم بالحياة و النسج بين عقولهم و أرواحهم و مخيلاتهم طريق و لا وسيلة إلا الكلمة.

البادية تفرض فراغا موحشا فلا مجال للنشاط الإنساني هناك سوى تربية الحيوان،ثم إن حياة البادية و جفاف جوها،و تقلب هذا الجو بين السموم المحرق و النسيم العليل بين الضحوات و الأصائل لا بد للعربي من متنفس تتنفس فيه طاقاته،فكانت الحروب و الثارات من مقتضيات الحياة العربية،فلا تشب نار الحرب حتى يجد الناس منها ثقلا فما كانت لتحدد نشاطا المحرق و النسيم العليل بين الضحوات و الأصائل لا بد للعربي من متنفس تتنفس فيه طاقاته،فكانت الحروب و الثارات من مقتضيات الحياة العربية،فلا تشب نار الحرب حتى يجد الناس منها ثقلا فما كانت لتحدد نشاطا إنسانيا يحسب عليهم ليتخلصوا من وحشة الفراغ.

و كانت الكلمة تؤدي دورها في التعبير عن هذا الكم من القسوة الوحشة،بلغت أوج تطورها إلا أن نعيم الحفصي يتساءل في هذا المقام هل حقا أن العرب بلغوا قمة التطور البلاغي و البياني،و أن من جاء بعدهم كان عالة عليهم و دونهم بيانا وقدرة؟أو

[1] – فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي ،ص13.

أن الأمر على العكس من ذلك فكانوا مرحلة تمهيدية لمن جاء بعدهم من الكتاب و الشعراء و الخطباء في العصرين الأموي و العباسي؟[1] .

و يجيب على ذلك أن القول الثاني هو الأصح و هذا بالنسبة إليه لا يطعن في فكرة إعجاز القرآن،لأن العلماء قالوا انه معجزة أبد الدهر و بأن فضله يظهر على كل نص أدبي في أي زمان و في أي مكان،إذا هذا لا يتعارض و فكرة إعجاز القرآن و لكن يدحض قول القائل أن الأدب الجاهلي هو أكمل مثال في تاريخ الأدب العربي،بما كان ينقص تكوين الأدب الجاهلي هو النثر الأدبي فقد كان في بداية إرهاصات تكون في العصر الجاهلي ،و كذا الخطابة،لهذا السبب كانت دهشتهم من بيان الخطاب القرآني عظيمة جدا.

منزلة الشعر: استطاعت العرب في هذه الحقبة الزمنية أن تحمل لغتها كل ما يمكن أن تحمله الفنون الجميلة من ملهمات بألوانها و أنغامها و مقاماتها قد حواها الشعر العربي في تفاعيله و بحوره.

فالشعر الإسلامي الذي أدركه الإسلام هو الصورة الكاملة للبيان العربي،و هو شهادة من التاريخ لما بلغته الكلمة في اللسان العربي من امتلاكها كل القدرات الممكنة من البيان.

و يضيف أحمد أمين:إن الشعراء في الجاهلية كانوا « هم أهل المعرفة يعدون بذلك أن طبقة الشعراء في الجاهلية كانوا أعلم زمانهم،و يعني بذلك عليهم بما تتطلبه معرفتهم المنوطة بالحياة القبيلة الصحراوية كمعرفة الإنسان و مناقب القبائل و تاريخها.إلا أن هذا لا يمنع أن نقول أنهم أرقى الطبقات عقلا،بدليل ما صدر عنهم من شعر،و بدليل أحاديث مبعثرة تدل على ارتقاء الشعراء بأنفسهم برقي منزلتهم العقلية،كالذي جاء في

[1] -الإعجاز في دراسات السابقين ، عبد الكريم الخطيب ،ص 12.

سيرة ابن هشام:"أن الطفيل الدوسي قدم مكة و رسول اللهﷺبها فحذره رجال من قريش من سماع النبي حتى لا يتأثر بقوله،قال طفيل:فمازالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئا، ثم قلت في نفسي: و أثكل أمي!و الله إني رجل و لست شاعر،ما يخفي علي الحسن من القبيح،فما يمنعني من أسمع من هذا الرجل ما يقول؟فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته،و إن كان قبيحا تركته».

ثم إن الشاعر كان واجهة إعلامية مهمة،لأن موقف الشاعر في قبيلته التغني بمناقبها،رثاء موتاها،و هجاء أعدائها و قل أن نجد فيهم صعلوكا يتخذ الشعر مهنة يترزق منها.كما أن الشعر "ديوان العرب" كان عبارة عن سجل تاريخي،اجتماعي ،أدبي به عرفنا صور الحياة العربية و معالمها في العصر الجاهلي و إن كانت هذه الصور ناقصة بسبب الرواة و علة في النقل.

2) التـــحدّي :

أ- تعريفه:

- **لغـــة** : أحدى تعمّد شيئا كتحداه و الحُدَيّ بالضم و فتح الدال و تشديد الياء المفتوحة:المنازعة و المباراة و قد تحدّى... و أنا حديَّاك أبرزني وحدك[1] ،و فلان يتحدى فلان أي يباريه و ينازعه الغلبة،و الحادي المتعمد للشيء يقال :حداه و تحداه أي بتعمد الأمر و قصده و التحدّي في اللغة :"هو أن يتعمد الرجل المتحدي فعل شيء و هو يريد بفعله هذا أن يباري خصمه و يعارضه في فعله طالبا بذلك غلبته و الظهور عليه"[2] و التحدي هو المعارضة،أي طلب مسامات الخصم و الظهور عليه أو طالبا إظهار قدرته عليك.

[1] -إعجاز القرآن –الباقلاني ص20-و أنظر القاموس المحيط ج4 ص 316.

[2] -مداخل إعجاز القرآن-محمد محمود شاكر ص 21.

▪ **اصطلاحا:** هو إظهار القرآن و دعوى النبي ﷺ عجز العرب عن أن يأتوا بمثله لأنه من عند الله ؛سواء في ذلك دعواه بلسانه أو بلسان القرآن في مثل قوله: ﴿ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ[1] و مِّثْلِهِۦٓإِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ قوله:﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [2]

ب– مستويات التحدي و مراحله: إن القرآن وحده معجزة دون غيره من الكتب السماوية لأنها لا تدل على أنفسها إلا بأمر زائد و وصف مضاف إليها لان نظمها ليس معجز بخلاف القرآن الكريم[3] و فيما ذكره **السيوطي** كلام ذكرته سابقا عن إرباك العرب و حيرتهم إذ يبحثون عن شيء ليقولونه في القرآن يساعدهم في إعراض الناس عنه. وقد ذكر السيوطي في إتقانه «أن الحاكم أخرج عن ابن عباس أنه قال:جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له،فبلغ ذلك أبا جهل،فأتاه فقال:يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه لئلا تأتي محمدا لتعرض لما قاله،فال:قد علمت قريش أني من أكثرها مالا،قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنم كاره له ،قال و ماذا أقول،فوالله من فيككم رجل أعلم بالشعر مني،و لا برجزه و لا بقصيده و لا بأشعار الجن،و الله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا،و والله إن لقوله حلاوة،و إن عليه لطلاوة،و إنه لمثمر أعلاه معذق أسفله،و إنه ليعلو و لا يعلى عليه و إنه ليحطم ما تحته،قال:لا يرضى قومك حتى تقول فيه،قال:فدعني حتى أفكر،فلما فكّر قال:هذا سحر

[1] –سورة الطور الآية 34.

[2] – سورة البقرة الآية 23.

[3] –فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ، ص 17.

يؤثر–بأثره على غيره»[1] فنزل قوله تعالى:﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦﴾[2]

وهذا ليس النموذج الوحيد في القرآن،فقد قال الله في الذين قالوا عرضوا عن القرآن و شوشوا عليه حتى لا تسمعوه قال تعالى:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾[3] وقالوا :﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ﴾[4]و قالوا:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾[5] و هذا رد الخطاب القرآنتي داحضا حجتهم و اتهاماتهم قال تعالى:﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٠﴾[6] و قالوا:﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ

[1] – إسناده صحيح على شرط البخاري،انظر تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،و حاشية لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي –دار إحياء التراث العربي –بيروت لبنان ،ص772

[2] – سورة المدثر 11-26

[3] –سورة فصلت الآية 26

[4] –سورة الأنبياء الآية 5

[5] –سورة الفرقان الآية4- 5

[6] –سورة يس الآيات 69-70.

يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾[1] و أمام هذا اللتحدي كان لابد للقرآن أن يتحداهم علانية و بقوة ليبين أنه معجزة نبيهم،فآيات التحدي كانت مناسبتها و أسبابنزولها هذه الحملة منهم على القرآن و تكذيبهم للرسول ﷺ.

و آيات التحدي :سورة الإسراء،سورة هود،سورة البقرة و سورة الطور لذلك قسم العلماء مراحل التحدي و المعارضة إلى قسمين:فالقرآن مكي و مدني فمنها ما كانمكي و منها ما كان مدني.و هذا تفصيل ذلك:

1-المرحلة الأولـــى: (المكية)

أ-سورة القصص: قال تعالى:﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَ لَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ٤٨ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٤٩ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] .

ب- سورة الإسراء: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨﴾ وترتيبها في النزول خمسين.

[1] -سورة سبأ الآية 43.

[2] -القصص الآيات:48-49-50.

ج- سورة يونس: أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾

د-سورة هود: و هنا جاء التحدي الرابع ببعض من مثله كله إذ يقول:﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾ترتيبها 52.

هـ- سورة الطور: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤﴾ و ترتيبها 76.

2- المرحلة الثانية (المدنية): و قد جاء جملة واحدة في سورة البقرة:﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣﴾

اختلف العلماء حول ترتيب و تدرج هذه الآيات و من خلال هذه الآيات يمكن الوقوف على ما يلي:

1- طول فترة التحدي و استمرارها في العهدين « المكي » و«المدني» .

2- جاءت آيات التحدي في سياق واحد،و هو الجدال و النقاش مع الكافرين في أمر النبوة و مصدرية الرسالة.

3- من الملاحظ أنه في كل آية يسبقها إشارة واضحة إلى ما دار و يدور في فكر الكفار من الأسباب التشكيك و التهم عنادا،و زعمهم أنه كلام الرسول ﷺ،ثم يتبعها تأكيد للمصدرية الإلهية للقرآن و للرسالة.

4- إعطاء مهلة يفكرون بها طويلا،و يستعينون بمن أرادوا من البشر أو من أعوانهم و شهدائهم للاستعانة بهم،و ذلك لإثبات عجزهم عن الإتيان بمثله حتى لو استعانوا بغيرهم[1]

و هنا لابد من التفريق بين أمرين:

-ما وقع به التحدي: التحدي لم يقع على الأقل من سورة،و السورة تطلق على القصيرة و الطويلة،و السورة بشخصيتها المستقلة هي المقصودة في آيات التحدي و الإتيان بمثلها خارج عن طرق الجن و الإنس،و إن قصرت كسورة الكوثر.

-القدر الدال على كون القرآن كلام الله: أي معرفة مصدر القرآن و كونه وحيا منزلا من الله و هذا لا يتقيد فيه بمقدار معين،فقد يدرك ذلك من خلال آية واحدة أو بعض آية أو كلمة واحدة،فورودت الكلمات في سياق الحقائق الكونية أو الحقائق العلمية في النفس الإنسانية دال على ذلك يدخل في نطاق العلم البشري كما في قوله تعالى:﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾[2].

[1] - التحدي بالقرآن الكريم د- محسن سميح الخالدي(رئيس قسم أصول الدين-جامعة النجاح-نابلس)،بصيغة pdf دون معلومات

[2] -المرسلات 25-26.

ج- خلاف العلماء حول مرحلية و تدرج التحدي:

-القول الأول ذهب بعض العلماء إلى أن تحدي الكافرين بالقرآن الكريم كان مرحليا متدرجا مرتبا،و أن القرآن "**تنازل**" في المطلوب منهم من الكثير إلى القليل،و جعلوا مراحل التحدي ثلاثة:

- تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن كله دون تعيين أو تحديد كما جاء في سورة الطور.
- لما عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن،خفف الله عليهم و قلل عليهم المطلوب و طلب منهم عشر سور﴿ قُلْفَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [1]، لما عجزوا عن الإتيان بمثله طلب سورة واحدة فقط؛و على القول بمرحلية و تدرج التحدي جعل ترتيب السور هكذا:سورة الطور،سورة هود،سورة يونس،سورة البقرة[2]

إلا أنّ المفسرين خالفوهم على القول بأن التحدي بعشر سور وقع أولا،فلما عجزوا تحداهم بسورة من مثله كما في سورة يونس و البقرة و هو قول الزمخشري و ابن كثير و الرازي و ابن حيان في تفاسيرهم[3].

-القـــول الثـــاني: أن التحدي بسورة وقع قبل التحدي بعشر سور و هو قول الزركشي و هو الراجح على قوله و الحجة في ذلك أن ما وقع هو التحدي بسورة من مثله في البلاغة أو الاشتمال على أخبار المغيبات و الأحكام و أخواتها ،فلما عجزوا عن ذلك أمرهم بأن يأتوا بعشر سور من مثله في النظم ووقع التحدي بعشر لأنها قيدت بالافتراء فوسع عليهم في القدر لتقوم عليهم الحجة،ثم أن التكليف في آية البقرة بسبب الريب و لا يزيل الريب إلا العلم بأنهم لا يقدرون على المماثلة التامة و الراجح أن

---

[1] -سورة هود الآية 13.

[2] -البرهان للزركشي ج1 ص 193-إتقان القرآن –السيوطي المصدر نفسه ج1 ص 27.

[3] -التحدي في آيات الإعجاز و أنظر أيضا:الكشاف للزمخشري ج2 و البحر المحيط ج5 ص 158 و تفسير ابن كثير ج2 ص 114.

التحدي كان مقصودا لذاته بنوع القرآن و مثله و العجز كان عن نوع القر آن و مثله،يستوي في ذلك القرآن و بعضه و عشر سور منه و سورة واحدة منه.

د- الفائدة من تحدي القرآن للعرب: وذلك من وجوه

1- أنها برهان و دليل على صدق الرسول التي جاء بها.

2- تثبيت فؤاد النبي ﷺ بعد أذى قريش و استهزائهم المستمر و تعاظم سخريتهم مما جاء به،و تثبيت قلوب المؤمنين.

3- تسجيل العجز على الأمة التي وقع عليها التحدي رغم حاجة منكريها الشديدة للمعارضة.

4- أن يعلم من لا دراية له بفنون الإعجاز عند وقوفه على عجز فصحاء الأمة و شعرائها.

- **وجه الإعجاز الذي وقع به التحدي:**

اختلف العلماء قديما و حديثا في الوجه الذي وقع به التحدي على أقوال متعددة و مختلفة،فمنهم من ذهب إلى أن التحدي وقع بنظم القرآن و آخرون أنه وقع أيضا بإعجازه العلمي و الغيبي أو التشريعي أو الروحي أو التعددي.

و عد بعض العلماء وجوه الإعجاز و منهم من زاد على ما ذكره السيوطي في الإتقان و الأصل و الصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه و أنقل ماذكر السيوطي في هذا المقام:«لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا ﷺ وجب الإهتمام بمعرفة وجه الإعجاز و لقد خاض الناس في ذلك كثيرا،فبين محسن و مسيء..فزعم قوم أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات و أن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق و به وقع عجزها.

و هو مردود، لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور بالتحدي به و الصواب ما قاله الجمهور أنه وقع بالدال على القديم و هو الألفاظ.. ».

3) **المعارضة:**

أ- **مفهومها:** و هي أن ينشئ إنسان كلاما يزعم أنه على غرار القرآن،و يثبت له ما للقرآن من صفات فنية و قد ثبت أنه رسول الله ﷺ تحدى بالقرآن،بالخبر الذي بمثله يعلم أنه أتى من به صلى الله عليه وسلم و ظهر عليه.

و الباقلاني يرى في مذهبه عن المعارضة و هو مذهب غريب على حد قول محقق الكتاب:الدكتور عبد الرازق عبد الرؤوف مخلوف:أنه يعد معارضة لا مكان من جنس المعارض:كالشاعر الذي يمكن مجاراته أو معارضته ناثر،و على سبيل القياس فإن القرآن لابد أن يعارض بمثله (شكلا و قالبا)، وليس كمثله شيء .فالتحدي وقع بطلب النظم المشمل على البلاغة دون نفس الألفاظ تراه يقول:"ربما يدل على أن التحدي وقع بطلب النظم المشمل على البلاغة دون نفس الألفاظ البليغة الفصيحة.

و ينقل عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز في كتابه حجج النبوة قوله:"و لو أن رجلا قرأ على رجل من خطبائهم و بلغائهم سورة واحدة لتبين له في نظامها و مخرجها،من لفظها و طابعها أنه عاجز عن مثلها لو تحدى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها"[1]

و لا يمكن لأحد أن يذهب مذهب تجويز إمكانية المعارضة في وقت سابق،فمن أدعى أن بعضهم قد حملوا على عاتقهم معارضة القرآن في عصور سابقة كالذي نسب إلى ابن المقفع أو أبي العلاء المعري أو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ،فهذا لا يدخل في باب المعارضة،فتحدي هؤلاء كان لأهل عصرهم و المعارضة من شروطها أن تكون ردا على تحدي الرسول ﷺ .

و قد رأينا سابقا أن العرب قبيل نزول القرآن عرفت أرقى أزمنة التطور اللغوي و البلاغي،فهم أهل البيان،و اللغة سليقتهم جبلوا عليها،لا يحتاجون لمعلرفتها إلى درس أو

[1] -دلائل الإعجاز للجرجاني ،تعليق محمد محمود شاكر ،ص 385

قاعدة أو نظرية،و لكنهم مع ذلك وقفوا أمام القرآن موقف العاجز الذي لا يملك الحيلة ولأأ الوسيلة،فكان القرآن شغلهم الشاغل و إليه اتخذوا الأسباب و الوسائل لمعارضته.

فما يقولون و القول أعظم ،و الموقف مربك محير،فالرسالة عقلية معنوية أثرها مستمر عميق،و تعلقوا بهذه القشة ،بما نال هذا النبي لا يحمل عصا سيدنا موسى و لا تجري بين يديه السحاب مؤتمرا و لا يبكم طيرا و لا يأتيهم بمائدة من السماء.رفض الكفار أن تكون آية نبيهم الأولى بيانية مادية شأنهم شأن من سبقهم،و مع رد القرآن طلبهم،و إنكاره عليهم لأسباب كثيرة أذكرها بإيجاز:

كي تكون المعجزة العقلية محققة لعموم بعثة النبي ﷺ

1. الأصل أن تكون المعجزة فيما برع فيه القوم الذين خصهم الله برسالته إذ شهد عصرهم تقدمهم في البلاغة و البيان.
2. المعجزة كانت في ذات الرسالة،فلم تخرج عنها ،و هي القرآن،نظرا لطبيعة الرسالة و المعجزة كونها ناسخة أو خالدة.
3. تأثير المحسوس زائل و محدود محدودية المشاهد له فلا يتعداه و هذا اختلاف مقصد رسالة القرآن،أن يبقى التأثير مستمرا على مدى اختلاف الأزمنة و تباين الأمكنة.

و مع المحاولات اليائسة التي سجلها القرآن للكفار و هم يحاولون الوقوف في وجه الدعوة، كطلبهم تبديل القرآن أو تغييره حتى انتهوا إلى ادعائهم معارضته؛قال تعالى: ﴿لَوْ

نَشَآءُ لَقُلْنَا﴾ [1] و هذه الآية هي أساس التحدي ،بما أن الكفار قد تجرؤوا و زعموا القدرة على الإتيان بمثل هذا القرآن فلا بد أن يتحداهم و يطلب منهم فعل ذلك.[2]

ب-معارضوا القرآن و أخبارهم:

إن التطرق إلى إثبات المعارضة يستوجب أولا البحث عن ثبوتيتها التاريخية إذ يتم إثبات مصداقية النص من خلال التحليل التاريخي لحقبة المعارضة و نصوصها و الظروف السياسية المتعلقة بها.

- **سجـــع الكـهـان:** يمكننا وصف معارضة القرآن و معارضيه أنها مجاز و أنهم أهل للمجاز فلا يمكننا أن نسمي نصوصهم إسما أدبيا كما سبق و أسلفنانو كيف نصفها في فن من فنونه.فقد ذكر الباقلاني و الجرجاني في كتابيهما و كذا الجاحظ في البيان و التبيين بعضا من أخبار المعارضين« ذكر بعض من ادعوا النبوة و حاولوا مناهضة النبي في السلطة و السياسة و الوصول إلى ما وصل إليه في حياته و بعد وفاته،و إن بعضهم حاول نظم قرآن شبيه بالقرآن ليشرع فيه للناس ما يرى تعديله من شريعة النبي و ليؤيد نبوته بمعارضة القرآن»[3] و هي ضروب بائسة من الحماقة و التعصب عارضت أوزان القرآن و جنحت إلى أوزان الكهان ظنا منهم أن القرآن نظمه سجع و عيوبه كهانة.

---

[1] - سورة الأنفال الآية 31.

[2] -أنظر فكرة إعجاز القرآن-نعيم الحمصي-قدم له محمد بهجت البيطار-مؤسسة الرسالة و انظر أيضا التحدي في آيات الإعجاز-د-قحطان عبد الرمن الدوري-دار البشير مؤسسة الرسالة ط1-1417-1997م-شرح الرسالة الشلفية في إعجاز القرآن الكريم للإمام عبد القاهر الجرجاني –د-عمر محمد با حاذق-دار المأمون للتراث ط1-1418هـ/1998م.

[3]-الإتقان في علوم القرآن –شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي- ط5(1398هـ/1978م) دار المعرفة بيروت-لبنان ، الجزء2-ص154

و لقد نسب كتب التاريخ و الأدب عبارات لبعض المنتسبين في جريدة العرب[1] زعموا بها معارضة منهم للقرآن،نسبت أقوال لكل من **مسيلمة بن حبيب الكذاب،و طليحة بن خويلد الأسدي و الأسود العنسي،و سجاح بنت الحارث.**

- **مسيلمة:** لقد نسب إلى مسيلمة الكذاب قوله:«يا ضفدع بنت ضفدعين،نقي ما تنقين نصفك في الماء و نصفك في الطين لا الماء تكدرين و لا الشارب تمنعين» كما نسب له قوله:« الفيل ما الفيل،و ما أدراك ما الفيل،له ذنب فيل و خرطوم طويل»و قوله:«إنا أعطيناك الجماهر،فصل لربك وجاهر،و لا تطع كل ساحر» و قوله:«و الذاريات قمحاو الطاحنات طحنا و العاجنات عجنا،و الخابزات خبزا،و الشاردات شردا و اللاقمات لقما العالة و سمنا»

و روى المؤرخون أن النبي ﷺ توفي و عمرو بن العاص رضي الله عنه في البحرين،فعاد عمرو من البحرين إلى المدينة و في طريق عودته مر على مسيلمة الكذاب في اليمامة و أراد أن يسخر منه فقال له:« أسمعني يا مسيلمة ما أنزل عليك من الوحي فأسمعه مسيلمة لبعض سخافاته،ثم قال :ما رأيك يا عمرو فيما سمعت؟فقال عمرو:يا مسيلمة و الله إنك تعلم أنك كذاب».

و قد روي أيضا في بعض مصنفات الأدب أن بعض الأدباء و الشعراء في العصر العباسي حاولوا معارضة القرآن،ثم تراجعوا لاكتشافهم حماقة و سخف ما قالوه،كالمتنبي و ابن المقفع الذي حاول معارضة القرآن في بعض سوره و اكتشف استحالة ذلك عند وصوله إلى قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ﴾

[1]-إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني-صلاح عبد الفتاح الخالدي بتصرف-ط1(1421هـ/2000م) دار عمار،ص76.

وشكك كثير من العلماء و النقاد و المؤرخين في استحالة محاولة كل من ذكر آنفا معارضة القرآن بهذا الشكل السخيف وأنا مع هذا الرأي فكيف لقوم برعوا قولا و فنا و بيانا أن يصدر عنهم هرطقات بهذا المستوى الذي لا يرقى لأن ندعوه نصا،أو فنا أو كلاما حتى،أما هذه النصوص فهي من الضعف اللغوي الذي يجعلنا لا نثق أنها قيلت في عصر كعصر صدر الإسلام أو العصر العباسي.

و ننتهي إلى القول أن القرآن الكريم معجزة و حجة الله الدامغة ليس لأنه كلام الله بل إعجازه يثبت أنه كلام الله لأن ويثبت أن محمدا رسول الله.

المبحث الثالث:

الإعجاز بشيء خارج عن القرآن

(الصرفة)

شغلت قضية إعجاز القرآن جهود الباحثين و العلماء بعد وفاة النبي ﷺ و إن أول الباحثين في هذه المسألة هم المتكلمون و على رأسهم المعتزلة،و عندما تذكر المعتزلة لابد أن يطل علينا علم الكلام،فارتباطهما وثيق من الناحية التاريخية فمرجعية نشأة هذا العلم لم تكن إلا بسبب من القرآن الكريم.

1- تعريف الصرفة :

أ- لغـــــــة:مصدر للفعل صرف بمعنى أبعد و صرف الشيء عن وجهه إلى جهة أخرى و لهذه المادة معاني أخرى أطال في ذكرها أصحاب المعاجم و اختصرها ابن فارس فقال:"الصاد و الراء و الفاء معظم بابه بدل على رجع الشيء من ذلك:صرفت القوم صرفا و انصرفوا إذا أرجعتهم فرجعوا"[1] ومن معانيها عند أهل الصرفة رد العزيمة و الهم،قال الخليل:"الصرف أن تصرف انسانا على وجه يريده إلى مصرف غير ذلك."و قال الراغب الأصفهاني:طالصرف رد الشيء من حالة إلى حالة أو بدا له بغيره.

و أما ضبطها فبفتح الصاد،و إسكان الراء،هكذا "صَرفَة" على وزن فرح،و هي على وزن اسم المرة،و من ينطقها بكسر الصاد هكذا "الصرفة"فقد أخطأ لأنها بالكسر بمعنى الخالص من كل شيء.

[1] -تهذيب اللغة،ج 12/ص161-162.

ب-**اصطلاحا:**

- الصرفة في تعريف الرماني: و أما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة[1].
- الصرفة في تعريف الخطابي: هي صرف الهمم عن المعارضة و إن كان مقدورا عليها و غير معجزة عنها،إلا أن العائق من حيث كان أمرا خارجا عن مجاري العادات صار كسائر المعجزات[2] ، والصرفة عند الجاحظ:هي صرف الهمم عن المعارضة حفظا لكتابه من التشويش و ادخال الشبهة على السفهاء،و لولا الصرفة لطمع فيه من لا يستطيع الإتيان بمثله (قبله تأتي الصفحة ألف)

و المعنى المشهور للصرفة ما يقال:منع العرب من معارضة القرآن و لاستطاع العرب معارضة القرآن و الإتيان بمثله لأن الذي يقول بها ينكر أن يكون القرآن معجزا بأسلوبه و بلاغته و فصاحته و يرى أن الإعجاز فيه بمضمونه و معناه و ما فيه من الإخبار بالغيب.و على هذه الأقوال فالنتيجة متقاربة من حيث أن العرب مصروفون عن معارضة القرآن و الخلاف الحقيقي هل العرب قادرون على المعارضة أم لا .

2) تقسيم القائلين بالصرفة: ينقسم القائلون بالصرفة إلى فريقين:

1. فريق يقول بصرفة تذكر الإعجاز البلاغي و يميلون إلى أن الإعجاز في الإخبار بالغيب (كابراهيم النظام)و ابن صبيح المرداد ،و جعفر ابن مبشر الثقفي،و جعفر بن حرب الهمداني و هشام الفوطي و عباد بن سليمان..

2- فريق يقول بصرفة تجمع بين الإعجاز البلاغي و العجز المعارض الذي هو الصرفة،و من أنصارها الجاحظ و الرماني و الشريف المرتضنو ابن سنان الخفاجي و الراغب الأصفهاني.

و قد نسب القول بالصرفة لواصل بن عطاء و ابراهيم النظام،و الشريف المرتضى و

---

[1] -مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 342/3 -344 –دار الفكر للطباعة و النشر

[2] - العين ج7-ص 110 –لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (169-100هـ)تحقيق د-مهدي المخزومي،د-ابراهيم السامرائي-سلسلة المعاجم و الفهارس.

وغيرهم و هذا المعنى هو الذي احتشد العلماء لرده منذ قال النظام قولته ،و أما المعاني الأخرى التي للصرفة فقد أخذت من الصرفة معناها اللغوي و بما اختلط فهم أقوالهم بأقوال الفريق الأول فظن الباحثين أن القائلين بالصرفة يذهبون مذهبا واحدا،و المتتبع لحقيقة القول بالصرفة عند القائلين بها من مختلف الطوائف يلحظ الاضطراب في أقوالهم و التناقض أحيانا.

-إرهاصات القول بالصرفة:

فكرة القول بالصرفة مرده إلى التأثر بإمدادات الأجانب الثقافية و الفلسفية،اذ أوعز عليه من عليها،اذ تأثروا بمصدر أجنبي هندي جاء من اطلاع فلاسفة مسلمين و فقهائهم على أقوال البراهمة في كتابهم «الفيدا» حيث يزعم أصحابها أنه في مقدورهم الإتيان بأمثالها غير أنهم ممنوعون من ذلك منعا تك ليفيا احتراما لها،أو منعا تكليفيا احتراما لها،أو معنى أن مانعا صرفهم بمقتضى التكوين أن يأتوا بمثلها. إن رواج فكرة الصرفة كنظرية كان دلالة عند بعضهم أن القائلين بها أرادوا الدفاع عن القرآن و عن إعجازه.

لم يؤثر عن أحد من السلف من أهل السنة القول بالصرفة وجها للإعجاز القرآن الكريم و إنما كان القول بالصرفة من الأقوال التي قيلت في إعجاز القرآن بعد بدء التصنيف و الجمل في إعجا ز القرآن و لذلك فإن نشأة هذا القول كانت متزامنة مع بداية الجدل و القول في وجوه إعجاز القرآن و قد جاء في بيان نشأة الصرفة أقوال:

1. أن أول من قال بها و ابتدعها و اشتهرت على يده هو إبراهيم بن سيار النظام البصري المعتزلي[1](توفي 231هـ) و هو من أقران الجاحظ و إن كمان أصغر منه سنا،و

[1] – هو محمد بن الهذيل البصري رأس في المعتزلة، أخذ الإعتزال عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء،و أبو الهذيل من الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة توفي سنة 227هـ –أنظر سير أعلام النبلاء 532/10 طبقات المعتزلة 254.

هما تلميذان لأبي الهزيل العلاف المعتزلي و ليس للنظام كتاب خاص بمذهبه حتى يمكننا الجزم و للتحقيق من أقواله و منهجه و مذهبه يقول الشريف المرتضي:"و قد حكي عن أبي اسحاق النظام القول بالصرفة و من تحقيق لكيفيتها"[1]

وأول من أشار إلى معنى القول بالصرفة دون تصريح هو الجاحظ في كتابه "نظم القرآن" و هو كتاب مفقود و نسبه إشهار هذه المقولة للنظام هو قول معظم من أرخ للقول بالصرفة من المعتزلة أنفسهم و من غيرهم، فقد رد الجاحظ هذه المقولة على النظام.

و من أول من نسبها صراحة له من غير المعتزلة أبو الحسن الأشعري (ت 324هـ) حيث قال:"و قال النظام :"الآية و الأعجوبة في القرآن ما فيه من أخبار عن الغيوب،فأما تأليفه و النظم فقد كان يجوز أن يقدر عليهم العباد لولا أن الله منعهم بمنع و عجز أحدهما فيهم"

2. الثاني أن القول بالصرفة التي قال بها بعض المسلمين في إعجاز القرآن مأخوذ من البراهمة العنود،حيث ذكر عنهم في بعض الكتب التي تحدثت عن عقائدهم أنهم يرون وجه إعجاز كتابهم المقدس الذي يسمونه بـ:"البين" هو في الصرف عن معارضته احتراما و تقديرا له.و قد ذهب إلى هذا الرأي الشيخ محمد أبو زهرة و وافقه بعض الباحثين و ذهبوا إلى أن إبراهيم النظام أخذ هذا الرأي عن الراهمة بعد ترجمته كتبهم في عهد أبي جعفر المنصور (تـ 156هـ) و من بعده من الخلفاء،و ينتصر النظام لهذا الرأي الأقيسة المتعجلة،و أدلته المتسرعة.

[1] – القول بالصرفة في إعجاز القرآن عرض و نقد، ص 29

- **أثر القول بالصرفة في البيئة العلمية:**

و على هذا يكون إبراهيم النظام هو مصدر هذه المقولة في البيئة الإسلامية سواء كان مبتدئ له أم ناقلا له عن غيره من البراهمة أو غيرهم،هذا ما دعا كثير من العلماء و أئمة المعتزلة من التصدي لرأيه و الرد عليه و التصنيف في وجوه الإعجاز القرآني فرب ضرة نافعة و عن تلك الكتب:

1. نظم القرآن للجاحظ (ت 256) و هو غير موجود.
2. إعجاز القرآن لمحمد بن عمر الباهلي البصري(ت 300هـ).
3. إعجاز القرآن في نظمه و تأليفه لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت 306)و هو مفقود .
4. نظم القرآن لإبن الأخشيد(326هـ) و هو مفقود.
5. نظم القرآن لأبي الحسن بن يحي بن نصر الجرجاني و هذا الكتاب مفقود اليوم و قد انتخب منه مكي بن ابي طالب كتابا سماه انتخاب نظم القرآن للجرجاني و اصلاح غلطة"و هو مفقود.
6. بيان اعجاز القرآن للخطابي (ت 384هـ)
7. النكت في إعجاز القرآن العلي بن عيسى الرماني (ت 386هـ)
8. إعجاز القرآن للباقلاني (ت 403هـ)[1]

-مفهوم الصرفة عند المردار[1]: ممن عزا القول بالصرفة إلى المرداد،البغدادي حيث قال:"و كان المردار يزعم أن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن و بما هو أنصح

[1] -القول بالصرفة في إعجاز القرآن عرض و نقد-د.عبد الرحمن بن معاضة الشهري-أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود دار ابن الجوزي ص 31.

منه كما قال النظام و في هذا عناد منهما،و كذا عزا إليه الشهر الستاني أنه قال:"أن الناس قادرون على مثل هذا القرآن فصاحة و نظما و بلاغة وممن عزا إليه القول بذلك الجرجاني.

-الصرفة عند النظام:هي صرف الدواعي عن المعارضة،و منع العرب عن الاهتمام به جبرا و تعجيزا حتى لدخلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثلة بلاغته و فصاحته"

-القاضي عبد الجبار (ت 415هـ):ذهب عبد الجبار إلى أن إعجاز القرآن يتمثل في اختصاصه برتبة في الفصاحة خارجة عن العادةنو يرى عبد الجبار أن عجز العرب عن معارضته لعجزهم عن الإتيان بمثله.

- الصرفة عند الماوردي[2](ت 450): ينص الماوردي على الصرفة على الصرفة صراحة و بعدها من وجوه إعجاز القرآن المتعددة،إذ قال:"أفضل الصرفة الوجه العشرون من إعجازه،الصرفة عن معارضته و اختلف من قال بها هل صرفوا عن القدرة عن معارضته مع دخولهم في مقدورهم ،و الصرفة إعجاز على قولين معا،في قول من أثبتها[3]،ثم يقول بعد أنهى الوجه العشرين و هو الصرفة:"فإذا أثبت إعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها صح أن يكون كل واحد منها معجزا،فإذا جمع القرآن مآثرها كان إعجازه أقهر و حجاجة أظهر"[4]

---

[1]- أبو موسى عيسى بن صبيح البصري الملقب بالمردار و إليه تنتسب المردارية و كان يقال له راهب المعتزلة و هو من أرباب التصانيف و تفرد بمسائل ممقوتة و بالغ في القول بخلق القرآن و كفر من قال بقدمه،و كفر من لابس السلطان مات سنة ستتة و عشرين ومائتين .

[2] -الماوردي علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري المعروف بالماوردي كان من وجوه الفقهاء الشافعيين و له تصانيف عدة و هو منهم بالإعتزال و كان لا يتظاهر بانتسابه إلى المعتزلة و يوافقهم في العديد من الأمور.

[3] -أعلام النبوة –دار الكتاب العربي –بيروت ط1-1987-تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ص 121.

[4] -نفس المرجع السابق و الصفحة

الصرفة عند ابن الحزم[1]: ينص ابن حزم على القول بالصرفة صراحة في كتابه الفصل و ينص على أنها الوجه الرئيسي لإعجاز القرآن الكريم و يضيف إليها إعجاز النظر و الإخبار بالغيوب غير أن مفهوم الصرفة عند ابن حزم مختلف عن غيره فإنك تجده ينتصر للقول بإعجاز القرآن في نظمه،ثم يناقش القائلين بأن إعجاز القرآن في أعلى درج البلاغة و يبين بطلان قولهم حتى أن القارئ ليتوهم أنه ينفي البلاغة عن القرآن و يجاري النظام بمفهوم الصرفة و إذا به يعود و يؤكد أن الله بلغ بالقرآن الغاية التي لاشيء ابلغ منها ،و قد يظن هنا أنه وقع بالتناقض.

–الصرفة عند البيهقي[2]: الصرفة و التعجيز مع توهم القدرة منهم على الإتيان بمثله فإنما يعلم ذلك بعدم المعارضة مع توافر الدواعي و شدة الحاجة إليه و ذلك ملا يجوز أن يشك فيه عاقل من أنهم لو كانوا قادرين عليه لبادروا إليه مع عرضهم على إبطال دعوته و نقص كلمته،و لما خرجوا في أمر إلى نصب القتال و التعزيز بالأنفس و إتلاف الأقوال و مفارقة الأهل و الأوطان،و لكان ذلك أيسر عليهم من مباشرة الخضوب و مقاساة هذه الشدائد و الكروب فلما لم يفعلوه دل ذلك على عجزهم عن ذلك و سبيل هذا رجل عاقل[3].

---

[1] –ابن الحزم الأندلسي (ظاهري ت 456هـ) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الأندلسي القرطبي الحافظ المتكلم الأديب الظاهري .

[2] –هو الحافظ العلامة الشبت أبو بكر أحمد ابن الحسين بن علي بن موسى صاحب الستة و له كثير من المصنفات و قد توفي في سنة 458.

[3] – الصرفة عن :مجلة الجامعة الإسلامية(سلسلة الدراسات الشرعية) المجلد الثاني عشر يونيو 2004م–العدد الثاني ص 305– محسن سميح الخالدي كلية الشريعة –جامعة النجاح الوطنية نابلس –فلسطين .

مفهوم الصرفة عند ابن القيم[1] (751هـ):

و قال قوم:إعجازه صرف الله خلقه عن القدرة على الإتيان بمثله،و لولا ذلك لدخل تحت مقدورهم ثم ذكر الإعتراضات على هذا القول و خلص من ذلك ليقول:"و كل واحد من هذه الأقوال يحتمل أن يكون معجزة إذا تحدى بها الرسولﷺو عجزوا عن الإتيان بمثل ما تحدى به.

الصرفة عند صلاح الدين بيوني رسلان: فهو من الذين قالوا بالصرفة من المحدثين حيث نص على أن عجز العرب عن الإتيان بمثله لأن ذلك خارج عن قدرتهم و أن صارفا إليها قد صرفهم عن أن يأتوا بمثل القرآن فصاحة و بلاغة و قال:"و الصرفة ليست إقلالا من شأن القرآن بل هي لطف و رحمة من الله بالعباد أن يطمع في القرآن طامع ينطق في نفسه القدرة على الإتيان بمثله أو معارضته فيتأثر به عامة الناس و تتبلبل الأفكار[2]" .

3) **القائلين بالصرفة و جهودهم البلاغية :**

أ- الإعجاز القرآني عند النظام:

ترجمته :هو النظام هو ابراهيم ابن سيار النظام(توفي سنة231 هـ) قال عنه الجاحظ:«ما رأيت أحدا أعلم بالكلام أو الفقه من النظام» وقد حفظ القرآن و الانجيل و التوراة و المزامير مع تفسيرها مع كثر حفظه للأشعار و هو شخصية فلسفية و معتزلية مبدعة لها أثرها في المتكلمين و بخاصة في المعتزلة فانه« قد أنهج لهم سبلا و فنن لهم أمورا و اختصر لهم أبوابا ظهرت فيها النعمة و شملتهم المنفعة و كان لا يرتاب بحديث النظام إذا حكى عن سماع أو عيان »

---

[1] – شمس الدين ًأبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن ًأيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي ابن قيم الجوزية الفقيه الأصولي المفسر النحوي لازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية و أخذ عنه،و تفقه في المذهب الحنبلي توفي سنة 751هـ.

[2] –محسن سميح الخالدي –مجلة الجامعة الإسلامية– المصدر نفسه –ص 326.

و يضيف منير سلطان:«أنه قرأ في كتاب الحيوان للجاحظ كتابا أسماه **–نظم القرآن–** و يحكى أنه أجهد فيه نفسه و بلغ أقصى ما يمكن مثله في الاحتجاج للقرآن و الرد على كل طعان»[1]

و ذكر الفخر الرازي أن النظام قال:« ان الله ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبي،بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال و الحرام و العرب إنما لم يعارضوا لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك و سلب علومهم به»

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: يقول أبو الحسن الخياط المعتزلي أثناء رده على ابن الراوندي : ثم قال:ابن الراوندي و كان يزعم (أي النظام) أن نظم القرآن الكريم تأليفه ليس بحجة النبي صلى الله عليه و سلم و أن الخلق يقدرون على مثله،ثم قال:هذا مع قوله عز و جل :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾[2]،ثم يعلق على اتهام ابن الراوندي للنظام فيقول :« اعلم علمك الله الخير أن القرآن حجة النبيﷺ» ،و قد خالف الجاحظ شيخه النظام في نفي الصرفة عن القرآن الكريم.

فكرة النظم في القرآن الكريم: من الآراء التي نقلت عن النظام آراء فلسفة كلامية،و ان كان معاصروه قد أطروا على ذكائه و نبوغه.وجه الصرف الذي أراده النظام هو ذاك الذي أرادبه العجز عن معارضة القرآن ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة العجز الأولى عن أفعال خارجة عن طاقة البشر استأثر الله بالقدرة عليها.

الثانية: مرحلة العجز الثانية التي خلقها الله في نفوس الخلق عن معارضة القرآن عند انزاله و التحدي به.و لم يذكر أن النظام قد سجل مذهبه في كتاب ما،و انما نقل منه و فسر هذا التفسير الذي لا يعقل أن يتجه اليه العاقلو يذكر على هذا أن **القاضي عبد الجبار**

[1] -إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة –د.منير سلطان ، ص20

[2] – سورة الإسراء الآية 88.

الذي ارتضى **الدكتور بيومي** تفسيره للصرفة فقد رد القول بالصرفة التي ذهب اليها النظام و دحضها.

و قد استبعد **محمد رجب البيومي** أن يكون النظام قد عنى بالصرفة صرف الهمم عن معارضة القرآن ابتداء،و لكننا ننظر فنجد أعلاما من كبار المتكلمين البلغاء الذين قالوا بالإعجاز بالصرفة.و يقول العرب لم تصرف عن معارضة القرآن،فلا يعقل عالم مثل النظام أو المرتضى[1] أو ابن حزم أن ينحوا هذا النحو من المذاهب الفكر،و إنما كان الرأي عندهم أنهم علموا ضعفهم فانصرفوا عن معارضته،و هذا هو المعقول.

ثم نجد العلماء يشحذون الهمم و الأقوال في نفي الصرفة عن كل هؤلاء كالشيخ الزرقاني حيث رد القول بالصرفة،ثم قال:« إني لأعجب من القول بالصرفة في ذاته،ثم ليشتد عجبي و أسفي حين ينسب الى ثلاثة من علماء المسلمين:النظام، و أبي اسحق الأسفريين و المرتضى»[2] لأن ظهور وجوه الإعجاز من جهة وذكاء هؤلاء و علمهم دليل دامغان من صحة أن نغزو هذا الرأي إليهم

و أورد د.أحمد السيد عمار في كتابة نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد العربي القديم رأيه الذي نورده هاهنا:إذ يرى أن الإعجاز عموما نما و ازدهر في بيئة المتكلمين معتزلة و أشاعرة،و ان بدأ في بيئة الاعتزال و كان لرأي النظام في الصرفة صدى واسع.

---

[1] -انظر تاريخ الفرق الإسلامية لعلي مصطفى الغرابي(202-203) اعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة لمنير سلطان 54 ص-55.

[2] -مناهل العرفان –الزرقاني –ج2-ص 210-ط

ب- الجاحظ والاعجاز والقول بالصرفة :

-الجاحظ و نظم القرآن:

يرى بعض الباحثين أن الإعجاز عنده في النظم فقط،فهو أديب لا تخفى عليه مواطن البلاغة القرآنية إذ هو علم من أعلام المعتزلة و قد وضعه ابن المرتضى في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة.

ألّف الجاحظ كتابا في حجج النبوة و كتابا في خلق القرآن،و كتابا مسائل القرآن بالإضافة إلى مناقشات الكلامية العديدة في النبوة و الإعجاز المنتشرة في كتاب الحيوان،و في الجانب البلاغي ألف"أي القرآن" ففي رسالة الجاحظ بعنوان حجج النبوة يتحدث الجاحظ عن معجزة الرسول و انها قائمة في القرآن الكريم الذي هو معجزته.و يصف القرآن الكريم الذي هو معجزته.

و يضيف في رسائله:"حجة على الملحد،و تبيان للموحد،قائم بالحلال المنزل و الحرام المفصل،و فاصل بين الحق و الباطل و حاكم يرجع إليه العالم و الجاهل،و اما تقام به الفروض و النوافل،و سراج لا يخبو ضياؤه،و مصباح لا يخزن ذكاؤه،و شهاب لا يطفأ نوره و بحر لا يدرك غوره،و معدن لا ينقطع كفره ،و معقل يمنع من الهلكة و البوار ،و مرشد لا يدل على طريق الجنة و النار،و زاجر يصد عن المحارم و يجيد يوم التحاكم[1]"

و في رسالته حجج النبوة يخبرنا عن معجزة الرسول على أنها قائمة في القرآن باعتباره معجزته الكبرى و يقيم الدليل على هذا بما عرف من تحدي القرآن العرب و عدولهم عن لقاء هذا التحدي ،و النزول إلى ميدان القول،فهربوا من هذا الميدان و أوقدوا نار الحرب بينهم و بين النبي و قتلوا و لو كان في مستطاعهم أن يصمدوا لهذا التحدي لما فروا هذا الفرار المشين.

[1] – نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في تطور النقد العربي القديم ،أحمد سيد عمار، ص 59.

فالجاحظ يؤلف كتاب النظم ليدحض الشبه التي يوجهها الطاعننون في القرآن إليه و يضيف الدكتور سيد عمار«و منها شبه النظام في القول بالصرفة علو وجه الإطلاق،إذ لم يشكل يوما أساسا من أسس مذهبهم برأي كثير منهم،و كفر القائلين به»،قال البغدادي:« و أكثر المعتزلة متفقهون على تكفير النظام،و إنما تبعه في ضلالته شرذمة من القدرية فالجاحظ مثلا فإذا كانت أقوال النظام ليس لها مكان في كتاب ما، و مع ذلك آراءه لاقت مكانها في كثير من مصنفات علماء للمعتزلة التي تؤكد نسبة الصرفة إليه إذ يقول ابن الراوندي :«و كان يزعم أن نظم القرآن ليس بحجة و تأليفه ليس بحجة النبي صلى الله عليه و سلم،و أن الخلق يقدرون على مثله»

- **الجاحظ بين إعجاز النظم و القول بالصرفة:**

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البشير و الجاحظ لقب غلب و هو أشهر من أن يعرف،و مكانته العلمية و الأدبية يكاد يكون فيها منفردا بين العلماء و الأدباء،و مؤلفاته أكثر من أن تحصى (توفي سنة 255هـ)،له تصانيف عديدة و اليه تنسب مدرسة الجاحظية من المعتزلة،و هو تلميذ أبي اسحاق بن ابراهيم ابن سيار المعروف بالنظام المتكلم المشهور،و كان قد أوتي بسطة في العلم و في الحكمة،و بيانا عذبا في لسانه تجده في تصانيفه و يعتبر كتاب الحيوان أحسنها و أمتعها،و كتابه البيان و التبيين و من أحسنها أيضا رسائل الجاحظ التي تعد من أنفع الكتب ما يحتاج إليه طالب لتهذيب و تلقين لسانه أصول البيان.

وهو القائل:

و كان لنا أصـدقاء مـضـــو تفانوا جميـــعا و ما خلـــدوا

تساقوا جميعا كف و من المنون فمـات الصديـق و مات العــدو

و كان في أواخر عمره رحمه الله أصيب بالفالج فكان يطلي نفسه بالصندل و الكافور لشدة حرارته و النصف الأيسر لو قرض بالمقاريض لما أحس به من ضره وشدة

برده و كان يقول في مرضه (بتصرف): «اصطلحت على جسدي الأضداد إن أكلت باردا أضفت برجلي و إن أكلت حارا أخذ برأسي» و يقول أيضا أنا من جانبي الأيسر متقرس لو مر الذباب لألمت.

ثم يقول الجاحظ :"و لا يجوز أن يكون مثل العرب في كثرة عددهم و اختلاف عللهم ،و الكلام كلامهم ،و هو سيد عملهم،و قد فاض بيانهم و جاشت به صدورهم،و غلبته قوتهم عليه عند أنفسهم حتى قالوا في الحيات و العقارب و الذئاب و الكلاب و الخنافس و الحجلان[1]،و الحمام و كل ما دب و درج و لا لعين و خطر على قلب..و لهم بعد أصناف النظم و ضروب التأليف كالقصيد و الرجز،و المزدوج و المتجانس و الأسجاع و المنثور و بعد،فقد هجوه من كل جانب و هاجى أصحابه شعراءهم،و نازعوا خطباءهم ،و حاجوا في المواقف،و خاصموه في المواسم،و بادروه العداوة ،و نصبوه الحرب...ثم لا يعارضه معارض ،و لم يتكلف ذلك خطيب و لا شاعر...

ثم يضيف :"و محال في التعارف،و مستنكر في التصادق أن يكون الكلام عندهم أخصر و أيسر مئونة عليهم،و هو أبلغ في تكذيبه،و أنقص لقوله و أجدر أن يعرف ذلك أصحابه،فيجتمعوا على ترك استعماله،و هم يبذلون مهجهم و أموالهم،و يخرجون من ديارهم في إطفاء أمره،و توهين ما جاء به،و لا يقولون،بل يقول واحد من جماعتهم:لتقتلون أنفسكم و و تستهلكون أموالكم و تخرجون من دياركم،و الحيلة في أمره يسير ،و المأخذ في أمره قريب.."[2]

[1] -أنظر الخطيب –دراسات الإعجاز في دراسات السابقين ص90.

[2] -أنظر إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة المصدر نفسه ص 59.

لاحظ الجاحظ أن الله تبارك و تعالى إذا خاطب العرب و لأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة و الوحي و الحذف و إذا خاطب بني إسرائيل و حكى عنهم جعل مبسوطا و ازداد في الكلام"

و هو يتهم في كتابه أيضا أن النظام قد أعجبته نفسه حيث بلغ المبلغ من تصحيح الشرط في الآية "و هو عجز الخليقة"بما سماه الصرفة و قد قال عنه الجاحظ "قد استخفه تهوره"في ما جاء في حجج النبوة و ذهب يقول:"إن القرآن حق ،(أي هو بالصرفة آية كآيات الأنبياء ،و ليس تأليفه بحججه أي ليس تأليفه و نظمه آية)[1].

و أنه تنزيل أي هو وحي من الله،و يرى أن التنزيل قد أولى اللفظ عناية خاصة فاختاره بدقة ليدل على المعاني بلا اشتغال و قد يشترك لفظان في المعنى و لكن أحدهما أدق من الأول في الدلالة عليه ،و النظم القرآني له براءته في تنزيل اللفظ منزلته و في الموضع الذي أيد له و يمتاز بروعته أيضا في الاختيار و مراعاة الفروق في الألفاظ فلا يأتي بالألفاظ المترادفة و إلا على معنى واحد و إنما للدلالة على معاني مختلفة و بقدر إصابة المعنى يكون الفرق بين ألفاظ الناس في كلامهم و ألفاظ القرآن في اختياره،و يقول الجاحظ:"في القرآن معان لا تكاد تفترق،مثل الصلاة و الزكاة و الجوع و الخوف،و الجنة و النار و الرغبة و الرهبة،و المهاجرين و الأنصار،و الجن و الإنس.."

فقد يستحق الناس ألفاظا و يستعملون غيرها، و إن كان غيرها أحقية في استعمالها،فترى الله يستعمل لفظ الجوع دالا على العقاب و موقع الفقر المدقع و العجز الظاهر.

[1]– مداخل إعجاز القرآن ،محمود محمد شاكر أبو فهر ،ص102 وانظر : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ، ص56وانظر أثر القرآن في تطور النقد العربي زغلول سلام ، ص30 وما بعدها بتصرف ،

و الناس لا يذكرون العقاب و يذكرون الجوع ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾و قوله:﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَىۡءٍ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٍ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ﴾ [1] و كذلك ذكر المطر،لأنك لا تجد القرآن يلفظ بها إلا في وضع الانتقام و العامة و أكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المر و بين الغيث .

و في كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي نجد كلمة أخرى للجاحظ تدور حول هذا المعنى:"بعث الله محمدا ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعرا و خطيبا،و أحكم ما كانت لغة،و أشد ما كانت عدة،فدعا أقصاها و أدناها إلى توحيد الله ،و تصديق رسالته..فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر،و أزال الشبهة،حملهم على حظهم بالسيف ،فنصب لهم الحرب و نصبوا له و قتلوا من عليتهم،و أعمامهم و بني أعمامهم و هو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن و يدعوهم صباحا و مساءا إلى أن يعارضون إن كان كاذبا بسورة واحدة أو بآية يسيرة،و فكلما ازداد تحديا لهم و تقريعا لعجزهم،عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستورا،فظهر منه ما كان خفيا فحين لم يجدوا حيلة و لا حجة قالوا:"أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف،فلذلك يمكنك ما لا يمكننا،قال:فهاتوا مفتريات،فلم يرم ذلك خطيب و لا طمع فيه شاعر و تكلفه لظهر ذلك"[2]

-القرآن معجز بالصرفة و معجز بالنظم:

الإعجاز عند الجاحظ له وجهين:إعجاز بالصرفة و إعجاز بالنظم و مثل ذلك ما وقع من أوهام العرب و صرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه و لذلك لم يجد أحد طمع فيه،و لو طمع فيه لتكلفه"

---

[1]-سورة البقرة الآية 155.

[2] - الحيوان ، الجاحظ ، ط2 ،1424، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ، ج4 ،ص 89

و الإعجاز عند الجاحظ هو ذلك النظم الذي انفرد به القرآن في تصوير معانيه و إخراجها عن تلك الصورة العجيبة من النظم فإن ذلك الرأي لم يكن رأيا صريحا للجاحظنو إنما كان عن طريق الاستدلال و الاستنتاج لمقولاته التي حملت على هذا المحمل.

فالجاحظ واحد من هؤلاء الذين يعطون الصياغة اللفظية بالغ اهتماماتهم،و من جعل في البيان العبارة و طرق صياغتها شأنا في البلاغة،البلاغة التي تجعل المعنى يلبس اللفظ ضمن أجمل صورة.

و نظرا لتأثرهم بالفلسفة اليونانية في عصرهم و كذا حكمة الهند و بلاد فارس،أخذت الأمثال أيضا تنتقل أيضا إلى اللغة العربية و تؤثر في الناس هذا التأثير الذي المذاهب الكلامية عند كثير من الجماعات و الأفراد.

و كانت تؤثر على أساليب اللغة العربية و تكاد تقطع صلة العرب بين ماضيهم و مستقبلهم،إذ انكب بعضهم على المعاني يفرغ لها الجهد و الإهتمام و لا يهتم للغة تلك المعاني حتى و إن قلعت لغته فخرجت إلى الناس مصابة ببعض العوج.[1]

فخشي الجاحظ أن تتفشى هذه الظاهرة و تتحول إلى ترجمات و مصطلحات مستغلقة تنتهي آخر الأمر بإفساد ما للعربية من أصالة و ثبات،و ذلك عندما تتحول الأساليب الجديدة شيئا ليس بينه صلة تجعل من عصور اللغة كلها عصرا واحدا يتلى في كتاب واحد و إن تنوعت فصوله و أبوابه.

فالمذهب الذي دعا إليه الجاحظ أن البلاغة نظم وصياغة،فمن أخطأه حسن النظم و حبكة الصياغة و البيان،ذلك أن المعنى الذي يخرج في صورة النظم المضطرب و من الصياغة المشوشة المختلطة هو معنى شائن ذميم،و إن نزع عن أصل بارز الحسن رائع الجمال.

[1] – نظرية النظم، صالح بلعيد ،ص20.

و من عجيب القول في إعجاز القرآن قول الجاحظ في بعض أقواله أن الإعجاز الذي وقع في القرآن كان بالصرفة،إذ المعروف أن الجاحظ كان دائما من القائلين بإعجاز القرآن ببلاغته و نظم بيانه.

إذ يأتي الجاحظ في معرض هذا القول بحجج و أدلة و براهين،و قد قال به في معرض الرد على المشككين في أن يكون سيدنا سليمان عليه السلام قد وهبه الله ملكا لم يكن لأحد بعده،و إن الجن كانت في بعض ما ملك،ثم هو مع هذا يجعل ملكة سبأ و ملكها حتى دله عليها و على ملكها الهدهد فكيف يصح هذا؟ و قد رد الجاحظ مع هذا بما حدث لسيدنا موسى عليه السلام و من كان معه في التيه فقد كانوا أمة من الأمم يتيهون أربعون عاما في مقدار فراسخ يسيرة و لا يهتدون إلى المخرج،و ما كانت بلاد التيه إلا من ألفوه و لا يعدمون الوسيلة لمعرفة السبيل و لكن الله صرف أوهامهم و رفع القصد عن صدورهم"[1]

و الجاحظ لا يقول بالصرفة على أخلاقها،و لكنها صرفة عن أمر هو معجز في ذاته،فالقرآن في رأي الجاحظ معجز في ذاته،و لكن الصرفة حمته من أن يتكلف للمعارضة لبعض المتكلفين فيشوش على القرآن و ذلك من شأنه أن يوقع في نفوس العوام و الجهلة اتباكاو اضطرابا.

ج- الرماني والقول بالصرفة (296-384هـ) :

ترجمته : هو أبو الحسن علي بن عيسى الإخشيدي الوراق،ولد سنة 296هـ ،ببغداد أو سامراء كان محبا للعلم ،تتلمذ على يد جملة من العلماء كأبي بكر دريد.

الرماني بتشديد الراء و الميم نسبة إلى الرمان أو قصر الرمان الموجود بواسط ،و الإخشيدي نسبة إلى الإخشيد أستاذه المعتزلي.

[1] -الإعجاز في دراسات السابقين المرجع نفسه، ص 269 بتصرف.

ويعرف أيضا بالوراق لقيامه بأعمال الوراقة التي كانت شائعة في عصره وعلى ريعها كان يرتزق .

ولد سنة ست وتسعين للهجرة ببغداد أو سامراء ،شغل بطلب العم و تحلق في حلقات شيوخه مثل أبي بكر دريد و أبي بكر سراج و الزجاج و غيرهم من أساتذة اللغة و النحو ،ولكنه كان أكثر تأثرا بالإخشيد إذ تخرج على يديه وله اثر واضح في حياته حتى لقب نسبة إليه بالإخشيدي .

واسع الإطلاع ،غزير العلم ،كثير الحفظ ،سريع البديهة ،متقنا للعلوم النحوية و اللغوية، فأطلقت عليه ألقاب عدة:شيخ العربية ،صاحب التصانيف ،ووضعوه في طبقة أبي علي الفارسي و أبي سعيد السيرافي ،ولعه بالمنطق، وعلم الكلام، والفلسفة حذا به إلى مزج النحو بالمنطق من خلال رؤيته النقدية للآراء وتحليله للموضوعات، وقد سئل يوما:لكل كتاب ترجمة فما ترجمة القرآن الكريم ؟.فقال:﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَ لْيُنْذِرُوا بِه ﴾.

–اهتماماته:لم تقف اهتماماته عند علوم النحو و اللغة أو علوم المنطق والفلسفة و النحو ،بل تعددت إلى علوم القرآن و الحديث و الفقه وألف فيها مصنفات كثيرة وتظهر مكانة الرجل الأدبية فيما ذكره معاصروه عنه ، إذ يقول أبو حيان التوحيدي عنه :''أنه لم يكن مثله قط علما بالنحو وغزارة في الكلام و بصرا بالمقالات ،و استخراجا للعويص وإيضاحا للمشكل مع تأله و تنزه ودين و يقين، وفصاحة و فقاهة و عفافة و نظافة '' ، و قال ابن سنان :'' انه ذو مكانة مشهورة في الأدب''ونظرا لثقته و رجاحة عقله و عمق آرائه، فقد اعتمد عله كثير من العلماء و نقلوا عنه في مقدمتهم.

–الإعجاز عند الرماني :

مفهومه : صدر لنا الرماني مفهومه للإعجاز القرآني في رسالته النكت في إعجاز القرآن ،و هي رسالة أدبية بلاغية قديمة تحكي لنا تخصصه العلمي ،و منهجه و منهجه الاستدلالي التحليلي في توصيل أفكاره و رؤاه .

فالإعجاز عنده من سبعة وجوه :

- ترك المعارضة مع توفر الدواعي و شدة الحاجة.
- التصدي للكافة.
- الصرفة.
- البلاغة.
- نقض العادة .
- القياس بكل معجزة .

ولما كان الرماني من علماء اللغة البارزين في عصره فقد خص الجهة البلاغية من رسالته بجانب كبير ، فذكر أنها ثلاث طبقات :

- منها ما هو في أعلى الطبقة .
- ومنها ما هو في الوسائط.

ما كان في أعلاها هو معجز و هو بلاغة القرآن و ما كان دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس و ليست البلاغة بلاغة إفهام المعنى[1] ، لأنه قد يفهم البلاغة متكلمان احدهما بليغ و الآخر عيي، ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى ،لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى و هو عنه مستكره و نافر متكلف ،و إنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.

و دقة التعريف الذي يجلو الأثر النفسي للبلاغة و قدرتها على إيصال المعنى للمخاطب ، و هو ما ذهب إليه الجاحظ أيضا في تعريفه للكلام البليغ :" لا يكون

[1] – النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية و النقد الأدبي، سلسلة ذخائر العرب – تحقيق محمد خلف و محمود زغلول سلام ،ط1976/3،دار المعارف ،مصر ، ص76 وما بعدها

الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه و لفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك اسبق من معناه إلى قلبك ".

و حديث الرماني في هذه الثنائية متردد في أقسام البلاغة ، و البلاغة عنده على عشرةأقسام:الإيجاز.التشبيه.الاستعارة.التلاؤم.الفواصل.التجانس.التصريف.التضمين.المبالغة،و حسن البيان.

-وجوه البلاغة عند الرماني :

- **الإيجاز** :و يعنى به تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ عديدة و يمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة فالألفاظ القليلة إيجاز[1].

و الإيجاز على وجهين حذف و قصر ، والحذف كقوله تعالى : ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢﴾[2]،ومنه :﴿ولكن البر من اتقى ﴾ ،و منه :﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، و كقوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ و أبلغ الذكر ما ذكره في حذف الأجوبة كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ٣١﴾[3]، لكأنه قيل :﴿ لكان هذا القرآن﴾،ومنه قوله :﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ

---

[1] - النكت ، المصدر السابق نفسه ، ص76

[2] -سورة يوسف الآية 82

[3] -سورة الرعد الآية 31

إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾[1] ،وكأنه قيل :حصلوا على النعيم المقيم الذي لا تشوبه شائبة ولا منغص .

وقد صار عنده الحذف هنا ابلغ من الذكر لأن النفس تتوسمه و تتخيله ولو ذكر الجواب لكان اقتصر على الوجه المتضمن له دون أن يتعداه في الصورة المتخيلة للمعنى ، و من الواضح أن الرماني كان مدركا تمام الإدراك لهذا التأثير العجيب الذي تحدثه بلاغة القرآن في نفس السامع .

إن هذه التعريفات كلها تعني أن الإيجاز باعتباره أسلوبا بيانيا ترجع المهارة وجودة الصناعة في القدرة على التصرف في الألفاظ و المعاني و القدرة على المقابلة بينهما.

ثم يأتي إيجاز القصر دون الحذف أعمق و أكثر غموضا من الحذف مع بقاء الحذف على غموضه و جماليته ، و هو بنية الكلام على تقليل اللفظ و تكبير المعنى من غير حذف'' مثال قوله تعالى :﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾[2]،و كذا قوله: ﴿...إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾[3] ، ومنه قوله تعالى:﴿..يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾[4]، إذ نظمت هذه الآيات بألفاظ قليلة و لكنها تشمل معاني كثيرة تدل على جمال و عظمة التعبير القرآني .

---

1 –الزمر–الآية 73.

2 – سورة البقرة الاية 179.

3 –سورة النجم الآية 23.

4 – سورة المنافقون الآية 4.

-الفرق بين الإيجاز القرآني و الإيجاز في كلام العرب :

"القتل أنفى للقتل"

هذه الحتمية التي رأى فيها العرب استحسان البلاغة و الإيجاز فيها و إن كان بينه و بين القرآن فرق شاسع ،وهذا عنده ظاهر من وجوه ثلاثة ذكرها الرافعي سيأتي ذكرها لاحقا :

1- انه أكثر في الفائدة و أوجز في العبارة وابعد من الكلفة بتكرير الجملة.

2- أحسن من تأليف بالحروف المتلائمة المناسبة لبعضها .

3- الكثرة في الفائدة فيه ففيه كل ما في قولهم: القتل أنفى للقتل و زيادة معاني حسنة منها إبانة العدل لذكره القصاص و منها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة و منها الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به.

- **أما الإيجاز**: يتضح حتى من عدد الحروف، فنظير القتل أنفى للقتل قوله تعالى "**القصاص حياة**"، فالأول أربعة عشر حرفا، و الثاني عشرة أحرف، و استعمل لفظ القتل مرتين في جملة واحدة ومتى كان التكرار كان مقصرا في باب البلاغة.

- **أما الحسن**: تأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس ، وموجود في اللفظ ، فان الخروج من الفاء إلى اللام اعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام ، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء اعدل من الخروج من الألف إلى اللام فباجتماع الأمور التي ذكرها صار أبلغ منه وأحسن وان كان الأول بليغا حسنا"[1] .

و الإعجاز الظاهر يكون باجتماع أمور يظهر بها للنفس أن الكلام من البلاغة في أعلى طبقة، وان كان يتلبس فيما قل بما حسن.

[1] - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 78المصدر نفسه.

و الكلام يتلى ما انتظم حتى يكون كأقصر سورة أو أطول آية ظهر حكم الإعجاز كما وقع التحدي في قوله تعالى: ﴿فاتوا بسورة من مثله﴾، فبان الإعجاز عند ظهور مقدار السورة من القرآن.

■ **ثانـــــيا**:التشبيه التشبيه عند الرماني هو العقد أن أحد الشيئين يسد مسد الأخر في حس أو عقل ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس.فبعد أن خلص الرماني من باب الإيجاز ارتحل بنا إلى باب أخر من أبواب البلاغة القرآنية ، فيثبت أن الاختلاف قائم في تشبيهات القرآن و تشبيهات العرب في وجهين ، أما الأول فمن كثرة المعاني المستنبطة منها، أما الثاني من سلاستها في النطق و السمع.

تعريف التشبيه: "هو العقد على أن احد الشيئين يسد مسد الأخر في حس أو في عقل"[1]وذلك كتشبيه دهاء أو قوة زيد بقوة عمرو ، فالقوة لا تشاهد و لكنها تعلم، و هو تعريف دقيق جدا إذا وضحت فيه أوجه الالتقاء بين المشبه و المشبه به في الحس أو العقل ، و واضح من هذا التعريف أن العلاقة التي تربط المشبه بالمشبه به هي علاقة مقارنة أساسا، وليست علاقة إتحاد أو تفاعل بحيث يصبح هذا الطرف ذاك الأخر ، ولو على سبيل الإيهام ،أو تتفاعل دلالات الإطراف مكونة دلالات جديدة هي محصلة هذا التفاعل كما هو الحال في الاستعارة .إن التشبيه هو محض مقارنة بين طرفين متمايزين لاشتراك بينهما في الصفة نفسها.

وهذا الباب يتفاضل فيه الشعراء و تظهر فيه بلاغة البلغاء، وذلك ليكسب الكلام بيانا عجيبا، والأظهر الذي يقع فيه التشبيه البيان بالتشبيه به.

والتشبيه عند الرماني يقع على وجوه أربعة و هي:

[1] – النكت ، الرماني ، المصدر السابق نفسه ،ص 86.

- **الوجه الأول :**

إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه ، كقوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ ﴾[1] ، فهذا البيان قد اخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه ، و قد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة و عدم الفاقة.[2]

و يلفت الرماني انتباه الجمع إلى ملاحظة هامة ، وهي دقة اختيار القرآن الكريم لألفاظه في التعبير عن المعنى المراد بصورة ابلغ و أقوى فيقول : "ولو قيل : يحسبه الرائي ماء ثم يظهر على انه على خلاف ما صدر لكان بليغا،و ابلغ منه لفظ القرآن ، لأن الظمآن اشد حرصا عليه ويتعلق قلبه به، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار ".

- **الوجه الثاني** : إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما قد جرت به العادة و قد اجتمعا في الجهل بما حملا ، كقوله تعالى :﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩﴾[3]فهذا البيان قد اخرج ما لم تجر به العادة إلى ما قد جرت به ، وقد اجتمعا في قلع الريح لهما و إهلاكهما إياهما ، وفي تلك الآية الدالة على عظيم القدرة و التخويف من تعجيل العقوبة.

---

[1]- سورة النور الآية 39.

[2] -النكت ، المصدر نفسه السابق.ص 79

[3] - سورة القمر الآية 19.

- **الوجه الثالث** :إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم ،كقوله تعالى :﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾[1] ، فهذا التشبيه قد اخرج ما لم يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها ، وقد اجتمعا في الجهل بما حملاه، و في ذلك العيب لطريقة من ضيع العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية ، و في هذا نجد أن الرماني يضرب مثالا رائعا من أوجه تشابه القرآن التي تنطبق اليوم على أشباه أهل العلم.
- **الوجه الرابع** : إخراج مالا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها ،كقوله تعالى :﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾[2]،فهذا تشبيه قد مالا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها، و قد اجتمعا في العظمة ، إلا أن الجبل أعظم ، وفي ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها ، وما في ذلك من الانتفاع بها و قطع الأقطار البعيدة فيها.

وهكذا يكون الرماني قد سطر على ضوء القرآن الكريم نظرية بلاغية لها قيمتها، إذ بها قد فتح بابا جديدا في التشبيه و مهد الطريق للبحث البلاغي أمام الباحثين. و أكثر ما نلاحظه في هذا البحث كثرة استشهاده بآيات القرآن الحكيم ،لا لشيء إلا ليضع لنفسه منهجا محددا لإبراز إعجاز القرآن ، فهو يختلف عن الجرجاني الذي نجده اعتمد في الاستشهاد على الشعر أكثر من القرآن ، لذلك ترجح كفة الرماني مقارنة بغيره من العلماء.

ثالثا :الاستعارة:باعتبار أن الاستعارة فن من فنون البلاغة ، فان تأمل الرماني في قدرتها على التأثير في المتلقي لخطاب الله عز وجل ،من ضرورات البحث البلاغي في القرآن الكريم ، فهي فن من فنون البلاغة و جزء من أجزائها العشرة عنده ، التي يجلى فيها

[1] – سورة الجمعة الآية 05.

[2] –الرحمن –الآية 24.

القرآن كثيرا من مواطن إعجازه ، إذ يعرفها أنها :"تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة".و الفرق بين الاستعارة و التشبيه أن ما كان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله لم يغير عنه في الاستعمال و ليس كذلك الاستعارة، لأن مخرج الاستعارة مخرج ما للعبارة ليست له في أصل اللغة.

و يضيف الرماني ليقسم الاستعارة إلى ثلاثة أقسام:

1- مستعار.
2- مستعار له.
3- مستعار منه.

اللفظ المستعار : ينقل من أصل إلى فرع للبيان و كل استعارة بليغة هي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما ليكسب بيان احدهما بالأخر ، كالتشبيه إلا انه ينقل الكلمة،و التشبيه بأداة الدالة عليه في اللغة .و كل استعارة حسنة فهي توجب بلاغة بيان لا تنوب مناب الحقيقة

فأصل الدلالة قائم عنده على أن كل استعارة لابد لها من حقيقة وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة ، كقول امرئ القيس في صفة الفرس :"قيد الأوابد" و الحقيقة فيه مانع الأوابد و قيد الأوابد أبلغ و أحسن،أما في القرآن فيستشهد بجملة من الأمثلة يحللها تحليلا رائعا :

- قوله تعالى :﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ٢٣﴾[1] ،حقيقة "قدمنا" هنا هي عمدنا ، ة قدمنا ابلغ منه لأنه يدل على انه عاملهن معاملة القادم من

[1] – سورة الفرقان، الآية 23

سفر ، لأنه من اجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ،ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم ،وفي هذا تحذير من الاغترار بالإسهال ، و المعنى الذي يجمعهما العدل ، لان العمد إلى إبطال الفاسد عدل ، و القدوم ابلغ لما بينا ، وأما هباء منثورا فبيان قد اخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى تقع عليه الحاسة، وبهذا نجد أن الرماني حلل الآية تحليلا رائعا ،موضحا حقيقتها ليبين فضل الاستعارة ووجه بلاغتها و سر الجمال في التعبير بلفظ قدمنا بدلا من عمدنا ،كل ذلك يجعل القارئمتمثلا بالسر البلاغي في التعبير بالاستعارة

- و مثله قوله تعالى : ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[1]و الحقيقة فبلغ بما تؤمر به ، ثم يوضح جمالها فيقول :"الاستعارة ابلغ من الحقيقة لان الصدع بالأمر لابد له من تأثير كصدع الزجاجة ، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع ، و المعنى الذي يجمعهما الإيصال ، إن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة ابلغ"[2]

و مما يوضحه الرماني أيضا من وجوه البلاغة جمال الاستعارة ، استخدام القرآن للحواس في عرض المعاني في قوله تعالى :﴿ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾[3] أصل الحصيد للنبات حقيقة مهلكة ، و الاستعارة ابلغ لما فيه من الإحالة على إدراك البصر .وفي قوله تعالى :﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾[4]ويقول في قوله تعالى :﴿ سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ

---

[1] -سورة الحجر الآية 94.

[2] -الباقلاني إعجاز القرآن-أنظر أيضا:قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية لعبد العزيز عبد المعطي عرفة –عالم الكتب ص 327.

[3] -سورة يونس الآية 24.

[4] -الأحزاب الآية 46.

تَفُورُ ﴾ شهيقا حقيقته صوتا فظيعا كشهيق الباكي،و الاستعارة أبلغ منه و أوجز،و المعنى الجامع بينهما قبح الصوت(تميز من الغيظ) حقيقته من شدة الغليان بالاتقاد و الاستعارة أبلغ منه.

و أردت هنا أن أضيف إلى جانب الأمثلة البلاغية التي ذكرها الرماني جمال تحليله الذي يذهب معه الباحث و القارئ مذهب الدهشة و اللذة معا،و الوقوف وجدانيا أمام بلاغة الاستعارة و التحليل، الذي يورده العلم ها هنا مثلا استمتع معي سيدي القارئ بهذه الصورة : إِذَا ﴿رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾[1] و معناه واقع استقبالهم للايقاع بهم استقبال المغتاظ،يزفر غيظا عليهم و أيضا قوله:﴿و إنه فى أم الكتاب لدينا﴾ و حقيقته أصل الكتاب هو أبلغ لأن الأم أجمع و أظهر فيما يرد إليه مما ينشأ منه،و قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾[2]و حقيقته انتفاء الغضب.

ثم يمضي في بقية الآيات التي حشدها على هذا النحو بما لا يدع مجالا لمستزيد و لا لمعقب بعده.

رابعا :التلاؤم: التلاؤم في تعريف الرماني نقيض التنافر، و التلاؤم تعديل الحروف في التأليف ،و التأليف متنافر و متلائم في الطبقة الوسطى و متلائم في الطبقة العليا[3].

و ذكر لذلك مثال من شعر العرب:

و قبر حرب بمكان قفرُ و ليس قرب قبر حرب قبرُ

---

[1] –سورة الفرقان الآية 12

[2] –سورة الأعراف الآية 154.

[3] – مقال :بلاغة الخطاب القرآني عند الرماني –د.حفان مليكة.

و ذكروا أن هذا من أشعار الجن لأنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات دون تلكؤ،أو تلعثم و أما التأليف المتلائم في الطبقة الوسطى و هو من أحسنها فكقول الشاعر:

رمتني و ستر الله بيني و بينها عشية آرام الكناس رسيـــــم

رميم التي قالت لحيران بيتهـــا ضمنت لكم ألا يزال يهيـــم

أما التلاؤم في الطبقة العليا القرآن كله و يمثل للمتنافر و المتلائم في الطبقة الوسطى.

-فائدة التلاؤم: تظهر عند الرماني في حسن الكلام في السمع،و سهولته في اللفظ[1]،و تقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة و طريق الدلالة و يضرب لذلك مثلا للمقاربة:

مثل فرادة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط الحرف و قرائته في أقبح ما يكون من الحرف و الخط ،فذلك متفاوت في الصورة و إن كانت المعاني واحدة.

فهو يقصد من فائدة التلاؤم القشرة السطحية للقرآن الكريم و نعني هنا الجانب الموسيقي من حيث ترتيب سكناته و حركاته في صورة ترتاح لها النفس و تتقبلها الأذن و هذه الناحية مع حسنها و بلوغ القرآن فيها حد الإعجاز إلا أنها لا تقوم به كاملا.

و فائدة التلاؤم تقع عند الرماني في حسن البيان التي ربما أراد بها ما نطلق عليه في باب من أبواب إعجاز القرآن "النظم"و يطلق عليها الرماني دلالة التأليف التي لا نهاية لها[2].

خامسا :باب الفواصل:و من وجوه بلاغة القرآن أيضا و إعجازه،الفواصل و ذلك لما تضفيه على الأسلوب بلاغة و بيان حسن،إضافة إلى ذلك الجو الموسيقي الذي يترك أثره

[1] -النكت المصدر نفسه ص 95

[2] - النكت ، المصدر نفسه ، ص95 بتصرف

في النفس و يحرك الوجدان فتتجاوب مع طباع الإنسان،ناهيك عن حسن وقع المعنى في الفهم،و هنا نجد القرآن يحتل المرتبة الأولى نظما من بين النظوم بلغت حد الإعجاز.

مفهوم الفواصل: "حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني و الفواصل بلاغة و الأسجاع عيب"و ذلك أن الفواصل تابعة للمعاني،و أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها و هو جوهر ما يمكن أن توجه الحكمة في الدلالة.

فائدة التلاؤم:لا تتعقد الفائدة هنا لصوت أو اللفظ بل تتعداه إلى المعنى،فتجعل له قبولا في العقل و ارتياحا في النفس،فهو يسند الفائدة إلى اللفظ و المعنى على السواء،فحسن النظم و تعديل الكلام لا يأتي إلا بالعناية بالألفاظ و المعاني،و ذلك بوضع الألفاظ في مواضعها فتأتي اللفظة بجانب أختها منسجمة متلاحمة،الشيء الذي يزيد المعنى وضوحا و كشفا بهاء و حسنا.و يتفق الرماني مع الجاحظ في أن البلاغة الحقوقية إنما تقع في حسن الصياغة و جمال التصوير.

و الفواصل على وجهين:الحروف المتجانسة،والحروف المتقاربة.

1-الحروف المتجانسة: كقوله تعالى:﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾[1]،و كقوله:﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾[2].

2-الحروف المتقاربة: كالميم من النون:ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾و كالدال مع الباءفي قوله تعالى : ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾و إنما في الفواصل الحروف المتقاربة لأنه

[1] -سورة طه الآيات:1-2-3-4.

[2] -سورة الطور الآية 1-2.

مكتنف للكلام من البيان فهي رأيه لا تحتمل ذلك لأنها ليست في الطبقة العليا البلاغة كما القرآن الكريم.

فقد يتوهم البعض أن ختام فواصل القرآن المتوافقة هي من السجع،و التحقق يقتضي الفصل بين الأمرين،فالفواصل من وجوه بلاغة القرآن و إعجازه و الأسجاع عيب فهي من المحسنات البديعية التي يحمد إليها المتكلم حين يريد أن يرتفع بكلامه من منزلة النثر العادي،إلى نثر فني له موسيقى معنية و يراعي في الكثير من العناية بالصياغة اللفظية و جمال الأداء.

فإن غاية الرماني في ذم السجع و رفضه من قبيل تنزيل القرآن من الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي،عن الكهنة و غيرهم،الذي يقصد به اتحاد الحروف،من غير نظر إلى المعنى،و من غير أن تكون للمعاني في ذاتها قيمة،كما جاء عن بعض الكهان "و الأرض و السماء و الغراب الواقعة بنقعاء،لقد نفى المجد إلى الشعراء كثرة شيوعه في القرن الرابع هجري،و الإفراط في تكلفه و العفو في التأنق و الفظي.

و لكن السؤال هنا هل كلّ السجع مذموم متكلف يرهق السمع و الألفاظ و المعاني؟أليس من السجع ما يزيد المعاني قوة،و تكون فيه المعاني متبوعة و ليست تابعة؟فيرى العلماء خلاف ما ذهب إليه الرماني فيه جانب كأبي هلال العسكري و ابن سنان الخفاجي،فرأي الرماني فيه جانب من التعسف فالسجع لا عيب فيه ما دام يأتي طوعا سهلا تابعا للمعاني و هو من صميم البلاغة أيضا[1].

و هذا قول لابن سنان الخفاجي يرد الرماني:"و أما قول الرماني أن السجع عيب و الفواصل بلاغة على الإطلاق فغلط،لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعا للمعنى،و

[1] -يحي العلوي-الطراز –دار الكتب العلمية بيروت-لبنان 1400هـ/1980م.ج3،ص21

كأنه غير مقصود،فذلك بلاغة و الفواصل مثله،و إن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة لها و هو مقصود متكلف فذلك عيب و الفواصل مثله"[1]

سادسا–باب التجانس:يقصد به الجناس،و يقول فيه:"تجانس البلاغة هو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة"و التجانس عنده وجهين:مزاوجة و مناسبة،فالمزاوجة تقع في الجزاء و يسوق الشواهد من القرآن الكريم منها:

–المزاوجة:﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩٤﴾[2]،يقول :أي جاوزه بما يستحق على طريق العدل ،إلا أنه استعير للتأني في لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار،فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان.

و يقصد الرماني بالتجانس أو التجنيس،و هو تشابه لفظين في النطق مع اختلاف المعنى،كما في قوله تعالى في وصف حال الكفار يوم القيامة:﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ٥٥﴾[3]، فلفظ ساعة الأولى قصد به يوم القيامة،و الثانية المدة الزمانية،فلو قال يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير وقت قصير،لفواتنا على السامع السر في بلاغة الجناس[4].و يسوق مثلا من أمثال العرب:"الجزاء بالجزاء" فالأول ليس بجزاء و إنما على مزاوجة الكلام.

و يقول عمر بن أبي كلثوم:

---

[1] – سر الفصاحة، أبو محمد بن سنان الخفاجي ، ط1(1982–1402) ،دار الكتب العلمية، ص 172 .

[2] –سورة البقرة.

[3] – سورة الروم الآية 54.

[4] – معترك الأقران في إعجاز القرآن ، السيوطي ،ج1/ص303.

ألا لا يجـــهلن أحــد علـينا فنـجهـــل فــوق جــهل الجاهلينا

و يقول فهذا"حسن البلاغة"[1]،و لكنه لا يرقى لبلاغة القرآن،لأنه المزاوجة في بيت عمرو لا تؤذن بالعدل كما آذنت بلاغة القرآن في مثل قوله:﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ..﴾الآية و إنما فيه الآذان يراجع الربال فقط،و يقول في ذلك عبد المعطي عرفةو أما قولهم الجزاء بالجزاء فدون بلاغة القرآن أيضا،فإن فيه الاستعارة للأول و الاستعارة في الثاني أدنى من الاستعارة للأول لأن الثاني يعتدى فيه على مثال الأول في الاستحقاق ،فالأول بمنزلة قولهم الجزاء بالجزاء،عن الاستعارة بمزاوجة الكلام في القرآن[2].

سادسا :المناسبة: و هي تلك التي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد و من أمثلته لها قول الله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧﴾[3]

يقول:جونس بالإنصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير،و الأصل فيه واحد و هو الذهاب عن الشيء،و أما هم فذهبوا عن الذكر و أما قلوبهم فذهب عنها الخير و منه﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾[4] .فجونس بالقلوب التقلب و الأصل واحد،فالقلوب تتقلب بالخواطر و الأبصار تتقلب في المناظر و الأصل التصرف.

سابعا :باب التصريف:و هو عنده على نوعين:تصريف اللفظ.تصريف معنى.

---

[1] -النكت ،المصدر نفسه.ص99

[2] – قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية –د.عبد العزيز عبد المعطي عرفة–عالم الكتب–ص 336.

[3] -سورة التوبة الآية 127.

[4] – سورة النور الآية 37.

تصريف اللفظ: "هو تصريفه في الدلالات المختلفة و هي عقدها به على جهة التعاقب"[1].

أما تصريف المعنى :فيقع في الدلالات المختلفة في القرآن الكريم في معرض حديثه عن القصص

تاسعا: باب التضمين:هو عنده حصول معنى في الكلام من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه و يدل الكلام عليه دلالة إخبار أو دلالة قياس.و هو على وجهين:

1. تضمين توجيه البنية مثل:الصفة بمعلوم توجب أنه لابد من عالم،و هذا يدل عليه الكلام دلالة إخبار لأنه ظاهر من لفظه.[2]
2. تضمين يوجبه معنى العبارة و هو نوعان:

الأول: تضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به،مثل الصفة تقاتل يدل على المقتول ،من حيث لا يصح معه معنى قاتل و لا مقتول فهو على دلالة التضمين.

الثاني: تضمين يوجب معنى العبارة:من جهة جريان العادة كقولهم "الكر بستين"،المعنى فيه (بشيء دينارا) فهذا مما حذف،و ضمن لكلام معناه لجريان العادة به.والتضمين عند الرماني كله إيجاز استغني فيه عن التفضيل ،فإذا كان اللفظ دلالة الإخبار على معاني كثيرة،فاقتصر المتكلم على اللفظة الدالة على تلك المعاني و لم يفصلها،و هو التعريف نفسه الذي ارتضاه الرماني للإيجاز إذ يقول "و الإيجاز "إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير"و الإيجاز هو تقليل الكلام من غير إخلال،فعنترة يدعي أن شجاعته و قوته بلغت حدا بعيدا،حتى صار كل من يدخل معه في معركته،إلا و قد سبق إلى أجله قبل أن يحين أجله،و قد اختلف النقاد في هذا،فعندهم أحسن الشعر أكذبه و

---

[1] -النكت ، المصدر نفسه ، ص108.

[2] -قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية المصدر نفسه-ص338.

عند آخرين اعتبروا المبالغة من عيوب الكلام،إذ لا يلجأ المتكلم إلى المبالغة إلا عنده عجزه أن يخترع معنى مبتكرا[1].

ثم يرى الرماني:أن كل آية لا تخلوا من التضمين،لم يذكر باسم أو بصفة و من ذلك "بسم الله الرحمن الرحيم"فيقول:"قد تضمن التعليم لاستفتاح الأمور على الترك به و التعظيم لله بذكره،و أنه أدب من أدب الدين و شعار المسلمين"[2]

عاشرا :باب المبالغة:المبالغة عنده هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة.و قد أطلق بعض العلماء على هذا الوجه بالإفراط،و سماه آخرون بالمبالغة كقدامة بن جعفر[3].

و قد تعرض لها ابن قتيبة في حديثه عن الاستعارة،و لم يفرد لها بابا مستقلا و استحسنها و عاب على من أنكرها،و المبالغة و هي جميلة مستحبة في التعبير و زاد عليها ابن رشيق قسما ثالثا و هو الإيغال[4].ثم أن الرماني يفصل تفصيلا شاملا في دراسة و تحليل المبالغة مستهلا شرح الكلمة نفسها و مدلولها ثم يتناول المبالغة و أوزانها،و هي صفة على وزن فعلان و فعول،و فعال و مفعل و مفعال.

و المبالغة عند الرماني على وجوه و أضرب:

1. **المبالغة في الصفة المعدولة مثل غفار معدول عن غافر**:للمبالغة و ذلك على أبنية كثيرة منها فعلان و منها فعال و فعول و مفعل و مفعال...ففعلان كرحمان عدل عن راحم للمبالغة.

---

[1] – ثلاث رسائل المصدر نفسه،ص102

[2] –قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة المصدر نفسه.ص339 و أنظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 103بتصرف.

[3] –قضية الإعجاز القرآني المصدر نفسه ص 339

[4] – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن المصدر نفسه ص104.

2. **المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة:** و ذلك يشرحه النجار[1] بوضع الصفة العامة في موضع الخاصة كقوله عز وجل:﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[2]و كقول القائل "أتاني الناس"و لعله لا يكون أتاه إلا خمسة فاستكثرهم فبالغ في العبارة عنهم.

3. **إخراج الكلام مخرج الإخبار من الأعظم الأكبر للمبالغة:** كقول القائل جاء الملك إذ ،إذ جاء جيش عظيم له،و منه قوله عز و جل :﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ،،﴾[3] فجعل مجيء دلائل الآيات مجيئا له على المبالغة في الكلام و منه قوله تعالى:﴿أَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾[4].

4. **الضرب الرابع:** إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة كقوله تعالى:﴿ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ،،[5]﴾

---

[1] -أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري.د.محمد زغلول سلام.ص240 وما بعدها بتصرف

[2] -الأنعام الآية 6.

[3] -سورة الفجر.

[4] - سورة النحل الآية 26.

[5] -سورة الأعراف الآية 40.

المبحث الرابع

الإعجاز في محتوى القرآن

و لقينا أن القرآن معجز بكل تتسع له كلمة الإعجاز و بكل ما يشتمل عليه القرآن الكريم من مجالات متعددة ،التي ذكرها السيوطي في اتقانه إذ تجاوزت ألفا و ثلاثين وجهات إعجاز بالنظر ، إعجاز

بالأسلوب ،إعجاز بعدم التناقض أخبار الماضي ،أخبار المستقبل،الإعجاز التاريخي ،الإعجاز الأخلاقي، الإعجاز التشريعي،الإعجاز النفسي[1].....

و أهن الكلام بعد أن أوجزت ببعض الأمثلة عن رأي المتكلمين بالصرخة في إعجاز القرآن الكريم تمنطهم بين راد و مقبل عليها، و بين مفكر و متردد. إذ حاولت التركيز على أهم الخطوط البارزة في تلك النظريات، كقول بإعجاز بشيء خارج عن محتوى القرآن لا تنقل بالقول الفاضل إلى وجه آخر، و نظرية أخرى لطالما أسالت حبر العلماء.

1)نظرية النظم:

أ-مفهوم النظم:

-لغة: التأليف ، ظمه ،ينظمه ،نظما و نظاما و نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك و التنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر و نظمته و نظم الأمر على المثل[2]، و في القاموس:

[1] - إعجاز القرآن الكريم- د.فضل حسن عباس (1423هـ-1991م).دار النفائس.ص 163

[2]- لسان العرب-لأبي الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الإفريقي-المجلد الثاني عشر. دار صادر-بيروت-لبنان-ص579 ط1

جمعه أنظمة و أناظيم، و نظَم السيرة و الهدي كالنظمية ،و الكدادة ،لقَب ابراهيم بن سيار المتكلم[1].

-أما اصطلاحا: فلا تؤدي هذه الكلمة دلالة واحدة في النقد العربي القديم و قد استعملها بعض نقاد العرب للدلالة على الشكل العام للنص إنطلاقا من نظرتهم إلى وجود نوعين من النظم في العربية: النثر، الشعر و ذلك قبل نزول القرآن.

تعتبر نظرية النظم أو القول بالإعجاز في نظم القرآن أبرز ما قدمه القدماء من دراسات حول إعجاز القرآن، يقول د.عدنان زرزور في مؤلفه القرآن و نصوصه:" و لعل أحدا لم يقع قبل الجاحظ رحمه الله على هذه اللفظ ذاتها- نظم القرآن- سواءا تردد مفهومها في أذهان هؤلاء الذين أو فيما أثر عنه.

قال ابن عطية[2]: " الصحيح و الذي عليه الجمهور و الحذاق في وجوه إعجازه أنه بنظمه و صحة معانيه و توالي فصاحة ألفاظه، و ذلك أن الله أحاط بكل شيء علما، و أحاط بالكلام كله علما"[3] .

و قد ثبت أن مفهوم النظم نطقت به أقلام النحاة في معرض تحليلهم الكلام و وقوفهم عند الجملة و ما يحدص فيها من تقديم و تأخير أو حذف و ذكر أو فصل أو وصل، سيبوايه (ت.180 هـ)" مراعاة أحوال النحو مع الإعتماد على الدقة في الإستعمال، حيث يذكر أن لكل استعمال معناه، و تغيير الإستعمال لابد أن ينشأ عنه تغيير المعنى".

---

[1] – القاموس المحيط-مجد الدين محمد بن يقعوب الفيروز أجادي (187هـ) تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد يعز العرقسوسي ط8 (2005-1426) ص 1162

[2]– ابن عطية: هو أبو محمد عبد الحق ابتن غالب الأندلسي المغربي الغرناطي، ت 541هـ

[3]– معترك الأقران في إعجاز القرآن – العلامة الشيخ جلال الدين السيوطي، المجلد الأول- ظبطه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ط1 ض 23

أما أبو عبيدة معمر بن مثنى(210هـ) في معرض مناقشته مجاز القرآن، و إن لم يحدد معالم النظم و لكنه قام بترشيد الذوق البلاغي معتمدا على فقه اللغة العربي، و أساليبها و استعمالها و النفاذ إلى خصائص التعبير فيها[1].

عن بشير بن معتمر[2] (ت 201هـ) إذ يقول : "فإذا وجدت اللفظة لم تقع موقعها و لم تصر إلى قرارها إلى حقها من أماكنها المقسومة لها و القافية لم تحل في مركزها و لم تتصل بشكلها ، و كانت قلقة في مكانها، نافرة من موضعها فلا تكرهها على إغتصاب الأماكن و النزول في غير أوطانها"[3].

اما أبو هلال العسكري فقد أورد كلاما مقتضبا عن الإعجاز بين التلميح و التوضيح في معرض حديثة عن حسن النظم و جودة الرصف و السبك في مؤلفه العظيم الصناعتين، إذ قال: " إذا كان المعنى وسط ، و رصف الكلام جيدا كان أحسن موقفا و أطيب مستمعا، و عاد بنا إلى تعريف الفيروز أبادي لمعنى النظم إذ يضيف واصفا بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعا مني الرأي و إن لم يكن مرتفعا جليلا، و إن اختل نظمه فضمت الحبة منه إلى ما لا يليق بها اقتحمته العين و إن كان فائقا ثمينا، و حسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها و تمكن في أماكنها و لا يستعمل فيها التقديم و التأخير، و الحذف و الزيادة إلا حذفا لا يفسد الكلام و لا يعمى المعنى، و تصم كل لفظة منها إلى شكلها إلى لفظها و سوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، و صرفها عن وجوهها، و تغيير صيغتها و مخالفة الإستعمال في نظمها.

---

[1] – نظرية النطم، د. صالح بلعيد– دار هومة للطباعة و النشر– الجزائر 2001 ص 95

[2]– هو: أبو سهل الهلالي، مؤسس فرع الإعتزال يف بغداد، توفي سنة 210هـ

[3]– أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين–ص 374/ دار غريب للطباعة و النشر.1998

قال العتابي:" الألفاظ أصباد و المعاني أزواج: و إنما نراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا لأفسدت الصورة و غيرت المعنى"[1].

كما أسلفنا سابقا رأي الجاحظ و تعريفه للبلاغة أو النظم على أن تلائم لأجزاء في جودة الشعر، و سهولة المخارج، لنعلم أنه بذلك أفرغ إفراغا واحدا و سبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان.

أما ابن قتيبة (276هـ):جعل اهتمامه في العلاقات النحوية بين ألفاظ العبارة وقد أفرد بابا لتأويل الحروف التي على القران بها الاستحالة وفساد النظم .

أما ابراهيم بن المدبر(ت276هـ) ينصح الكتاب ويوضح لهم ما يجب مراعاته في الكتابة بما هو من صلب النظم بوضع المعنى في موضعه وتعليق كل لفظة على طبقها من المعنى.

والمبرد (285هـ) "حق البلاغة احاطة القول بالمعنى ،واختيار الكلام وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة لأختها ومعاضدة شكلها ".

وقد وسمه ابن جرير الطبري (ت310هـ) بالتأليف ،والتأليف من معاني النظم ،وجعل القاضي عياض (ت544هـ) من وجود اعجاز القران بقوة[2] نظمه حيث قال الوجه الثاني من اعجاز القران بقوة نظمه حيث قال "الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لأساليب العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ..."[3]

---

[1] – كتاب الصناعيين (الكتابة و الشعر) – تصنيف أبي هلال الحسن بن سهل العسكري – تحقيق (علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل ابراهيم ط1(1371هـ-1952م) ص160-161 .

[2] – أثر النحاة في البحث البلاغي ص276 .

[3] – تأويل مشكل القران –ابن قتيبة ،تحقيق ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ص 4

و أما القاضي أبي محمد ابن عطية الأندلسي(ت546هـ) القائل في تفسير قوله تعالى:" فأتوا بسورة من مثله..."[1] :"و اختلف المتئولون على من يعود الضمير في قوله "مثله": فقال جمهور العلماء: هو عائد على القآرن ثم اختلفوا فقال الأكثر من مثل نظمه و وصفه و فصاحة معانيه التي يعرفونها و لا يعجزهم إلى التأليف الذي خص به القرآن"، و به وقع الإعجاز على قول حذاق النظر"[2]

و المراد بالنحو عند السير في النحوي(ت 358هـ) ليس حركات الإعراب فقط، و إنما هو في وضع الكلمات و ترتيبها، و إن المراد بالمعاني هو معاني النحو من حيث التقديم و التأخير و توخي الصواب.

و قد ناقش مسألة النظم علماء آخرون لهم جهود قيَمة في مسائل البلاغة و الإعجاز، و من أسلفت ذكرا كان للمثال لا للحصر، و نذكر في هذا المقام ابي الحسن عبد الجبار الأسد أبادي (ت415هـ) العالم الفذ الملقب بالقاضي عبد الجبار الذي يعطي الميزة في الإعجاز لضم الكلمات إلى بعضها لا إلى المعاني" العقل". و لم يعط قيمة للللفظة المفردة و فصاحتها في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، و حاولت قدر الإمكان أن أجمل دون إقلال و أن أختصر مع تحرز و أن أتطرق إلى جمهرة الأقوال في نظم القرآن بما هو متاحخ موضوع و منهجية، و قد خرجت في مباحث سابقة على أقوال علماء كان لهم باع غير يسير مع علم الإعجاز عموما و نظمه خصوصا(الجاحظ- الرماني).

أما في هذا المبحث فذكرت نماذج ثلاثة رأوا جوهر الإعجاز و سره في محتواه بعيدا عن الصدفة و نظرياتها، و ذلك قليل من كثير، و غيظ من فيض[3].

---

[1] - سروة البقرة- الآية 23

[2] - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- بان عطية- ج1/ - ط1 (1422هـ-2001م) دار الكتب العلمية. ص6

[3] - أثر النحاة في البحث البلاغي- د. عهبد القادر حسين- -(1998م) دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، ص297

2)جهود العلماء و نظرية النظم:

أ-جهود الخطابي و نظرية نظم القرآن:

- ترجمته: هو أبو سليمان حمد بن محمد ابن ابراهيم البستي الخطابي[1] اللغوي المحدث، ولد على ما ذكره الذهابي سنة بضع عشرة و ثلاثمئة[2] عالم كثير الترحال، طاف البلاد الإسلامية منقبا عن أسباب العلم و طرق تحصيله، شهد له السمعاني" بالإمامة" و الفضل(2). و عنه قال الثعالبي" كان يشبه بابي عبيد القاسم بن سلام في عصره علما و أدبا و زهدا و ورعا و تدريسا و تأليفا، إلا أنه كان يقول شعرا حسنا و كان أبو عبيد مفحما[3]".أقام في نيسابور ردحا من الزمن ثم رحل إلى ما وراء النهر و اشترى به المقام في مدينة سبت**، بقي فيها إلى أن توفي سنة ست و ثمانين و ثلاثمائة(386هـ).

إن زاده العلمي، و ذكاؤة الواسع، و الثقافة الرحيبة تركت أثرا في تاريخ التأليف في العالم الإسلامي، فالخطابي ترك لنا من العلم ما كان مذهلا و محلا لكثير من الدراسات العلمية من خلال مؤلفاته و بحوثه، كمعالم السنن في شرح سنن إلى داوود و كتاب الغزلة، و كتاب إصلاح خطأ المحدثين و كتاب بيان إعجاز القرآن الكريم.

و كتب أخرى ما تزال مخطوطة، شرح البخاري"و شرح"لأسماء الله الحسنى" و"غريب الحديث"و "كتاب الغنية عن الكلام و أهله".

و الذي يعيننا من آثاره و يتصل بموضوع البحث كتابع" بيان إعجاز القرآن"التي نشرها عبد الحليم عليجرة (1953) ثم نشرت مرة أخرى بتحقيق الفاضلين

---

[1] -إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي ،تحقيق :محمد ابو الفضل ابراهيم ،ط1،دار الفكر العربي ، ج1،ص160

[2] - من أعلام النبلاء-شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي-الطبعة الثانية و العشرون- ج17-ص23-ط(2001)- مؤسسة الرسالة.

[3] - معجم الأدباء- إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت626هـ)- تحقيق -إحسان عباس/ -دار العرب -بيروت - لبنان ، ج3 ص626

*- تقع مدينة سبت في أفغانستان شمال عاصمة كابول.

محمد أحمد خلف الله و د.زغلول سلام ضمن رسائل في إعجاز القرآن و قد اشتهرت رسالة الخطابي لأنها كانت من أوائل الرسائل التي تصدت لقضية الإعجاز.

- **طبقات الكلام عند الإمام الخطابي:**

نجد الخطابي يرفض مقولة اللاتعليل لأسرار إعجاز القرآن لأنها على صقوله" أشكال أصل على إبهام" و يحاول تحديد أسباب العلة في الإعجاز، أي تقديم أدوات البحث التي تعين على استكشاف مناحي الإعجاز في النص القرآني.

لذا نجده ذهب مذهب سابقيه و مذهب الرماني إذ قسم أجناس الكلام إلى مراتب:

1- البليغ الرصيف الجزل

2- الفصيح القريب السهل

3- الجائر الطلق الرسل

و يضيف:" من القسم الأول أعلى طبقات الكلام و أرفعه و الثاني أوسطه و الثالث أدناه و أقربه"[1] .

فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، و أخذتمن كل هذه الأوصاف نمط، و بعد أن حدد طبقات الكلام أشار إلى الوجوه التي اعتبرها وراء عجز العرب حيث تحداهم القرآن فيقول:

" و إنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور منها: أن علم لا يحيط بجميع لأسماء اللغة العربية، و بألفاظها التي هي ظروف تلك المعاني و الحوامل لها،و لا تترك أفهامهم جميع المعاني. فالكلام ثلاثة: لفظ حامل، و معنى به قائم ثم يقول :"واذا تأملت القران وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ولا نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه"

[1]-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (الرماني-الخطابي-عبد القاهر الجرجاني) تحقيق(محمد خلف الله- محمد زغلول سلام) ط2 (1387-1968) ، دار المعارف ،مصر ،ص **26**

ثم يضيف واصفا القرآن : "واذا تأملت القران وجدت هذه الأمور في غاية الشرف والفضيلة حتى لاترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولاأعذب من ألفاظه ولا نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من لفظه [1]" وفي رأيه أن سر الاعجاز كامن في الخاصية التي تتميز بها كل لفظة عن سابقتها في بعض معانيها[2] .

"فاللغة وعاء الفكر ، وعماد الحضارة الإنسانية ، فلا تفكير بلا لغة و لا مجتمع أيضا ."

و هنا يفصح الخطابي عن رؤيته اللغوة الخاصة ، من خلال تمييزه بين بنية الدال و المدلول ، فالقرآن إذن معجز بنظمه و يزيد من روعة هذه النظم إنسجامه و ملائمته للموةضوعات المختلفة التي يحفل بها القرآن الكريم ، ك التشريع و محاسن الأخلاق و زجر عن مساوئها[3] .

خصائص نظم القرآن عند الخطابي :

يتميز النظم عند الخطابي بجملة من الخصائص :

1.تهذيب الألفاظ و إخضاعها للسياق : بإخضاع اللفظ في القرآن المقتضى الحال ليؤدي المعنى امنوط به ، فغريب اللفظ لا يعتبر غريبا في ذاته ، و لا تصح تسميته بالبليغ ، و أما ما ذكر من قلة الغريب في ألفاظ القرآن بالإضافة إلى الواظح منها فليست الغرابة مما اشترطه ، و إنما يكثر الوحشي الغريب في ككلام الأوحاش من الناس.

---

[1] – نفس المصدر السابق صفحة 27

[2] – نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد العربي القديم . أحمد سيد محمد عمار – ط1(1421 هـ – 1998 م) صفحة 82 – دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان ، و أنظر : إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق . د.مفني شرف : عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، اللجنة العامة للقرآن و السة – الكتاب الرابع 1930 – 1970 ص 48 بتصرف .

[3] –أصول النظرية البلاغية – محمد حسن عبد الله – ط 3 (1418 هـ - 1998 م) – ص156 مكتبة وهبة – مصر .

2. كثير من ألفاظ القرآن مع شرح مدلولاتها شرحا دقيقا ، تبدو مشتركة في مدلولها مشابهة في معانيها ، و هي إما فروق في المعاني أو فروق في الإستعمال و التركيب[1] . كأن تكون الكلمة متعدية لمفعول واحد أو مفعولين أو لازمة ، و يضيف في بيان الفروقات اللغوية فالإعجاز يقع وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعة ، الأخص ، أي وضع الكلمة في مكانها الذي لو حدث وز غيرناها لكان له الأثر إما بتغيير المعنى أو بفساد رونقها ، و هذا يتنافى تماما مع أسس البلاغة ، ذلك أن في الكلام ألفاظ متقاربة في المعاني ، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب ، كالعلم و المعرفة ، و الحمد والشكر ، و البخل و الشح ، و يستشهد هنا بقوله تعالى : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ [2]﴾ فقد زعم البعض أن البخل منع الحق و هو ظلم ، و الشح ما يجده الشحيح في نفسه من الحزازة غند أداء الحق و إخراجه من يده[3]

ما رواه ابن مسعود عن شداد عن أبي شعثاء قال : " قلت لعبد الله ابن مسعود : يا أب غبد الرحمن إني أخاف أن :ون قد هلكت ، قال : و لم ذاك ؟ قلت : لأني سمعت الله يقول (و ذكر الآية السابقة من سورة الحشر ، و أنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء ، قال : ليس ذلك الشح الذي ذكره الله في القرآن ، و لكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلما و لكن ذلك البخل ، و بئس الشيء البخل)[4]

---

[1] – أثر القرآن في تطور النقد العربي – د.محمد زغلول سلام ص 157 ، و بيان إعجاز القرآن ، الخطابي (تحقيق محمد خلف الله –محمد زغلول سلام) ص36

[2] –سورة الحشر الأية 59

[3] – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – المصدر نفسه ص 29

[4] – المصدر نفسه ص36

فواضح أن الخطابي يرى بخصوص الأفظان أن يكون الفظ مستقرا في مكانه اللائق به الذي يتطلبه المعنى ، و من حوصلة حديثه عن الفروق اللغوية انتهى إلى ما يلي :

- غلط بعض المفسرين في القرآن الكرين بسبب معرفتهم الدقيقة بالفروق اللغوية
- تهيب كثير من السلف تفسير القرآن حذر الزلل و الخطأ و حذر انحرافهم عن المقصد الذي أنيط به اللفظ .
- حث النبي صلى الله عليه و سلم على تعلم معاني غريب القرآن و إعرابه .
- أن العرب لم تقوى على معارضة القرآن حينا ، فهم قوم أدرى و أعلم بمواطن الفصاحة و البلاغة و يقيهم بأنه لا يجاري جعلهم يتجنبون معارضته و يعجزون عن تحديه .

الأساس الثاني : رسوم النظم و هنا الحديث عن حاجة إلى الثقافة و الحذق ، لأنها على حد تعبيره " لجام الألفاظ و زمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام . "[1]

فعناصر الجمال التي منها الإعجاز تتركز عند الإمام الخطابي فيما يأتي بيانه:

- أولا: اللفظ
- ثانيا: المعنى الأصلي
- ثالثا: نظوم التأليف للعبارة.

-خصائص الأسلوب القرآني عند الخطابي:

-الإعتراضات الموجهة لنظم القرآن و نقضها:في معرض حديثه عن الطاعنين في جوان و وصفهم بعض الآيات بمجانبتها لأسس الفصاحة، و بعدها عن ما عرفوه من وجوه البيان، و يعود فيذكرنا إلى حاجة الأديب القارئ للقرآن المتفحص لدقائق أسرار بيانه إلى الذوق البلاغي اللغوي و هذا تفصيل ذلك:

[1] -أثر القرآن في تطور النقد العربي القديم، د.أحمد سيد عمار المصدر السابق نفسه،ص 36 ،أنظر أيضا قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة . د.عبد العزيز عبد المعطي عرفة ص 398 بتصرف .

1 – عابواعلى قوله تعالى "فأكله الذئب" والمعلوم أن الأكل لا يختص بفعل السباع وانما الافتراس فكان الأجدر في ظنهم قول:"فرشه السبع" فالأكل عام لا يختص به نوع من الحيوان ، وكقوله أيضا "ذلك كيل يسير" قالوا وما اليسير والعير والكلمة ضد أختها.

وجواب الخطابي أن القول في وجود ألفاظ القران وبلاغتها على النعت الذي وصفه الطاعنون لا يقع فيه الا جاهل ، ففي قوله تعالى:﴿ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾[1] فان الافتراس معناه في فعل السبع القتل وأصل الفرس دق العنق والقوم ادعوا على الذئب أنه أكله بجميع أجزائه

1/ الحذف و الإيجاز : وقد استشهد بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ﴾[2]فإن الإيجاز في موضعه، و حذف ما يستغنى عنه من الكلام نوع من أنواع البلاغة، و قد جاز حذف الجواب في ذلك و حسن لأن المذكور منه بدل على المحذوف و المسكوت عنه من جوابه ويضيف فيضرح ذلك و يعلل بقوله "لان المعقول من الخطاب عند اهل الفهم كالمنطوق به و المعنى : ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكان هذا القرآن[3].

و هو ما ذكره الرماني أيضا إذ قال : " و إنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب كل من هب ، و لو ذكر الجواب لقصرلا على الوجه الذي تضمنه البيان ، فتلك نغمة جدلية لم نسمعها "[4]

---

[1]– سورة يوسف الاية 17

[2] – سورة الرعد الآية 31

[3] –ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . المصدر نفسه ص52

[4] – قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة – د.عبد العزيز عبد المعطي عرفة ط1 . عالم الكتب . ص 324

2/ التكرار : و فند الإمام قول الطاعنين في التكرار ، و قسمه في القرآن إلى قسمين : تكرار مذموم : و هو الذي يمكن الإستغناء عنه و غير مستفاد به .

و الضرب الأخر ما كان خلاف هذه الصفة ، فإن ترك التكرار في الموضع الذي يتضمنه و تدعو الحاجة إليه فيه بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف بالإختصار ، و إنما يحتاج إليه و يحسن إستعماله في الأمور المهمة التي قد تعضم العناية بها و يخاف بتركه وقوع الغلط و النسيان فيها و الإستهانة بقدرها . و قد يقول الرجل لصاحبه في الحظ و التحريض على العمل : عجل عجل ، و ارم ارم ، و كقول الشاعر عبيد بن الأبرص[1] :

هلا سألت جموع كنـ دة يوم ولو أين أينا

و قد بلغنا القرآن بأسباب التكرار في الأخبار و القصص[2]: في قوله تعالى : ﴿ ۞وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [3]، و قوله أيضا : ﴿ وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾[4] . فكذلك في سورة المرسلات يقول الخطابي ذكر أهوال يوم القيامة و جدد تذكيرنا بالوعيد لتنقص البلاغة في القرآن و أكد في إقامة الحجة ، و في تكرير قوله

[1] – وهو عبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر بن هز بن مالك بن الحارث بن سعد ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن جزيمة الشاعر المشهور.ومنهم ابن الأبرص الفزاري وهو زياد بن الأبرص أحد بني شمخ ابن فزارة شاعر انظر لمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (المتوفى: 370هـ) المحقق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991 م ص 61

[2] – نفس المصدر ص 53

[3] –سورة القصص الآية 28

[4] – سورة الرحمن الآية 20

تعالى في سورة الرحمن : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣ ﴾لتجديد ذكلا هذه النعم و اقتضاء الشكر عليها .

و من جملة التطبيقات البلاغية في نقضه للطعون على القرآن ، أين تبرز دقة التحليل و ذكاء الإستنباط و بروز للشخصية العلمية للإمام في استشهاده بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ [1]﴾ ، فلا يقول أحمد من الناس : فعل الزكاة ، إنما يقال : زكى رجل ماله : و أدى زكاة ماله ، و المراد من الكلام المبالغة في أدائها و المواظبة على الفعل و إستمراره فتكون بذلك صفة لازمة لهم ، يعرفون له فهي إذن أوفى العبارات و أبلغها في هذا المعنى .

و في رده عن معارضي القرآن أمثال مسيلمة يورد لفتات بلاغية جميلة و مقارنات بديعة لو اتسع المقام هنا و المناسبة لذكرتها كلها و لكن أكتفي ببعض الأمثلة التي دلت على أن الإمام الخطابي حجة في الذوق ألأدبي و بارع في استنباطه و مقارناته.

و قد ذكر في رسالته قول القائل:"الفيل و ما الفيل و ما أدراك ما الفيل" و قول صاحب:"ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى... فإن كل واحد من هذين الكلامين مع قصور آية، و قصر معانيه خال من أوصاف المعارضات و شروطها"[2].

فيذهب الإمام أن من أراد معارضة في خطبة عليه إنشاء كلام جديد يحمل معنى بديعا فيباريه في معناه و لفظه و يقارن بين الكلامين ليعلم أيهما أبلغ، لا أن يغير مواضع الكلام و يبدل الكلمة مكان الأخرى فهذا يتنافى و أصول المعارضة و شروطها في فنون الكلام :" إذ أنت وقفت على شروط المعارضات و رسومها، و تبينت مذاهبها

---

[1] -سورة المؤمنون الآية 4

[2] – نفس المصدر السابق ص57

و وجوهها علمت أن القوم لم يصنعوا في معارضة القرآن شيئا و لم يأتوا من أحكامها بشيئ البتة..."

ثم يوجه الكلام لصاحب الفيل بتوجيه الخطاب ساخرا" يأ فائل الرأي..."""أما علمت يا عاجز لأن مثل الفاتحة إنما تجعل لأمر عظيم" كقوله تعالى:" القارعة ما القارعة و ما أدراك ما القارعة..."[1] فذكر يوم القيامة و أتبعها وصف لأهوالها و عظمتها، أما صاحب الفيل إنما عرض لما يحس و يبصر و تعلم أحواله من جملة الدواب[2]

و يستمر الخطابي في عرض الطعون و في معرض هذا النقض يحلل الأبيات تحليل العالم المدرك للكلام و لدلالته عل قدرة على كشف ما تنطوي عليه من دلالات و ما تخفيه من نكت بلاغية. وبهذا تصبح تحليلاته البلاغية رصيدا مهما و موئلا أساسيا لمن يرغب في تذوق معاني القرآن و القدرة على التمييز بين فنونه و إدراك أسراره ثم يختم رسالته ببيان وجه آخر من وجوه ألإعجاز و هو صنيع القرآن بالقلوب و تأثيره في النفوس[3]،يقول د.عبد العزيز عبد المعطي عرفة : " و بعد فالخطابي بجهده هذا لفت أنظار العلماء إلى بحث النظم بحثا علميا دقيقا و أول من ثار على طريقة دراسة البلاغة – فيما نعلم– و لكنها ثورة تتسم بالهدوء"[4] فالخطابي بتصوره للنظم حاول تغيير دراسة البلاغة حيث تقف عند حدود الشكليات، فقد رأى في عملية النظم ذلك التفاعل الطليق و الربط الجدلي بين اللفظ و المعنى. و قد لاحظ د.محمد زغلول سلام و كثير من النقاد كنعيم الحمصي و د. عبد العزيز بن المعطي و أحمد سيد عمار و السيوطي في معترك الأقران أن الخطابي نبه في النصف الأخير من القرن الرابع إلى شيء جديد في

---

[1] – سورة القارعة الاية 2/1

[2] – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن– نفس المصدر السابق–ص68

[3] – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن– نفس المصدر– ص 69 و ما بعدها

[4]– قضية الإعجاز القرآن و أثرها في تدوين البلاغة العربية. عبد العزيز عبد المعطي عرفة –ص 40، و أنظر أيضا: إعجاز القرآن للباقلاني : أبي بكر محمد بن الطيب.تحقيق(السيد أحمد صقر)– ذخائر العرب(1963)/ دار المعار ف، ص16

الأسلوب غير اللفظ و المعنى. ثم ألف بين الرماني و الخطابي معاصرهما أبو بكر الباقلاني، كتابه إعجاز القرآن.

جهود الباقلاني و قضية النظم:(403-338هـ)و(1013-950م)

ظل النص القرآني قطب الرحى في معترك التحولات الفكرية و الحضارية في تاريخ الإسلام لاعتبارات كثيرة منها: أنه وحي إلهي يحمل منهج حياة و مصدر تشريع لهذه الحياة منذ أن شع نوره، أنه وحي إلهي(ستحدث من خلاله فمن أجل فهمه ما ظهر م أنماط المعرفة خلال الحقب الإسلامية.

و كانت قضية الإعجاز من أخطر القضايا التي جابهت الإسلام و المسلمين و يبدو أن قضية الإعجاز ببعديها الكلامي و البلاغي قد استقطبت علماء الكلام لا يحدوهم في ذلك الدفاع عن العقيدة الإسلامية و حسب، بل كذلك ترسيخ الكيان الإسلامي في مواجهة التحديات و العقائد السابقة و المذاهب الوافدة[1].

أ- ترجمته: هو أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر الباقلاني، اسمه محمد و كنيته أبو بكر و اسم أبيه الطيب و اسم جده محمد بن جعفر، و لقبه الباقلاني.

جاء في أعلام الزركلي :"هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر قاضي من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة و سكن بغداد.أما عن سنة ولادته فلا يوجد في الكتب ذكر لذلك إنما يذكر أن عصر الدولة(ستقدمه إلى شيراز في سن الشباب و تقدير ذلك أن يكون يف سن الشباب (365-372هـ)، فيمكن تقدير ذلك أنما كانت في العقد الرابع من القرن الرابع الهجري[2].

و لم يكن يرحمه الله ربيب نعمة أو صاحب مال أو ابن أسرة ثرية، إنما كان و الله يبيع الباقلاء و عليها نسب". و قد ذكر القاضي عياض في طبقات المالكية و الذهبي في

---

[1] – اعلام الزركلي ، ج6 ،ص 178.

[2] – الباقلاني وكتابه اعجاز القران ، دراسة تحليلية نقدية ، د.عبد الرؤوف مخلوف ص 74 وما بعدها

سير أعلام النبلاء يقول القاضي عياض: هو الملقب بسيف السنة و لسان الأمة المتكلم على لسان أهل الحديث [1]كما كلن يلقب بالقاضي فيما يظن أن سبب التسمية سبب توليه منصبا في القضاء.

و للقاضي مذهبان: أحدهما فقهي و هو المالكي و ثانيهما كلامي أشعري. ورع معروف بزهده و صلابته و قوة شخصيته و قد أرسل كسفير سنة 371 هـ إلى ملك الروم و الفرس.

و يعتبر الباقلاني بين العلماء المسلمين المتقدمين و من أغزرهم معرفة و أوسعهم ثقافة و أخصبهم إنتاجا و أكثر انتاجه يتصل بعلوم الملة و عقائدها.فهو يؤصل الأصول و يوضح المذهب و يكشف عن حقائق الدين و العقيدة، استمد ثقافته من اجتهاده في البحث و من علماء نهل من رافقهم العلوم من شيوخه، يذكر ابن مجاهد و هو عند ابن تيمية من طبقة الأشعري أبو الحسن الباهعي، الدار قطني، ابن المعلم، ابن نورك،الاسفراييني و من تلامذته أيضا و هم كثر لكن اقتصر هنا على أشهرهم أبو طاهر البغدادي، الهروي(ت865هـ) و صمصام و الحراز و الحربي[2].

ب- **وجوه الإعجاز عند الباقلاني**: جعل القاضي الإعجاز من ثلاثة وجوه:

1- الأنباء عن الغيوب

2-أمية الرسول (صلى الله عليه و سلم)

3- إبداع النظم

---

[1]- سير أعلام النبلاء- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي-(1422هـ-2001م) ص 191- مؤسسة الرسالة، أعلام الزركلي- ج3- ، نفس المصدر السابق، ص909

[2]- البافلاني و كتابه إعجاز القرآن، (دراسة تحليلية نقدية-) د.عبد الرؤوف مخلوف-ص82 منشورات دار مكتبة الحياة.بيروت-لبنان، و انظر أيضا إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق- د. حفني محمد شرف. الكتاب الرابع (1390هـ-1970م) ص 71 و ما بعدها- المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية- اللجنة العامة القرآن و السنة.

و يستهل القاضي كتابه بفصل يبين فيه نبوة محمد صلى الله عليه و سلم قد بنيت على معجزة القرآن الكريم، و إن كانت ثمة معجزات أخرى تروى بالتواتر أو عن طريق الجمع الصحيح[1]

واستدل الباقلاني بآيات من القران الكريم تثبت حجته ، وأنه معجزة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مثل قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾[2]حيث أخبر سبحانه أنه أنزل القرآن ليقع الاهتداء به، و لا يكون به ذلك إلى و هو حجة و لا يكون حجة إن لم بيكن معجزة اذ تحداهم الى ان ياتوا بمثله وقرعهم على ترك الاتيان به ولو كانوا قادرين على معارضته والاتيان بمثل ما أتى به ، لم يجز أن يتفق منهم ترك المعارضة[3].

و يذكر أن القرآن بين الكتب السماوية السابقة وحده المعجز بنظمه و تأليفه، بخلاف سائر الكتب السماوية.و بعد انتهائه من هذه المقدمات يفتح فصلا لبيان وجوه الإعجاز القرآني في رأيه و في رأي الأشاعرة. أما في كتاب إعجاز القرآن فيقول: و الوجه الثالث: أنه بديع النظم عجيب التأليف إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه"[4].

ج- وجوه الإعجاز في نظم القرآن عند القاضي الباقلاني:

و القاضي الباقلاني يقرر لنظم القرآن وجوه ، و لكن علينا أن نعلم أولا كيف يمدّ الباقلاني مفهوم النظم القرآني .

---

[1] – عجاز القران للباقلاني ، تحقيق أحمد صقر ، ذخائر العرب 1963، دار المعارف –القاهرة ،ص65

[2] – سورة ابراهيم الاية 1 الى 3

[3]– قضية الاعجاز القراني واثرها في تدوين البلاغة ،د عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، المصدر نفسه ،ص 403

[4] –اعجاز القران ، الباقلاني ابي بكر ، السيد احمد صقر ،ص 35

و قد ذكر المحقق أحمد صقر قوله في التمهيد : " ليس الإعجاز في نفس الحروف ، و إنما هو في نظمها و أحكام نصفها و ليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة و متأخرة و مترتبة في الوجود "[1]

و يرى الدكتور أحمد سيد محمد عمار أن الباقلاني في كتابه اعجاز القرآن قد جمع آراء من سبقوه في اعجاز القرآن سواء منها ما يتعلق بالجانب البياني أو ما يتعلق بأوجه الإعجاز الأخرى .

و رأي نعيم الحمصي : " يذكر أن علة الإعجاز البياني التفاوت العظيم في النظم الموجود في اللغة العربية دون غيرها ، لأنها محتملة لوجوه من التلون في التعبير و في دلالة الكلمات و الترافد لا توجد في غيرها .و أساليب الأداء المختلفة الموجودة في كلام العرب من بسط و ايجاز[2] .

و الباقلاني يحصر ما يشتمل عليه لبيع نظم القرآن المتضمن للإعجاز في وجوه عشرة " و الوجه الثالث : أنه لبديع النظم ، عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه ، فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه :

- أولا : ما يرجع إلى عملية لكونه خارجا عن المألوف من كلام البشر ، فجاء على نحو مختلف عما ألفته العرب من فتون الكلام و أضربه ، و ينفي أن يكون فيه سجع كما أنه ليس فيه شعر و إ،ما هو على تصرف وجوهه و تباين مذاهبه خارج عن المعهود .
- ثانيا : أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة و الغرابة ، و التصرف البديع و المعاني اللطيفة و الفوائد الغزيرة و الحكم الكثيرة . و التناسب في البلاغة ، في البراعة على هذا الطول و على هذا القدر و إنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة [3] .

---

[1] – الباقلاني وكتابه اعجاز القران ، د.عبد الرؤوف مخلوف ، ص 183

[2] – فكرة اعجاز القرآن ، المصدر نفسه ، ص77 وما بعدها

[3] – إعجاز القرآن – الباقلاني : (تحقيق السيد أحمد صقر) ص35

– ثالثا : هو أن عجيب نظمه ، و بديع تأليفه لا يتفاوت و لا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيه من ذكر قصص و مواعظ واحتجاج و حكم و أحكام و اعذار و إنذار و وعد و وعيد ، و هنا يوضح كيف يقع التفاوت في شعر البديع المحنك حتى ظهور الاختلاف مهما بلغت درجت بلاغته بخلاف القرآن لا تفاوت في أسلوبه و لا اختلاف و لا تباين .

– رابعا : هو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتا بينا في الفصل و الوصل و العلو و النزول ، و التقريب و التبعيد و غير ذلك مما ينقسم إليه لخطاب عند النظم ، و يتصرف فيه القول عند الضم و الجمع[1].

خامسا : أنه وقع موقعا في البلاغة خرج عن عادة كلام الجن كما خرج عن عادة كلام الإنس ، قال تعالى :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨[2]﴾ القائل أن عجز الخلق عن معارضته القرآن يثبت له حكم الإعجاز ، فلا يعتبر بعض المتكلمين غيره و يعلل ذلك بقوله : " لأن الذي حكى و ذكر عجز الجن و الإنس عن الإتيان بإذنه فيجب أن نعلم عجز الجن عنه و لو كان وصف عجز الملائكة عنه لوجب أن نعرف ذلك أيضا بطريقة[3].

– سادسا :إن الذي ينقسم عليه الخطاب و يرجع إلى أساليبه فالقرآن اشتمل على كل الأساليب البلاغية التي تنبني علها أجناس الكلام البشري من إيجاز و إطناب و مجاز و استعارة و تصريح و جمع و تفريق .

---

[1] – قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية – د. عبد العزز عبد المعطي عرفة . المصدر نفسه . ص405

[2] –سورة الإسراء الآية 88.

[3] – اعجاز القرآن القاضي ابو بكر الباقلاني ، ص 41

سابعا : هو أن المعاني التي تضمنها الخطاب في أصل وضع الشريعة و الأحكام ، و الاحتجاجات في أصل الدين و الرد على الملحدين ، على تلك الألفاظ البديعة ، و موافقة بعضها بعضا في اللطف و البراعة مما يتعثر على البشر أنه قد علم أن تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة ، و الأسباب الدائرة بين الناس ، أسهل و أقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة و أسباب مؤسسة مستحدثة.

فلو برع اللفظ في المعنى البارع كان ألطف و أعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر ، و الأمر المتقرر المتصور صم أضيف إلى ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تأييد مما يبتدئ تأسيسه و يراد تحقيقه ، و التفاضل في ابراعة و الفصاحة و وجدت الألفاظ متفقة و معانيها ، و المعاني وفق ألفاظها لا يفضل أحدهما على الأخر[1].

– ثامنا : و هو تمييز الكلمة من القرآن عن غيرها من سائر الكلام بالرونق و الفصاحة حتى لتعلن الكلمة عن نفسها حين تكر في تضاعيف الكلام أو تقذف بين شعر فتخذها و تتشوق إليها النفوس و يرى وجه رونقها باديا مستغرقا عما سواها .

– تاسعا : و هو أن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة و عشرون حرفا و عدد السور التي افتتح فيها بذر الحروف ثمان و عشرون سورة ، و قد اشتملت هذه السور على نصف حروف الهجاء و هذه الحروف الأربعة عشر اشتملت على نصف كل فسم من الأقسام التي انقسمت إليها حروف العربية فاشتملت على نصف حروف الهمس و صف حروف الجهر ، و نص حروف الأطباق و نصف حروف الحلق و نصف الحروف الشديدة ، فهذا التنظيم و التقسيم البديع بلا شك وجه من وجوه الإعجاز ، و الأصل تسع و عشرون لا ثمانية و عشرون [2].

[1] – نفس المرجع السابق 42

[2] – اعجاز القرآن ، الباقلاني ابي بكر ، نفس المصدر ، ص 44

-عاشرا : إن القرآن بحملته خرج عن الوحشي المستكره ، و الغريب المستنكر وعن الصنعة المتكلفة مع امتناع المطلب و عسر المتناول ، و البعد عن أن يقع في الوهم ظفر به ، أو وصول إلى غايته [1].

هذه هي خصائص النظم كما يراها الباقلاني ، و نجد له كلاما عن النظم بصورة أكثر وضوخا في قوله " أن الإعجاز واقع في نظم الحروف التي هي دلالات و عبارات عن كلامه و إلى مثل هذه النظم وقع التحدي "[2].

فقد بنى نظريته على أن النظم خارج على المعهود من فنون الخطاب عند العرب من ناحية التصرف أسلوبه في تناوله للمعاني و التعبير عنها مع أن الحروف حروفهم .

و الألفاظ ألفاظهم و التراكيب تراكيبهم ، ثم نفى فكرة أن القرآن معجزة لأنه الكلام القديم أو حكاية عنه أو عبارة عنه كما نفى أن يكون و حسب الإعجاز في نظم القرآن لأنه حكاية عن كلام القديم .

- البديع والاعجاز :كانت تلك هي المحاولة الأولى للباقلاني على طريق التحليل الفني للإعجاز بالنظم ، بدا له الإقدام على محاولة جديدة لتحليل أسرار سمو النظم القرآني و اعجازه عن طريق البديع . اذ يقول : " إن سأل سائل فقال هل يمكن أن يعرف اعجاز القرآن من جهته ما تضمنه من البديع . قيل ذكر أهل الصنعة و من صنف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظ نحن نذكرها ثن نبين ما سألوا عنه ، ليكون الكلام واردا على أمر مبين و باب مقرر مصور : و ذكر جملة من الألفاظ مستشهدا شواهد من الشعر و النثر في كلام طويل انتهت خلاصته إلى أن ألوان البديع لا تصلح سبيلا لإدراك أسرار النظم

[1] – الباقلاني وكتابه اعجاز القرآن عبد الرؤوف مخلوف ص 190 ومابعدها

[2] – نظرية الاعجاز القرآني ، ص148

القرآني المعجز [1]. و إنما المعجز هو الصورة الباهرة التي وجد عليها في القرآن ، و اتساقه مع سائر النظم القرآني اتساقا رائعا .

- **التفاوت الفني** : من المسائل التي اهتم لها القاضي الباقلاني في حديثه عن نظم القرآن ، مسألة التفاوت الفني بين الآيات بعضها ببعض تلك القضية التي كانت محل خلاف بين بين النقاد التي ترى فيها أن التفاوت الفني بين أي القرآن الكريم اعتبارات أربعة :

1-الاعتبار الاول : في تناول القرآن موضوعا واحدا في عدة مواطن كقصص الأنبياء و أخبار الأمم الغابرة ، فأسلوب تناولها متباين متغاير يختلف بين الإيجاز و الإطناب و التقديم و التأخير و الحذف و الذكر. مثال : قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ٦٤ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٦٦ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ...﴾[2] و يشير الدكتور عبد الرؤوف مخلوف يف تحليله إلى ما جاء به الباقلاني من شواهد تكررت في مواضع أخرى من سور القرآن فتتكرر ذات القصة بشكل مختلف في سورة هود :﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ٤٩ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ٥٠ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥١ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ٥٢ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا

---

[1]- نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد الغربي القديم . أحمد سيد محمد عمار ص142 .

[2]- أنظر سورة الاعراف ، الآية 64- 72

ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ.. ﴾ و مرة في سورة الشعراء (140/122) و في سورة الحاقة:﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٣ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ٥وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ٨ [1]﴾ ،

فتلاحظ كيف اختلف نسج القصة بين إيجاز و إطناب و أجمال و تفصيل ، و ذكر بتفصيل و ذكر فيه لمحة خاطفة.

يقول القاضي:" و كذلك قد يتفاوت كلام الناس عند ذكر القصة الواحدة تفاوتا بينا، و يختلف اختلافا كبيرا، و نظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف و لا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة و غاية البراعة فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر.

2- **الاعتبار الثاني**: إن القرآن إذ يعترض بمختلف المواضيع من قصص السلف أو محاجة المخالفين بما في ذلك من تهديد و وعيد كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ١٢٣ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ

[1]- سورة الحاقة الاية 3 -8

يَذَّكَّرُونَ ١٢٦ ۞لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧ ﴾[1]، إلى آخر ما يتناوله القرآن و كل ذلك يأتي في أعلى درجات البلاغة أيا ما كان الموضوع.

1- الاعتبار الثالث: أشار القاضي إلى تصرف في وجوه الخطاب بين آيات تطول و أخرى تأتي قصيرة كما في سورة البقرة:﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ ۞وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾[2] .

يقول فهذا نوع تطول فيه الآيات و تمتد العبارة على قوة في الآداء و تماسك لا يشعرك بطولها، و لا يشعر القارئ بغرابة الفكرة أو ارتكابها بل هو كما قال الرماني قبله انسجام قائم بين الألفاظ وبحيث سير السابق اللاحق.

[1] -الأنعام الآيات 123-124-125-126-127.

[2] - سورة البقرة ، الآية 281-282-283-284

أما النوع الثاني ففيه تتكاثر الآيات و لا تطول كما في قوله تعالى: "و الذاريات ذروا، فالحاملات وقوا، فالجاريات سيرا، فالمقسمات أمرا، أن ما توعدون لصادق، و إن الدين لواقع، و السماء ذات الحبل".يقول القاضي:" إن عجيب نظم القرآن لا يتفاوت و لا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص و مواعظ و احتجاج، و حكم و إعذار و إنذار...".

و أعاد القول مسألة النظم و صلة بنظوم كلام العرب و فرق بينه و بين وزن الشعر و السجع، فيأخذ برأي الرماني في قضية الفاصلة و الفرق بينهما و بين السجع. " السجع منهج مرتب محفوظ و طريق مضبوط متى ما أضل به المتكلم أوقع الخلل في كلامه و نسب إلى الخروج عن الفصاحة كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا و كان شعره مرذولا و ربما أخرجه عن كونه شعرا و قد علمنا أن بعض ما يدعونه سجعا متقارب الفواصل متداني المقاطع ،وبعضها مما تمتد حتى يتضاعف طولها عليه وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير وهذا في السجع غير مرض ولا محمود"[1].

4- الإعتبار الرابع : وفيه الحديث عن القرآن من حيث : " سهل سبيله فهو خارج عن الوحشي المستكره وعن الصنعة المتكلفة وجعله قريب غلى الأفهام ، يبادر معناه لفظه إلى القلب ويسابق المغزى من عبارته إلى النفس وهو مع ذلك ممتنع المطلب عسير المتناول ، غير مطمع مع قوته في نفسه ، ولا موهم مع دنوه في موقعه أن يقدر عليه أو يظفر به "

واذا كان الباقلاني لم يحدد مفهوم الغريب المستنكر والوحشي المستكره وإنما ترك ذلك للحس المتذوق وهذا شأنه في أكثر ما يكتب فهو لا يعني بتحديد صفات الخصائص اللغوية التي يذكرها وإنما يحيل على اللغة في شعرها و نثرها .

[1] – اعجاز القرآن ، الباقلاني ، ص 61 وانظر أيضا : اثر القرآن في تطور النقد الادبي الى اخر القرن الرابع الهجري ، .محمد زغلول ، ص 285 وانظر ايضا : اثر النحاة في البحث البلاغي ، عبد القادر حسين

وكذلك لم يحدد مفهوم الصنعة المتكلفة ، ولا مفهوم القرب من الأفهام ، ولا مبادرة المعنى اللفظ إلى القلب وهذه تعتبر خصائص فنية.

- الحقيقة و المجاز:

ذهب نفر من العلماء عند اشتباههم في موضوع البلاغة ،أن الحقيقة دون الكناية و المجاز في الفنية. و رتبوا على ذلك أن يكون بعض القرآن أبلغ من بعض يقصدون أن الآيات التي استخدمت فيها اللغة على أصل وضعها دون الآيات التي جاءت و الاستخدام فيها من غير طريق الاستعارة أ و المجاز أو التشبيه و قد رد الباقلاني على هؤلاء إذ قال قد نجد آيات القرآن ما يكون نظمه بخلاف ما وصفت ولا تتميز الكلمات بوجه البراعة، و إنما تكون البراعة عندك منه في مقدار يزيد على الكلمات المفردة، و حد يتجاوز حد الألفاظ المسندة كقوله تعالى:" حرمت عليكم أمهاتكم و بناتكم و أخواتكم و عماتكم..." ألا ترى أنه بدأ بذكر الأم لعظم حرمتها، و ادلائها بنفسها و مكان بعضتيها، فهي أصل لكل من يدلي بنفسه و لأنه ليس في ذرات الأنساب أقرب منها[1].

البلاغة الفنية عن القاضي تتحقق بأساليب الإستعاره والمجاز ، والكناية والتشبيه ، وجميع الصور البديعية التي تخرج فيها الكلمة عن أصل ما وضعت له لعلاقة أو مناسبة ، تتحقق كذلك عن طريق استخدام الكلمة في أصل ما وضعت له شريطة وضعها في المكان المناسب لها تقديما وتأخيرا وعلى النحو الملائم تثنية وإفرادا كما تتحقق برعاية الفصل والوصل ومقام الإستفتاح ومكان الختام والخروج ، ومواضع التتميم والتذييل ومواطن الإيجاز والإظناب والمساواة والقصر، وجميع ما اصطلحت البلاغة المتأخرة على تسميته بعلم المعاني .

[1] - الباقلاني وكتاب اعجاز القرآن ، د.عبد الرؤوف مخلوف ، ص 332

– وصف وجوه من البلاغة : ذكر بعض أهل الأدب [1] والكلام لأن البلاغة على عشرة أقسام :

الإيجاز، والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة ، وحسن البيان "

وبعد أن انتهى من ذكرها سارع فقال :"ومن الناس من يزعم أنه بأخذ إعجاز القرآن م هذه الوجوه .

ثم يناقش هذا الرأي فيقول : ذكرنا في هذا الفصل عن هذا القائل أن التشبيه تعرف به البلاغة وذلك مسلم ،وكذلك كثير من وجوه البلاغة .

– التشبيه : قال تعالى :﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ ﴾ [2]

يقول الرماني في هذا : «.. وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه ، فكيف اذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة وصحة الدلالة..» .

فالبيان عنده يتعلق به الإعجاز و هو معجز في القرآن ، و أما المبالغة في اللفظ فليس بطريق الإعجاز و يصح أن يقع في المبالغة في المعنى و الصفة وجود من اللفظ يثمر الإعجاز.

ثم عاد في المرحلة الرابعة فتحدث عن إعجاز القرآن الكريم ثم نفى ما قيل أن نظم القرآن من نظم النبي لقدرته في الفصاحة على مقدار لا يبلغه غيره.ثم قرر: أن من

[1] – يقصد هنا الرماني الذي تحدث عن وجوه البلاغة في النكت وانظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – ص ، وانظر أيضا أثر النحاة في البحث البلاغي ، د.عبد القادر حسين – ص249

[2] – سورة النور الآية 39.

سلم بأن البلاغة تقتصر على الوجوه العشرة التي ذكرها سابقوه فهو لا يعرف من البلاغة إلا القليل[1].

بات من الجلي إذا أن الإمام الباقلاني لم يزد في حديثه عن الألفاظ شيئا عما قاله الرماني والخطابي فالألفاظ عند الجميع لا بد أن تكون عذبة فخمة واقعها في أماكنها وأما المعاني فلم يزد على ما قاله الخطابي .

أملا الجدة تكمن في رفضه استقلال ألوان البديع أو وجوه البلاغة ببيان جمال العبارة أو جمال النظم القرآني ورأى أنه لا بد أن يكون مضمونا إليها أمورا أخرى يشتمل عليها النظم أو العبارة وهنا تكمن أهمية جهود الباقلاني .

د- أهمية جهود الباقلاني في نظم القرآن :

1- إعتماده على ألوان البديع ووجوه البلاغة في الكشف عن جمال النظم القرآني ونظم الشعر.

2- بيان منشأ جمال النظم وجمال الكلام الفني بعامة .

3- نقل بحوث النقد من النقد الموضوعي الجزئي إلى النقد الشامل[2] .

4- تقسيمه للكلام ووضع قوالب تتضح من خلالها أوجه الإعجاز بالنظم .

5- مناقشته و مقارنته بين فواصل القرآن و السجع.

و انتهاؤه بعد رده و رفضه للقول بالسجع في القرآن و الراجح عنده أن في القرآن سجع و لكنه من النمط الأعلى الذي لا ترقى إليه قدر البشر كما رجح عندنا أنه لا يجري على طريقة العرب يف نظمها كلامها.

6- للصور البديعية مكان مهم في تبيين إعجاز القرآن.

7- للبلاغة عند الباقلاني وجوه عشرة لم يختلف فيها كثير عن الرماني

---

[1] - قضية الاعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة ، ص 481.

[2] - الباقلاني وكتابه اعجاز القرآن ، ص 189

8- الباقلاني هو أول من سلك الموازنة بين القرآن و الشعر في عصره في حين كان أهل عصره يتحرجون من ذلك

9- فرق الباقلاني بين الجملة و الأسلوب و جعل الجملة تختص بالاشتمال على البلاغة المنفردة فالأسلوب له خصائص تتضح في الموشح و المرصع و الموزون و الخارج عن الوزن، ثم المعتدل في النظم و المتشابه فيه ثم الخروج من فصل إلى فصل و وصل إلى وصل و معنى إلى معنى و الجمع بين المختلف و المؤتلف و المتفق و المتسق و كثرة التصرف و سلامة القول من التعسف.

10- دراسة القرآن دراسة تطبيقية مفصلة يتناول فيها أسلوب السورة تناولا يجاوز الإجمال إلى التفصيل

11- وضع أسس جديدة من النظر تقوم على وحدة النص الأدبي و تلاحم أجزائه[1].

و هكذا يكون القاضي على ما قاله منتقدون يكون قد فتح بابا جديدا و منهجا مختلفا يف دراسة إعجاز القرآن و نظمه. يقول نعيم الحمصي :"و خص الباقلاني بقية كتابه بالتوسع في هذه الأمور يعددها منظمة حسنة التسلسل و التنظيم قوية الارتباط و الكتاب يعد يحق الحلقة الوسطى في سلسلة الأبحاث التي تسعى لإثبات إعجاز القرآن الكريم و التآليف الأخرى التي تحمل أفكار سابقيه تنتهي إليه ثم تتفرع منع في شعب مختلفة".

من هنا نتهي إلى عالم جعل من النظم أساسا لتأسيس نظرية بقواعد منهجية، ننتهي إلى القرن الخامس هجري إلى حيث عبد القاهر الجرجاني يسطر " أسوار البلاغة" و يرسم معلم" النظم يف دلائل الإعجاز".

---

[1] – فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاصر– نعيم الحمصي، و انظر أيصا: أثر النحاة يف البحث البلاغي ص 277 ، الإعجاز في دراسات السابقين ص209 و انظر أيضا: دراسة تحليلية لتراث أهل العلم2 – محمد محمد أبو موسى– ص 179. مكتبة وهبة

-جهود عبد القاهر الجرجاني 400هـ - 471:

أ- ترجمته : هو شيخ العربية ابو بكر عبد القاهر الجرجاني ، ذكره وترجم له الذهبي في اليسر في الطبقة الرابعة والعشرون [1]،ولد سنة 400 هـ من أئمة اللغة وفقهائها ، نحوي من المتكلمين واضع أصول البلاغة ، ولد في جرجان لأسرة متواضعة ، هذا ما منعه من التنقل لطلب العلم خارج مدينة جرجان ، بالرغم من ولعه بالعلم والنحو والأدب ، أخذ العلم عن ابي الحسين محمد الفارسي كما أخذ الأدب عن ابي الحسين محمد الفارسي وكان من كبار أئمة العربية والبيان ، فقيها على مذهب الشافعية والحق ان الامام كان شخصية فذة ، من كتبه أسرار البلاغة ، دلائل الاعجاز ، العمدة في تصريف الأفعال [2].توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة بجرجان وقد ترك من الذخائر التراثية ما اصبح مادة ثمينة للدراسات اللغوية ، الأدبية ، النحوية ن القرآنية .

ب- مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني : النظم كما عرفناه هو التأليف و التنظيم والترتيب والجودة ومن ذلك صنف النظم في علم البلاغة باعتباره يسعى في رصف الكلمات وترتيبها وجودتها وفي حسن التحيز ومعرفة الموقع المناسب لكل لفظة .

و النظم كان شائعا منذ القرن الثاني الهجري و لكن ذلك لا ينفي الجهود التي بذلها عبد القاهر الجرجاني في تحديد معالمه و وضع أسسه كما قعل بعض المعاصرين الذين ذهبوا إلى أن عبد القاهر لم يبتكر نظرية النظم بل أنه لم يضف إلى مفهوم النظم شيئا جديدا[3].

عبد القاهر الأشعري الذي إليه تنسب نظرية النظم يتبع في هذا الإصلاح أي الأخذ لكلمة النظم دون كلمة اللفظ و المعنى.

---

[1] - سير اعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ج18 ص **432**

[2] - أعلام الزركلي ، ج4 ، ص49

[3] -نظرية الاعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم ، ص 129

إذ يقول:" ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض و جعل بعضها سبب بعض، و الكلام ثلاث: اسم و فعل و حرف و للتعلق فيما بينها طرق معلومة و هو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم و تعلق اسم بفعل و تعلق حرف بهما"[1].

و مشكلى اللفظ و المعنى مشكلة أو قضية كلامية نشأت في جو ديني حول بيان الإعجاز في القرآن و مرجعه إلى أيهما: اللفظ أم المعنى أم كليهما معا؟ و من ثم فإن عبد القاهر عندما يعرض لهذه للمشكلة فإنه يصلها بالإعجاز من جديد.[2]إذ يقول:" إذا ذلك كذلك فما جوابنا لخصم يقول لنا: إذا كانت الأمور و هذه الوجوه من التعلق هي محصول النظم- موجودة على حقائقها و على الصحة،و كما ينبغي في منثور كلام العرب و منظومه.

و رأيناهم قد استعملوها و تصرفوا فيها.[3]و لما كان عبد القاهر بجانب إمامته في النحو أديبا ناقدا قرأ ما كتبه النقاد العرب قبله و هضمه و وفق على الصراع المحتدم بين أنصار اللفظ و أنصار المعنى و شكل منه قضية من أهم قضايا النقد العربي.و حيث أصبح النظم على يديه نظرية علمية فقد خرجت تلك النظرية من دائرة البحث في الإعجاز القرآني إلى دائرة أكبر و أوسع يمكن أن يرجع إليها، و يقاس بها الحسن في كل الأساليب باعتبارها أهم المقاييس الجمالية في نقدنا الأدبي.

ج- الفرق بين النظم و النحو عند عبد القاهر الجرجاني:

عند الرجوع إلى نصوص عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز حول النظم الذي اعتبره دعاة إحياء النحو رسما لطريق جديد يف النحو، و التفرقة كانت جلية في ذهنه

---

[1] – دلائل الاعجاز في علم المعاني ، الامام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق السيد محمد رشيد رضا

[2] – أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص 272

[3] – اعجاز القرآن في دراسات السابقين ، عبد الكريم الخطيب ص 245

بين النظم و النحو، فمعاني النحو ثابتة لا تتغير مستقرة لا تحتاج إلى جهد أما النظم فيكون في حسن النحيز و النظر في وجوه كل باب و فروقه[1].

فاللغة قضية كما يتصورها و يصورها الجرجاني، فاللغة لها قواعد و أصول جرى عليها أصحابها، و تواضعوا على الأخذ بها، حتى يمكن أن يقع التفاهم بينهم، إذ أنه بغير هذه القواعد و بغير التزامها لا يمكن أن يحدث التفاهم بين أهل اللسان[2].

و اللغة أولا و قبل كل شيء تعامل بين الناس و لا يتم التعامل إلا عن تفاهم و اتفاق على الألفاظ التي يتعاملون بها و على الأسلوب الذي تجري عليه المعاملة لهذه الألفاظ و ذلك أشبه ما يكون بالنقد الذي يتعامل به الناس و يتبادلوا به المنافع الدائرة بينهم[3]. هذه اللبنة الأولى في النظم و هو أن يكون موافقا لقواعد النحو أما اللبنة الثانية و هي الأهم من سابقتها فهي أن يكون هذا النظم دقيقا بحيث ترتب المعاني التي ترتبها في نفسك أولا ثم تختار لها بعد ذلك الألفاظ التي تتفق مع هذه المعاني و هذا ملحظ دقيق يحتاج إلى حضور نفس و حضور فكر.

اعلم أن ليس' النظم' إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، و تحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تحل بشرع منها.

و ذلك أن لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب و فروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق و زيد ينطلق و منطلق زيد.

- الشرط و الجزاء: إلى الوجوه التي تراها في قولك: "أن تخرج اخرج" "وإن خرجت خرجت" و " أن تخرج فأنا خارج".

---

[1] – نظرة الاعجاز القراني واثرها في النقد العربي القديم ، ص167،ومابعدها

[2] – الاعجاز في دراسات السابقين ، ص245

[3] –نظرية النظم ، د.صالح بلعيد ، ص144

- الحال: إلى الوجوه التي تراها في قولك:" جاء في زيد مسرعا"، " و جاء في يسرع" "و جاء في قد أسرع".
- الحروف: ذلك التي تشترك في المعنى ،ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كل ذلك في خاص معناه "نحو" يجيء بها بها في نفي الحال بـ "لا".
- الجمل: التي تسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع 'الواو' من موضع 'الفاء' و موضع الفاء من موضع 'ثم'، و موضع 'أو' من ووضع 'أم'. و يتصرف في التعريف و التنكير، و التقديم و التأخير في الكلام كله و في الحذف و التكرار، و الإضمار و الإظهار، فيصيب بكل ذلك مكانه[1].

د- **تعدد صور النظم عند الجرجاني** : صور النظم ودقائقه لا يمكن حصرها ولا عدها ، لأنها إنعكاس لخلجات النفس ونتائج الفكر . وقد عنى عبد القادر بتفصيل القول في الظواهر الأسلوبية المتعددة التي يتشكل فيها [2]. وهنا نوضح بعض القواعد التطبيقية التي قررها القاضي في نظم القرآن وقد أشار إليها بفضل عباس في كتابه إعجاز القرآن .

1- التقديم و التأخير : يشير إلى قوله سبحانه و تعالى ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾[3]﴾حيث قدم الضمير (انت)على الفعل (قالوا أ أنت فعلت) حيث جاء نظم الآية هكذا و لم يقدم الفعل فيقال (أفعلت هذا) و سر ذلك كما يرى عبد القاهر أننا نقدم ما هو مشكوك فيه ، أما الأمر المتيقن فلا يجوز أن نقدمه ، فإذا كان الشك في الاسم قدمناه .

---

[1] – دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، محمد محمود شاكر ، ط3 1413هـ- 1992م ، ص20

[2] –نظرية الاعجاز القراني واثرها في النقد العربي القديم ، د .أحمد سيد عمار ،ص 169

[3] –سورة الانبياء الاية 62

و نستطيع أن نفهم الآية الكريمة على هذا النحو ، فالأصنام قد حطمت و لكنهم يريدون أن يقرروا ابراهيم عليه الصلاة و السلام بتحطيمها .

2- التعريف و التنكير : فيمثل عبد القاهر بقوله تعالى حديثا على اليهود : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ٩٦ [1] ﴾ و لم يقل الحياة حيث يفيد التنكير أن اليهود يحرصون على الحياة أيا كانت ذليلة حقيرة فيها هوان و صغر .

3- أسلوب القصر : قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[2] و في قوله :﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ٤٠ [3]﴾، أي أن المؤمنين وحدهم هم الذين يعمرون مساجد الله لا غيرهم و لو قيل أن يعمر المؤمنون مساجد الله لكان المعنى أن المؤمنين يعمرون المساجد و لا يعمرون شيئا آخر و هذا غير صحيح.

و قوله تعالى : " إنما عليك البلاغ " معناه عليك البلاغ فحسب ، أما غيره من الحساب فهو لله وحده ، و لو قال إنما البلاغ عليك لكان معناه أنك تبلغ دعوة الله وحدك و لا يجوز لأحد غيرك أن يبلغ الدعوة .

و في روح المعاني[4] جاء تفسيرها : تعليل هذا الجواب المحذوف أي سواء أرأيت عذابهم أم لم تره فإنما عليك فقط التبليغ ، و به قال الواحدي و الطبري – هكذا نجد عبد القاهر ليبذل قصارى جهده في شرح نظرية النظم .

---

[1] – سورة البقرة ، الاية 96

[2] – سورة التوبة الآية 18

[3] –سورة الرعد الآية 40.

[4] – روح المعاني ،ج 1ص 120 ، ، وانظر ايضا الوجيز للواحدي ج5،ص 452-258.

فالغاية من بيان النظم إذا ادراك الإعجاز و تذوق حلاوته و هو سر الإعجاز أما الاستعارة و الكناية فمع مالها من شأن إلا أن فضل يرجع فيها إلةى النظم يستشهد الإمام بقول تعالى : ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ فالإستعارة في قوله " اشتعل "و نحن نعلم أن الإشتعال للنار، إلا أنه شبه انتشار الشيب بالإشتعال [1].

يقول د.مهدي زيتون: يرفض الجرحاني ما جاء به أسلافه الذين سلموا بأن الإعجاز كمن في اللفظة أو المفردة ، و إنما يقع الإعجاز في سعى الجملة كاملة و تقع الإستعارة تجوز إلى معنى اللفظ لا اللفظ ، و رأى أنه فضلا عن العلاقة النحوية التي تنتظم هذه الصورة البلاغية ، توجد علاقة أخرى تسهم في تحديد مبناها ، و ينقل قوله في أسرار البلاغة : " فالمقارنة في التشبيه ليست سوى علاقة جديدة تضاف إلى علاقة النحوية و تساهم في تحديد بنية العبارة "[2] ، يقول رحمه الله : " إن النظم يقتضي اخراج ما في القرآن من الإستعارة و ضروب المجاز من جملة ما هو به معجز و ذلك لا مساغ له " و المسألة أن الجرجاني كما رفض أن يكون الإعجاز في اللفظ منفرد ، فهو يرفض ان يكون اعجاز النظم في الفواصل و المقاطع او في الاستعارة و المجاز و بعبارة اخرى هو يحاول ان يجعل هذه الفنون جزءا من النظم ذاته[3]

يقول الدكتور فضل عباس معلقا:" و لا بد أن نعلق هنا بكلمة قصيرة، و هي أن عبد القاهر ينفي أن يكون وزن الفاصلة وجها من وجوه الإعجاز أما اختيار الكلمة في الفاصلة، كأن تختار كلمة ﴿يفقهون﴾ في آية و ﴿يعلمون﴾ في آية أخرى ،﴿و سميع

---

[1]– اعجاز القران الكريم ، د.فضل عباس ، ص 76 بتصرف

[2]– اعجاز القرآن واثره في تطور النقد الأدبي من اول القرن الخامس الى نهاية القرن السابع ، علي مهدي زيتون ص215 ،وانظر ايضا اسرار البلاغة في علم البيان ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، ص 223

[3] – القرآن ونصوصه ،د.عدنان زرزور ، ص 204

بصير﴾ في آية و﴿ غفور رحيم﴾ يف آية أخرى... فهذا يدخل في النظم الذي هو لب الإعجاز"[1].

تعتبر نظرية النظم عند الجرجاني من أمتع الدراسات في دلائل الإعجاز، إذ يتسم نقده بالموضوعية في رأي أكثر النقاد في ذلك التحليل المستقصي الذي يتناول فيه الكليات و الجزئيات، و يستثير مكامن الشعور و حق له أن يحتل بين الأدباء و النقاد مكانة، فهو يفحص عن الآثار النفسية في الأعمال الأدبية و مواطن الإبداع في الاستعمال اللغوي و فيف نظم الأساليب مع الاستعانة بمعارفه اللغوية و النحوية ، مما لا يتسع نطاق هذا البحث لاستقصائه كله.

3)الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم:

من وجوه إعجاز القرآن الكريم التي شغلت حيزا مهما في دراسات الباحثين :الإعجاز الغيبي، الذي لا يمكن أن نقول أنه مستقل عن الإعجاز اللغوي، لأن القرآن الكريم وحدة متكاملة معنى و لفظا، موضوعا و لغة .المقصود بالإعجاز الغيبي كل من كان غائبا عن محمد صلى الله عليه و سلم و لم يشهد حوادث الواقعة و لم يحضر وقتها، و لم يكن على علم بتفصيلاتها، فيدخل في الغيب بهذا المفهوم[2]

و يشمل هذا الوجه غيب الماضي و غيب المستقبل ،فقد أخبر القرآن ماضيه لم تكن معلومة للناس وقت نزول القرآن كما أخبر عن أمور و أحداث تقع في المستقبل ،و تحدى أقواما بأنهم يعجزون عن فعل أمور في إمكانهم و مع ذلك لم يفعلوها.

لقد سمى الله سبحانه و تعالى الأخبار عن الأمم السابقة غيبا و أشار إلى وجه دلالتها على صدق رسول صلى الله علية و سلم و على كون القرآن الكريم إنما نزل

[1] – اعجاز القرآن الكريم ، د.فضل عباس ، د.سناء عباس ،ص81

[2] –مباحث في إعجاز القرآن الكريم، د.مصطفى مسلم–ط2– ، دار مسلم للنشر و التوزيع، ص279

بوحي من الله سبحانه و تعالى، فكثيرا ما يفتتح القرآن الكريم القصة أو يختتمها بالإشارة إلى هذه الأمور ما كان لرسول الله طريق إلى العلم عن طريق الوحي فمثلا في ذكر قصة السيدة مريم وكفالتها من النبي زكرياء ، يقص تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾[1]

فإن هذا النص يدل على أن القرآن من عند الله وعلى أن ذلك النوع من العلم ما كان عند محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس له به دراية [2] .

وخلاصة القول : أن الإخبار عن الغيوب يشمل : ما يتعلق بالغيب ماضيا ومستقبلا وما ورد من تحد وتعجيز وما أخبر به عن الضمائر.

مثال ذلك قصص الأنبياء مع أقوالهم ، كخبر سيدنا يوسف وأهل الكهف وسيدنا الخضر وذي القرنين وسيدنا سليمان ، هذه الأخبار عن الماضي يشتمل عليها القرآن الكريم ، وهي فيما احتوت دليل قاطع على أن القرآن من عند الله أما غيب المستقبل : من ذلك قوله عز وجل :﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾[3]. فقوله ﴿ولن تفعلوا﴾ . دل على إعجاز القرآن وصحة النبوة من وجوه :

1- ما علم بالتواتر أن العرب كانوا يعادونه صلى الله عليه وسلم أشد المعادات ويتهالكون في إبطال أمره ، فلو أمكنهم الإتيان بمثله لفعلوا وسبق ان جاء مبحث التحدي والمعارضة في المباحث الأولى من هذه الدراسة .

---

[1]-سورة آل عمران الآية 44.

[2]- مباحث في علوم القرآن ، د.مصطفى مسلم، ط2 (1996-1416)-. دارالمسلم للنشر والتوزيع.الرياض، ص 281 ،. وانظر المعجزة الكبرى ص312 ونظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم ، ص99 .

[3] -سورة البقرة ، الاية 24

2- اتهم النبي صلى الله عليه وسلم بتلفيق النبوة ، فلو خاف عاقبك التهمة فيه لم يبالغ في التحدي إلى هذه الغاية.

3- أنه لو لم يكن قاطعا بنبوته ما قطع في الكلام قطعا بجزم دل على صدقه .

4- أن قوله تعالى :﴿ولن تفعلوا﴾ تأكيد بليغ في نفي المستقبل إلى يوم الدين وهوإخبار بالغيب وقد وقع كما قال صلى الله عليه وسلم فلو عارضه أحد لوصل إلينا [1].

مثلا جاء في قوله تعالىٰ:﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ ﴾ [2] يقول الزرقاني : بيان ذلك أن دولة الرومان وهي مسيحية كانت قد انهزمت أمام دولة الفرس و هي وثنية في حروب طاحنة ، فأصاب المسلمون الغم لهذه الهزيمة ، تشفى المشركون و فرحوا ، إذ انتصر مجوس على أهل الكتاب ، و أنتم تدعون أنكم ستغلبوننا بكتابكم فنزل الوحي يبشر المسلمين أن هزيمة الروم هذه سيعقبها انتصار و بضع سنين أي ثلاث سنوات ، و إن كانت تبدو المدة قصيرة جدا مقارنة بالخسائر التي اتبدتها و قدرتها على استعادة قواها مرة أخرى ، و لكن الله إنما يقول للشيء كن فيكون و صدق وعده و إني له أن لا يصدق و هو وحي الله ، و نبأ الحق الذي لا يجرؤ باطل أن يدحضه .و منتهى الإعجاز هذا في دقة التحديد و حكمة إلى التقدير في قوله " بضع سنين "[3].

و منه الإخبار عن الغيوب أيضا : كقوله تعالى : ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ

[1] – نظرية الاعجاز القرآني واثرها في النقد العربي القديم، أحمد سيد عمار ، ص101

[2]– سورة الروم الاية 3/1

[3]– مناهل العرفان في علوم القرآن – عبد العظيم الزرقاني (تحقيق فواز أحمد زمرلي) – دار الكتاب العربي، ج2 ص287

أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٩٥﴾[1] و قد جاء في تنوير المقياس: تمييز الآية بوجه الخطاب إلى محمد ﷺو يطالب منه أن يسألهم أن كانت الجنة خالصة لكم خاصة من دون المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم و أصحابه فسألوا الله الوت و أطلبوه ان كنتم في مقالتكم صادقون ، و تنبأ جازما ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٩٥﴾[2]

4) الإعجاز النفسي في القرآن الكريم :

و أول من تنبه إلى هذا الوجه و هو القاضي الإمام الخطابي إذ يشير إلى أن الناس أغفلوا وجها مهما من أوجه الإعجاز لا يدركه إلى القلة القليلة و ذلك أثر القرآن و صنيعه بالنفس الإنسانية ، فإنك لا تسمع كلا ما غير القرآن منظورا و لا منشورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة و الحلاوة في حال و من الروعة و المهابة

في حال أخرى ، ستتبشر به النفوس و تنشرح له الصدور حتى إذا أخذت خطها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب و القلق و تغشاها الخوف و الفرق ، تقشعر منه الجلود و تنزعج له القلوب ، يحول بين النفس و بين مضمراتها و عقائدها الراسخة فيها

فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب و فتاكها ، أقبلوا يريدون اغتياله و قتله ، فسمعوا آيات من القرآن ، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول ، و أن يركنوا إلى مسالمته ، و يدخلوا في دينه و صارت عدا عداوتهم موالاة و كفرهم إيمانا .و يستشهد الإمام هنا بجملة من الأحداث كخروج سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب من رسول الله يريد قتله ، فسار إلى دار أخته و

[1] – سورة البقرة الاية 95/94

[2] –مناهل العرفان – عبد العظيم الزرقاني ، ج2 ، دار الكتاب العربي . ج2 ،ص296

هي تقرأ سورة طه ، فلما وقع فيسمعه لم يلبث أن آمن [1]و لما سمعته الجن لم تتمالك أن قالت :﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝﴾[2].

وذكر الشوكاني في تفسير قوله تعالى :﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ ﴾[3] ، ذكر الله تعظيم كتابه الكريم ، واخبر عن جلالته وأنه حقيق بأن تخشع له القلوب وترق له الأفئدة فقال : " لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ " أي من شأنه وعظمته وجودة ألفاظه وقوة مبانيه وبلاغته ، وفي قوله : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ ﴾...فيه توبيخ وتقريع للكفار حيث لم يخشعوا للقرآن ، ولا اتعظوا بمواعظه ، ولا انزجروا بزواجره[4].

وإذا نظرنا الى التعريفات التي ذكرها العلماء للإعجاز النفسي نجد أننا نبحث في مجالين : أما المجال الأول فهو حديث القرآن عن النفس الإنسانية وبيانه لصفاتها وكشفه لخباياها وخفاياها .

أما المجال الثاني فهو أثر القرآن على النفس الإنسانية كافرة كانت أو مؤمنة ، ونتائج هذا التأثير والتأثر.

يقول عبد الفتاح الخالدي في كتابه : اعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ما مفاده أن توسع الدراسات النفسية المعاصرة ، وتعدد مدارسها وتباين نظرياتها وتخصص الكثير في الطب والعلاج النفسي أدى كنتيجة حتمية إلى توجه علماء وباحثين

---

[1]- المرجع السابق نفسه ، ص 70.

[2]-سورة الجن الاية 1-3.

[3]-سورة الحشر الاية 21 .

[4] -تفسير فتح القدير ، محمد بن محمد الشوكاني ، راجعه يوسف الغوش ، ص 1480.

مسلمين إلى القرآن ليتعرفوا على حديثه عن النفس الإنسانية ، فوجدوا فيه آيات عديدة تتحدث عن طبيعة النفس الإنسانية وصفاتها وأحوالها.

ومن العلماء من وضع تعريفا خاصا للإعجاز النفسي كاالدكتور فضل عباس : حيث يقول : "هو ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس ومواقفهم ومشاعرهم وما يفرحهم وما يحزنهم ، وعن بيان لمكنونات النفس وخفاياها ودوافعها في آيات القرآن الكريم "[1] . ويعرف الدكتور أحمد شكري بأنه " عدم مقدرة الكافرين أن يأتوا بكلام مثل القرآن في بلاغته وبيانه وفي تأثيره العظيم في نفس قارئيه وسامعيه " .

وقبلهم أشار للإعجاز النفسي الرماني في رسالته النكت والجرجاني في رسالته الشافية بعد ان أثبت تسليم العرب تحت عنوان " دلالة الأقوال " ،، فذكر قصة ابن المغيرة وعتبة بن ربيعة ، والقاضي عياض (ت544هـ) في فصل من فصول كتابه : الفصل التاسع بعنوان : " روعة القرآن الكريم في السمع وهيبته في القلوب " [2] .

وأار إليه الزركشي في البرهان ، والسيوطي في معترك الأقران عدة من وجوه الإعجاز الخمسة والثلاثين .

ب– أدلة الإعجاز النفسي من القرآن الكريم : ورد في القرآن الكريم عدد من الايات دلت على بيان تأثيره في النفوس كما في قوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣ ﴾[3] و الاقشعرار

[1] – اعجاز القرآن ، ص 374

[2] – الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، دار الفكر ، ص104

[3] – سورة الزمر الآية 23

التقبض ، يقال اقشعر الجلد إذ تقبض تقبضا شديدا والمعنى أنهم إذا سمعوا القرآن و قوارع الآيات أصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم .

- وقوله ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ٥٨ ﴾ [1] وقوله ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ ﴾ [2]

وفي جواب جارية للأصمعي لما سمع كلاما فصيحا منها قالت ليس بعد قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٧ ﴾[3] .قالت الجارية : " جمع في آية واحدة بين أمرين وذهيين وخبرين وبشارتين "[4]

فالإعجاز الروحي - إذن - إن أردنا أن نعده وجها من وجوه الإعجاز فهو ناشيء عن الصبغة البيانية السامية والأسلوب الرفيع ، والنظم البديع . وفي دراسة تضمنتها مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية سنة 2007 يقول صاحب الدراسة وهو الدكتور بلقاسم محمد غالي وعنوان البحث من ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم : " أثبتت تلاوته بخشوع تأثيره في الأمراض النفسية والجسدية فيتأثر ما في البدن من إفراز بحالات الإكتئاب والقلق أو الفرح والسرور ....هذا العلاج النفسي بالقرآن دليل على الإعجاز .." ثم يضيف ما هو أهم من ذلك : " وقد تناول القرآن

---

[1] -سورة مريم الآية 58

[2] - سورة المائدة الآية 83

[3] -سورة القصص الآية 7

[4] - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ، ص 335

النفس من جميع جوانبها . يقرأ في حالة الحزن فتطمئن النفس وفي حالة الفرح ، ترتاح إليه .." [1]، لأن النظرة القرآنية إلى الإنسان تمتاز بالشمول فتجمع حاجات الجسم والعقل والنفس والقلب والكون كوحدة متماسكة وهذا هو الأصح في نظري .

- يمكن اجمال اسباب جعل الاعجاز النفسي أحد وجوه الإعجاز:

1- أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي تناسب كل عصر وقوم وهذا يدعوا إلى التسليم بتعدد وجوه الإعجاز وتنوعها ومن ضمنها الإعجاز النفسي .

2- أن الأدلة التي أثبتها المدافعون عن الإعجاز النفسي أدلة مقنعة من وجوه كثيرة ولا تحتمل الشك أو الرد فلا اجتهاد مع نص .

3- العلاقة بين البلاغة والنفس علاقة واضحة لأن البلاغة هي إيصال المعنى إلى القلب ، والقرآن معجز ببلاغته ، فلا بد إذا أن يكون له أثر على النفس أو الروح أو الوجدان .

فكل عمل أدبي يملك قوة تأثيرية بنسبة يحاول فيها المتكلم أن يقدم نفس المتلقي ، ليضعه في طريق هدف ما يريد أن يصل به إليه ، فيعمد إلى أمرين مهمين : التأثير على عقله بالإقناع والتأثير على وجدانه باستثارة مشاعره على حسب الموضوع والمعنى الذي يحمله المقصد ويحمله اللفظ . والقرآن ببلاغته أولى وأسبق تأثيرا على النفس الإنسانية من كل فنون الخطاب على كل البشر سواء كان منطقهم عربي أو أعجمي .

ومن الأمثلة لبيان أحوال النفس ، بيان احوال النفوس التي لا تفكر إلا في دائرة نفعها أو ضرها ، ومن شأن هذه النفوس أن تكون أثرة متقلبة لا تذعن للحق ولكن تذعن لنفعها وضررها [2]..قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ

[1] - ملامح الاعجاز النفسي في القران والكريم ، د. بلقاسم محمد الغالي ، مجلد4 /عدد1 /ص 17

[2] - المعجزة الكبرى ، محمد ابو زهرة 329

قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ [1]﴿١٢﴾.

يقرر الإمام محمد أبو زهرة يف كتابه 'المعجزة الكبرى' حقيقة مهمة إذ يقول" و في الحقيقة أن الدارس الذي يريد معرفة النفوس و ما يعروها سواءا أكانت نفوس رجال أم نفوس نساء يجد يف القرآن معنيا لا ينصب من الحقائق النفسية التي تكون محور دراسته".

و نحن أحوج اليوم في عصرنا هذا إلى مثل هذا التعمق و هذه الرؤية و النفوس في غفلة من هذه الحقيقة الكاملة، الكمال الذي يحقق في خطاب فريد من نوعه ،معني لا ينصب و لا حدود لأسرار إعجازه و يحذوني في هذه الدراسة فصول و تساؤل عن العقل الإنساني ، الذي يمضي في ركب تطوره بخطوات جبارة ،كيف ستكون وجهة الدراسات المستقبلية للقرآن ،ما الذي سيكتشف الإنسان من أسرار قصره من اكتشافها عقول أعيلها الطلب و البحث لمعرفة أسرار الإعجاز القرآني.

5)ا لإعجاز العلمي بين مؤيديه ومعارضيه:

من المعروف أن القول بإعجاز النص القرآني قد مثل مسلمة عقائدية بالنسبة للمسلمين لم يخرج عليها إلا النزر اليسر ،و أن هذا النص قد تحول إلى مسلمة بالنسبة للثقافة الإسلامية، لا على مستوى تكون المعارف و العلوم.

و من مظاهر التأثير القرآني الخارق اشعاعه العلمي ،فليس منن المغالاة في شيء أن نقول إن جميع ما أنتجه العقل الإسلامي طيلة عهود ازدهار الحضارة الإسلامية يرجع أساسا إلى القرآن الكريم ،إما بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر ،و هذا ما شهد به المستشرق

[1] – سورة يونس الاية 12

الألماني'دوتش': "لقد كان القرآن هو الحافز الذي دفع المسلمين إلى أوروبا ليكونوا سادة وملوكا [1]

قال ابن أبي الفضل المرسي في تفسيره : "جمع القرآن علوم الأولين و الآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم به"[2]. و بما أننا في عصر تقدم فيه العلم تقدما مدهشا ،ففي كل جديد طارف تحمله انتصارات العقل البشري و قد هبَ جماعة من أولي العلم و الثقافة فأخذوا يدرسون الآيات الكونية في القرآن دراسة يحاولون على ضوئها أقياسا وضيئة تشير إلى ما جد من مخترع. و هذه النزعة العلمية لم تكن حديثة أو وليدة العصر الحديث ،بل تعود ارهاصاتها إلى إشارات عند الأقدمين جدير بنا التوقف عندها:

فخر الدين الرازي قد جاء تفسيره و قد أثقل إثقالا بالآراء الكونية و العلمية التي فاض بها القرن الخامس من الهجرة فجاء في كثير من صفحاته بعيدا عن الجو القرآني و مرد ذلك إلى شيوع النزعة العلمية في ذلك العصر.

و كما اعتنى النحاة و البلغاء و المفسرون بألفاظه ،لغته و معانيه و عناية الأصوليين بما فيه من أدلة عقلية و شواهد أصلية؟﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [3]،إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة فاستنبطوا عنها الأدلة على وحدانية الله تعالى ،و وجوده و بقائه ،و قدرته و علمه و تنزيهه عما لا يليق به و سمو هذا العلم بأصول الدين ،فأصّلوا أصوله و فرّوعه ،و بسطوا القول في ذلك بسطا حسنا ،و سموه بعلم الفروع و الفقه أيضا ،و تلمحت طائفة ما فيه من قصص

[1] –المعجزة القرآنية ، بغدادي بلقاسم ، ص 176

[2] – الاتقان في علوم القران جلال الدين السيوطي ، ج2 ص 161

[3] – سورة الانبياء ، الاية 22

قصص القرون السالفة و الأمم الخالية و نقلوا أخبارهم و دوّنوا آثارهم و وقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا و أول الأشياء و سموا بذلك التاريخ و القصص.

معنى ذلك أن الإمام السيوفي يجعل العلوم المستنبطة من القرآن: النظم و البلاغة و ما تعلق بالدراسات الأدبية و الفقه و الأصول و التاريخ و السيرة و أصول العقيدة و التشريع و التفسير، و المواريث... إلخ

و قد عبر عنها الطوفي(716-657) فقال: " و اعلم أن القرآن بحر لا تستوفوا ماله، و لاتنقضي عجائبه، كما جاء في الخبر و لهذا غالب طوائف العلماء يتمسكون على دعواهم بشبه ،فهؤلاء أصحاب صناعة الكيمياء يتمسكون على صحتها منه لقوله تعالى:﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧ ﴾[1]

ويشيرون الى معناه : أن في الغثاء ما اذا خالط المعادن الممتزجة سطا عليها بطبعه ، والسؤال هنا ما المقصود بالاعجاز العلمي ، وما هي ضوابطه ولماذا رفضه بعض العلماء[2].

يتعلق بالتوفيق بين الحقائق الشرعية والحقائق الكونية ، رغم قرب هذا المصطلح الدال على ماهو خارق وخارج عن العادة ، فالاعجاز العلمي هو اخبار القران الكريم بحقيقة أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم ادراكهابالوسائل البشرية ومن النبي صلى الله عليه وسلم

[1] – سورة الرعد الايات 17/13

[2] – نظرية الإعجاز القراني وأثرها في النقد العربي القديم المصدر نفسه 112

أ- ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

تكمن أهمية هذه الضوابط في كونها مناط استرشاد الباحثين في الاعجاز العلمي في وقت شهد اقبالا واسعا على هذا النوع من الدراسات ، وهذا الاهتمام اوقع الكثير في مزالق عمدا او عن غير عمد .

والتزام هذه الضوابط يجنب اكثرهم الوقوع في هذه الزلات والاخطاء من جهة ومن جهة اخرى يضع حدا للخلاف بين المؤيدين والمعارضين لقضية الاعجاز العلمي وحسبي في هذا المقام أن أسجل ما أشار إليه الدكتور عبد العزيز المصلح :

1 - ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتا قاطعا وتوثيق ذلك توثيقا علميا متجاوزة مرحلة الفرض والنظرية الى مستوى القانون العلمي.

2- وجود الإشارة الى الحقيقة العلمية في النص القرآني بشكل واضح

3- جمع النصوص القرآنية أو الحديثية المتعلقة بالموضوع ورد بعضها الى بعض لتخرج بنتيجة صحيحة لا يعراضها شيء من تلك النصوص بل يؤيدها.

4- جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالموضوع.

5- معرفة ما يتعلق بالموضوع من سبب نزول ونسخ.

6- فهم النص الواقع تحت الدراسة وفق فهم العرب حين نزول الوحي لتخير دلالات الالفاظ حسب مرور الوقت .هذا ما يقتضي الالمام بمسائل تعين على فهم النص والتمكن من تقديم معنى على اخر.

7-ان هناك امور من قبيل المتشابه لا مجال لفهمها او تناولها بالبحث .

8- عدم البحث في الامور الغيبية كقيام الساعة بداية الخلق ووضع هذه المسالة تحت المجهر العلمي والتفسير الحديث .

9- عدم الاعتماد على الظن مثل الاسرائيليات

10- تجنب تسفيه اراء السلف من علماء التفسير والحديث ورميهم بالجهل لان الخطاب عام لا خاص لكل البشرية في كل عصر .

11- أن نحصر الدراسة فيما يمكن القدرة عليه فالأفراد يمكن أن يقصروا بحوثهم فيما يتعلق بالاكتشافات فيما هو خاضع لتجاربهم المخبرية [1].

ب- حجج النافين للإعجاز العلمي :

يذهب هذا الفريق الى انه من الخطأ ايجاد التفسيرات العلمية لآيات القران وان نعد تلك التفسيرات وجها من وجوه الإعجاز للأسباب التي تناولها الشّاطبي وكثير غيره :

1. إنّ القرآن قد خاطب العرب أول من خاطب من الناس ، وهم قوم أمّيّون لا يحتاجون في فهم النصوص الصريحة الى التغلغل في العلوم الكونية والرياضيات الهندسية
2. ان كتاب الله كتاب هداية وتوجيه انزله الله ليخرج الناس من الظلمات الى النور
3. ان النظريات العلمية في الكون لا تستقر على حال ن فقد تثبت القضية لدى جيل من الأجيال ، حتى تصبح أمرا بديهيا لا يجوز فيه الاختلاف
4. ان تفسير القرآن بمقتضى النظر العلمي ، فاننا نجعله ميدان للتاويل المتناقض [2]وهو ما ذكره د.فضل عباس نقلا عن ألشاطبي في الموافقات
5. إذا لم يوجد هذا التناقض بين الآيات الكونية الموجودة في القران الكريم وبين ما يكشفه العلم في حاضره ومستقبله بل وجد التوافق والانسجام فليس ذلك دلالا على الإعجاز المرتبط بالتحدي .بل هو دليل على انه منزل من عند الله تعالى ، وليس كل ما نزل من عند الله ولم توصف بالاعجاز كما وصف القرآن [3]

---

[1] -الاعجاز العلمي تاريخه وضوابطه ، د.عبد الله بن عبد العزيز المصلح ، ط3 دار اجياد ، ص 22

[2] - اعجاز القران ، فضا عباس ، ص 256

[3] - نظرية الاعجاز القراني واثرها في النقد العربي القديم ، ص 115

6. القرآن لا يخص العرب وحدهم حتى يقتصر إعجازه على الجانب البلاغي ولكنه انساني شامل على مر تتابع الأجيال حسب اختلاف جناسها وتطورها .

7. الإعجاز محاولة تنقل اتجاه الرؤية من النظرة الجزئية للإعجاز إلى نظرة اعم واشمل وفي هذا الوجه من الاعجاز منزلق خطير ، قد يؤدي ببعض ادعياء العلم ان يحملوا القران مالم يحمله من المقاصد والغايات وينسبون للعلم ما ليس منه .

الترجيح :

من العلماء من وقف من قضية الاعجاز العلمي موقفا منصفا ، وسط بين القبول مع توخي اسباب الحذر ، وضبط مساندة هذا الوجه بجملة من القواعد على اساسها اعتد قبول هذه القضية كمحمود محمد شاكر .

لاباس عنده ان يعتبر الاعجاز العلمي وجها من وجوه الاعجاز اذ اشار القران في بعض اياته الى حقائق ودقائق تشريعية وتاريخية وعلمية وكونية ، وبهذا يختلف عن الكتب السماوية السابقة وعدم التفريط في البحث في الايات الكونية بشرط التقيد بالمنهج القراني وعدم تحميل النصوص ما لا تحمل .

وما يثيره بعض الناس من توهم بوجود تناقض فهو سوء فهم للحقيقة القرآنية بان يتوهمها قطعية الدلالة ولا تكون كذلك فمن البر والحكمة سلوك سبل الأسباب للوصول الى حقائق المعرفة وعدم تعجل النتائج[1] .

إذن نخلص من ذلك الى القول إننا يمكن تقبل وجوه الإعجاز كلها لكن بشرط الالتزام بضوابط التأويل لا الشطط بالخيال والتأويل وفق الهوى حتى وان كان المراد الدفاع والدعوة الى فهم القران الكريم[2] .

---

[1] – مباحث في اعجاز القران ، د.مصطفى مسلم ص

[2] – الطبيعيات والاعجاز العلمي للقران الكريم ن د.عبد العليم عبد الرحمن خضر ص 22

و انقل هنا رأي ابن رشد ومذهبه كمذهب الغزالي القائل : بان القران قد حوى العلوم كلها ، ويتصل من قرب بالنظرية العلمية في الإعجاز ، لان الفكر الإنساني في البرهنة في كل عصر وبيئة طرقه العقلية العامة ، التي هي قدر مشترك بين الناس .

المبحث الخامس

مسيرة إعجاز القرآن التاريخية.

1)نشأة فكرة إعجاز القرآن:

بعد وفاة النبي ﷺ كان الصحابة و الخلفاء الراشدين لا يحبون إطالة النظر في دراسة مسائل الدين و لا يحبون إثارة قضاياه المتشابهة التي تبعث على الاختلاف في الرأي ،كالبحث في الوجوديات و المسائل المتعلقة الجبر و الاختيار عملا بقوله صلى الله عليه وسلم:﴿إن هذا الدين متين،فاغلوا فيه برفق فإن المتين لا أرض قطع و لا ظهر أبقى﴾و كانوا ينظرون إلى القرآن نظرة تسليم و رضى على أنه كتابهم الديني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه[1].

و أمر المسلمون بعدم الخوض في بعض الأمور التي تثير الشبهات و تضعف الإيمان بإثارتها الشك عن طريق التفكير فيها فأطاعوا الأمر.

و بنهاية حروب الردة التي حدثت في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه تم للإسلام السيادة على الجزيرة العربية و بمقتضى عموم الرسالة عمل المسلمون على نشر دينهم فانشغلوا بالفتوحات الإسلامية و حقق الله لهم النصر في العراق و أنشئوا مدينتي البصرة و الكوفة،كما الشام و بلاد الفرس و مصر[2] .

و في عهد الوليد بن عبد الملك فتحت السند و بخارى و خوارزم و سمرقند إلى كاشغر و فتحت الأندلس.

---

[1] -إعجاز القرآن البياني.

[2] -قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية و أنظر أيضا الإعجاز في دراسات السابقين

سبب فتح العرب لهذه الممالك عملية مزج قوية بين الأمة الفاتحة و الأمم المفتوحة مزج في الدم و مزج النظم الإسلامية،و مزج الآراء العقلية، مزج في العقائد الدينية و قد عمل على هذا المزج جملة من الأمور من بينها:

1- تعاليم الإسلام في الفتح.

2- دخول كثير من أهل البلاد المفتوحة الإسلام،و الاختلاط بين العرب و غيرهم في سكنى البلاد.

و تضافرت الأسباب و العوامل أثرت على الحياة العربية و الإسلامية بسبب الامتزاج بالعادات الفارسية و الرومانية دخل كثير من هؤلاء المغلوبين في الإسلام و لهم حكمة و أحكام و شعر و أدب.

و أكثرهم لهم علوم مدونة نقد مرنوا على البحث العلمي فلما اطمأنوا إلى الإسلام أخذوا يطبقون مناهجهم العلمية و فنونهم العقلية[1].

و قد كان لهذا الانشراح أثر في الدين أيضا،لقد انتشر و شمل الملايين،لكن الأمر كان ذو حدين،إذ ابتلي بأفراد متشبعين بأفكار ترسبت من أثر مللهم،و ميول منحرفة معادية للعرب حاقدة تنشد الانتقام[2] ثم قامت الفتن السياسية في زمن عثمان و علي رضي الله عنها ،و رافقتها المناقشات السياسية المشبعة بالعصبية،فرجع المسلمون إلى القرآن الكريم ليحكم بينهم و اضطروا أولا إلى جمعه و تدوينه ثم إلى تفسيره،و ما لبث أن تحول الخلاف السياسي إلى خلافات مذهبية،لها مرجعيات مختلفة،فكانت ولادة فرق مختلفة،كالشيعة و الخوارج هذه الفرق كانت وليدة الصراع بين علي و معاوية و فرق اتخذت موقف الحياد من الصراع ككل.

---

[1] -فجر الإسلام-أحمد أمين عن موسوعة أحمد أمين الإسلامية.ط10-1969-دار الكتاب العربي –بيروت لبنان ص93-95 بتجصرف.

[2] -قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة الغربية-د-عبد العزيز عرفة ص 86 بتصرف.

ثم زاد امتزاج المسلمين بشعوب البلاد التي كانت أكثر مدنية و تحضرا كبلاد الهند و الفرس و الرومان و هي شعوب متعددة المذاهب ،و من بين هذه البلاد الديار الشامية مرتى المناقشات الدينية التي كانت قائمة على قدم و ساق حول مسائل فلسفية منطقية كقضية القضاء و القدر فكان محتما عليهم الخوض في هذه النقاشات،و اصطدموا في العراق و فارس بأتباع المذهب الزردشي و أتباع المذهب النانوي،و من جملة أهم المسائل جدلا مسألة نبوة النبي و تحدي القرآن و قضية كونه منزل.و بالتالي كان لابد من إيجاد الحجج و البراهين التي تدحض دعوى أعداء الدين،فلم يجدوا أصدق من القرآن الكريم ليبحثوه و يدرسوه،و يستنبطوا منه أدلة إعجازه.

فتح العراق و مدرستي البصرة و الكوفة:

ساعدت النهضة العلمية في مدينتي الكوفة و البصرة و نشأة مدرستي النحو و اللغة و ما ظهر بينهما من اختلافات في الآراء اللغوية و الخلاف في الرأي بين الفرق الإسلامية على استنفار العقول و الفكر الإسلامي و إثارة مناقشات علمية فكرية دينية و سياسية..الخ.

و مع محدودية الرأي في عصر الراشدين حتى عهد الأمويين ،لم تجرؤ الألسن وقتئذ و السيف مسلط على رقاب أصحابها ممن تسول لهم نفسهم إثارة قضايا تمس بالعقيدة و بالمسلمات أو تطعن في الدين و لم تنطلق العقول من عقالها غ إلا أواخر حكم بني مروان،و مع ذلك فإن أول طعن في القرآن و إثارة فكرة غاية في الخطر على العقيدة نسبت إلى رجل يهودي هو لبيد بن الأعصم[1] إذ قال :"إن التوراة مخلوقة فلاقرآن كذلك مخلوق و أشاع ابن أخته طالوت في الناس فقال به بنان بن سمعان الذي إليه تنسب

[1] –لبيد بن الأعصم رجل ذكر أنه سحر النبي s –أنظر لباب النقول في أسباب النزول و قيل عاصم اليهودي من بني زريق.

البنانية و تلقاها الجعد بن درهم مؤدب بن مروان بن محمد آخر خليفة أموي[1] و كان متهما بالزندقة.

و لما انتقلت الخلافة من الأمويين إلى العباسيين زاد اختلاط الأعاجم بالعرب و نشطت الترجمة و التأليف في عهد المنصور.

كانت الحرية الدينية مطلقة أو شبه مطلقة و اشتهر ابن المقفع في منتصف القرن الثاني الهجري و كذا ابن برد و صالح أبن عبيد القدوس..و غيرهم ممن قيل عنهم أنهم كانوا يجتمعون لانتقاد القرآن أو محاولة مجاراته بالنظم.

و في عهد المأمون اتسعت دائرة الحرية و اتسع معها الجدل إذ كان يحمي بسلطة خلاصة حرية الرأي من عصبية العامة.هذا العصر الذي أتيح فيه البحث في كل ضرب من ضروب الفنون الفكرية و الدينية و العلمية و حتى إعجاز القرآن.

و في العصر العباسي تشكلت المذاهب و الفرق و نشأت فرقة المعتزلة التي ظهر بظهورها أول كلام علمي منظم في إعجاز القرآن.

نشأت فرقة المعتزلة ونشأت معها مسألة خلق القرآن و قيمه و تناول بحثهم في جملة ما تناول مسألة الإعجاز و أشهر من تكلم فيها منهم النظام(توفي 845م)،و عيسى بن صبيح المزدار(توفي 850هـ) و الجاحظ(255هـ) إذ تلك هي إرهاصات ظهور فكرة الإعجاز كفكرة ضاربة في القدم قدم البعثة و بداية المعارضات للقرآن و ظهورها كمنهج للبحث في نظم القرآن و وجوه إعجازه و أسراره البلاغية و البيانية،ومن هنا يمكننا إجمال أسباب و دوافع ظهور فكرة «إعجاز القرآن» فيما يلي:

- اتساع رقعة الإسلام و الامتزاج بين حضارة العرب و الحضارات الأخرى.

[1] –فكرة إعجاز القرآن منذ بعثة النبي إلى عصرنا الحاضر ص و أنظر أيضا مداخل إعجاز القرآن محمد محمود شاكر ص .

تعرض الإسلام لحركات طعن و تشكيك من أصحاب الديانات و المذاهب القديمة مسلحة بالفلسفات و مناهج التفكير المنطقي،متخذوا الهمم و صبوا جل اهتماماتهم في طرق الطعن بحجة القرآن و نبوة سيدنا محمدﷺ.

- ظهور الفتن السياسية أدى إلى نشوء مذاهب و فرق سياسية و فكرية و حتى دينية.

الحريات الفكرية الدينية سمحت لكثير من العلماء و الأدباء أخذ نطاق واسع في حركة البحث و النظر في المسائل العقائدية الدينية التي كانت ممنوعة سابقا.

- ظهور المدارس اللغوية و النحوية(مدرسة الكوفة و البصرة)أدى إلى اختلاف النظر و التأويل في المذاهب و طرق الاستنباط.
- علم إعجاز القرآن تغيره من العلوم مر بأطوار نشأة و فكرة و منهجا و تأليفا[1].

2) مسيرة الإعجاز التاريخية:

الإعجاز في القرنين الأول و الثاني:

سبق و أن رأينا أن لفظ إعجاز أو مادة معجزة لم يعرف لها ظهورا كمصطلح القرن الثالث الهجري،أما كلام أهل القرن الأول و الثاني في إعجاز القرآن فقد ورد نادرا متفرقا في حوادث و آيات متفرقة في كتب التفسير عن آيات التحدي و المعارضة.

قال ابن جريج[1] في قوله تعالى:﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨﴾ سورة الإسراء- الآية 88.

[1] – قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة و العلوم–د–عبد العزيز عبد المعطي عرفة ص 87–و أنظر أيضا –ظهر الإسلام أحمد أمين –و أنظر أيضا:فكرة الإعجاز القرآني منذ عهد النبوة إلى عصرنا الحاضر–نعيم الحمصي ص 41،إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطس و العلماء–دراسة نقدية مقارنة–حمد بن حسين بن عقيل موسى–ص63 دار الأندلس الخضراء للنشر و التوزيع–جدة.

فقال : «يقول:لو برزت الجن وأعانهم الإنس فتظاهروا لم يأتوا بمثل هذا القرآن».

الإعجاز في القرن الثالث الهجري: ظهرت في هذا العصر أكثر النظريات الرئيسية في الإعجاز،تلك التي صدرت عن من أطلق عليهم بالمعتزلة أو المتكلمين:و ظهرت معها فتنة خلق القرآن المعروفة :

1. علي بن رتب الطبري مؤلف:الدين و الدولة و لم يذكر فيه لفظ معجزة و إعجاز و لكن أكدها بمرادفات أخرى:آيات-براهين،دلائل.

موضـوعـــه:

- إثبات نبوة النبيﷺ من التوراة و الإنجيل.
- ذكر المعجزات التي ظهرت على يديه.
- أمية النبيﷺ و فيه تحدث في مبحث عن التحدي القرآن الكافرين.

2. إبراهيم النظام:من المعتزلة ممن صرح بمصطلح إعجاز و معجزة،و هو القائل:«الآية و الأعجوبة في القرآن ما فيه من الأخبار بالغيوب،فأما التأليف و النظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم و عجز أحدثهما فيهم»[2] و لم يصلنا كتاب خاص به،و وصلت آراؤه على ما ذكرها تلميذه الجاحظ في البيان و حجج النبوة.

3. عيسى المزدار:لم يصرح بلفظ معجزة و إنما قال:« إن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة و نظما و بلاغة» فالقرآن عنده غير معجز في ألفاظه و بلاغته.

4. هشام الفرطي: هشام بن عمرو الفوطي المعتزلي الكوفي مولى بني شيبان صاحب ذكاء و جدال و بدع أيضا.

---

[1] – الشيخ الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم أبو خالد بن عبد العزيز بن جريج،القرشي الأموي المكي مولى أمية بن خالد،أول من دون العلم بمكة و هو ثقة حافظ توفي سنة خمسين و مائة –سير أعلام النبلاء-6/325-336 بتصرف.

[2] – أنظر المعجزة الكبرى. المصدر نفسه ص 69،إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة –ميز سلطان ص 46 بتصرف.

5. عباد بن سليمان: و القول فيهما جاء كإشارة للأشعري إذ يقول:«و المعتزلة على نقيض قوله هذا إلا هشاما الفوطي و عباد بن سليمان أما سائرهم فهم على أن تأليف القرين و نظمه معجزة محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم و أنه علم لرسول الله ﷺ فمنهم من كلام الأشعري أن كليهما من القائلين بالصرفة.

6. الإمام أحمد بن حنبل: قد ذكر الإمام أحمد لفظ «**المعجزة**» كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله:،«و السلف كأحمد و غيره كانوا يسمون هذا و هذا معجزا »

7. الجاحظ: ممن صرح بلفظ الإعجاز في أكثر من مكان في كتبه و هو علم من أعلام الأدب، وقد وصلتنا رسالة له في باب إعجاز القرآن الكريم(حجج النبوة) و سيأتي مذهبه في المباحث الآتية. و قد انتقده الباقلاني في كتابه"إعجاز القرآن" إذ قال: « و قد صنف الجاحظ كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله و لم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى»

8. ابن الراوندي :قد ذكر عن هذا الرجل كلام كثير في معارضة القرآن و الطعن فيه و قد ألف كتابا أسماه " الدامغ" و كتاب" الزمردة" و كتاب الفريد طعن فيها على نظم القرآن و إعجازه[1].

الإعجاز في القرن الرابع الهجري:

1. المتنبي:يذكر أنه حاول معارضة القرآن ثم تبين له استحالة ذلك و هو شاعر معروف ادعى النبوة و ما قاله:«و النجم السيار،و الفلك السوار و الليل و النهار،إن الكافر لفي أخطار،امض على سننك،و اقف أثر من قبلك من المرسلين،فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه و ضل عن سبيله ».

[1] -إعجاز القرآن بين الإمام السيوطي و العلماء ص91.

2. أبو الحسن الأشعري: (324هـ) ذكر ضمن آرائه في رواية عن ابن حزم أن المعجز من القرآن الكريم الذي تحدى به العرب،و هو الذي لم ينزل مع الله و لم يفارقه قط و لا نزل إلينا و لا سمعناه.

3. بندر الفارسي المتكلم: و قد روي عن رأيه في الإعجاز:سئل بندار الفارسي عن موضع الإعجاز من القرآن فقال:"هذه مسألة فيها حيف على المعنى،و ذلك شبيه بقولك:ما وضع الإنسان من الإنسان:فليس للإنسان موضع من الإنسان،بل حتى أشرت إلى جملة حققته و دللت على ذاته.

4. الطبري المفسر: (تـ:310هـ) و من آرائه:

- الإعجاز في القرآن باقي أبد الدهر
- القرآن معجزة لما فيه من القدرة على إبانة ما يقصده المتكلم
- عرض الطبري لمسألة النظم.

5. العتيمي المفسر: العتيمي حسن بن محمد(تـوفي 378هـ) و هو يفسر و يعالج على طريقة المتكلمين أكثر مما يعالجه على طريقة المفسرين.

6. الواسطي الأديب المتكلم: هو أبو عبد الله بن يزيد الواسطي(606هـ) إذ يؤلف كتابا يذكر فيه أن القرآن معجز بالنظم و الكتاب مفقود.

7. الرماني: الأديب المتكلم:علي بن عيسى الرماني، ذكر كتابه صاحب الفهرست للنديم ،و منه نسخة في استنبول و نرى لاحقا منهجه و رأيه في إعجاز القرآن .

8. الخطابي: و يأتي بعد الرماني (388هـ) و هو ممن جمع بين الكلام في البلاغة و علم الكلام و ألف كتاب في الإعجاز نسخة منه موجودة في لندن.

9. العسكري: هو أبو الهلال العسكري كتابه أدبي لم يخصص لفكرة الإعجاز و إنما لبيان بعض فنون البلاغة ،و الإعجاز عنده قائم على البلاغة.

القرن الخامس الهجري:

1. قابوس بن وشمير:(403هـ) عارض القرآن،و هو أحد ملوك الديلم و هو من جملة من اتهموا بالمعارضة.
2. ابن سينا: (428هـ) اتهم بمعارضة القرآن و لم يصلنا شيء مما اتهم به.
3. أبو العلاء المعري: (419هـ) قد عارض القرآن بكتاب سماه:"**الفصول و الغايات من مجارات السور و الآيات**"
4. الشريف المرتضى:(436هـ) ألف كتابا في الإعجاز و ضاع كتابه للأسف على ما اشتهر به و عرف في عصره و هو آخر رجل رأى أن معجزة القرآن هي فقط في الصرفة.
5. داعي الدعاة: و يحسب من الشعراء أيضا ،معاصر الأبي العلاء المعري و هو داعي الدعاة(أبو النصر هبة الله البشرازي الملقب بالمؤيد في الدين) و قد رد على ادعاءات الراوندي،ولد في شيراز بفارس في القرن الرابع للهجرة في العهد الفاطمي من آثاره:السيرة النبوية،ديون المؤيد في الدين،المجالس المؤيدية،كتاب شرح المعاد،الإيضاح و التبصير،الابتداء و الانتهاء،رسالة تحريم اللحوم،القصيدة الإسكندرانية،تأويل الأرواح،نهج العباد[1]

و الإعجاز عند داعي الدعاة قائم على المعنى أكثر منه على الألفاظ[2]، وهنا يتحدث عن مسألة الإعجاز هل هو معجز في لغته للعرب و لغير العرب.

[1] -الفكر السياسي و الإجتماعي للمؤيد في الدين البشرازي.د.غسان بركات قسم التاريخ كلية الآداب –جامعة تشرين–اللاذقية مجلة دراسات تاريخية العددان 117-118 كانون الثاني /حزيران 2012 ص165.

[2] -فكرة الإعجاز –نعيم الحمصي ص82.

6. الباقلاني: ألف القاضي الباقلاني و هو أبو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني،من أشهر علماء الأشاعرة ولد في البصرة ألف كتابا مشهورا في الإعجاز سيأتي بيان وجوهه في المباحث لاحقا.

7. الخفاجي:ابن سنان الخفاجي الحلبي(466هـ) و قد بحث إعجاز القرآن في كتابه(سر الفصاحة) في علوم البيان ،و يرى أن علم الفصاحة ضروري للأديب.ليحسن قول الكلام و نقده و ضروري للعلوم الشرعية.

و القول الثاني : أنه معجز بصرف العرب عن معارضته مع أنها في مقدورهم و من جنس فصاحتهم ،و يخالف الرماني في تقسيم الكلام،متنافر،متلائم في الطبقة العليا ،و يجعلها قسمين:متنافر-متلائم.

8. عبد القادر الجرجاني: زعيم نظرية النظم،متكلم و أديب له كتابين:دلائل الإعجاز،و أسس البلاغة.

القـــرن الســـادس:

1. الغزالي: هو أبو حامد محمد الطوسي النيسابوري الصوفي، الشافعي الأشعري و مجدد في علوم الدين في عصره(القرن الخامس هـ)،فقيه و أصولي و فيلسوف ،صوفي الطريقة شافعي الفقه،و كان سني المذهب على طريقة الأشاعرة في العقيدة من ألقابه حجة الإسلام زين الدين،محجة الدين،العالم الأوحد،مفتي الأمة،لازم إمام الحرمين الجويني،و تتلمذ على يده[1]،يرى أن القرآن مسوق لمعنى واحد و هو دعوة الخلق إلى الله تعالى و صرفهم عن الدنيا إلى الدين.

2. القاضي عياض: (544هـ)في كتابه الشفاء(ص216-237)يقول نعيم الحمصي في كتابه فكرة الإعجاز؛أن القاضي عياض لم يأت بالجديد عن الإعجاز،و

[1] -ظهر الإسلام -أحمد أمين،ج4- ط5-دار الكتاب العربي-ص 165 بتصرف.

لكنه يخص رأي الباقلاني و زاد عليه جمع القرآن علوما و في معرض كلامه يعرج بحديثه من الصرفة بلا انكار و لكن إثباتا مبهما و ضعيفا.

3. الزمخشري: الإمام الزمخشري(538هـ) هو :أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الحوارزمي الزمخشري،كان واسع العلم،كثير الفضل مجاهر باعتزاله (467هـ-ت 538هـ) و الإعجاز عنده على وجهين:

أ. من جهة النظم.

ب. و من جهة الإعجاز بالغيب و جهل جهة الإعجاز بالنظم هي الأساس[1]

و هو من القائلين بخلق القرآن في تفسيره للآية:﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾-سورة الإسراء-

4. ابن عطية:هو أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عطية خالد بن عطية المحاربي من أهل غرناطة(481هـ/546هـ)،و الرأي عنده في وجه الإعجاز أنه "بنظمه و صحة معانيه" و له راي جميل إذ يقول:"أن الله أحاط بكل شيء علما و أحاط بالكلام كله،فإذا أراد ترتيب اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظه تصلح أن تلي الأولى،و تبين المعنى بعد المعنى" و هذا نجده في كل ما خلق الله فبعلمه و حكمته و درايته يعلم مناسبة الأشياء لبعضها البعض،و حكمة وضعها.

[1] -قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية –د.عبد المعطي عرفة-عالم الكتب ص 660 بتصرف/و أنظر أيضا إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة –منير سلطان ص170.

5. الطبرسي:هو الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي،السيزواري الرضوي أو المشهدي،أح علماء الشيعة الإمامية في القرن السادس الهجري و كتابه « مجمع البيان في تفسير القرآن»عن الإمام علي كرم الله وجهه.

- آراؤه في الإعجاز:

القرآن معجز خارق للعادة،و الاستدلال به على صدق النبيوﷺ الكلام في وجه إعجازه ، ويرى أنه "مفرط الفصاحة"له نظم مخصوص،و أسلوب بديع و كذا ذهب بالقول بالصرفة و سلب العرب العلم الذي به يتمكنون من معارضته.كما يرى إعجازه في إحتوائه علوم الأولين و الآخرين.

القرن السابع الهجري:

1. فخر الدين الرازي:(606هـ)

يذكر أنه اختصر كتابي الجرجاني (دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة)و نظمهما من جديد في كتابه (نهاية الإيجاز في بداية الإعجاز) و له آراء في إعجاز القرآن أجملها في النقاط التي اوردها نعيم الحمصي

- ينقض القول بالصرفة و يرد على النظام.
- مذهب مخالفة أسلوبه لأسلوب الشعر و الخطب و الرسائل.
- غير معجز لخلو كثير من الكلام منه.
- جعل الإعجاز في الأخبار بالغيوب و هو عنده باطل لأن الغيوب لا توجد في كل نص أو خطاب قرآني[1].

2. السكاكي:(626هـ):جرى السكاكي في كتابه مفتاح العلوم على سنن عبد القاهر الجرجاني و زاد عليه في بعض المباحث التي لم يطرقها،كما استرسل فيه أكثر من صيغ

[1] -قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية ص 102.

البلاغة بالصبغة الفلسفية،و قد بوب فيه أجود البلاغة و نظمها،و رتبها على شكل قواعد و الإعجاز عنده:

- معجز بالنظم.
- يمكن إدراك الإعجاز بالذوق،و الدراية بعلوم البلاغة يتيح و يمكن المرء من ذلك.
- يبطل أوجه الإعجاز التي جاء بها المعللين و يؤكد أنه وجه الإعجاز أمر من جنس البلاغة.

3.ابن العربي:و لابن العربي المتصوف، رأي في الإعجاز أورده السيوطي:

- عرف المعجزة كونها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي و مقسمة عنده إلى حسية و عقلية.
- معجزة خالدة أبد الدهر كون الشريعة الإسلامية خالدة.
- خرق القرآن للعادة هو في بلاغته و أسلوبه و إخباره بالمغيبيات.

4. الأمدي:هو علي بن أبي على الأمدي(631هـ)،مؤلف "**أبكار الأفكار**"و هو يعمد على شرح و تفصيل أدلة من سبقه،و يحسب على المتكلمين و الإعجاز عنده "بجملة القرآن و بالنظر إلى نظمه و بلاغته و أخباره عن الغيب"

5. الطوسي: هو نصير الدين محمد الطوسي(1201-1274) يقول في كتابه(تلخيص المحصل)[1] قال بقول المتكلمين و بعض المحدثين بلإعجاز البلاغي من حيث الفصاحة و من قالوا بالصرفة و لم يرجح رأي و لم ينتقد فكرة.

6. القرطجاني[2]:(684هـ) مؤلف كتاب "منهاج البلغاء"،وجه الإعجاز عنده باستمرار الفصاحة لا يحد لهذا الاستمرار بزمن معين و لا يقدر عليه أحد من البشر لضعفهم و قصورهم عن ذلك.

---

[1] – الفتوحات المكية،نصوص الحكم ،ترجمان الأشواق و غيرها،أنظر أعلام الزركلي ج8.

[2] –الإتقان في علوم القرآن.

7. البيضاوي:(نسبه من قرية البيضاء من أعماق شيراز)(توفي سنة 685هـ) مفسر و عالم،عن الإعجاز قال في تفسيره:« أنوار التنزيل و أسرار التأويل»[1] ما ذكره نعيم الحمصي أن الإعجاز هو الفصاحة و البلاغة و حسن النظم و قوة المعنى،فالإعجاز عنده بلاغة لفظ و نظم و بيان إعجاز الإخبار بالغيوب الماضية و المستقبلية.

القـــرن الثامـــن:

و من أكثر من كتب في الإعجاز في هذا العصر:

1. الزملكاني:(727هـ) و جه الإعجاز خاص بالفكرة لا مطلق التأليف،بأن اعتدلت مفرداته تركيبا و زنة و علة،ومركباته معنى.بأن يوقع مل فن مرتبته العليا في اللفظ و المعنى .

2. ابن تيمية (ت 728هـ): هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية تقي الدين أبو العباس النمري لقب بشيخ الإسلام ولد في العاشر من ربيع الأول(661هـ) حنبلي المذهب عالم اشتعل بالفقه و العقيدة،أصول الفقه الفلسفة و علم المنطق و الفلك و الرياضيات و في كتاب(**جواب أهل العلم و الإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن**) من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن و قد عالج مسألة التفاضل بين آي القرآن و فيه تحدث أيضا عن الإعجاز في موضعين فقط فضل سورة الفاتحة و الثانية عن ميزة القرآن عن غيره من الكتب السماوية.

[1] -أنظر:أنوار التنزيل و أسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي-تأليف القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي حققه و علق عليه و أخرج أحاديثه و ضبط نصه محمد صبحي حسن حلاق و محمد الأطرش-المجلد الأول –دار الرشيد(دمشق-بيروت)ط1 :1421هـ/2000م

3. الخطيب القزويني(739هـ):يذكر في المقدمة(التلخيص لمفتاح السكاكي) أن البلاغة من أجل العلوم منزلة، بها تدرك أسرار العربية و تكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن.

4. ابن جزي الكلبي (693-741هـ):هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله،ابن جزي الكلبي،أبو القاسم،اشتغل بالأصول و الفقه و له من الكتب :(التسهيل لعلوم التنزيل) و عن الإعجاز قال:

- جعل القرآن في الطبقة العليا من حيث الفصاحة و البلاغة.
- الإعجاز عنده من عشرة أوجه: الفصاحة،النظم العجيب،الأسلوب الغريب،عجز الخلق عن الإتيان بمثله،الإخبار بالغيوب السابقة، الإخبار بالغيوب المستقبلة،و ما فيه من التعريف بالخالق،و الدعوة إلى عبادة الخالق، و الحجج و البراهين على وجوده.
- الإعجاز التشريعي،و الحفظ من الزيادة و النقصان مسير للحفظ معلوم بالمعاينة،لا يمل قارئه أو سامعه بتكراره و ترديده على عكس سائر الكلام[1].

5. يحي ابن عمر العلوي (749هـ):مؤلف كتاب الطراز في البلاغة و الرأي عنده أن الإعجاز علم لا يمكنك معرفة أحواله و تقرير قواعد بلاغته إلا إذا أدركت بلاغته و فصاحته المستنبطة منه،و بهذا يكون الإعجاز عنده بمقياسين:

1) الأول: أن يقاس إعجاز القرآن على القواعد البلاغية المستنبطة منه"كقياس الشيء على نفسه".
2) القياس على أقوال البلغاء حتى يظهر فضله و كمال بلاغته.
3) يعتبر الإعجاز عنده من المباحث الكلامية الأولى لأنه دليل النبوة.

و يعتبر **الطراز** من الكتب المهمة في هذا العصر مواكبا لتأثير الإعجاز في حقل الدراسات النقدية.

[1] – فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر –نعيم الحمصي ص 125 و أنظر أيضا:

6. الأصبهاني (749هـ): الإعجاز عنده على وجهين:

1- إعجاز متعلق بنفسه متعلق بفصاحته و بلاغته و معناه.

2- إعجاز بصرف الناس عن معارضته.

فهو القائل :"القرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها،يدل ذلك على ذلك أنه لا يصح أن يقال له:رسالة أو خطابة أو شعرسجع..إلخ".فالأصبهاني جمع بين القول بالصرفة و بين القول بالإعجاز بالنظم.

7. ابن القيم الجوزية (751هـ)و كتابه (الفوائد المشوق إلى علم القرآن و علم البيان)،و عني صاحبه ببلاغة القرآن لا أوجه البلاغة بصورة عامة باعتبار أن علم البلاغة وسيلة ،و بلاغة القرآن غاية يريد بها العالم الفصول إلى إثبات إعجاز القرآن يظهر في الكتاب تركيز العلامة ابن قيم الجوزية:

1) إعتزاز الكاتب بمستوى أمته العلمي.

2) أن الله أودع القرآن من الإعجاز ما لا يمكن عده و إحصاءه و في معرض حديثه عن التحدي ذكر أن وجوه الإعجاز حاصل في الأخبار الغيبية الماضية منها و المستقبلية،و كامن في بلاغته و فصاحته و إن إعجازه لا ينتهي في عصر بل يكشف وجه الإعجاز في كل حين.

3) يحتوي على بدائع المباني المشيدة و الفنون المتأنقة و ضروب من المقاصد الخفية و الجلية ،و أنواع.

4)معجز بما تضمنه من العلوم الباطنية،و المعاني.

5)القرآن مصدر للعلم و الحكمة.

8. ابن كثير774هـ): لم يرد في كتابه الكثير عن الإعجاز اللهم إلا ما جاء في معرض تفسيره لسورة البقرة في آية التحدي:

1. بين أن التحدي عام للعرب كلهم.

2. الإخبار بالغيبيات الماضية التي وقعت وفق ما أخبره.

3. جميعه فصيح عند من يعرف معنى البلاغة و الفصاحة.

4. رده على المتكلمين و عن قضية الصرفة و رده على القائلين بهذا الوجه و أن الإعجاز حاصل في طوال السور و قصارها.

ذكر ابن كثيركيف قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة و قول المعتزلة في الصرفة:

- إن كان القرآن معجزا في نفسه (ذاته) فقد حصل المطلوب.
- إذا لم يكن كذلك،و إنما صرفهم الله عن معارضته،كان ذلك دليل على أنه من عند الله.و الصواب عنده أن الإعجاز كما أسفلت معجز في ذاته.

9. الشاطبي (790هـ): له رأي في الإعجاز ينقد فيه القائلين بالإعجاز العلمي،فالإعجاز عنده متصل بكل العلوم،إذ لم يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها و يستدل بقوله:﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾[1] و برهن على رأيه أيضا كون الصحابة أدرى منا و أقرب إلى القرآن لم ينقل إليها أنهم قالوا شيئا من هذا.

القرن التاسع:لم يخص العلماء في هذا العصر الإعجاز بتأليف منفرد ة أو خاصة إنما شملت مؤلفاتهم الحديث عن الإعجاز عرضا كجزء من مباحثهم في علم التنصير أو الإجتماع أو التاريخ:

1. ابن خلدون (808هـ):يؤمن ابن بالإعجاز البلاغي الذي يدركه من كان ذوق بلاغي،و العرب المتقدمين كانوا أدرى بمواطن بيانه،إذ كانوا أعلى مقاما من أدباء العصور اللاحقة.

[1] – سورة الأنعام الآية 38.

2. الفيروز آبادي (ت 817هـ):في كتابه تنوير المقياس من تفسير بن عباس و قد جاء حديثه عن الإعجاز في معرض تفسيره لآية التحدي و لم ينفرد الفيروز الأبادي برأي خاص عن الإعجاز و إنما اكتفى برواية تفسير ابن عباس.

3. المراكشي (807هـ):الجمعة المعجزة في القرآن عنده تعرف بالتفكير في علم البيان و المراكشي عالم نحوي،و يضيف أن البيان يعرف وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقية لمقتضى الحال و لا يرى الإعجاز في أسلوبه أو نظمه و لا إعرابه و لا بصرف العرب عن معارضته،فالذي يهمه من البيان صحة التأدية و الوضوح[1]فهو يخالف الباقلاني في كون الإعجاز في لفظه و يأتي لذلك بدليلين:

1- دليل اجمالي:هو أن العرب عجزت عنه و هو بلسانها فغيرها أحرى.

2- دليل تفضيلي: مقدمته التفكير في خواص تركيبه.

القرن العاشر:

و يجدر بنا الكلام هنا عن كل من:

1. معين الدين بن صفي الدين: في تفسيره لم يذكر في مقدمته الموجزة شيئا عن الإعجاز و لكن وردت إشارة إلى وجوهه على ضوء تفسير آيات التحدي،جعل المماثلة بين طلب المعارضة و الإعجاز بالغيب كما يدل عند قوله تعالى:﴿**و إن تفعلوا**﴾ معجزة أخرى تدل على صدق النبيﷺ و في سورة يونس جعل التحدي في "البلاغة" كونه طلب منهم الاستعانة ممن أرادوا من انس و جن ما دام ادعاؤهم حاصل في أن القرآن

[1] -أنظر فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر-نعيم الحمصي ص 156 بتصرف-و إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق،د-حنفي محمد شرف،الكتاب الرابع (1390هـ-1970م) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،اللجنة العامة للقرآن و السنة الجمهورية العربية المتحدة.

كلام النبي و هم أدرى منه و هو الأمي بمواطن الفصاحة و البلاغة،فوجه الإعجاز عنده إعجاز بلاغة و إعجاز بالمغيبات.

2. السيوطي (849هـ/911م):تنقسم مصنفاته في الإعجاز إلى قسمين:كتب مستقلة أفردها الحديث عن الإعجاز ولا يعلم غيره مؤلفه "معترك الأقران في إعجاز القرآن" و الثاني:"مباحث مثبوتة في كتبه تكلم فيها عن عن إعجاز القرآن من وجوه كثيرة "كالإتقان في علوم القرآن" و الخصائص النبوية،و المعرف لا يعرف فلا أظن أن كتابا أو بحثا بلاغيا أو نقديا أو أدبيا أو تاريخيا خلا من الرجوع إلى مصنفات السيوطي و قد أورد في "معترك الأقران" خمسة و ثلاثين وجها من وجوه الإعجاز و كلها جاءت في الإتقان مثل:"الناسخ و المنسوخ،و الكناية و التعريض ،و الكناية و التعريض و المحكم و متشابه،و العام و الخاص و التشبيه و الاستعارة..إلخ

و يمنع السيوطي بين النقل و الرواية و النقد و المقارنة"و في النهاية يوضح في آخر فصل الإعجاز ما بين جمال ألفاظ القرآن[1]"

1. الأنصاري (923هـ-926هـ):الأنصاري شأنه شأن المفسرين لم يخص الإعجاز بمبحث مستقل،و لكن عرج عليه في معرض تفسيره لآيات التحدي في قوله تعالى:﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[2] إذ يقول:"إن قلت :لم ذكرت (من) هنا و حذفت في سورتي يونس و هود؟قلت:"لأن "من"هنا للتبحيض أو للتبيين أو زائدة على قول الأخفش بتقدير رجوع الضمير في مثله إلى ما في قوله:"مما نزلنا" و هو الأوجه،و بمعنى فأتوا بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة و حسن النظم ...و يجوز جعل "من" للإبتداء بتقدير رجوع الضمير في مثله إلى عبدنا أي محمد و المعنى :فأتوا بسورة مبتدأة من شخص محمد.

الإعجاز عنده على وجهين :البلاغة،و حسن النظم.

---

[1] -فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ص 163.

[2] - البقرة الآية 23

2. ابن كمال باشا: تعلم كمال باشا في دار الحديث في أدرنة له مصنفات بالتركية و العربية تولى القضاء،و صار شيخا للإسلام و من مؤلفاته رسائل طبعت بعنوان"رسائل بن كمال باشا" و له فيها في الإعجاز:

1) أنه لا شبهة في إعجاز القرآن و قال إن إعجازه لا يقتضي أنه كلام الله فالإعجاز لا يشترط أن يكون خارقا للعادة فقد يكون بالصرفة.

2) بثبوت الشرع برهان على ثبوت المعجزة.

3) القرآن معجز للجن و للإنس و أن الملائكة أيضا عاجزون منه بدليل قوله تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ٨٢[1]﴾

5. شيخ زاده القونوي:تحدث في حاشيته على تفسير البيضاوي المسمى"أسرار التنزيل" تحدث عن الإعجاز القرآني في مقدماته و في معرض تفسيره لآيات التحدي،و قد وسع معنى الإعجاز فجعله يتسع للمضمون و الشكل معا.و ما تضمنه من إعجاز بالأخبار بالغيبيات(الماضية،و المستقبلية).

6. أبو السعود (896هـ-951هـ):يرى أن الإعجاز في القرآن كلٌّ لا يتجزأ،للإنس و الجن،و بما تضمنه من علوم و كشف للأسرار الغيبية ،كما في أسلوبه و مضمونه و بلاغته.

7. الكازروني:هو أيضا مفسر من علماء القرن السادس عشر للميلاد ألف"الشرح المعني"و "النبراس المضيء في الفقه الشافعي"و في تفسيره لسورة البقرة أو أنه ناقش آية التحدي من وجه مختلف،إذ يرى أن عدم الإتيان بسورة من مثله لا يدل على كونه من عند الله،فعدم قدرة البشر على الإتيان بمثله أو قدرة النبي على ما لا يقدر عليه غيره لا يدل على الإعجاز فمن الممكن أن يأتي المعجزة ملك... و يضيف في سورة الكهف

[1] – سورة النساء الآية 82.

وجوه الإعجاز فمن كالإخبار بالغيبات و العلوم و الحوادث النازلة معجزة في عصره و لما بعد عصره إلى يوم القيامة.

8. طاشه كبرى زاده:في شرح الجزيرة التي موضوعها القراءات،يصف القرآن بأنه الكتاب السالم عند التضاد،و المخرس بفصاحته الخطباء المعجز الذي فضل الله عن ملوك الكلام.

9. الشربيني:القرآن كلام معجز و لا نهاية لأسرار إعجاز علومه و جمع في مقدمته تفسير بين القول بإعجاز النظم،و أضاف في ميله لرأي"البيضاوي"الإعجاز الغيبي":"فإن الخصوم لو عارضوه.

القرن الحادي عشر:

1. السيلكوني:

- الإعجاز بحسن فصاحته و نظمه و بلاغته.
- اعتراف من تحداهم القرآن أن الكلام ليس من أي جنس من أجناس الكلام المعروفة دليل على إعجازه.
- ينقص القول بالصرفة من وجه اعتراف العاجز بسحر القرآن البياني.

2. لشهاب الخفاجي: (977هـ-1069هـ) وجه الإعجاز عنده في البلاغة و حسن النظم،"الانتظام و ارتباط بعضه ببعض و يرد قول الصرفة،و يأخذ بعجز العرب عن مجاراته أو معارضته،إذ قد كرر ما قد قيل قبله و لم يصنف جديدا.

القرن الثاني عشر:

1.أحمد الكواكبي(1124هـ): و هو من علماء التفسير ،و الإعجاز عنده على قولين،أما الأول رأيه أ، المعتزلة لم يروا أن القرآن كله معجز،و لكنهم قالوا أن القرآن بعضه أبلغ من بعض.و الوجه الثاني أن البلاغة هي تناسب أو ما نطلق عليه ملاءمة مقتضى الحال،و لا تقع في استعمال الأكد أو الأبلغ و لكن الحكم على الكلام باعتبار مواضعه،و يخالف المعتزلة في رأيهم بتفاوت الإعجاز بين موضع و موضع من القرآن و إن

كان هذا الإطلاق لا يعمم على كل المعتزلة و أ، الإعجاز في القرآن كله من حيث ملاءمة كل عبارة مقتضى الحال و موضوعها.

و البلاغة حكم نصدره على كلام لا يمكنك أن تضع مكانه ما هو أحسن منه أو يماثله في قوة البيان و الأداء.

القرن الثالث عشر هجري:

1.الشوكاني: يرى أن قوله تعالى في الآية 24 من سورة البقرة"و لن تفعلوا"[1]من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها،و لم يخص علم الإعجاز بفصل مستقل و إنما جاء كسائر علماء التفسير ف يمعرض تفسيره لآيات التحدي الواردة في سورة البقرة و يونس فللإعجاز عنده قائم على البلاغة و على أسرار الغيوب التي احتواها القرآن و بما أنه من أهل السنة رفض قول الصرفة و رده كلا دون استثناء[2].

2.الأوسي:و جوه الإعجاز عنده لم تختلف عن سابقيه،و الشيخ من أهل السنة المتبعين منهج التفسير بالرأي[3] و على ضوء مذهبه الإشاري في التفسير يرى بإعجاز القرآن العلمي الغيبي في معرض تفسيره لآيات التحدي و مناقشة آراء و حجج علماء أخذوا على عاتقهم دراسة هذه الآيات من حيث زمن النزول و الترتيب و كذا زمن التحدي ووجه الإعجاز فيها؛ولم يختلف معهم كثيرا في الوجوه البلاغية و جودة الأسلوب البياني للقرآن الكريم مثل الأمذي و الأصبهاني و السيوطي.

3.أوليا زاده:الإعجاز عنده في البلاغة و حسن النظم و قوة المعنى و رفض الصرفة و نقض قول القائلين بها

---

[1] – نعيم الحمصي –فكرة إعجاز القرآن المصدر نفسه ص 199.

[2] – أنظر محمود سليمان أحمد مسمح–البلاغة القرآنية في تفسير الشوكاني (فتح القدير)–مذكرة ماجستير –الجامعة الإسلامية–غزة–عمادة الدراسات العليا –كلية الآداب –قسم اللغة العربية(1428هـ–2007م)

[3] –أنظر الزرقاني مناهل العرفان –تحقيق فؤاد أحمد زمرلي–دار الكتاب العربي–ج2 ط1 (1415هـ–1995م)ص 56–71 .

و الإعجاز عنده ثلاثة وجوه:

- اطراد ألفاظه في البلاغة.
- إشتماله على الإخبار بالغيوب
- سلامته من الإختلاف

4. صديق القنوجي البخاري[1]: (ت 1307-1889م):

و هو القائل :"و كيف لتلك الآيات و الدلائل و تيك البيات و المخايل،ةو هذه العبارات العبقرية و ما في تضاعيفها من أسرار البرية،مما يحيط به من أسرار البشر،و لا تدرك طباع العالم الأكبر و الأصغر "[2]و ذكر في الإعجاز :البلاغة و النظم ز حسن النظم.

من هنا نعلم أن فكرة الإعجاز كقضية أو علم أو فكرة أو نظرية،كأننا ما كان اسمها أو وصفها في الحقول العلمية ،شغلت خيرا واسعا،و أخذت جانبا شاسعا من التأليف و البحث و النظر ابتداءا من وقت النزول –نزول القرآن-إلى وقتنا الحاضر و الفرق بين الحديث و القديم نقلا و تجديدا و اقتصرت على هذه اللمحة الوجيزة في رحلتي مع العلماء الذين درسوا المباحث الإعجازية مستعينة بالأديب اللامع و العالم المبدع د.نعيم الحمصي،على ضوء كتابه فكرة إعجاز القرآن و إن كنت أخالفه فب التسمية ،إلا أن بحثه القيم ساعدني كثيرا في حصر الدراسات العلمية و اختصارها،و توقفت هاهنا لأبين أن بحوث الإعجاز كلها و أغلبها مجمعة على نقطة واحدة أن الإعجاز وقع في نظم القرآن و بلاغته عند المفسرين و الأدباء و الفلاسفة و أهل الفقه فتناسب اللفظ وفق مقتضى الحال و حسن البلاغة وجه جوهري أيضا.

---

[1] –هو أبو طالب النواب صديق بن حسن خان بن علي الغنوجي البخاري الحسني(1307هـ-1889هـ)مؤلف فتح البيان في مقاصد القرآن

[2] –أنظر نعيم الحمصي –فكرة إعجاز القرآن الكريم ص 208.

الفصل الثاني

إعجاز القرآن الكريم عند الرافعي.

الفصل الثاني: إعجاز القرآن الكريم عند الرافعي

المبحث الأول: الرافعي النشأة والآثار

1-مصطفى صادق الرافعي ولادته ونشأته

أ-اسمه ونسبه

ب-نشـــــــأته

ج-زواجـــــــه

د-ثقافته وعلمه

هـ-آثار الرافعي

و-أسلوب الرافعي

المبحث الثاني:الإعجاز عند مصطفى صادق الرافعي

1-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية

2-دوافع تأليف الكتاب

3-تاريخ آداب العرب في ميزان النقاد

المبحث الثالث : مفهوم القرآن وآدابه عند الرافعي

1- مفهوم القرآن عند الرافعي

2-لغة القرآن

3-أثر القرآن الكريم في اللغة

4آداب القرآن الكريم

5-أصول الأخلاق في القرآن عند الرافعي

6-دعائم الإنسانية في القرآن الكريم

المبحث الرابع : علوم القرآن عند مصطفى صادق الرافعي

1-العلوم الناشئة عنه

2-القرآن والعلوم الإسلامية

المبحث الأول :

مصطفى صادق الرافعي النشأة والآثار

ليس من السهل أبدا على أي باحث مبتدئ أن يجد استهلالا مناسبا،و ترجمة شخصية أو علم كان لفكره و جهده العلمي صداه في ركب التدوين التاريخي لحضارة أي أمة من الأمم،سيما إذا كانت هذه الأمة قد تدافعتها ألوان الخطوب و المحن كأمتنا العربية،هذه الخطوب و المحن التي ساهمت بشكل أو بآخر في بعث روح النهضة التي كان القرن التاسع عشر شاهدا عليها.

" فإذا كان الشرق فد فتح عينيه على مدافع نابليون ليفرك جفون النعاس و يعود إلى ثروته الكامنة ليستثمرها.."[1] و يكمل محمد بديع شريف في كتابه دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة : "..غزوة نابليون هذه ما كانت قبس أنار شعلة في جمر كان الرماد فد غطاه.."[2]

و لكن أي شرف هذا الذي نخصه بالحديث عن النهضة، أذلك الذي يرزح تحت و وطأة الأمرّين:الاستعمار و الفتن أو الشرق الذي فتح له الاستعمار أبواب الحضارة، فجاءت رياحها من نوافذ قوية فغيرت مسيرته و أهدافه التي كان يرومها، و أضعفت اشفاقته قوة يده القابضة على رقاب شعوبه.

---

[1] – –دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة تأليف محمد بديع شريف ،مجموعة من المؤلفين –ط2(1404هـ-198 م)دار اقرأ ص 29.انظر أيضا :محمد كامل المحامي .الدولة العربية الكبرى ط2 –دار المعارف –مصر

[2] – –تطور النقد و التفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين– – حلمي مرزوق ط1983م– دار النهضة – بيروت لبنان – ص55

في ظل هذه الظروف، و في غفلة من التاريخ أخذت القاهرة و الشام زعامة الثقافة العربية،و حملت لواء النهضة الفكرية أثر ما يسمى فكرة الوعي القومي و الصلات بين مصر و سوريا صلات تاريخية قديمة كما هو معروف في كتب التاريخ إلا أن العنصر السوري اتخذ قي منتصف القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين شكلا بارزا في البيئة المصرية نتيجة للهجرة الواسعة نظرا لتعدد أسبابها العامة و الخاصة على السواء.

من بينها المناخ السياسي و الاجتماعي و الثقافي الذي هيأ الأجواء التي استقطبت المهاجرين الأوربيين و عيرهم, ممن كانوا في حكمهم الذين تمتعوا بامتيازات أثارت حفيظة المصريين و أنشأت بينهم بعض العداوة تداركها المثقفون فيما بعد بالإصلاح و الترميم متخذين فكرة القومية ذريعة لمكافحة الاستعمار .

و من بين أشهر الأسر التي وفدت إلى مصر هي الأسرة الرافعية إذ كان القرن التاسع عشر هو أول عهد لها بمصر على يد أول الوافدين إليها منهم الشيخ محمد طاهر الرافعي و ذلك سنة (1827-1403م) من طرابلس الشام ما شجع باقي أولاد عمومته إلى الحذو حذوه.

الأسرة الرافعية إذا لبنانية الأصل عربية الأرومة حمية نسبها إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشتهرت في مصر و ذاع صيتها لما وسم أفرادها من نفوذ العلم و الأدب 'فالعائلة دينية محافظة ' تتبع منابع العلم، و تستجدي أجواء ه و مصر إذ ذاك بجامعاتها و أزهرها موئل للعلوم الشرعية و قطب للآداب و الفكر و العلوم ، داع صيت علمائها في أصقاع العالم .

كانت هذه الأسباب و غيرها وراء استقرار الأسرة الرافعية في مصر التي وجدت لها(سواء تلك التي بقيت في لبنان أو تلك التي استقرت في مصر)في كتب التاريخ و أعلام الفكر و القضاء مكانا واسعا و على سبيل المثال لا الحصر الشيخ عبد القادر بن عبد اللطيف بن عمر بن أبي بكر البيساري(توفي 1815) جد الرافعيين جميعا.

و الشيخ عبد الحميد بن عبد الغني بن أحمد الرافعي شاعر سوري[1]، عبد الرحمن الرافعي[2].

تلك إذا نبذة مقتضبة أردت على ضوئها أن أجلو الوضع الاجتماعي و السياسي و الظروف التاريخية التي جعلت ن الرافعي نجم تألق في ساء الأدب و النقد،و فارسا راد عن الرصيد التراثي و اللغوي ضد دعاة التجديد وأوربة الثقافة و الفكر.

1)مصطفى صادق الرافعي : الولادة و النشأة

أ–اسمه و نسبه :

هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر البسياري[3] الرافعي 1880 و هو تاريخ غير موثق إلا بالإشارة على قصاصة وجدت على كتبه بخط يده إذ لا يعرف له شهادة ميلاد

والده الشيخ عبد الرازق الرافعي ،كان رئيسا للمحاكم الشرعية في كثير ن الأقاليم،و هو واحد من أحد عشر أخا اشتغلوا كلهم بالقضاء من اتصف بالورع و الزهد له شدة في الحق ما لبث ينكرهما معاصروه من شيوخ طنطا .

و أما والدته سورية الأصل أبوها الشيخ الطوخي ،و قد أقات أسرتها في يهتم من قرى القليوبية و كان فيها ضيعة التي ولجد فيها الرافعي

ب–نشأته لم أجد في المراجع التي تناولتها شيئا عن طفولة الرافعي اللهم إلا ما ذكره بنفسه جلا في رسائل صديقه محمود أبو رية :"لا يعرف للرافعي شهادة ميلاد تحدد

---

[1] – صاحب الأفلاذ الزبرجدية في مدح العترة النبوية ،وهو شاعر غزير المادة (ت1350/1932 من أهل طرابلس الشام ، تعلم بالأزهر ومكث فيه ،أنظر : الأعلام ، الزركلي ،ط15(2002م) دار العلم للملايين بيروت بيروت لبنان ،ج3ص 287

[2] – المؤرخ المعروف صاحب تاريخ الحركة القومية و تطور نظام الحكم في مصر الاشارة في تقارير كرومر – تطور النقد و التفكير العربي الحديث –ص258

[3] – البسياري هو اللقب الأصلي للأسرة و أما لقب الرافعي فسمي بهم جدهم لم توسم به من علم و فقه و ورع نسبة إلى إمام الحنفية الشيخ الرافعي المعروف –محدمد سعيد العريان–حياة الرافعي –ط3(1375هـ–1955م)المكتبة التجارية الكبرى،مصر– ص27–26 بتصرف

يوم مولده بالضبط ، و شهادة الميلاد التي بملف ذمته في وزارة العمل الحقانية هي لأخيه المرحوم محمد كامل الرافعي ،و قد كنت أحسب مولده (1882-1881) ثم وقعت بين أوراق ه الخاصة ورقة مكتوبة بخط يده "[1]

ج-زواجه:

تزوج الرافعي في الرابعة و العشرين من عمره و لزواجه قصة فيها تدبر و أعمال للفكر " فزوجه مصرية صريحة النسب "من أسرة البرقوقي المعروفة في منية جناح –دسوق و أكثر الأسباب وجاهة في زواجه منها ،علاقة بشقيقها عبد الرحمن البرقوقي و على علاقة الأدبية بصديقه كان يجهل على ما يروي سعيد العريان على لسانه " أنه كان له أخ و أخت"

" حتى كان يوم حبست فيه أتحدث إلى نفسي ، فكأنني سمعتصوتا من الغيب أن عبد الرحمن هو صهري و أخو زوجي ،...فقلت لصاحبي "من لي بالزوجة التي أريد" ووصفت له الفتاة التي تعيش في أحلامي ..قال صاحبي أنا لك بما تريد قلت أتعرف ؟ قال :هي هدية أقدمها إليك، قلت من؟ قال أختي..." و ما وقع من نفسي أنني أمد يدي لأخطب عروسي لنفسي و لكني أمدها لأتعرف إلى العروس التي خطبتها علي الملائكة و أثبت نبأ الخطبة في لوح محفوظ"[2]

و هنا نرى جانبا نفسيا آخر من شخصية الرافعي ،سيأتي تفصيله لاحقا، واستمر زواجه ثلاثا و ثلاثين سنة ،لم يعاني فيها بيت الرافعي داء شأن بيوت اليوم.

و هو زوج و أب مثالي وفر له أهله أسباب الراحة و الهدوء بما ينبغي لمكانته الأدبية و أعبائه العلمية.

[1] –حياة الرافعي–محمد سعيد العريان –ط1375-3هـ-1955 ص27

[2] – حياة الرافعي ، محمد سعيد العريان ،ص 60

أما ا ذكر و روي من قصة حبه مي زيادة[1] ، فكان عرضها من أعراض الشعراء و الأدباء،و شجرة أدبية كانت زوجه تعنى أيما رعاية ،إذ كان يقرأ عليها رسائله إليها و رسائلها إليه و كان دأبهما من بعد حتى ولد :رسائل الأحزان ،أوراق الورد،و السحاب الأحمر.

و بين هذا المقام الحديث عن عاطفية الرافعي،و أنا أعرج عليها لأثرها على أدبه و تأثره الدائم بانفعالاته و هواجسه ،و هذا ا وجد فيه بعض النقاد غنيمتهم كالدكتورة التي و صفها بعض لمن لا يحسن تركيب الجمل كما ينبغي د.نعمات فؤاد في كتابها أو أطروحتها " دراسة في أدب الرافعي"

د- ثقافته و علمه: نشأ الرافعي كما أسلفنا سابقا في أسرة علمية دينية شهد لها تاريخ مصر و الشام سعة الثقافة و أصالة النسب ،و كذلك كان الرافعي ..ورقة ن تلك الشجرة الوافرة.

الوالـد: تولّ والده أمر توجيهه ،و على يديه حفظ القرآن الكريم فأتقنه حفظا و تجويدا و هو في سنّ العاشرة و التحق بالمدرسة في سن الثانية عشر بمدرسة دمنهور الابتدائية ، حيث كان الشيخ قاضيا فيها،ثم منها إلى المنصورة التي أتم الرافعي شهادته الابتدائية و هو في السابعة عشرة [2].

مرضه: بعد إنهاء شهادته الابتدائية ،أحس بحمى شديدة كانت سلاحا ذو حدن ،أضفت على حياته نوعا ن الكآبة و الحزن ،و من جهة أخرى كانت سببا في اعتزاله الناس و انشغاله بالكتب و التزود مما أورثته الإنسانية من تصنيفات و أمهات كتب،

[1]- المرجع نفسه ،ص60 وما بعدها بتصرفوانظر نثر مصطفى صادق الرافعي ، ضيف الله ، ماجستير في اللغة العربية ، كلية الآداب ، دار مكتبة الشركة الجزائرية ، دون سنة طبع ، ص11-12

[2] -– مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية ، مصطفى الجوزو ،ص15

وبدأ سمعه يضعف حتى فقده و هو في سن الثلاثين، و لع بالمطالعة إذ كان لا يُرى إلا و في يده كتاب[1].

كان الرافعي بعد علّته تلك في سباق لذيذ مع الزمن ،فكانت المكتبة ماله الذي لا يفارقه ،فتزود منها تزود الزاهد من التقوى ،إذ أخدعنها العلم بلا مناهج و لا معلم،بل كان يأخذه من السلف الصالح أخذ المتدبر المتفكر ،النهر الذي لا يمل و لا يكل (فكان فيها المعلم و التلميذ)

و من شيوخه أيضا:

أستاذه في المدرسة الابتدائية مهدي خليل ،مفتش بوزارة المعارف توفي سنة 1944 م، واشتهر برداءة خطه كثيرا ما كان أستاذ العربية مهدي خليل ما يعرض به ويتهكم على طه الردئ.

" و كما كان لأستاذه مهدي خليل فضل الأستاذ على تلميذه كذلك كان الجاحظ و صاحب كتاب الأغاني فضل العلم على الباحث ، فتأثر يهما أسلوبا و لغة ،و كذا هنا الباجي"[2]

هـ–آثار الرافعي الأدبية والنقدية :

بدا لي وأنا أمهّد لهذا البحث أن أرتب آثار الرافعي ترتيبا زمنيا يليق بنظرة النقاد الى تطور أسلوبه في الكتابة و الأسباب التي دعت أكثره إلى نقده النقد اللاذع الذي كان له أثرا عكسيا على أسلوبه واجتهاده الأدبي وال علي ،فلم ينقص ذلك شيء و إنما خلف لنا من المصنفات ما جعل آس هذا الأديب رمزا من رموز الأدب يقف له تاريخ التدوين احتراما و تبجيلا..

[1] – حياة الرافعي، محمد سعيد العريان ، ص31.

[2]– حياة الرافعي ، محمد سعيد العريان ، ص75.

1- الشعر:

لقد كان لبيئة الرافعي التي نشأ فيها و لثقافته التي تشربها اثر بالغ على أسلوبه و منهجه في الكتابة و إن كان أول شغفه الشعر نبغ فسه و أصدر بداية دواوين و فصائد منها مض جمع على شكل دواوين و منها فصائد نشرها في صحف و مجلات معروفة .

و قد جعله حافظ إبراهيم في الطبقة الأولى من شعراء العصر وقال الكاظمي أسافر مطمئنا وأنت بقيتي في مصر[1] .و كان الرافعي يرنو إلى القمة ؛ إلى الطبقة الأولى من شعراء العصر «وكان كبير الثقة..كثير الاعتداد بالنفس»، وكان زاده قي ذلك الأدب القديم و يما حفظ من تراث شعري قديم و انتهج لذلك قدوة: البارودي* و حافظ* و بسبب تزعم الأول ريادة الشعر في عصره و تملك الثاني نواصي الحداثة و التجديد لذا اتقدت المنافسة بينه و بين حافظ إبراهيم لكن الجدير بالذكر أنها لم تكن تشبه مطلقا تلك المعارك الصارية التي كانت المجلات و الصحف مسارح شاهدة عليها و أفصد هنا معاركه مع طه حسبن و العقاد .

بدأت إرهاصات الشعر الأولى عند الرافعي وهو لم يتجاوز العشرين و بنشره فيما اختلف من مجلات مصرية و سورية (الصياد، البيان، الثريا، الزهراء، المقتطف، سركيس،الهلال، الرسالة...) ، صدر أول ديوان للرافعي سنة 1903.

و للرافعي ديوانين الديوان السابق الذكر و النظرات وفد فدمهما بمقدمة تقدير قوام نظريته الشعرية ، و يظهر هنا متأثرا نعبد القاهر الجرجاني وكذا ابن المعتز، وكان له طموح أن يشف طريق التجديد و الابتكار فيما يتعلق بتطوير كتابة الشعر دون بمقاليد التقاليد.فالشعر عنده كالحلم يخلف قي المخيلة وقد استدل على ذلك بما جاء في القرآن

[1] - تطور النقد و التفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين –حلمي مرزوق –ص363.

الكريم على لسان أهل الجاهلية في اتهامهم للنبي صلى الله عليه و سلم بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ [1].

وحسبنا في هذا المقام أن نورد ما قاله اليازجي عن الديوان وعن مقدمته في انتقاده لبعض الألفاظ على أن هذا لا ينزل من قدر الديوان وان كان يستحب أن يخلو منه لأن المرآة النقية لا تستر أدنى غبار ، ومن كمال محاسنه ظهر في جنبها أقل العيوب !، وما انتقدنا هذه المواضع إلا ظنا بمثل هذا "**النظم**" أن تتعلق به مثل هذه الشوائب.

فإن الناظم كما بلغنا لم يتجاوز الثالثة و العشرين من سنه ، ولا ريب أن من أدرك هذه المنزلة في مثل هذا السن سيكون من الأفراد المجلين في هذا العصر ،و ممن سيحلون جيد البلاغة بقلائد النظم و الرؤى[2].

2– النثر:

"من خلال استقرار حياة الرافعي و إطالة الوقوف أمام أثاره الأدبية ندرك مقدار الرضا و الشعور بالانسجام مع الموفق الأدبي الذي اختار أن يجده في حياته بالرغم مما كان يسبب له من منغصات الآلام ومن مثيرات الشجون"[3] .

وقد رأى في الشعر قيد يحول أحيانا بين ما يتعارك في الوجدان وبين نظمه في ظل قواعد صارمة كقواعد العروض و القصيد ، وجدير بالملاحظة أيضا أن اختلاف المؤلف إلى النثر لا يعني أبدا هجره للشعر تماما فقد كان ينظم بين حين و حين قصائد في شتى الموضوعات[4].

---

[1] – سورة الأنبياء ، الآية 05

[2] – حياة الرافعي ص50

[3] – عمالقة عند مطلع القرن–د.عبد العزيز المقالح ص123.

[4] – نثر مصطفى صادق الرافعي –عبد الله م.ح ضيف الله ص49.

وما يجده كثير من الأدباء و النقاد على الرافعي في نثره ميوله إلى تكلف السجع ،و اصطياد اللفظ الغريب ،و إهماله الهدف الذي من اجله غير اتجاه رحلته الأدبية و يعود ذلك إلى أسباب كثيرة :

1.الرافعي ميال إلى التميز الذي يقترب أحيانا من الشذوذ .

2.عصره الذي تميز بتطور عظيم[1] في مجال صناعة الأدب معاصرته لعمالقة كان يجتهد أن يكون أول بينهم صناعة شهرة.

3.-معارك الأدبية التي جعلت الصحف والمجلات يدن لرحاها الدائرة لمدة طويلة جدا.

4.-تعلقه بالأدب القديم وتصانيف العصور الأولى مثل الصاحب بن عباد* ، الحريري* الهمذاني*.

- **تاريخ آداب العرب** : عندما انشأت الجامعة المصرية سنة 1908 اخذ يتتبع أخبارها و كتب مقالا ينتقد فيه مناهج الجامعة وأساتذتها و طلابها ، واحدث المقال أثره فرصدت الجامعة جائزة للأدباء ب150 جنيها لمن يؤلف كتابا في أدبيات اللغة وضرب لذلك أجلا بسبعة أشهر ،ولم يكن هدف الرافعي ليغريه ثمن الجائزة ولكن دغدغ الأمل و الحلم السابق في زيادة الأدب أحلامه مرة أخرى ،وكذا طمعه في أن يكون مدرسا في الجامعة وقد تنبأ أن سياسة الجامعة ستحرمه وانه سيحظى كتابه ذاك بمدرس غير كاتبه و فعلا تم ما قاله.

ويزعم الرافعي أنّه كتب الجزء الأول منه في ثلاثة أشهر[2] والأصح أن الكتاب خرج إلى النور قبل هذا التاريخ ، وذلك في شهر مايو من سنة 1905 إذ نشر الرافعي مقالا

[1] - المرجع نفسه ،ص 50.

[2] - مصطفى الجوزو-مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية المطلة على الامبريالية ص 57

كان الباب الثاني منه بعد أن توسع فيه[1].في هذا الجزء اطلع الكاتب على كتب الأقدمين ، وجمع ما رآه مناسبا لموضوعه ، وجعل له اثنا عشر بابا .

وتميز منهجه في جمع مادة هذا الكتاب عن سائر مصنفات تاريخ الأدب بثلاث أسس هي التي شكلت محورا هاما في قيمته الفنية.لم يتبع الرافعي في هذا الجزء طريقة المؤرخين في تقسيم كتبهم على ضوء منهج العصور،وإنما اعتمد على أصالة المنهج ، دقة السبك و روعة الأسلوب.[2] وبعد ظهور الكتاب بنحو عشرين عاما ،عمد الرافعي إلى تنقيحه سنة 1931، لكنه عاد عن ذلك لأنه كان يفتقر إلى تكاليف الطبع[3] .

أما الجزء الثاني من هذا التاريخ فقد أتمه الرافعي سنة 1912 وأخرجه سنة 1914 ،وقد عرفه الناس و اشتهر بينهم بعنوان " إعجاز القرآن و البلاغة النبوية".[4]

وأسلوب الرافعي في هذا الكتاب أسلوب العالم الأديب ، وقد طبعه على نفقته ،و إن انصراف الرافعي عن الشعر إلى هذا البحر الواسع من علوم اللغة وتاريخها ولم تكن في نيته الكتابة في إعجاز القرآن لمجرد رغبة عابرة فقط،لان إعجاز القرآن باب في تاريخ الأدب ،فإذا بأثر ذلك يصل صداه ومداه حتى أصبح بين الأدباء كاتبا من الطراز الأول

لقد عرف الرافعي إن الله أوكله برسالة لابد إن يؤديها وان له غاية أخرى هو عليها اقدر وبها أجدر فجعل من نفسه جنديا يذود عن الدين و عن مقومات الحضارة العربية سهام التجديد و التقليد المسفف لأدباء الغرب و إمدادات رياح الاستعمار الفكري الغربي.

---

[1] –رسائل مصطفى صادق الرافعي محمود أبو رية ، ص60.

[2] –نثر مصطفى صادق الرافعي–ضيف الله م.ح.م–ص54 بتصرف

[3] – مصطفى الجوزو نفس المرجع السابق ص58 بتصرف

[4] – حياة الرافعي ، محمد سعيد العريان ،ص70

لذلك يعتبر كتاب تاريخ آداب العرب بأجزائه الثلاثة ،وان كانت وان كانت إرهاصاته الأولى عبارة عن حرب ضروس شنها الرافعي على مؤيدي التجديد وكان ميدانها المجلات و الصحف الأدبية التي كانت تصدر وقتئذ.

ولقد كان أصحاب الدعوة إلى مسخ اللغة ذوي أصوات عالية يدفعهم الاستعمار ، ولكن أصوات المدافعين عن حرمة الفصحى كانت أعلى بما تحمل من حججه والرافعي يعبر بقلمه عن منهجه في الذود عن لغة القرآن و القبلة التي اتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضاءاتها فلا اكتب إلا ما يبقيها حية .[1]

– تاريخ آداب العرب و النقد:

نال الجزء الأول استحسان العديد من المفكرين و الأدباء مثل لطفي السيد(*) و شكيب أرسلان "لم يجد أحسن من الكتاب للمتأدبين لان صاحبه ضليع في التحقيق متمكن في التعبير".ويرى محمد سعيد العريان إن أسلوب الرافعي في هذا الكتاب أسلوب العالم الأديب ،يجد فيه كل طالب طلبه من العلم و البيان الرفيع.

وقد حمل عليه طه حسين و العقاد على كتابه ذاك إذ علق عليه قائلا بعد خطاب طويل أرسله الرافعي مضمنا كتابه إعجاز القرآن فقال معربا عن استيائه من جنوح الرافعي إلى تقليد شعراء الجاهلية وأدباء العصور السابقة في كتابه وقال على إحكام عبارته وجودة لغته إلا انه لم يفهم منه شيئا ،وقد ساء هذا الرافعي و آلمه و دعاه إلى إعداد العدة لحرب أدبية لم تضع أوزارها إلا بعد وفاته ،و إن كان لها من الايجابيات ما شكر به النقاد و الأدباء إذ تركوا لنا تراثا أدبيا نحتفي به كتب الأدب العربي المعاصر.

– رسائل الأحزان :يخاطب الرافعي نفسه في أسلوب **التجريد** فهو يزعم أنها رسائل صديق بعث بها إليه ... وقد كتبها كما يقول هو: "رسائل أدبية عامة تتم بها

[1]– مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا و مفكرا اسلاميا – ط1 –1970م ،جامعة بيروت العربية –،ص49

العربية تمامها في فن من فنون الرسائل لم يؤثر مثله فيما نقل ألينا من تراث **الكتاب العرب ليجتذبه** المتأدبون و ينسجوا على منواله "[1].

و الكتاب على ما يقول صاحب النثر:معارضة **لآلام فرتر**[2] الذي ترجمه الزيات من الفرنسية إلى العربية سنة 1920 .

ورسائل الأحزان نوع من الأدب الوجداني الذي لم تالفة العربية وليس لها سابق عهد به، ليكون الرافعي أول مؤلف عربي يكتب عن هذا الفن بالطريقة الحديثة ،طريقة التأثر و الانفعال و الرضا و السخط ،و الإذعان و الثوران ،و هي طريقة **جوته نفسه**،و نجد فيه هنا تعليق طه حسين و رد الرافعي على ذلك[3].

السحاب الأحمر :وهو ثاني كتاب ألفه الرافعي لصاحبته مي ،اثر انتهائه مباشرة من رسائل الأحزان ، وهو يبدو فيها ثائرا مغضبا و يظهر ذلك في قوله مثلا :"يجب على المدارس حيث تعلم الفتاة كيف تتكلم ،إن تعلمها أيضا كيف تسكت"[4]

كانت نفسه تفيض ألما ،فحياته العشقية بالغة التعقيد ،بعيدة عن التصريح، لذلك لا نستغرب أبدا أن يكون الكتاب سبقا أدبيا في فنه "الأدب الوجداني ".

كان الرافعي أول ن كتب في الأدب الوجداني في تاريخ الأدب العاصر ففي الفصل الأول ن السحاب الأحمر يحدثنا عن محبوبته واصفا لنا جمالها وا القه في نفسه ن افتتان بها و بجمالها ...فيكون ذلك العاشق الأسلوب العقل و علق الروح.

ثم يأخذنا في الفصل الثاني "النجمة الهاوية " و يسقط كل معاني السخط و الغضب و اللوم ، فيقول :" تتم أمالنا حين لا نؤمل." يذهب الى إيهام صاحبته بأنها لم تعد تعني شيئا ، و رجاؤه منها قد خاب و يتوعد الهجر إلى القطيعة ،فنجده قد أغلظ في إيجاد

---

[1] – حياة الرافعي،محمد سعيد لعريان ، ص 128

[2] – انظر نثر الرافعي ضيف الله محمد –ص160-159 بتصرف.

[3] –رسائل الرافعي لأبو رية ،ص 66

[4] – من رسائل الرافعي الى محمود أبو رية ، ص91وانظر مصطفى الجوزو ، مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية العربية المطلة على السريالية ص 70 وما بعدها .

كلماته و صب عليها أعنف تعابير الغضب و الغيظ،و لكن بعض المعاني التي يمكن لنا أن نقرأها تخفي لنا ذلك العاشق الذي رغم كل ذلك الغيظ و الغضب إلا أن قلبه لا زال مفتونا بمحبوبته إذ يقول :"إنني أحبك ا أشأم النساء " و يذهب في آخر الفصل فيقول:

يا من على الحب ينسانا و نذكره لسوف تذكرنا يوما و ننساكا

إن الظلام الذي يطول يا قــمر له صباح متى تدركه أخفاكا

أما في الفصل الثالث ،يتحدث عن السجين ،تتبعه زوجته مشيعة إياه في عربة السجناء بنظراتها الحزينة ،فنجد الرافعي :انه هو الذي تجرع كأس الفراق و مرارتها ،فيأخذنا إلى كل المعاني التي تصيب نفوس المحبين حين الفراق :"و انما الحبيب وجود حبيبته لان فيها عواطفه،فعند الفراق تنتزع قطعة من و جودنا فنرجع باكين و نجلس في كل مكان محزونين كأن في القلوب معنى من المناحة على معنى الموت .."

"ترى العمر يتسلسل يوما فيوما و لا نشعر به ،و لكن متى فارقنا من نحبهم نبه القلب فينا بغتة معنى الزمن الراحل ،فكان من الفراق على نفوسنا انفجار كتطاير عدة سنين من الحياة .."

في الفصل الرابع من الكتاب يعرض الرافعي تجارة الحبو المنافق،فيتحدث عن حب آلام لولدها في قصة لوالدة أضل ولداها ثم تهتدي إليهما.أما في فصوله الثلاثة الأخيرة،نجده أنه في محاولة لإقناع نفسه أن الحب ليس هو كل ما في الحياة من لذة و متعة ،و ليس برجولة الرجل أو إنسانيته،فنلمس في هذا الرأي منه تأثره بأصحابه أمثال محمد عبده ،و يذهب بنا الى الشعور بأنه في صراع بين عقله و هواه.

ان السحاب الأحمر من الكتب التي تخلد اسم الرافعي،و يصنع لنا فيه أدبا لا يمكننا إلا أن نجعله بابا من أبواب من تاريخ أدبنا العربي،ففيه أبدع شعرا و حكمة،فأحسن فيه كما كل أديب و شاعر جدير بالإعجاب و الدراسة.

أوراق الورد: فيه يضع الرافعي فلسفته في الحب و الجمال ،فيجمع رسائل يخطها لمحبوبته التي كان يتخيل طيفها و يناجيه ،فيكتب لها مجموعة من الرسائل يجمعها في

كتاب دون أن يرسلها لها،بل يفضل أن تقراها في كتابه هذا،و أوراق الورد ليس كله رسائل الى محبوبته ،فكثير منه تصوير لنفس الرافعي و خواطره في ادب الحب وتصويره البياني،فيبدأ بمقدمة بليغة يعرض فيها تاريخ رسائل الحب في الادب العربي ،حتي أننا نتذكر ما كتبه في كتابه (**تاريخ آداب العرب**)،و من خلال هذه المقدمة يكشف لنا عن نهجه في رسائله تلك،و سبب كتابته لها ،و عن حبه و ألمه و رأيه فيه،ثم تأتنا فصوله متتالية من عاشق مهجور ،الى أمله و مناه،ثم ذكريات،و كل هذا في أسلوب الأديب الذي لا يعرف ب هالا الرافعي.

"أوراق الورد منجم من المعاني الذهبية ،لو عرفه المتأدبون من شبابنا لوضعوا أدييهم على أثمن كنز في العربية ،في معاني الحب و الجمال يكون لهم غذاء و مادة في الشعر و البيان"[1].

-كتاب المساكين :يتحدث فيه الرافعي ن الفقر ،فينطلق فيه من أفق ايماني ليبين كلمة الله في الفقر و الغنى ،فنظرة الرافعي الى الفقر كحالة يجب الصبر عليها و العزاء عنها،أما الغنى قمن أجل اصلاح ما يفهمه منه غير أهله.

في محاولته هذه وجد الرافعي في واقع القرية المصرية خير وجه ليبين لنا و يحلل فكرة الغنى و الفقر،ففي قرية مصرية في ضواحي دسوق، و جد شيخا معدما وحيدا هزيلا مشردا،كان اذا أحس جوعا نزل على أي منزل يصادفه ليقتات و يسد رمقه،و إذا أسدل الليل سواد ثوبه توسد ذراعه و نام أينما أدركه النعاس ،كان الشيخ علي عند الرافعي من هؤلاء البشر الذين كل حاجتهم هي النوم و الأكل ،بعيدين عن كل ما يشغل الناس في الدنيا في الركض خلف كل الطيبات و الأرزاق،كان هذا الرجل الذي أدركته السنين من الكبر حكيم قريته يسأله الناس الحلول لمشاكل يومياتهم،فتكلم الرافعي بلسانه و حكمته فجعله ذلك الحكيم الفيلسوف السعيد،مجنون القرية العاقل.

---

[1]-حياة الرافعي –محمد سعيد العريان-الطبعة ،ص 140 وانظر أيضا :مصطفى صادق الرافعي ، فارس القلم ، تحت راية القرآن ، د.محمد رجب البيومي ، ط1 1417-1997 دار القلم دمشق ، سوريا ، ص 217

و خلافا عن حديث القمر،كتاب المساكين مجموعة من المقالات المتفرقة التي تسرد فكرة الألم النساني و تصوره عند الرافعي ،فمن المرض الى العشق الي الجوع،يجمع الرافعي كل ذلك في مقالات كلها منفصل عن الآخر ،ففي فصله الثالث الموسوم بالفقر و الفقير مقالة ألقاها الرافعي في مجلة الاحسان بطنطا في أبريل من سنة 1913م،و فيها تحدث عن أخطاء الناس وفي فلسفة الاجتماع و عرض بعض الحلول التي نسب إليها القصور عن مواجهة مشكلة الفقر،منتقدا الاشتراكية و مبرزا الحل الإسلامي لهذه المشكلة.و يمكن أن نوجز أهم ما جاء في هذا الكتاب في النقاط التالية :

فصل الفقر و الفقير و هو حوار بين الرافعي و ذلك الشيخ الفقير –علي– فيتحدثان عن الفقر و الطمع،و الحياة و الموت و البخل و النظام الاجتماعي و مسؤولية الفرد و الفضيلة،و فصل آخر عن لؤم المال و وهم التعاسة متناولا فيه المتكبرين و البخلاء و الطامعين ،فيجد الشيخ علي أن المال من آلات القتل و الغني شقاء و فصول :وهم الحياة و السعادة ،و الحرب،و الجمال و الحب[1]

1. مجموعة من القصص الأخلاقية فيها جمل من معاني الوعض و الاعتبار و منها قصة مسكين و مسكينة،يحكي فيها حكاية قصة فتاة فقيرة تنهرها امرأة غنية و حين عودتها الى دارها تجد ابنتها مريضة و يفت الموت بها فتغدو الأم زاهدة بالدنيا ذليلة منكسرة ،و كذا قصة سحق اللؤلؤ مقتبسا إياها من رواية فيكتور و لويز ،و تحكي القصة عن رجل في عقده السابع تزوج من فتاة في العشرين،فكانت تنتظر ساعة موته لكن احتضاره يطول عشر سنوات تذهب فيها نضرة الفتاة و يباع قصر الرجل و مكتبته في نهاية غير واضحة.

[1] -المساكين ، الرافعي ، ص:144-122 -245-232-227-213

2. تأملات و خواطر في الحياة و الموت و معاني الفرح و الحزن و النقص و الكمال و الحرب و البغي و الظلم و الجمال و الحب و الفلسفة و الإصلاح و العلم المفسد و الإيمان و الدين و الإلحاد.

و-أسلوب الرافعي :أحذ الرافعي عن أبيه علما كثيرا في الفقه و الحديث و الأصول و غيرها من العلوم الدينية كما أنه حفظ القرآن الكريم و هو في العاشرة،و انكب على مكتبة والده يعب من نهرها،فحفظ نهج البلاغة و هو دون العشرين،و قد قرأ لقدماء العرب و المسلمين ،و حفظ ما أعجبه ،و أولع بكتاب "المثل السائر"لابن أثير،و درس النحو ،و انصرف الى أمهات الدواوين الأدبية و حفظ الكلمات الكتابية للهمذاني و نجمة الرائد لليازجي ، و من هنا و هناك ترسخ عشقه للجملة القرآنية،و حبه للتألق البلاغي و تغوره في اللغة و أخذه ببغض الآراء النقدية القديمة.

كما أنه لم يكتف بالعربية و آدابها بل و قد قرأ الكتب المنقولة عن الانجليزية و الفرنسية مثل كتاب:"حضارة العرب" لغوستاف لوبون و "تاريخ التمدن"لكينزو ،ففلسفة الرافعي و أسلوبه كان امتزاج هذا كله بين ما هو عربي و غربي.

و لم تكن الكتابة عند الرافعي فكرة أو معنى و عاطفة فحسب،بل كانت فنا و أسلوبا و صناعة ،كان اذا كتب هيأ لفكرته طريقة للبدأ و الختام،و عند أدائه الكتابة كان ما ينفك يسبح في احدى كتب أئمة البيان العربي فيعيش زمنا ما قبل الكتابة في بيئة فصيحة اللسان ،فيقرأ للجاحظ و ابن المقفع أو كتاب الأغاني لأبي الفرج .ويذكر في هذا تلميذه محمد سعيد العريان عن الرافعي و هو يحاوره:

"..نحن يا بني نعيش في جو عامي لا يعرف العربية،ما يتحدث الناس و ما ينشئ كتاب الصحف في ذلك سواء ،و اللسان العربي هنا في هذه الكتب،انها هي البادية لمن يطلب اللغة في هذا للزمان بعد ما فسد لسان الحضر و البادية.."

كان الرافعي في كتابته يعنى بموسيقية عباراته ،فهو يختار جملا لها رنين و موسيقى،و ذوقه متميز في اختيار كلماته ،فالمامه بمتن الغة،و احاطته بأساليب العربية،و معرفته بالفروق اللغوية في مترادف الكلام قد كان له الفضل في أن يصنع لنا هذا النوع من البيان الرفيع،فقد كان قوي العبارة ،غربي الديباجة ،تحس عندما تقرأ له أنك تقرأ لأحد جهابذة القدماء.ان هذا النهج في الكتابة أضاف للعربية شسطا من المعاني لم يسبقه أحد اليها من قبل وثروة جديدة الأدب[1].

و هذا التميز في الأسلوب يمكننا أن نوجز أهم خصائصه في التالي :

1.وضوح المعنى و بساطة في التعبير.

2.لغة متجددة الألفاظ و الأسلوب،و براعة في وضع أسلوب خاص به وحده ،و توسع في مذاهب العربية و مراعاة للأوزان و طبيعة و قواعد اللغة.

3. مراعاة تناسب التراكيب و موسيقاها،و التركيز عليها أكثر من العناية بالألفاظ .

4.تميز في الأسلوب و اختيار للعبارات تصنع للأديب اختصاصا منفردا به وحده.

5.إعادة النظر و التنقيع و الكتابة باجتهاد ظاهر بإنكار لمذهب السهولة و الاسترسال.

6.العناية بالمجاز.

فقد كان في كتاباته متوسع في بناء الجملة "و لو أراد أحد ان يتتبع ما أجد الرافعي على العربية من أساليب القول لأخرج قاموسا من التعبير الجميل يعجز عن يجد مثله لكاتب من كتاب العربية "[2].

---

[1] – أنظر : حياة الرافعي ، محمد سعيد العريان ،ص 64 و مصطفى صادق الرافعي ، الجوزو ،ص195 وأيضا نثر مصطفى صادق الرافعي ، ضيف الله م/ح/م ، ص 311 وما بعدها ، وأيضا دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، محمد عبد المنعم خفاجي ،ص266

[2]–حياة الرافعي–محمد سعيد العريان ،ص 226

فللرافعي تراكيب كثيرة يرفضها الأصل النحوي ،فمنها ما يمكن تخريجه بتأويل و غيره،و منها ما لا يكاد يستطيع أحد اخراجه من دائرة الخطأ،و هذه ليست الا جرأة و توسع منه.

كان الرافعي دولة في البيان لا يوجد لأسلوبه نظير عند البلغاء و المحدثين،فمن الشاق الممتنع أن يحلل أحد أسلوبه و بيانه،فالمعنى و الصورة و التركيب تشترك اشتراكا متداخلا في أسلوبه،فلا تعرف الفصل التحليلي بين عنصر و عنصر ،فقد كان من طبيعة الرافعي تصور الصورة قبل أن يحدد المعنى،فأفكاره صور تتناسق،و لهذه الصور معاني راقية تدهش كل من يقرأ،فهي تحس الأنفاس،ففي نثره تجده شاعرا وفي الشعر تجاوز كل صور البيان و عندما تقرأ لا يمكنك الا أن تتوقف مندهشا ،إذ أنك تلمس جهدا بالغا في الكتابة و في هذا يقول طه حسين في نقده لرسائل الأحزان :"ان كل جملة من جمل الكتاب تبعث في نفسك شعورا قويا أن الكاتب يلدها ولادة ،و هو في هذه الولادة يقاسي ما تقاسيه الام من آلام الوضع.."

و قد خفف الرافعي من أسلوبه البياني ،و نزل الى تبسيطه بعض الشيء حين لاج العمل الصحفي الأدبي،و لكنه لم يترك جمال الصياغة،و روعة التحليق الفكري،و محاولا أن يقرب المعنى و الفكرة الى قرائه في :الرسالة ،كوكب الشرق..الخ.

المبحث الثاني :

الإعجاز القرآني عند مصطفى صادق الرافعي

تحدى القرآن أهل البيان في عبارات فارغة محرجة ، و لهجة واجزة مرغمة ، أن يأتوا بمثله أو سورة منه ، فما فعلوا ، و لو قدروا ، ما تأخروا بشدة حرصهم على تكذيبه و معارضة بكل ما سلكت أيمانهم ... و لكن أقواما أنكروا هذه البداهة و حاولوا سترها ، فجاء كتابكم " إعجاز القرآن " مصدقا لآياتها ، مكن بإنكارهم ، و أيد بلاغة القرآن و إعجازهم بأدلة مشتقة من أسرارها ، في بيان مستمد من روحها ، كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم [1]

هكذا أقف عند كلمة تنزيل من التنزيل متأملة هداها و مقاصدها ، و أقف أمام هذا المؤلف الذي رصف فيه الرافعي زبدة جهوده ، و صب فيه روح ثقافته و علمه يلتمس في دروب ظلماء أوقعت أسرها أياد أرادت لحضارة أربعة عشر قرنا من البناء ، الانصهار و الذوبان لم يكن غريبا من الرافعي التصدي لهذا المجال العميق و الدقيق ، من مجالات الدراسات الأدبية و النقدية التي دارت حول البيان القرآني المعجز ، هو الذي أمضى حياة حاطلة حمل فيها لواء الذود عن حمى أصالة اللغة العربية و أسسها .

1-تاريخ آداب العرب: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية

أ-دوافع تأليف الكتاب :

أشرت سابقا إلى أن الرافعي حمل لواء الذود عن حمى االلغة العربية وعن أصالتها في وقت تكالبت على الأمة الخطوب من كل حدب وصوب؛ فإرهاصات الاستعمار من

[1] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ، ص8

جهو ومن جهة أخرى تيارات فكرية خطرة أرادت مس معالم الحضارة الاسلامية ، يقول الرافعي :

"و إن فينا فريق في الطاعة فريق المعصية، أن كتاب إعجاز القرآن و البلاغة النبوية(الجزء الثاني من موسوعته الأدبية) تاريخ آداب العرب التي حاول جهده أن يحارب امدادات التشويه التي أرادها دعاة التجديد باللغة العربية"[1]

يقول مصطفى الشكعة معلقا على كتابه هذا: 'أن الرافعي بسبب تمسكه بهدفة الذي ألزم به نفسه كان سببا في انصراف المؤلف عن المنهج التقليدي الذي وضعه المستشرقون لدراسة الأدب العربي و ضع منهجا ابتكره بنفسه ،"رآه أليَق " بدراسة الأدب العربي، أما منهجه فيتمثل في رحلة دينية علمية ثقافية طويلة تتناول تاريخ القرآن نزولا و جمعا و تدوينا و ترتيبا في بسطة من القول المعتمد على الحقائق التاريخية[2].

يعتبر كاتبنا أول من خص الإعجاز القرآني بكتاب مستقل في العصر الحديث بعد السيوطي فلم يشغل الفراغ في هذا المجال بالذات غيره ،و هو عند الذين دافعوا عن وعند أشد النقاد من المعاصرين القلائل الذين فهموا الإسلام فهما صحيحا و غاصوا في أعماق الشريعة الإسلامية.[3]و ذكر كتابه تحت راية القرآن " رأى المجمع العلمي أن الكلمة وحدها نكبة على اللغة كأنها جندي دولة أجنبية في أرض دولة مستقلة بشارته و سلاحه و علمه يعلن عن قهر أو غلبة أو استعباد".

و يرمي هؤلاء بالضعف مما حذا بهم السعي إلى تغريب اللغة:" لا أعرف من السبب في ضعف الأساليب الكتابية،و النزول باللغة دون منزلتها إلا واحدا من ثلاثة ،فإما مستعمرون يهدمون الأمة في لغتها آدابها لتتحول عن أساس تاريخها الذي هي أمة

---

[1] – مصطفى صادق الرافعي كاتبا عريا ومفكرا اسلاميا ، مصطفى الشكعة ، ص **56**

[2] –المرجع نفسه ، ص 60

[3] – تحت راية القرآن(المعركة بين القديم و الجديد)،تحقيق(محمد سعيد العريان)ط7(1394هـ-1974م)، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان-ص 25

به ، و لن تكون أمة إلا به، و أما النشأة في الأدب على مثل نهج الترجمة في الحملة الإنجيلية و الانطباع عليها و تعويج اللسان بها و إما الجهل من حيث الجهل أو من حيث الضعف".[1]

و يضيف: "و القرآن الكريم ليس كتابا يجمع بين دفتيه ما يجمعه كتاب أو كتيب فحسب، إذ لو كان هذا أكبر أمره لتحللت عقده و إن كانت وثيقة و لأتى عليه الزمان ،أو بالحري لنفس من أمره شيء كثير من الأمم، و لاستبان فيه مصاغ للتحريف و التبديل من غال أو مبطل و لكانت عربيته الصريحة الخالصة عند اللعوام و المستجمعين في إحالته إلى أوضاعهم إذ ثابت لهم قدرة على ذلك...إن القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية"[2]

يقول سعيد العريان:" اختيار الموضوع ،كان أول عمل يحتفل له الرافعي و إذا كان لم يعمل في الصحافة قبل اشتغاله بالرسالة، فإنه لم يتعود من قبل أن يفتش عن الموضوع إذ لم يكن يحاول الكتابة إلا أن يدفعه إلى الكتابة دافع"[3].

لم يخطئ إذا المعجم الغربي حيث عرف الأسلوب بأنه الفن و إن يكن لفظة فن تعني اليوم غير ما كانوا يعنون بها قديما ،فالواقع أن الأسلوب هو الفن بعينه ،أليس الأسلوب طريقة التعبير عن التفكير باختيار الألفاظ و رصفها في عبارات جميلة؟[4]

كذلك نجد الرافعي في هذا الكتاب يتكئ في ثقافته و أسلوبه على التراث العربي الإسلامي ،فلا غرو إذا وجدناه متأثرا بما حفظه من تراث العرب ،و بيان فصحائهم و ذكرت في المبحث الأول حفظه لنهج البلاغة و فصول من المخصص.

---

[1]– تحت راية القرآن ، الرافعي ، ص 36

[2] – المصدر نفسه ،ص 50

[3] – حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص 220

[4] – في الأسلوب الأدبي ، د علي بوسالم ، الطبعة الأخيرة – 2000م – دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر ،ص 75

وكثرة قراءاته في كتب الجاحظ و ابن المقفع أبي الفرج الأصفهاني ناهيك عن حفظه القرآن و اطلاعه على علومه في كتب التراث ،فهو يعتني بالتراكيب أكثر من عنايته بالألفاظ ،ينتهج في ذلك منهج القدماء و يتراوح أسلوبه بين السهولة و العمق، و الشدة و القوة ؛و سلاسة المعنى و دقة الصور التي يستحضرها و أسوق ذلك نماذج عل القارئ يتفق معي في أنّ الكاتب يملك من البلاغة التي تستوقفك أمام الجملة عاجزا دهشا تريد منها ان تطبع في حافظتك ولكن هيهات "..إنه لابد لمن ينظر في كتابنا من إطالة الفكر و التأمل فأن ذلك يحدث له روية ،و تنشئ له الروية أسبابا إلى الخواطر ، وتفتح عليه الخواطر أبوابا من النظر ، ويهديه النظر إلى الإستنباط و الإستخراج "[1]

ثم أنظر ألى تعريفه للقرآن : "آيات منزلة من حول العرش ، فالأرض بها سماء هي منها كواكب ، بل الجند الالهي قد نشر له من الفضيلة علم وانضوت له من الأرواح مواكب ، أغلقت دونه القلوب فاقتحم أقفالها ،وامتنعت عليه " أعراف "الضمائر فابتز أنفالها، فكم صدوا عن سبيله صدا ، ومن ذا يدافع السيل اذا هدر ،واعترضوه بالألسنة ردا ..."[2]

ثم يصف ألفاظه :" ألفاظ اذا اشتدّت فأمواج البحار الزاخرة ،وإذا لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها ، وتصف الآخرة فمنها جنّتها وصدامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب وان أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب "[3]

أنظر إلى هذا الوصف: " أمواج البحار الزاخرة قال بحار بالجمع لا بالأفراد زيادة في بلاغة التشبيه و قيد التشبيه بشرط" اشتدت" يعود على ألفاظ القرآن و قوله أنفاس الحياة الزاخرة، إذ اشتمل كتاب الله على تفاصيل الحياة و ما فيها من معاش العباد

---

[1] – إعجاز القران والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ، ص27

[2] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص 29

[3]– المصدر نفسه ، ص30

و معادهم، فوصفها وصفا يجعل القلوب ترعد له، و الأرواح لذكرها ترتجف فيتراوح تأثيره على النفس بين خوف و طمع و طمأنينة و هلع، يقول مترجمه[1]:" لقد من يومئذ أن عليه رسالة أن يؤديها"، و يقول أيضا :" أصدر الرافعي الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب، عن إعجاز القرآن فيعجز و يتحدث عن الإسلام حديث المؤمن إلى المؤمن ، حديث قلب إلى قلب ليس بينهما حجاب فكل ما ينطق يبين..... و وجد الرافعي كأنما اكتشف نفسه"[2].

و يضيف :" و عاد الرافعي يقرأ من جديد، ينظر فيما الكتاب و أنشأ المنشئون في مختلف عصور العربية، يبحث عن التعبير الجميل و العبارة المنتقاة و اللفظ و الكلمة النادرة، فيضيفها إلى قاموسه المحيط بو معجمه الوافي لتكون له هونا على ما ينشئ من الأدب الجديد الذي يريد أن يحتذيه أدباء العربية".

إذا تلك هي مميزات أسلوب الرافعي في كتابه إعجاز القرآن: جمال التعبير، انتقاء العبارة ، جزالة الألفاظ و ندرة الكلمات المتقاة من رصيده الأدبي التراثي.و كان الأخير مدعاة لتعرضه للنقد من قبل أدباء عصره كطه حسين و العقاد ،سلامة موسى وحتى أدباء جاؤوا بعده و باحثين أخذوا عليه صعوبة الألفاظ في التأليف[3].

ب–تاريخ آداب العرب في ميزان النقاد:

أشاد النقاد و الأدباء بأهمية هذا الباب من أبواب التاريخ ،أو كما أطلق عليه الرافعي لاحقا كتاب "إعجاز القرآن و البلاغة النبوية".و قد رأيت سيدي القارئ سابقا الكلمة التي تصدّرت كتابه، "تنزيل من التنزيل" للعلم المصري "سعد زغلول" وظل الرافعي

---

[1]– واقصد هنا **محمد سعيد العريان** (1905 -1964)أحد كبار كتاب مصر، تخرج من دار العلوم سنة 1930وكان أول دفعته صاحب الرافعي ورافقه

[2] – حياة الرافعي ، محمد سعيد العريان ، ص 69 و71

[3] – نفس المصدر السابق ،ص 73

يرددها في كل مناسبة فخرا واعتزازا ، و اعتدها نصرا عزيزا له و لكتابه[1]. بعد غضبته الشديدة من هجوم العقاد غير المتوقع وتجاهل طه حسين واعتدها حجة أنصفت مصنَّفه الذي بذل فيه من الجهد ما ظهر في طيات بلاغته ورصانة عباراته كأنه افرغ فيه ذؤابة روحه :" أما تقريض سعد ،فهو غاية من غايات و قد قيل لي أنه لم يكتب خيرا من هذا و لعل الله ينفعنا به ، و لم أقابله ، و لكنني أرسلت إليه الكتاب في البريد ،و هو رجل بليغ ذكي همته القراءة و المطالعة ،فسرني أن يكون ذلك تأثير الكتاب ،إذ ليس ما يضطره إلى هذا التقريض إلا إعجابه بالكتاب و يقول الرافعي: "و سنرسل له الكتاب الآخر"[2].

[1] – نثر مصطفى صادق الرافعي. ضيف الله محمد – دار مكتبة الشركة الجزائرية، بدون سنة الطبع. . ص71

[2] – رسائل الرافعي، ص 127

إلا أن مع هذا التقريظ الجميل من أدباء لهم وزنهم في الساحة الأدبية ، إلا أنه لم ينل رضى خصومه المزمنين كالعقاد و طه حسين ،سلامة موسى ،فقد أجمع ثلاثتهم على قوة بيان الكاتب و جمال أسلوبه ،و لكن هذا لا يعني أن المؤلف جاء بجديد في مجاله أو أحدث فرقا عما كتبه السلف فهو لا يعدو في نظرهم أن يكون "نقل عبارات البدو"[1] و هذا كلام نقله عن البلاغ الأسبوعي مقال كتبه العقاد.

و قال عنه محمد بهجت الأثري واصفا أدب الرافعي :" فكانت له خاصية العلم وخاصية القوة و التأثير بفضل قوة الطبع و سداد الفكر و سطوة الروح ،و كل هذا يدين لفضل أدوات الأديب الكاملة التي اجتمعت له على النحو ما اجتمعت لقرائح المطبوعين من عظماء الأدباء العربية كالجاحظ و التوحيدي و أبي نواس و البحتري، بل إن مؤرخا كبيرات في الأدب العربي مثل طه حسين على ما بينه و بين الرافعي من عداوة و شحناء ،يعترف بأنه استفاد شيئا جديدا من كتاب الرافعي في موضوعات كثيرة منه"[2].

يقول مصطفى الشعكة :"و الحق أن كتاب الرافعي في تاريخ آداب العرب لا يزال عملا علميا جليلا قليل النظر"[3].

هدف الرافعي من كتابه ديني إسلامي ،إذ كان الرافعي في أعيانه صادقا مع ربه ،صادقا مع نفسه ، صادقا مع مجتمعه و كان هذا الأعيان قوة دافعة له في الذود عن حياض كتاب الله و التعلق الشديد بكلام رسول الإسلام حبا و دراسة.و مع ذلك فقد واجه الرافعي انتقادات كثيرة كما أسلفت سابقا ،تتعلق كلها بأسلوبه و منهج طرحه و أخذه للمواضيع.

ا –**العقاد** :فنجد مثلا خصومته مع الأديب و العلامة و صاحب العبقريات العقاد ،فقد قامت بينه و بين الرافعي خصومة أدبية عنيفة كتابه السفود كان ثمرتها، و

---

[1] – نثر مصطفى صادق الرافعي. ضيف الله محمد .ص74

[2] – الإمام مصطفى صادق الرافعي ،مصطفة نعمان حسين البدري ،ص06

[3]–مصطفى صادق الرافعي، كاتبا عربيا و مفكرا إسلاميا، مصطفى الشكعة / ص54 وص 57

يروي ذلك محمد سعيد العريان: "حدثني الرافعي فقال: سعيت لدار المقتطف لأمر فوافقت العقاد هناك ،و لكنه لقيني بوجه غير الذي كان يلقاني به فاعتذرت من ذلك إلى نفسي بما ألهمتني نفسي ،و جلسنا نتحدث و سألته الرأي في إعجاز القرآن فكأنما ألقيت حجرا في ماء أمين... فمضى يتحدث في حماسة و غضب و إنفعال، كأن ثأرا بينه و بين إعجاز القرآن ،و لو كان طعنه و تجريحه في الكتاب نفسه لهان علي ،و لكن حديثه عن الكتاب جرّه إلى حديث آخر عن القرآن نفسه و عن إعجازه و إتيانه بهذا الإعجاز... أصدقك القول يا بني :لقد ثارت نفسي ساعتئذ ثورة عنيفة..."[1].

إذا مازلنا نرى في مقاصد و غايات الرافعي تلك الحمية الدينية التي أنيطت بها أسباب و دوافع تأليفه الكتاب، و يحدثنا مترجمه معقبا على الحادثة و على أسباب التي أدت بالرافعي إلى تأليفه كتاب "السفود"،

قائلا: " فكانت غضبة الرافعي الأولى لكرامة القرآن و العقاد ينكر إعجازه. ولكتابه؛ و العقاد يجحد فضله ثم كانت الغضبة الثانية للتهمة التي رماه بها العقاد بسبب اتهامه بالتزوير"[2].

فالرافعي و العقاد أديبان قد أحكما أصول صناعتيهما ،كل في ناحيته و غرضه ،و أفنيا الليالي و الأيام و السنين في ممارسة ما هو فيه و إليه و كلاهما يعلم عن صاحبه مثل ما يعلم عنه.

ب– "هيكل : أطلق احمد حسين هيكل عن طريقة الرافعي في حديثه عن تميز الأساليب الفنية للمقالة: طريقة "البيان المقطر" وما هذه التسمية في رأيه الابلورة لميله واهتمامه بجمال الصياغة وروعة الديباجة " إذ تميز بيانه في رأي الناقد نتيجة تركيب وجهد إذ يعمد صاحبه الى اعتصار المعاني وتوليد الأفكار و مزج الخواطر من خلال

---

[1] – حياة الرافعي، ص 185

[2] – جمهرة مقالات الأستاذ حمود محمود شاكر (جمع د. عادل سليمان جمال، ج1.ط1/2003) مكتبة الخانعي ،ص 10 وانظر أيضا حياة الرافعي ، نفس المصدر السابق ص 190

مجازات مركبة واستعارات بعيدة وكنايات خفيفة فيأتي بيان آخر الامر اسمية بعملية تقطير الالوان من الزهور المعروفة و الورود المألوفة لاستخلاص عطر مركب مركن غريب فيه جمال و ليس فيه جلاء و فيه فن ولكنه فن المهارة التي تسيطر على الفطرة[1] .

ومما يكمل طريقة الرافعي بعد ذلك كله أنه أميل إلى استخدام بعض البديع و لكن في اقتصاد و فنية وبعض هذا البديع يأتي بخدمة الجانب البياني المتصل بروعة الصياغة , كالسجع و الجناس وبعضه ياتي بخدمة الجانب المعنوي الجانح الى توليد الأفكار كالمقابلة و التورية .ولست ادري هل هذا ذم أم مدح للرافعي أو هو مدح و ذم في آن واحد نفي حاضرنا قلّما نجد أديبا أو كاتبا مع (شيوع الرداءة) أقول كاتب يقول عنه ناقد كهيكل الأديب يعيد في بيانه الاسلوب التقطير او اعتصار المعاني وليس ذلك نتيجة سرقة ادبية او اقتباس بل هو حاصل رصيد ثقافي واسع وعميق و موهبة أدبية لاتقارع إلا بمن هو اهل للمقارعة و المعارضة .

ج – الزيـات : وعنه قال الزيات في رسالة أسلوب الرافعي سيان السلامة و السلاسة و الإيجاز العميق , وهذه المزايا نتايج حمية لاكتمال عدته و غزارة مادته وصفاء ذوقه وذكاء فهمه و الاشد ما يروعك منه قوة الفن وحركة الذهن فأما قوة الفن فهي الاستاذية التي تخلق المادة و تصنع القالب و تصنع اللفظ وتحدد الرسوم و توضح الفروق وتتصرف بمفردات اللغة تصور المصور البالغ بألوان الطيف وتخيل إليك أن الصناعة طابع و أن المعاناة سليقة يضيف الزيات : ولقد بلغ علم الرافعي بالعربية وادابها حد الاجتهاد و الرأي "[2]

---

[1] – تطور الادب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر الى قيام الحرب الكبرى الثانية احمد هيكل (استاذ الادب بكلية دار العلوم) جامعة القاهرة ط (1971م) دار المعارف ص 387 – ص391

[2] – وحي الرسالة لا فصول في الادب و النقد و السياسة و الاجتماع , احمد حسن الزيات ط 7 (1381 هـ, 1962هـ) مكتبة نهضة مصر بالعجالة , ص 441.

3-منهج الرافعي في كتابه اعجاز القرآن :

لم يكن " اعجاز القرآن و البلاغة النبوية " هو كل ما كتب الرافعي في مجال الدراسات القرآنية و الأدبية و النقدية حول الإعجاز فقد اخذ منه أسرار الإعجاز " من الجهد و المشقة مأخذا، جمع فيه بين النظرية و التطبيق إلا ان هذا الكتاب يذكرنا بمؤلف الجاحظ الذي لم يرى النور و لم بعرف طريقه الى القراء –مطبوعا- لان المنايا تصب من تشاء عندما يشاء الواحد المنان.

هدا السِّفر الذي أراده المؤلف مكمِّلا للطّريق الذي بدأه في تاريخ آداب العرب كجزء تطبيقي لنظرية إعجاز القرآن. وهو الآخر لم يخرج عن كونه مجموعة من المقالات كان بصدد نشرها كسائر كتبه السابقة نشرت منه بعض المقتطفات هنا وهناك بعضها في كتابه وحي القلم والبعض في مجلة الرسالة [1]

أشار الرافعي في مقدمته إلى المنهج الذي اتبعه في كتابه ، فلم يشأ اطلاق القول في الاعجاز ابتداء : "وبعد فإننا سنقول في القرآن الكريم ما يتعلق بلغته ويتصل ببلاغته ، ويكشف أوجه الإعجاز في ذلك فإن من القرآن ما يهدي للتي هي أقوم وأن القول فيه ما برح كثير المذاهب متعدد الجهات متصل الحدود يفضي بعضها الى بعض إذ هو كتاب السّماء إلى الأرض مستقرّا ومستودعا...[2]

قدم الرافعي لكتابه ؛ منتهجا أساليب القدماء في مصنفات علوم القرآن على التمهيد لقضية اعجاز القرآن بالتأريخ لعلومه المختلفة وفق تسلسل علمي سليم ،ولكنه ليس بالجديد انما هو حاصل لمقروئيات الكاتب حول هذا الفن من امهات الكتب فتطالعنا ثقافته وقدرته على تحكمه بالمادة التراثية من حيث اللغة ومن حيث الترتيب

---

[1] – رسائل الرافعي التي بعث بها نابغة الادب وحجة العرب مصطفى صادق الرافعي الى صديقه محمود ابورية 1934-1912ط2 دار المعرف ص 132 ونظر ايضا مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية العربية المطلة على السريالية مصطفى الجوزو ص 105

[2] – إعجاز القران الكريم والبلاغة النبوية ص20

الكتاب في فصوله الأولى يشبه تماما كتب علوم القرآن الجامعة لتاريخ القرآن وترتيب نزوله وجمعه وقراءاته ليكون التفصيل في ذلك بمثابة المقدمة لمعرفة وجوه الإعجاز وأسسه التي مدارها النظم والتركيب والإيقاع الصوتي الذي سيأتي بيانه في المباحث القادمة وكذا الدراسة المتصلة بالأوضاع التركيبية وغرابتها

وفي نظره : أنّ الإعجاز يمثل قيمة دينية على مستوى الرسالة وقيمة لغوية جمالية على مستوى الشكل [1]وقدر كل مشكل خاص على اسلوب وتركيب النص القرآني وقد تعرض إلى مجمل الافكار والآراء التي سبقته وتناولت ذلك الموضوع إمّا ناقدا أو معارضا

.

كل ذلك مردّه إلى البيئة الفقهية التي نشأ فيها ورث عنها تلك العصبية البيئية التي بلغت فيه أمدا بعيدا وبالكشف عن أصول العصبية الدينية في نشأة الرافعي انما نكشف الستار من بعض أصول النزعة الأدبية وخاصة النزعة إلى البيان والصلة بين اللغة والدين أمر مفروغ منه وظاهرة كان لها أثرها في الصراع الأزلي بين المحافظة والتجديد ولكنها تأخذ طابعا ومنحنى آخر عندما تتعلق ببيئة كالبيئة الفقهية[2]

وتكاد تجد الاتفاق قد انعقد والإجماع قد قضى بأنّ ما يؤخذ على الرافعي تعقيد اسلوبه حتى عند المدافعين عنه من الكتاب والأدباء فتجدهم إما يشيرون إلى ذلك الماحا وإما يصرّحون به تصريحا وعند خصومه يلقون به القاء شديدا عصيا على شخصية مثل شخصية الإمام وعقل مثل عقله تقبله أو تحمله دون أن يكون له رد أقوى وأشد فتجد مثلا عبد العزيز المقالح يشير الى ذلك في كتابه : "كان الرافعي أصعب كتّاب المجلة وكانت مقالاته غامضة يركّب معانيها تركيبا شعريا معقّدا بعض الشيء ويصوغ كلماتها في

---

[1] – د.عزالدين بوبيش– حقيقة الاعجاز القراني عند الرافعي عنى مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية دورية اكادمية متخصصة محكمة العدد السادس صفر 1420هـ –جوان 1995م ،ص74

[2] – تطور النقد والتفكير الادبي الحديث في الربع الاول من الفرن العشرين ،د، حلمي مرزوق ظ (1983)دار النهضة العربية ،(بيروت لبنان)،ص 371 وانظر ايضا :تطور الادب الحديث في مصر من اوائل القرن التاسع عشر الى قيام الحرب الكبرى الثانية احمد هيكل ،ط 2 (1971) دار المعارف ص 53

إيقاع موسيقي ينسجم مع حالته النفسية ثم يستطرد "وبالرغم من ذلك الغموض والتعقيد فقد كان أقرب إلى وجدان القارئ منه إلى عقله واستأثرت مقالاته المتنوعة بإعجاب يمتزج بقدر من الحيرة "[1] ذلك هو سرّ اللغة في ألفاظها أو بمعنى آخر ذلك هو آلة الأديب وأداته في التعبير لا يغفل عنه ويقع أدبه حيث يريد فاللفظة في يده كمادة التمثال في يد المثّال أو الألوان في ريشة الفنان لابد لكليهما من الوقوف على طبيعتها وخصائصها حتى يسمو بفنه الى مراتب الجودة والإتقان وهو أمر طبيعي لتراه في أبجديات الثقافة الفنية بين نقاد المعاصرين "[2] وقد قال عنه مصطفى كامل "هو الحكمة العالية مسوغة في أجمل قالب من البيان ، ولكي تكون حجته دامغة أعطى الأدلة التي قدّمها نوعا من الصلابة العلمية فقد قارن استعمال نفس الكلمات في النص القرآني والنصوص الأدبية لينتهي في الأخير إلى الأسس التي بنى عليها نظريته التي مدارها اللفظ ومناطها النظم بالدرجة الأولى .

أما كمال يوسف الحاج في رسالته التي قدمها للدائرة العربية في الجامعة الأمريكية "وكأني به من جهة ثانية يكتب هذا الكتاب ليدافع عن عقيدته وينفي ماجاء يه بعض الكتب من أنّنا في عصر عقلي يجب علينا فيه أن تخضع كل شيء إلى المحك المنطقي والرافعي المسلم المسلمين في سبيل عقيدته الاسلامية ليأتي مثل هذه التعاليم "[3]

إنّ كتاب إعجاز القرآن دنيا واسعة من الفكر الجاد والعمل البنّاء قد يكون من الصعب تقديمه وعرضه في قالب يتناسب وجلالة مكانته إلاّ أنّ لبعض العلماء والأدباء مآخذ عدة على مؤلّفه من حيث منهجه . ولأسلوبه في معالجته لقضية النظم والتركيب وعرض فكرة الإعجاز على النحو الذي نحاه .

---

[1] – النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث ،د،غالي شكري ، ط1 (1978) دار الطبيعة الطباعة والنشر ص 63

[2] – دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ،د، عبد المنعم خفاجي ط1 ج1 (دار الجيل) ، ص364

[3] – مصطفى صادق الرافعي وأدبه كمال يوسف الحاج(عن رسالة مطبوعة على الآلة الراقية ،قدمت لنيل شهادة استاذ الدائرة العربية للعلوم سنة 1954، ص31

د.نعيم الحمصي مثلا في تقديمه لبحث الرافعي باعتباره من علماء الربع الأول من القرن العشرين الأوائل الذين ألّفوا بشكل مستقل كتابا عن إعجاز القرآن إلاّ أنّه في رأيه يعالج الموضوع معالجة فكرية ، يروح المسلم المتحمس للدفاع عن قضيته ومناوءته لخصومه ، وسعيا منه لتحقيق هدف كان يراوده منذ تأليف الكتاب ودور على مكانة المؤلف وإبداعه ،إلا أنه يعيد عن الروح العلمية الصحيحة .[1]

أما الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة في معرض حديثه عن محاولات التجديد في البحث البلاغي فيجد ان العصر الحديث قد خصت بجهود قيمة تسحق الوقوف عندها ودراستها[2] .

لكن المطعني في –خصائص التعبير الفني في القرآن الكريم – أن ما يؤخذ على منهج الرافعي أسلوب التعميم ، وبعده عن الترتيب العلمي المنهجي ،ولم يذكر أمثلة تدعم فكرته فالمطعني يذهب الى ما ذهب اليه كل من نعيم الحمصي و عبد الكريم الخطيب في موقفهما من منهج الرافعي.

إلا أن للرافعي عدة تطبيقات تجدها في ما اتفق من مؤلفاته كوحي القلم و رسائله التي بعث بها الى صديقه ابي رية [3]، ويمكننا اعتبار أن هذا الجزء من إعجاز القرآن جزء نظري ، إذ كنا جميعا ننتظر أن يولد كتابه الموعود أسرار القرآن .

---

[1]– فكرة إعجاز القرآن، د.نعيم الحمصي ، ص335 وما بعدها .

[2]– خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية، د.عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني– رسالة دكتوراه،ط1 1413-1992،ج1 مكتبة وهبة ص161 و ما بعدها

[3] – أنظر من رسائل الرافعي ، محمود أبو رية ،ص301 الرسالة رقم 225 في رده على حسن القاياني فيما قاله من أن كلمة "القتل أنفى للقتل" أبلغ من قوله تعالى : "ولكم في القصاص حياة " ورسالة ال45 و104 ص155

المبحث الثالث:

مفهوم القرآن وعلومه عند الرافعي :

1)-القرآن :

عرفه العلماء كاللحياني: هو مصدر كالغفران سمي به المقروء نسميه للمفعول بالمصدر، قال تعالى في شأن القرآن الكريم: " إنا علينا جمعه و قرآنه فإدا قرأناه فاتبع قرآنه" أي قراءته و لكنه في هذا التعريف يجمع صفات القرآن و خصائصه بلغة محكمة بليغة قلما نجدها عتد غيره.

في مستهل الكتاب و بعد مقدمات و كلام قيل في قيمة المؤلف وجدت الرافعي يضع منهجا للكتابة أشبه بكتب علوم القرآن فينطلق من التعليم الى التخصيص فلا يمكنك ان تلج البيوت إلا من ابوابها و لا يمكنك ان تخصص إلا بعد تعميم و تحديد للمفاهيم لتحسُن بذلك انطلاقتك في البحث العلمي او الكتابة الادبية .

يعرّف الكاتب القرآن تعريفا لا يرصف حروفه إلا الرافعي تأتي وكأني بها لآلئ انتظمت حروفها بعطر لمساته وكأنها نفس حية تعود لنا بشخصه حاضرا:

" آيات منزلة من حول العرش فالأرض بها سماء هي منها كواكب، بل الجند الإلهي قد نشر له من الفضيلة علم و انضوت إليه من الأرواح مراكب أغلقت دونه القلوب فاقتحم أقفالها، و امتنعت عليه أعراف الضمائر ثم يضيف : " ألفاظ اذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة واذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها وتصف الآخرة فمنها حبتها وصرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور

تضحك في وجوه الغيوب ، وان أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب ".

فهو من يجمع في القرآن أسس الفضيلة و التقديس قوله: آيات منزلة من حول العرش فالأرض بها سماء **هي منها كواكب"**[1] فإن لآياته تأثير على المقبل عليها و المعرض عنها، فمهما حاول الناس قديما و حديثا الصد عنه و معارضته ما أمكنهم دلك[2]، قال تعالى: قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨ [3]

تلقت العرب القرآن تلق متفاوت ،و لكن الأشد وقعا تلك الاتهامات و الشبه التي ألقيت على النبي على النبي صلى الله عليه و سلم و ما وسم به، يقول في دلك الرافعي: السحر ما توهموه ، فلما نزل كتابه قالوا: هدا هو السحر المبين و يفسر قوله تعالى:" أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥ [4]

، و من الشعر ما تسمعونه أم أنتم لا تسمعون؟ بلى إنه لسحر يغلب حتى يفرق بين المرء و عاداته، و ينفد حتى يتصرف بين القلب و إرادته و يجري في الخواطر كما تصعد في الشجر قطرات الماء فيصل بالروح فإنما يمد لها سبب إلى السماء".[5]

و بعد فراغه من تعريف القرآن، انتقل إلى تاريخ القرآن و جمعه و تدوينه ،فبين خصائصه و ميزاته ، فكيف أنزل منجما و أسباب دلك و يرى الرافعي نقلا عن أهل الحديث أن التنجيم كان سببا و وجها من وجوه تحدي القرآن للعرب،و حجة عليهم ثم عرف القراءة و طرق الأداء .

---

[1] –اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص 23

[2] – القرآن و ونصوصه عدنان زرزور (1979–1393)، مطبعة خالد بن ألوليد ص37

[3] – الاسراء 88

[4] – سورة الطور، الآية 15

[5]– انظر اعجا القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص24

وذكر في هذا البحث تفصيلا مهما وجه من وجوه الإعجاز المتعلق بطرق الأداء اللغوي و النظم القرآني و ستكون التطبيقات التي ذكرها بتفصيل أكثر في الفصل الثاني من هذه الدراسة حتى لا أقع في التكرار ،و مما تبدو و غزارة المعلومات و دقة استغلالها و قدرة الكاتب على ترتيبها و تنظيمها و لكن يؤخد بعين الإعتبار عزو الكلام إلى مصادره ممن أخد عنهم في هدا الفصل[1] و تخريج النصوص التي يستشهد بها، و لايخل هدا العرض التاريخي منن تعقيبات للكاتب يشير فيها إلى عظمة القرآن و ينبه إلى وجوه إعجازه كما جاء في قوله:" و من أعجب ما رأيناه في إعجاز القرآن و إحكام نظمه، أنك تحسب ألفاظه هي التي تنقاد إلى معانيه"[2]

ثم يضيف :أنك تتعرف إلى ذلك و تدركه بعد تمعن و تدبر فتنهي إلى نتيجة أن معاني القرآن منقادة لألفاظه، ثم تعود فتحسب العكس و تتعرفه متثبتا فتصير منه إلى عكس ما حسبت و ما إن تزال مترددا على منازعة الجهتين كلتيهما حتى ترده إلى الله".

فهذا يدل على تميز القرآن بمنهج فريد في ألفاظه و معانيه، في فواصله و رءوس آياته و مثل هذا كثير كالسجع الذي تتركه الفواصل للقرآن ،و إن كان هذا لا يطلق على القرآن الكريم كوصف سموا به عن كلام الأدباء كما جاء في الإعجاز عند الباقلاني.

ا–اختلاف القراءات والاعجاز : أما عن الاختلاف في القراءات فمرده إلى اختلاف لهجاتهم ،و إذا كان العرب تتفاوت لهجاتهم ف بالمعنى الواحد بوجه من وجوه التفاوت ،فالقرآن الذي أوحى الله به لرسوله محمد صلى الله عليه و سلم يكمل له معنى الإعجاز إذا كان مستعجما لحروفه و أوجه قراءته للخالص منها ،و ذلك ما ييسر عليهم

[1] – المصدر نفسه ، ص36

[2] – هذا ما جاء في رسالة الخطابي، في حديثه عن الإعجاز باللفظ و المعنى و كذلك الباقلاني و إليه ذهب كثير من القائلين بالإعجاز ، أنظر: فكرة إعجاز القرآن نعيم الحمصي بتصرف.

الحفظ، القراءة و الفهم.[1] ثم خلص الى الحديث عن القراء و القراءات السبع المتفق عليها عند جمهور العلماء و أسباب الإقتصار على القراء السبع، السبعة دون غيرهم و تقسيم القراءة الصحيحة كقراء نافع و عاصم و من حيث الفصاحة أبو عمرو و الكساني و قد أورد آراء العلماء تعميما لا تخصيصا و توخيا منه في ذلك تجنب الإطالة و الإطناب لأن جوهر موضوعه هو حقيقة الإعجاز و ما هذه الفصول إلا تمهيد للهدف الذي يريد أن يصل القارئ إليه.

ب –قراءة التلحين : القراءة عند الرافعي لها ثلاث مراتب: تحقيق و صدر و تدوير، و الأول من قرأ بعد المائة الثانية أول من قرأ بالت هو عبيد بن بكرة[2] و جاء في الإتقان عن كيفيات القراءة

التحقيق و هو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد و تحقيق الهمزة و اتمام الحركات و اعتماد الإظهار و التشديدات .و الجر بكسر بفتح الحاء و سكون الدال المهملتين و هو إدراج القراءة و سرعتها و تخفيفها بالقصر و التسكين و الإختلاس و البدل و الإدغام الكبير و تخفيف الهمزة و قد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنا فقسموا اللحن إلى جلي و خفي.

خلل يطرأ على الألفاظ فيخل، إلا أن الجلي يخل إخلالا ظاهرا يشترك في معرفته علماء القراءة و غيرهم،و هو الخطأ في الإعراب و من الفوائد التي ساقها السيوطي في الإتقان ما قاله في جمال القراء : " قد أشبع الناس في قراءة القرآن أصوات الغناء فقال : إن أول ما غنى له من القرآن قوله تعالى – فأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر –نقلوا ذلك و قد قال صلى الله عليه و سلم في هؤلاء : < مفتونة قلوبهم و

---

[1]– مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط2 (1999-1420) الرسالة،ص 154 و انظر أيضا: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص93، و ج2، ص 204

[2]–الاتقان في علوم القرآن، ج1، ص 132

قلوب من يعجبهم شأنهم > و مم ابتدعوا شيء سمي الترعيد ، و هو أن يردع صوته كأنه يردع من برد و ألم و آخر سموه الترقيص ، و هو أن يروم السكون على الساكن ثم ينفر مع الحركة في عدو أو هروله .

– و آخر يسمى التطريب ،و هو أن يترسم بالقرآن و يتنغم به فيمد في غير مواضع المد و يزيد في المد على ما لا ينبغي.

– و آخر سمي التحزين ،و هو أن يأتي على وجه حزين ،يكاد يبكي من خشوع و خضوع. قال الجزري:" و لا أعلم لبلوغ النهاية في التجويد مثل رياضة الألسن و التكرار على اللفظ المتلقي من فم المحسن و قاعدته ترجع إلى كيفية الوقف و الإمالة و الإدغام و إحكام الهمز و الترقيق و التفحيم و مخارج الحروف"[1]. و في المائة الثالثة، افتن الخلفاء و الأمراء و أولعوا بالغناء و افتنوا به و كان أول ما غنى به القرآن، قراءة الهيثم"**أما السفينة فكانت لمساكين**" إذ كان يختلس المد اختلاسا فيقرءها المسكين ،و إنما من صوت الغناء كهنية للحن".[2] و كان في الصحابة و التابعين رضي الله عنهم من يحكم القراءة على أحسن وجوهها و يؤديها بأفصح مخرج ،فكأنما يسمع منه القرآن غضا طربا ،لفصاحته و انتظام رناته و هو لحن اللغة نفسها في طبيعتها لا لحن القراءة في الصناع

اختلاف العلماء في تلاوة القرآن بالألحان و التطريب و لمقامات إذا لم يمثل شيء من الحروف عن مخرجه و صفاته اللازمة و العارضة، فلو تغير أجمعوا على تحريمه و بذلك قال النووي: "أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ما لم يخرج عن حد القراءة الترتيل فإن خرج حتى زاد حرفا أو أخفاه حرم".

و لابد من التفريق هنا بين تحسين الصوت بالقرآن و قراءته بالألحان ،فتحسين الصوت تزيينه بالترتيل و الجهر و التخزين و قراءته بالألحان بطريقة أهل علم الموسيقى في

---

[1] –مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ،ط2 – 1420- 1999م ،مؤسسة الرسالة ، ص190

[2] – اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص44 وما بعدها ونظر ك المعراف : ابن قتيبة الدينوري / وانظر أيصا : الكشف والبيان ن تفسير القرآن ، احمد محمد بن ابراهيم الثعلبي ، تحقيق ابي محمد بن عاشور ، ج6 ص 186

الألحان أي النغم و الأوزان حسبما رتبوه في صنعة الغناء. قال القصطلاني في حكم هذا النوع من الألحان: " و قد علم ما ذكرناه أن ما أحدثه المتكفلون بمعرفة الأوزان و الموسيقى في كلام الله من الألحان و التطريب و التغني المستعمل في الغناء بالغزل على ايقاعات مخصوصة و أوزان مخترعة أن ذلك من أشنع البدع"[1].

2)-لغة القرآن:

أفرد الرافعي مبحثا في لغة القرآن بعد أن أشار إلى التفصيل فيها في الجزء الأول من تاريخ آداب العرب، إذ يبين أن القرآن نزل بلغة أهل قريش و كان دلك طبيعيا، فإن اختار لغة العرب ليتنزل بها آخر كتب الله تعالى للإنسان، على تعدد لغات البشر و اختلاف ألسنتهم، يشير إلى فضيلة بيانية جامعة إمتاز بها اللسان العربي.

فالمعجزة القرآنية منوطة بهذا البيان و متصلة به، بل كانت في حقيقة الأمر من جنسه لأن الإعجاز الدي جاء في القرآن الشرع مقرونا بالتحدي أو ثمرة له، يشير صاحب القرآن و نصوصه في هامش خصه في كتابه القرآن و إعجازه و تاريخ توثيقه، إلى أن القرآن عبر عن اللغات و اللغة باللسان و الألسنة، و لم ترد فيه كلمة لغة و لغات و من مزايا التعبير القرآني باللسان، الإشارة إلى الجانب الصوتي مع الجانب لدلالي ، الأمر الدي يدع الباب مفتوحا لدراسة الألسنيات، أو الإنتفاع بها في دراسة العربية أو الإستعانة بها في تفسير القرآن أو في دراسة النص الديني[2].

فالقرآن أنزل بغير ما ألفه صلى الله عليه و سلم من اللغة القرشية، و ما اتصل بها، كدلك كان مغمزا فيه ، إد لا تستقيم لهم المقابلة حينئذ بين القرآن و بين أساليبه و بين ما يؤثرونه من كلام النبي فيهون دلك على قريش، ثم على العرب و يضيف أن القرآن قد نزل على قول العلماء بلغات أخرى غير لغة قريش كلغة سعد بكر، و هي القبيلة التي كان صلى الله عليه و سلم مسترضعا فيهم و لغة جثيم بن بكر و نصر بن

[1] – البيان في آداب حملة القرآن ، فتح الباري لابن حجر ،ج8 ، ص690.

[2] –القرآن واعجازه وتاريخ توثيقه ، ص13

معاوية و ثقيف، و تلك من أفصح لغات العرب، ثم تأتي لغة خزاعة، و هديل، و كنانة و أسد و ضبة و كانوا على قرب من مكة يكثرون التردد إليها و من بعدهم قيس و ألفافها التي في وسط الجزيرة

و ضرب لدلك مثال كقوله تعالى: " لا يلتكم من أعمالكم" أي لا ينقصكم بلغة بني عبس و قد ذكر ابن عباس أن القرآن نزل على سبع لغات، منها خمسة بلغة العجز؛ يعني سعد بن بكر و جثيم بن بكر و نصر معاوية وثقيف و هؤلاء كلهم من هوازن، و يقال لهم: عليا: هوازن.

لهذا قال بعض أهل العلم في لغة العرب: أفصح العرب عليا هوازن و سفلى تميم، فعلى أنه لا يراد بدلك السبع منتشرة في القرآن فبعض القرآن بلغة قريش و بعضه بلغة هديل و بعضه بلغة هوازن و بعضه بلغة اليمن و بعضهم بلغة غيرهم.

و ذلك على تفاوت بين أنصباء هده اللغات جميعا في القرآن الكريم و بعبارة أخرى فإنه لا يشترط أن يكون نصيب كل من هذه اللغات مساويا لنصيب لغة أخرى منتشرة في القرآن. و ومنهم من قال أن القرآن أنزل بلسان قريش و من جاورهم من العرب الفصحاء ثم أبيح بعد ذلك لكل قبيلة من العرب أن تقرأ القرآن بلغتها التي جرت عليها رغم الاختلاف في اللغات بين مختلف القبائل و ذلك من حيث اللهجة أو الالفاظ أو الاعراب[1]

جاء في الاتقان أن الواسطي ذكر في كتابه الارشاد في القراءات العشر : في القرآن من اللغات خمسون لغة , و قال ابن الجوزي في فنون الافنان في القرآن بلغة همدان : الريحان : الرزق و العيناء : البيضاء ، و ابن عبد البر في الشهود قول من قال : نزل

[1] – دراسات في علوم القرآن ، د أمير عيد العزيز ط2 1408 / 1988 دار الشهاب ص 89

بلغة قريش معناه عند الاغلب ، لان غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات من تحقيق الهمزة و نحوها و قريش لا تهمز[1] .

وربما استعمل القرآن الكريم الكلمة الواحدة على المنطق أهل اللغات المختلفة فجاء بها على وجهة لمناسبة في نظمه [2] إذ تختلف القراءات على حسب الطرق التي تحي منها ، فالناقلون عمن قرأ بلغة قبيلة ينقلون بتلك اللغة في الأكثر و أئمة القرآن عند السيوطي لا تحصى و قد صنف طبقاتهم حافظ الاسلام أبو عبد الله الذهبي ، ثم حافظ القرآن أبو الخير بن الجزري[3] .

-مفردات القرآن :

1-غريب القرآن : عرف الرافعي الغريب عي اللفظة الحسنة المستعربة في التأويل ، بحيث لا تساوي في العلم بها و اهلها و سائر الناس .

قال الخطابي في بيان اعجاز القرآن :" و من هنا تسميث كثير من السلف تفسير القرآن و تركه القول فيه حذرا أن ينزلوا فيذهبوا عن المراد ، و إن كانوا علماء باللسان و فقعاء في الدين فكان الاصمي و هو إمام اللغة لا يفسر شيئا من غريب القرآن ، و حكى أنه سئل عن قوله سبحانه و تعالى : " قد شغفها حبا " فسكت و قال هذا في القرآن ، ثم ذكر قولا لبعض العرب في جارية القوم أرادوا بيعها : أتبيعوننا و هي لكم شغاف ؟ و لم يزد عن ذلك و نحو هذا الكلام و حملة ما عدوه من ذلك في القرآن كله سبعمائة لفظة أو تزيد جاء في الإتقان : أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيدة و أبو عمر الزاهد و ابن يزيد و من أشعرعا كتاب العزيزي ، فقد أقام في تأليفه خمسة عشرة سنة يحرره هو و شيخه أبو بكر الانباري ، و من أحسنها المفردات للراغب و لأبي حيان في ذلك تأليف مختصر في كراسين ، و هذا العلم ضروري علمه و هو من

---

[1] - الإتقان في علوم القرآن ج،1 ص 149

[2] - إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص 71

[3] - الإتقان في علوم القرآن ص 199

شروط المفسر و أدواته و سمي غريب القرآن عند الصحابة : " اعراب القرآن "كقوله تعالى إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٨

جاء في تفسير الطبري[1] : اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم : تأويله : فإذا أنزلناه إليك فاتبع قرآنه و عن ابن عباس قال : " فإذا أنزلناه عليك فاستمع له " و عن قتادة قال اتبع حلاله و اجتنب حرامه و يعلق الطبري بقوله و أولى هذه الاقوال بالصواب في ذلك قول من قال " فإذا تلي عليك فاعمل به من الأمر و النهي و اتبع ما أمرت به فيه ، لأنه قيل له : إن علينا جمعه " في صدرك و : قرآنه " و دللنا على معنى قوله و " قرآنه " ، و " قراءته" فقد بين ذلك على معنى قوله :و فرّق الطوسي بين التلاوة و القراءة في مجمع البيان : فإذا قرأناه فاتبع قرآنه " و القرآن أصله الضم و الجمع و هو مصدر كرجحان و النقصان [2].

و ذكر أبو عبد الله الرازي في التفسير : أن جماعة من قدماء الروافض زعموا أن القرآن قد غير و بدل ، و لو كان التركيب من اللع تعالى ماكان الامر كذلك[3] . و جاء في البحر المحيط : فإذا قرأناه : أي الملك المبلغ ، فاتبع : أي بذهنك و فكرك [4].ثم يضيف الرافعي : " و كان الصحابة رضي الله عنهم يسمون فهم عذا العريب اعراب القرآن لانهم يستبينون معانيه و يخلصونها[5] . و نقل حيث ان ابو هريرة : " اعربوا القرآن و التمسوا غرائبه "[6]

---

[1] – الاتقان في علوم القرآن ، ج1، ص150

[2] – معجم الفروق اللغوية الفروق اللغوية بترتيب و زيادة ، أبو هلال الغسكري ط1 1412 هـ مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين تحقيق الشيخ بيت اللع بيات و مؤسسة النشر الاسلامي ص 141 ، جامع البيان ، الطبري ، ج24،ص68

[3] – تفسير الرازي : مفاتيح الغيب ، دار احياء التراث العربي ، ج 30 ص 729

[4] –البحر المحيط ، ابو حيان الأددلسي ، ج10، ص6

[5] – اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص 53

[6] – السيرة الحلبية ، برهان الدين الحلبي ، ط1 ، ج2، دار المعرفة ، ص 153

و قد قال ابن العباس ما نقله الرماني و الخطابي في الرسائل أو الذكر "ان خفي عليكم شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب و في الكلام سيدنا عمر رضي الله عنه : نعم الابيات من الشعر يقدمها الرجل في صدر رجاحته،يستعطف بها قلب الكريم و يستميل بها لؤم اللئيم.[1]

والحاصل أن الحق الحقيق بالاعتماد و به تجتمع الأقوال ان المحرم عليه هو انشاد الشعر اي الاتيان بالكلام الموزون عن قصد وزنه . " كذلك عد العلماء في القرآن من غير لغات العرب و اكثر من مائة لفظة ترجع الى لغات الفرس و الروم و الحبشة و البربر و العبران و القبط و هي كلمات اخرجتها العرب على اوزان لغتها و اجرتها في فصيحها فصارت بذاك عربية ، و انما وردت في القرآن لأنه لا سيد مسنها الا ان توضع بمعانيها الفاظ جديدة على طريقة الاولى فيكون قد حاطب العرب بما لم يفقهم عليه ، و ما لا يدركون بمفرداتهم اللغوية و جه التصرف منه ، و ليس ذلك مما يستقيم له امر و ادعوا عند العرب من معاني الاعجاز في شيء لان الوضع يعجز اعلع و هو كانوا اهل اللغة[2]

إذا السؤال هنا نفسه الذي أورده الخطابي في رسالته على غريب القرآن هل هو معجز؟ فواضح أن الرافعي يجد أن معرب القرآن و غريبه معجز و ذلك ما اتفق عليه جمهور العلماء فالألفاظ المعربة التي اختلطت بالقرآن الكريم بلاغتها في نفسها فلا يوجد غيرها يقوم مقامها أو يوضح معانيها و نغني عنها في مواضعها من نظم الآيات سواء أكان ذلك فردا أو تركيبا و هو قول حسن على الترجيح المؤلف بعد الذي بينه سابقا و لقد تقرر عند أئمة البلاغة : " أنه لو كان اكثر ألفاظ القرآن غربيا لكن محالا أن يدخل ذلك الاعجاز ، وأن يصح التحدي به ،ذلك لانه يخلو اذا وقع التحدي من أن يتحدى من له علم بامثاله من الغريب أو من لا علم له بذلك فلو تحدى به من يعلم امثاله لم يتعذر عليه ان يعارضه بمثله ولو تُحُدّي به من لا علم له بامثاله كان ذلك

---

[1]- المصدرنفسه ، ص 154

[2]-اعجاز القران والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص 54

بمنزلة ان يتحدى العرب كان ذلك بمنزلة أن يتحدى العرب إلى أن يتكلموا بلسان الترك.

يقول أحد الباحثين: أن مفهوم الغريب اتسع بمرور الزمن من مستوى الأداء اللغوي للمفردة، إلى مستويات تركيبية نحوية و بلاغية مختلفة، كان هذا الإتساع ملما شيئا مع ظروف العصر و حاجته،و كثرة الجدل حول القرآن و حقائقه و إمكانات و تخصاصتهم المعرفية كل ذلك له أثر في هذا الاتساع و التعدد. [1]

و يضيف لنتائج بحثه: إن تلك الإمكانات على كثرتها (و يقصد هنا لمؤلفات التي صنف فيها علماء القرن الثالث و الرابع) لم يكن بينهم اختلاف في تفسير دلالات الألفاظ إلا ما كان من كتب اهتمت بالجوانب النحوية و كتب المشكل و كتاب المفردات للراغب الأصفهاني في القرن السادس الهجري.

فإن غرابة التركيب يراد به التركيب غير المألوف كتقديم ما حقه التأخير ،و حذف ما حقه الذكر، و يداخل أصوات التركيب، و تلك الغرابة تعد من إعجاز القرآن الذي تحدى به الله أفصح العرب لأنه كلام رب العزة[2].

2–الوجوه و النظائر:

- **تعريف الوجوه والنظائر** :

- **لغة** : الوجوه : قال ابن دريد : ,وجه الكلام السبيل التي تقصدها به ، وصرفت الشيء عن وجهه اي عن سننه .

- **وفي لسان العرب** : في الحديث انه ذكر قننا كوجوه البقر ..) أي يشبه بعضها بعضا

[1] – د .حسن احمد هود بن سميط ، جامعة اليرموك ، الاردن ، الملامح الدلالية في كتب غريب القران الدلالات التركيبية والمعجمية" ملخص ص7

[2] – إعجاز القران والبلاغة النبوية ، ص54

- **والنظائر** : جمع نظير وهو المماثل والشبيه ، يقال فلان نظير فلان اذا كان مثله وشبيهه والجمع نظراء .ومن ذلك قول ابن مسعود : ولقد عرفت النظائر التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بها عشرين سورة من المفصل يريد بذلك السور المتماثلة المعاني كالموعظة او الحكم او القصص، لا المتماثلة في عدد الآي [1]

- **الوجوه والنظائر[2] اصطلاحا** : عي أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة ، وأريد بكل مكان معنى الكلمة غير معناها في المكان الاخر وتفسير كل كلمة بمعنى يناسبها غير معنى الكلمة الأخرى .وهذا ما يسمى الوجوه أما النظائر : فهو اسم للألفاظ وهو وعلى هذا تكون الوجوه اسما للمعاني ومن هذا كان الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر .

وقد انتقد هذا التعريف الامام الزركشي [3]في البرهان والعلامة السيوطي في الاتقان وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثا مرفوعا : لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى وجوها كثيرة فمنه :

الهدى سبعة عشرة حرفا بمعنى البيان كقوله تعالى أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ، [4]وبمعنى الإيمان كقوله تعالى : وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ [5]

وبمعنى الداعي : كما في قوله عز من قائل :*ولكل قوم هاد * وقوله ايضا وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا * وبمعنى الرسل والكتب..

علم الوجوه و النظائر من فروع علم التفسير، و هو علم يبحث في كل لفظ في القرآن الكريم، ورد في أكثر مكن آية و كانت دلالته على معناه في كل آية مفسرة غير

---

[1]- الإتقان في علوم القران .ج1.ص158

[2]- الوجوه والنظائر في القران الكريم –سرحان القرعاوي .ج1ص3 وانظر ايضا لسان العرب .ابن منظور ج

[3] - الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، عبد الرحمن القرعاوي ، ج1،ص3

[4] - سورة البقرة الاية 05

[5] -سورة مريم الاية 76

معناه في الآيات الأخرى ، وعرفها المؤلف :أنها الألفاظ التي وردت فيه بمعان مختلفة : كلفظ الهدى ، فإنه على سبعة عشر وجها بمعنى الثبات والدين والدعاء ونحوها[1]ومن هذه الألفاظ : الصلاة والرحمة والسوء والفتنة والروح وغيرها ، وكلها مما يتبسط في استعماله بوجوه من القرآن وسياسة القرينة وغيرها في العربية شريعة من شرائع الألفاظ '

وبيان ذلك في قول السيوطي في الإتقان : صنف فيه قديما مقاتل ابن سليمان وابن الجوزي من المتأخرين وابن الدامغاني وأبو الحسن بن عبد الصمد المصري[2] ، ثم يعرف الوجوه على انها : اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معاني كلفظ الامة والنظائر كالالفاظ المتواطئة وقيل النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني وضعف لانه لو اريد هذا لكان الجمع في الالفاظ المشتركة وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعا لاقسام والنظائر نوعا لاخر وقد جعل بعضهم ذلك من معجزات القران حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف الى عشرين وجها واكثر واقل ولا يوجد في ذلك كلام البشر.

ثم يشير الرافعي الى بيان الإفراد التي تاتي بمعنى مفرد غير الذي يستعمل فيه عادة وضرب لذلك امثلة ونماذج واستشهد لابن فارس ماذكره الزركشي والسيوطي واسوقه من مصدره :

أذكر ان كل ما في كتاب الله جل ثناؤه ، من ذكر الأسف فمعناه : الحزن كقوله تعالى في قصة سيدنا يعقوب عليه السلام : يا اسفي على يوسف * [3] الا قوله :" فلما اسفونا"[4] فمعناه : أغضبونا واما قوله في قصة سيدنا موسى عليه السلام :" **غضبان أسفا**"، قال ابن عباس: "**مغتاظا** "وكل ما في القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن

---

[1] -اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص 54

[2] -الاتقان في علوم القرآن ، ج1، ص 158

[3] - سورة يوسف ، الاية 84

[4] - سورة الزخرف الاية 43-55

الكلام بالإيمان ، كقوله تعالى : **"صم بكم عميُ"** انما اراد" بكمُ " عن النطق بالتوحيد مع صحة السنتهم الا حرفين : احدهما في سورة بني اسرائيل :**"عميا وبكما وصما"** والآخر في سورة النحل قوله عز وجل : (**احدهما أبكم** فإنهما في هذين الموضعين **لا يقدران على الكلام** [1]

3- أثر القرآن في اللغةعند الرافعي :

الحديث عن القرآن الكريم و أثره في اللغة يشبه حديث الشيء عن ذاته ، فالقرآن عربي المنى، فالشارع اختار أفصح اللغات لكتابه العزيز و قد أنزل القرآن ليكون معجزة مختلفة عما سبقها في الخلود و الحفظ.

و في هذا الفصل و عن هذا الموضوع لا يتحدث الرافعي عن الوجوه اللغوية التي جاء بها القرآن في الكلام فصارت من بعده نهجا و لغة تتكلم بها الألسن و لا يتحدث عن وجوه تأثيره باللغة، و إنما يتحدث و بإسهاب عن لغة القرآن و كيف ظهرت ، و كيف أظهرت و كيف: " جاوزت بها قدره الطبيعي بعد أن صار هو قدره" .

أ- القرآن معجز قليله و كثيره:

يرى الرافعي أن النمط الذي جاءت به لغة القرآن، معجز في قليله و كثيره معا، و شبه هذا الإعجاز في كمال نسقه بالنور أو الضوء فتجزأ الضوء لا يخرجه من طبيعته[2]. لذلك تميزت بدقة المعاني و صور الحقيقة بمجاز، و ما تميزت به من تقلب في الأساليب و تحول التراكيب فجعل إعجازها خالد للتاريخ لا يتوقف به الزمان أو المكان.

و إن الذي ينظر إلة القرآن الكريم يجده من حروفهم ركبت كلماته و من كلماتهم ألفت جمله و آياته، و على منهاجهم في التأليف جاء تأليفه فالمادة اللغوية التي يتألف منها أيَ كلام واحدة لا تتغير. لكننا نعلم أن اللغة العربية تمتاز بأن فيها الخاص و العام و المطلق و المقيد ، و المجمل و المبين، و فيها العبارة و الإشارة،و الفحوى و الإيماء، و

[1] – انظر : أفراد كلمات القرآن العزيز ، احمد ابن فارس اللغوي ، تحقيق : حاتم الصالح الضامن ،ص9

[2] – النبأ العظيم ، عبد الله دراز ، ص84

فيها الخبر و الإنشاء و فيها الجمل الإسمية و الفعلية و فيها النفي و الإثبات، و فيها الحقيقة و المجاز و فيها الإطناب و الإيجاز و فيها الذكر و الحذف و فيها الإبتداء و العطف و فيها التعريف و التنكير و فيها التقديم و التأخير[1].

فطريقة تخير هذه الأمور و وضعها في مكانها اللائق المناسب وفق ما يتطلبه المعنى حتى تحدث الجملة صورة فنية رائعة، هذه هي التي يتشكل منها البيانو يسمو و يتميز بها أسلوب عن أسلوب ، و تركيب عن تركيب.

القضية التي يطرحها الرافعي في هذا الشأن بالغة الأهمية فعادة ما تكون اللغات دليل أقوامها، تعرف بتطورها السمات الخاصة التي قد تتميز بها أمة من الأمم في ميدان من الميادين، سياسي كان أو اجتماعي أو ثقافي أو عقدي، لكن القرآن قضية أخرى لأن متدبره و الباحث فيه لا يمكن أن يجلو بلغته طبيعة العرب و أسلوبه في الحياة، لأن المتأمل المتدبر فيه سيجد في القرآن ما وصفه الرافعي ببلاغته الجميلة: " الإقرار بأن هذا القرآن إنما هو أثر من لغة قوم جاوزوا في الحضارة حد أهلها من سائر الأجيال و بلغوا من أحوال المدينة أرقى هذه الأحوال و كانوا من العلوم في مقام معلوم، لأن هذا الماء الصافي الذي يترقرق في عبارته وهذا عليه من اشارات السماء الى الأرض وضراعة الارض للسماء الى ما حله منه من معضلات الاجتماع ، وكشفه من وجوه السياستين النفسية والقومية ، لايكون البتة في لغة امة قد اناخت بها اخلاق البداوة في ساقة الامر حتى عبدت الأصنام [2].

ولا يخفى على أحد أن الانسانية لم تعرف طول تاريخها لغة خلدها كتابها الا اللغة العربية فقد اعطى اللغة إكسير الحياة وسر البقاء وقد حفظ هذا الكتاب نصوصا من لهجات العرب التي لا يرقى شك إلى فصاحتها و سلامة ألفاظها لغة و أداء ،و ذلك

[1] –قضية الاعجاز والبلاغة النبوية ، ص 42

[2] –المصدر نفسه ، ،ص 56

في القراءات القرآنية التي تمثل منهجا في النقل لا يصل إلى وثاقته علم آخر مهما يكن حتى منهج الحديث ، إذ يذكر الباحثون و المهتمون بهذه المسائل أن اي لغة من اللغات تبقى ملازمة لأهلها كما أنها ترقى بقوتهم و تضعف بضعفهم ،فهذا المظهر خاضع إلى قانون النشوء و الارتقاء ،و مما يلاحظ في كثير من ألفاظ القرآن أنها اختيرت اختيارا يتجلى فيه وجه الإعجاز من هذا الاختيار ،و ذلك من الألفاظ التي نمر بها على القرون و الأجيال ،منذ نزل القرآن إلى اليوم فإذا بعض الأجيال يفهم منها ما يناسب تفكيره ،و يلائم ذوقه ، و يوائم معارفه و إذا الأجيال الأخرى تفهم من هذه الألفاظ عنها غير ما فهمته تلك الأجيال ، و لولا استبدلت هذه الألفاظ لم يصح القرآن لخطاب الكافة.[1]

فكتاب الله أشرف ما صرفت إلية الهمم و أعظم ما جال فيه فكر ، و مد به قلم ،لأنه منبع كل علم و فكرة ،و مربع كل هدى و رحمة ،و هو أجل ما تنسك به المتنسكون و أقوى ما تمسك به المتمسكون ،من استمسك به فقد علقت يده بحبل متين ،و من سلك سبيله فقد سار طريق قويم ، و هدى[2] إلى صراط مستقيم[3].

و يضيف الرافعي:" فلا مذهب لمن يفهم الكتاب الكريم ،و يقف على دفائن الحكمة فيه إلا أن يدفع به المذهب إلى إحدى اثنتين :أما أن يعتقد أنه لأنزله الذي يعلم الغيب في السموات و الأرض ،فجاء كما يراه :أمرا من أمر الله ،و إما أن ينكر هذا و يعتقد أن القرآن الذي بعث به النبي الأمي في أولئك الأميين إنما وضع في زمن كانت فيه الأمة العربية غير نفسها ،و كانت بالغة ما شاء من علم و جهل ،و حضارة و بداوة ،و

---

[1] –مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني ،ج2، ص241 –

[1]– فضل القرآن الكريم و أثره في حفظ اللغة العربية و إثرائها، د. خير الدين خوجة (الكوسوفي)، أستاذ التفسير و الدراسات القرآنية، جامعة قطر – مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهورو باكستان– ع 19(2012)، ص21

[3] –مناهل العرفان في علوم القرآن ، عبد العظيم الزرقاني ، ج2،ص241 –

صلاح و فساد [1].يجد ما يصف ذلك مع حقيقته الصريحة في القرآن: "بل جاءهم بالحق و أكثرهم للحق كارهون". قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: أن من أعظم نع الله تعالى على عباده و حبيب سنته على خلقه ،ما منحهم من فضل البيان الذي به عن ضمائر صدورهم يبينون و به على غرائم نفوسهم يدلون ،فذلل منهم الألسن و سهل به عليهم المستعصب عنه إياه يوحدون، و إياه به يسبحون و يقدسون ،و إلى حاجاتهم به يتوصلون وجه بينهم يتحاورون، فيتعارفون و يتعاملون" ثم قال: "ثم جعلهم جل ذكره، فيما منحهم من ذلك طبقات، و رفع بعضهم فوق بعض درجات فبين خطيب مسهب و ذلك اللسان مهذب و مفحم لا يبين و عي عن ضمير قلبه لا يعبر ،و جعل أعلاهم فيه رتبة ،و أرفعهم فيه درجة ،أبلغهم .

فيما أراد فيه بلاغا ،و ابينهم عن نفسه بيانا، ثم عرفهم في تنزيله و محكم أي كتاب فضل بما حباهم من البيان على من فضلهم به على من ذي البكم و المستعجم اللسان فقال تعالى فر ذكره: أَوَ مَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ ١٨ [2]، فقد وضح إذا لذوي الأفهام ،و يبين لأولي الألباب أن فضل أهل البيان على أهل البكم و المستعجم اللسان ،بفضل اقتدار هذا من نفسه على إبانة ما أراد إبانته عن نفسه ببيانه و استعجام لسان عما حاول إبانته بلسانه[3].

و هذا ما يبينه الرافعي في كتابه، فمن المعلوم بالضرورة أن القرآن قد جمع العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها محاسن هذه الفطرة اللغوية ،التي بلغت درجة كمالها في القرآن فما استطاع أحد مجاراتها أو معارضتها في حاضر التنزيل أو بعده هذا ما سهل

---

[1] –إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص 65

1– سورة الزخرف الآية 18

2– تفسير محمد بن جرير الطبري، تحقيق حمود محمد شاكر، دار المعارف،ج1– ض 8 و 9

انقياد الجماعات على اختلاف أجناسها و لغاتها و منابتها إلى هديه فكان له أثر وراثي في طاعة الأمم لشرائعها.[1]

و في بيان جزل قوي فيه عمق و فلسفة يقف عنده القارئ مفتونا ،مستصعبا حينا و مستحسنا حينا آخر ؟،يصف المؤلف صعوبة قياس بلاغة القرآن ببلاغة البشر إذ عدها من أعضل الأمور و أصعبها على الإطلاق، لأن قياس العجز هنا متعلق بأمر معنوي و هو اللغة، خاصة إذا كان أمر اللغة فطرة فيهم ، و كي لا أفسد ما قاله الرافعي بشرحي الذي من الاستحالة أن يصله فصدق من قال تنزيل من التنزيل:" و من أعضل الأمور و أشدها التباس أ ن يكون أمرؤ من الناس قادر على أن يقيس ببيانه أو علمه بمذاهب البيان فترة أقوام و عجزهم في أمر معنوي كاللغة"[2].

يتردد من وقت لآخر سؤال ملخصه: أيَ فرق بين القرآن و كلام العرب ما دامت الألفاظ واحدة فيهما؟

بمعنى أن تأليف أسلوب القرآن من نفس الألفاظ التي تألف منها كلام العرب ، و قد أثير السؤال في النصف الأول القرن العشرين فذهب فريق إلى موافقة أسلوب القرآن لأساليب العرب، و كان على رأس هذا الفريق د. زكي مبارك استدل على رأيه بأن القرآن عربي و قد أنزل على قوم يفهمونه و يتكلمون بلسان عربي مبين و كان لهم أدب و لغة قوية و متينة يقرب في روحه و أسلوبه من روح القرآن ،بما أن البيئة واحدة و العصر واحد ثم أن القرآن قد ذكر في كذا موضع أنهم أهل بلاغة و فصاحة و جدال و عناد.يذكر الرافعي أن الفنون البلاغية في كلام العرب تختلف عن ذلك حيث يمكن التصرف فيها بوجوه التصرف المعروفة و لا يحدث تأثير كبير ،قد حاول أن يعقد موازنة عامة بين الفنون البلاغية في القرآن و كلام العرب. وقد ذكر أبو الحسن علي بن عيسى

[1] – الإعجاز و البلاغة النبوية، ص 57

[2] – المصدر نفسه ، ص 58

الرماني ان ذلك من نقض العلاة حيث ان العادة كانت جارية من أنواع الكلام معروفة منها (الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الرسائل المذكور الذي يدور بين الناس في الحديث فان القرآن بطريقة مفرد خارجة عن العادة لها منزاة في الحسن تفوق به كل طريقة والقاضي عياض ذكر ضمن الاوجه التي عدها في إعجاز القرآن صورة نظمه العجيب و الاسلوب الغريب المخالف لأساليب العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ورفعت مقاطع اية وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد بعجه نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم ولم الى مثله في حسن الكلام من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر[1].

ثم يرد حل لنا الرافعي مكمل مهمته التي بداها انفا في اثبات اهمية تاثير القرآن على اللغة واثبات ذلك على ضوء الاقيسة ستشهد في ذلك بمجموعة من الشواهد القرآنية كما جاء في قوله تعالى وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ : قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨[2]جاء في تفسير الطبري : يقول تعالى: : قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨يعني ذي لبس" ، ثم قال حدثنا مجاهد : : قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨و نصف قوله :قرآنا عربيا على الحال من قوله هذا القرآن ، لأن القرآن معرفة و قوله : " قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا نكرة و جاء في تفسير ابن عاشور و المقصود من هذا الحال التورك على المشركين حيث تلقوا القرآن تلقي من سمع كلاما لم يفهمه كأنه بلغة غير لغة لا يعيره بالا ، كقوله تعالى فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧ [3]

" مع التحدي لهم بأنهم عجروا عن معارضته وهو من لغتهم وهو أيضا ثناء على القرآن من حيث أنه كلام باستقامة ألفاظه لأن اللغة العربية أفصح لغات البشر . و

---

[1] – فنون البلاغة العربية بين القران وكلام العرب ، د. فتحي عبد القادر فريد ، منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع ،ط1 ،ص14

[2] – سورة الزمر الآية 28-27

[3] – سورة مريم ، الآية 97

العوج بكسر العين أريد به : اختلال المعاني دون الأعيان و أما العوج بفتح العين فيشملها ، و هذا مختار أئمة اللغة مثل دريد و الزمخشري و هذا ثناء على القرآن بكمال معانيه بعد أن أتى عليه باستقامة ألفاظه .

ووجه العدول عن وصفه بالاستقامة إلى وصفه بإبقاء العوج عنه التوسل إلى ايقاع " عوج" و هو نكرة في سياق ما هو بمعنى النفي و كلمة غيرا فيفيد انتقاء حسب العوج على وجه العموم النفي ، أي ليس فيه عوج قط و لأن لفظ عوج مختص باختلاف المعاني ، فيكون الكلام نص في استقامة معاني القرآن لأن الدلالة على استقامة ألفاظه و نظمه قد استفيدت من وصفه لكونه عربيا كما علمته آنفا [1].

[1] –تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ط1 1420هـ - 2000 م ، مؤسسة الرسالة ، ص723

وفي رأي الرافعي أن تأمل لفظة " عوج " إنمّا تدل على وصف القرآن بأنّه فطرة ، هذه الفطرة العربية و قد جاء في تفسير ابن السعدي (غير ذي عوج) أي جعلناه قرآنا عربيا واضح الألفاظ ، سهل المعاني خصوصا على العرب ، أي ليس فيه خلل و لا نقص بوجه من الوجوه لا في ألفاظه و لا في موضع آخر " الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا " فهذا الأثر الموضوعي الذي تركه القرآن الكريم في اللغة العربية في التدليل على أن القرآن الكريم كان السبب المباشر في نشأة معظم العلوم العربية و العلوم الإسلامية ، و كيف أن العلماء تفرغوا على خدمته و العناية به في علوم كثيرة أنشأوها لذلك ... و مازالت هذه العلوم تنمو و تشق و تتفرع.

حتى قامت على موقعها في القرن الرابع الهجري الذي يعتبر أزهر عصور التأليف في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية ، ومن جملة تلف الإثارة : توجد لهجات العرب بعد تعددها قبل نزول القرآن ، غلى جانب التأثير الهائل في ألفاظ العربية اذ كان بمثابة ثورة كبرى في الواقع ، من حيث تهذيبها و ترقيق حواشيها و القرآن ينقل العرب من حال إلى حال ، ومن البداوة إلى الحضارة ، ومن جزيرة إلى الأمصار ومن حيث هذا الحشد من الألفاظ المشتركة و الاصطلاحية و الألفاظ الإسلامية الجديدة .

فأما الألفاظ الاصطلاحية فيراد بها تلك التي خرجت عن دلالتها الأولى إلى الدلالة على معان جديدة اصطلاحية لم تكن معروفة و موجودة عند العرب فقد اقتضى القرآن فوق الحياة الجديدة و نظام الدولة و ما يتصل بذلك ، علوما شرعية و لغوية و كلامية و طبيعية ، وفي كل علم مصطلحاته و تعريفاته حتى لقد قام بعض المصنفين بوضع معاجم خاصة لتلك المصطلحات العلمية مثل كتاب التعريفات للجرجاني و كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي[1]

[1] -القرآن ونصوصه ، عدنان زرزور ،(1980-1400)مطبعة خالد بن الوليد، ص 20

4) –آداب القرآن:

أ–الجنسية العربية

هي من أهم ما نتعرض له الرافعي في كتابه هذا في رأي النقاد [1] . يقول مصطفى الشكعة "ثم يدلف الرافعي إلى الجوانب الاجتماعية المستندة من طبيعة الاعجاز فيتحدث عن أثر القرآن في تهذيب الروح العربية ، و يفوق بين عصبة الدم و عصبة الروح و يجري دراسة مقارنة بين التوراة و الانجيل و القرآن و اللغة و القومية و الفصحى و العامية ، و يفرد المؤلف بابا طويلا للآداب القرآنية يضمن الآداب الانسانية ، و الفرد و الجماعة ،و الحرية وحدودها "

و نجد الكاتب يبين كيف كان لإعجاز القرآن أن يوجه العصبة عند العرب من عصبية للجنس إلى العصبية للروح بعد أن ألف بين قلوبهم و سوى بين أقدارهم ثم ألف بينهم و بين سائر الأمم المؤمنة ، فيقول " و لقد كان اعجاز القرآن ان يجمع هؤلاء الذين قطعوا الدهر بالتقاطع على صفة من الجنسية لا عصبية فيها إلا عصبية الروح ، إذ أخدهم بالفطرة حتى ألف بين قلوبهم ، وساوى بين نفوسهم و أجراهم [2].

على المعدلة في أمور تجعل منهم أمة تسع الأمم بوجهها كيف أقبلت لأنها لا توجه الا لله فكان بينها و بين الله كل ما تحت السماء ، ومن هذا المعنى نشأت الجنسية العربية ، فإن القرآن بدا كما علمت بالتأليف بين مذاهب الفطرة اللغوية في الألسنة ، ثم ألف بين قلوب على مذاهب قلوبها على تلك الطريقة الحكمية التي لا يأتي علم التربية بأفضل منها .

من هدا الكلام المستفيض ننتهي الى ان الجنسية العربية يعني بها ما تركه القرآن في العرب من أثر اذ خلصهم من العصبية القبلية الى عصبية الروح و الدين ، فكانت

---

[1] – إعجاز القرآن الكريم ، د .فضل عباس ،ص49.

[2] – مصطفى صادق الرافعي كاتب عربي و مفكر اسلامي . د. مصطفى الشكعة ص 63

مقاصده هذه المعجزة تحقيق هذه الوحدة السياسية التي تركها القرآن فيها لأنها توافقت و فطرتنا في القديم و الحاضر ،الفطرة التي جعلنا الله بها مستعدين لاستقبال هذه المعجزة و تقبلها و توارثها.

و هذا ما يبين المؤلف :"فإن القرآن تنزل من العرب منزلة الفطرة اللغوية التي يساهم فيها كل عربي بمقار ما تهيأ له من أسبابها الطبيعية ،اذ كان بما احتواه من أساليب و ما تناوله من اصول الكمال اللغوي و ما دار عليه من وجوه الوضع البياني قد هتك الحوائل و محا الفرق التي تبين قرائح العرب اللغوية بعضها من بعضها من بعض ،فاجتمعت من على الكمال الذي كانت تتخيله و لا تأبوا عما يدينها اليه معالجة

اكتسابا ،ولو انهم تمالوا طوال الدهر أن يذهبوا من لغتهم ليبلغوا بما مبلغ الكمال الوصفي ،على النحو الذي جاء به القرآن ،بما ازدادوا ال اتعاديا في الرأي و تباعدا عما يجنحون اليه اذ تنزع كل فطرة الى منزعها في كل قبيل فيزيد الناقص منهم نقصا فطريا و هو يحسب كمالا ،و يبعد الكامل عن حقيقة ما يلتمسه من الكمال بعد ان يرى غيره قد حسبه نقصا ،لان الفطرة دالا بالاذعان و لا تذعن الا لما يكون في حدكما لها المطلق و ليس في تاريخ العرب اللغوي ذلك بالتحقيق قبل القرآن و لا بعده غير القرآن "[1]

و اكثر عائق للسلام بين الاخوة المسلمين في العصر الحديث اختلاف مذاهبهم على اساس من التعصب السياسي و العقدي حتى تمحي آثار الأخوة التي منها وحدة المعتقد و الهدف ان اختلاف ابناء الوطن الواحد في الدين او المذهب يفضي حتما إلأن سياسة إذ هم نزعوا من قلوبهم روح التسامح الديني و المذهبي ،و لن يتوفر بهم هذا

التسامح الا تحت قيادة إسلامية موجودة ،اذ ان من اهداف الوحدة السياسية في القرآن الكريم أنها تناهض الحمية الجاهلية عملا بقوله تعالى إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ

[1] – اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ،ص 63

ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٢٦ فالأخوة تستبدل الحمية بالطمأنينة أو السكينة تدخلها على قلوب الأخوة المؤمنين و تلزمهم تقوى الله فأي كتاب في تاريخ البشر ترك هذا الأثر على الإنسانية إلا كتاب الله[1].

ب–التوراة و الإنجيل و القرآن الكريم :

حتى يثبت الرافعي حجته ذهب إلى عقد مقارنة بين الكتب السماوية السابقة و بين القرآن، و استشهد بذلك التوراة و الإنجيل، و تساءل: هل ظلت الكتب السماوية على حالها ، هل من أحد اليوم يقرؤها بلغتها الأصلية ، الأثر قليلة من اليهود و غير اليهود الذين يعيشون على أحلام الذاكرة.

يقول الدكتور عبد العفيف طبارة في روح الإسلام: "طال الزمن على الكتب السماوية السابقة و تناولها الأيدي بالتبديل و التأويل، و بلغت الاختلافات الدينية مبلغا كبيرا، و كانت البشرية في خطر المروق من دين الله و الاستسلام للوثنية و الاتحاد، و يهديه و أصبح العالم في حاجة إلاوحي من الله يجنبه مواطن الضلال، و يهديه إلى سواؤ السبيل و كان أهل كل كتاب يكفرون من عدادهم و اختلفوا في معركة الحقيقة الإلهية و كنف الدين ، فجاء القرآن يبين الحق من الباطل، و يبين للناس ما أشكل عليهم، قال تعالى مخاطبا رسوله: تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣ [2]

و لقد تصدى القرآن لنقد التوراة و أثبت أن اتباعها قد غيروا و بدلوا في تعاليمها. قال تعالى: مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا

[1] – أسس بناء الشخصية من خلال القرآن الكريم ، د.الصادق العبودي ، 1989، الدار التونسية للنشر ، ص 215

[2] – سورة النحل ، الاية 63

وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦ [1]

و هذا طبيعي فقد عرفت سابقا اعجاز القرآن كونه معجزة بيانية التي خص بها النبي بخلاف الكتب السماوية السابقة كونها مفصولة عن دعوة النبي و رسالته و مضافة إليها ،أي أنها تمثل عنصرا خارجيا عن الكتاب أو الوحي الذي أنزل على النبي ،فإن عبرنا عن هذا المنزل بأنه دعوى بالألف المقصورة . النبي فإن برهان هذه الدعوى" و

دليلها جاء مفصولا عنها و مضافا اليها فقد جاء موسى عليه السلام بالتوراة ،و كانت آيته أو معجزته قلب العصا حية و جاء عيسى بن مريم بالإنجيل و كانت آيته أو معجزته ابراء الأكمة و الابرص و احياء الموتى ،و لم يصف أحد التوراة ذاتها او الانجيل بحكم كونهما و حيا الهيا أو منزلين من عند الله بمعجزة ،فضلا عن الاعجاز الذي وصف به القرآن الكريم فيما بعد و غني عن هذا البيان أن نذكر أخيرا أن هذه المعجزات تاريخية ،بمعنى أنها وقعت في التاريخ ،رآها قوم النبي الذين بعث فيهم ، و لهذا فإن ايماننا نحن المسلمين أو تصديقنا بوقوع هذه المعجزات كد . فيما نلاحظ . من تصديق كثير من أولئك الذين وقفوا في الايمان عند عتبة تلك الرسالة و لم يتجاوزوا أنبياءها و كتبها الى الايمان بمحمد (صلى الله عليه وسلم) و القرآن لان مسألة النقل عنهم ليكتنفها الغموض و الاضطراب ، و لأن أسانيهم في الرواية لا تحمد أسام قواعد النقد العلمي ،و هي المسألة التي أثارها أحد الفيلسوف الهولندي (سبينوزا)[2] في رسالته عن اللاهوت و السياسة ،حين عرض بالنقد لأسانيد العهد القديم- في حين أن القرآن الكريم ارتقى بهذه المعجزات أو الخوارق في عقيدة المسلم كما ارتقى كذلك بسيرة الانبياء السابقين ،و

---

[1] - سورة النساء ، الآية 46

[2] - Baruch Spinoza1632-1677)فيلسوف هولندي(،

حياتهم مع اقوامهم ،الى درجة التوثيق الإلهي الذي لا يعتريه باطل و لا يتطرق اليه شك[1].

قال ابن خلدون في المقدمة "اعلم ان اشرف المعجزات و أعظمها ،و اوضحها دلالة : القرآن المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي، و يأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه و القرآن هو بنفسه الوحي لمدعي و هو الخارق المعجز فشاهده في عينه و لا يفتخر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي ، فهو أوضح دلالة لإتحاد الدليل و المدلول فيه"[2]

تلك هي إحدى مزايا إعجاز القرآن الكريم كونه العلي القدير جعلها من نوع خاص ، و ذلك لحكم جليلة مثلا: لمواءمة طبيعة الرسالة، إذ كان الرسول سابقا يرسل إلى قوم مخصومين أو قبيلة خاصة و لفترة زمنية محدودة، فكان التحديد زمانا و مكانا و قوما ، يحدد مهمة الرسول، أما الرسالة الخاتمة فقد امتازت عن الرسالات السابقة بشموعها و عمومها و عالميتها زمنا و مكانا و مكلفين، يقول تعالى: قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨ [3]

و كون القرآن المعجزة الخالدة فمن المعجزة تستنبط أحكام الشريعة الإسلامية. فآية التصديق للرسالة في الرسالة نفسها و ليس في معجزات الأنبياء السابقين ما يستنبط منها حكم تشريعي ، و هذه هي ميزة فريدة لمعجزة رسول الله فدلالتها على مصدرها الرباني كأن فيها نفسها، فالرسالة هي المعجزة و لمعجزة هي الرسالة".

منهج حياة و معجزة باقية إلى يوم القيامة، و لكل معجزة قرآنية وقت لظهورها، فكما أن معجزات الله متجددة في هذا الكون المخلوق تظهر باستمرار و لا تنقطع

---

[1] – روح الدين الاسلامي ،د.عبد العفيف طبارة ،ص 145

[2] – بين مفهوم المعجزة و إعجاز القرآن –نظارات نقدية– د.عدنان محمد زرزور–ص19 و انظر مقدمة ابن خلدون ص 88

[3] – سورة الأعراف ، الآية 158

فكذلك آيات الله و معجزاته تظهر في كلامه القديم المنزل على رسوله. تقنن سلوك الفرد ،فلولا الشرائع على حد قول الرافعي "فربما شرع (الانسان) لنفسه ما لا يضع الشيطان اخبث منه بل ما يركض فيه الشيطان ركضا ". فلا بد اذا من تهذيب النفس و دره المفاسد ،بتقويم الطباع و تثقيف الأخلاق و تثبيت الإرادة ،وجعل الحدود التي تقف عندها نفس الإنسان هذا ما جعل الأدب عقيدة لا فكرا بحيث لو نزع نازع لا بد للإنسان من وازع يرده و يصده فيكن حاكما و محكوما في آن واحد.[1]

فقد أنزل الله قرآنه جامعا للفضاء للشريفة و الأخلاق المنيفة ، و حتى رسوله بأحلى الكمالات الخلقية ، و لم يزل المسلمون تشرأب أفئدتهم إلى ما احتواه القرآن من جليل الشيم و ترنو بصائرهم إلى نهج رسول الله و أن الفضائل التي أمر بها القرآن هي الفضائل الإنسانية الحقة التي أجمع أصحاب العقول الراجحة و الفطر السليمة و دعاة الإصلاح على المناداة بها.

و الإنسان إذا لم تصاحبه الرغبة في الإستقامة ضعف إقباله على الخير، و أصبح هدفا سهلا للتورط في المعاصي و الذنوب.

و قد صبغ كل المواضيع التي طرقها و عالجها بصبغة الهدى، و الموعظة و الإرشاد، فلم ينسق هذه الأبحاث على أساس وحدات منفصلة و مستقلة عن بعضها البعض كما هو شأن عامة الكتب و المؤلفات، فصيرها بذلك وحدة متكاملة هدفها واحذ و غايتها واحدة و هي السمو بالإنسان بروحه ، بميزاته الخلقية إلى أعلى درجات ما أراد الله له وفق السليقة التي جبل عليها

[1] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ،ص 120

د-نظرية الإصلاح في القرآن و وحدة المجتمع عند الرافعي:[1]

يعود بنا الرافعي مرة أخرى إلى مسألة الفطرة، فيذكر أهمية الآداب النفسية و ضرورتها لتوثيق صلة الناس بعضهم ببعض، فهذه الصلات هي التي تحدد لحدود في علاقات الأفراد ببعضهم، يقول الإمام محمد أبو زهرة : " إن مجموعة الأحكام الي اشتمل عليها القرآن في تنظيم الجماعة الإسلامية و إقامة بنيانها تتجه إلى تكوين نظام عام تحمي فيه الإنس و الأديان و الأنساب.

و العقول و يكون الجماعة سياج قوي من الفضيلة و الأخلاق الكريمة لتكون تلك الجماعة مثالا لا يحتذي في المعاملات الإنسانية و تقوم علاقته بغيره على أسس من التعارف الإنساني و تكريم الإنسانية في كل إنسان سواء كان عدوا أو وليا ﴿۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[2] و إن أو ل ما اتجه اليه الاسلام هو حماية الحريات العامة و الخاصة)[3]

فالشريعة هي الضابط الموجه لأفعال الناس و سلوكياتهم على بنية من الحكمة (كيف)في المنهاج و السنة و الطريق و السبيل كما نعرفها في امهات الكتب ، وهي المرشد الموجه لتحصيل المنفعة و الفائدة و تحقيق عموم مصالح المجتمع فهي تحقق التوازن بين ما يطلبه العقل وبين ما يحتاجه فتحقق التوافق الطبيعي الذي به تتحقق أسباب السعادة

2-روح الدين الإسلامي، ص 204 و ما بعدها

نفس المرجع السابق ص 205

من روائع القرآن – تأملا علمية و أدبية في كتاب الله عز وجل، محمد سعيد رمضان البوطي/ 1990-1420، مؤسسة الرسالة، بيروت ص [1]211

[2]- سورة الاسراء الاية 70

[3]-شريعة القرآن في دلائل إعجازه ، الامام محمد ابو زهرة – (1381هـ -1961م) دار العروبة ، القاهرة ص 52.

ومع ذلك فإن الفلسفة كلها و التجارب جميعا و العلوم لم تنشئ جيلا من الناس كالذي أخرجته آداب القرآن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن صور و مجالات الاعجاز في القرآن الكريم دعوته إلى إصلاح المجتمع إصلاحا متماثلا كاملا يحفظ كيانه و أفراده وبين في القرآن أن الاجتماع إنما هو شيء روحاني فقد عرض القرآن بأسلوبه البلاغي و ندائه الخطابي و إعجازه التشريعي كل المجالات الهادية و الأصول الجامعة الوافية و التي من شأنها النهوض بالمجتمع وأفراده إلى المدينة الفاضلة والعدالة الشاملة

وذلك يبدو واضحا في التفسير الذي تركه القرآن و يشير إليه التاريخ إشارات واضحة ، عندما نهض بهذه المعجزة الاجتماعية (الحجاة من العرب فتخضوا رمال الصحراء ، على أشعة الشمس في هذا الشرق كله فحيثما استقرت ذرة وقع وراءها عربي ، بل نفضوا أقدامهم على عروش الممالك و هم كانوا بين داع للصم ، وراع للغنم ، وعالم على وهم ، و جاهل فهم ، و بين شيطان لخبثه مادة لوجود الشيطان ، و أسنان كأنه لشره آلة لفناء الاسنان فمازالوا يبسطون تلك الجزيرة متى بلغت أصنافها ، و مازالوا بالدنيا حتى جمعوا إليهم أطرافها).

و من هنا نعلم قيمة هذه الحقيقة الثابتة التي أشار إليها ابن خلدون في مقدمته أن الاجتماع الانساني ضروري وهو ما يعبر عنه بقول بعضهم " الانسان مدني بالطبع "ومعنى ذلك، أن المجتمع ضروري للإنسان وهو ما يؤيده الواقع ، و بيانه أن الله جليلة هي مزايا القرآن ، و ملاكها أنه هو الرسالة الإلهية و معجزاتها الخالدة وهو الدعوة و براهينها الدامغة ،أجل إنه الشمس و ضياؤها ، فقد اتخذ فيه الدليل و المدلول عليه أقوى من اتخاذ الروح بالجسد ، فالقرآن هو نفسه الوحي الإلهي المنزل الخارق المعجز للخلائق الدال على الهبة مصدره ، فشاهد صدفة في عينه لا ينفك عنه مهما توالت العصور و

انقضت الدهور ، يقيم للأجيال براهين دامغة لا تجد بعده مناصا الا التسليم ولا سبيل الا الايمان به وبنبوة مبلغه[1]

5)– أصول الأخلاق في القرآن عند الرافعي :

أ –التقوى : وهي لفضيلة عبد الرافعي اراد بها الله و علا ، إحكام ما بين الانسان و الخلق و احكام ما بين الانسان وخالقه .و المقصود بها ان ينفي الانسان كل ما فيه ضرر لنفسه او ضرر لغيره و لا شك ان الايمان بالله هو أول أسباب تقوى الله ، خاصة و أن دعوة الرسل كانت للإيمان بالله ، و عمادها الأول الدعوة إلى تقوى الله ، و بها يتبين أن الدعوة إلى التقوى هي الدعوة إلى الايمان

و قد دعت الآيات القرآنية المؤمنين إلى تقوى الله مما يبين أن الإيمان المقصود لتحقيقها إنما هو درجة فوق ترك الشرك ، فالمتقين لهم اعتقادات نظرية و أعمال ظاهرة . فإذا كان الايمان و العبادة سبيل بين تحصيلها فإن مما يكمل ويرفع درجتها السلوك الراشد والخلق القويم في ظاهر المرء و باطنه ، وكذلك في سره و علانيته ، و لذلك فإن المؤمن باستعماله الاخلاق الحسنة ، و رياضة نفسه عليها يتدرج في مدارجها وذلك كرياضة نفسه على الصبر و الحلم [2]

يقول في ذلك الرافعي :"....و كأن ضمير احدهم اذا لم يحضر بتقى الله تعالى لا يحضر بالله نفسه ، وهو امركما ترى ، يريد القرآن ان يكون المنبع الانساني في القلب ، ثم أن يبقى هذا المنبع ما بقي صافيا ثرا لا يعتكر و لا ينصب ، كأنماغ القلب سماء ماتزال تمد له من نور وهدى ورحمة "

---

[1] – المعجزة الخالدة ، حسين ضياء الدين العتر ، ص 270 وما بعدها

[2] – التقوى في القرآن الكريم ، دراسة في التفسير الموضوعي، محمد الدبسي ،ط1 ، سلسلة الرسائل الجامعية ، دار المحدثين ، ص 270

ب ـ المساواة : يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣ ﴾[1] إذ لا تفوته بين العناصر في تحقيق العدالة ، فالله خلق الخلائق مختلفين ، وان اختلاف الالوان و الالسنة من آيات الله تعالى ، و الجميع عباد الله تعالى ، و الجميع عباد الله و النص يبين ثلاث معان سامية توجب المساواة التي اساسها و الاصل فيها عند الله هو التقوى فلا مزية للجنس او اللون او اللسان او المنبت وجاء في تفسير الزمخشري.[2]

"و المعنى: أنّ الحكمة التي من أجلها و تتكرر على شعوب و قبائل هي أن يعرف بعضكم نسب بعض فلا يفترى إلى غاية أدائه لا أن تتفاخروا بالآباء و الأجداد وتدعوا التفاوت و التفاضل في الأسباب . بين الخصلة التي بها يفضل الانسان على غيره و يكتسب الشرف و الكرم عند الله تعالى فقال : " إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم "لا أنساكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم " أنّه طاف يوم فتح مكة محمد الله و أثنى عليه ثم قال : الحمد لله الذي أذهب عنكم عصبية الجاهلية و تكبّرها ، يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله ، و فاجر شقي هين على الله ، ثم قرأ الآية[3]

وجاء في التفسير أن الله يخبر الناس أنهّم خلقوا من نفس واحدة و يجعل منها زوجها ، وجعلهم شعوبا من القبائل و بعد القبائل مراتب اخرى لفصائل و العشائر و العمائر و الأفراد وغير ذلك وقد أورد أحاديث كثيرة بعدة روايات و أسانيد تدل على أساس الأفضلية بين الأفراد فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية الى آدم وحواء سواء

---

[1] – سور الحجرات ، الاية 13

[2] – الزمخشري هو: ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (467هـ –538هـ)

[3] – رواه عبد الله بن عمر وذكره ابن حيان في صحيحه برواية صحيح ابن حيان بترتيب ابن بلبان محمد بن حيان السبتي تحقيق شعيب الارنؤوط ، وانظر الكشاف ، الزمخشري ،ج3 ، ص569

و إنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم بعد النهي عن الغيبة و احتقار بعض الناس بعضا منبتها على تساويهم في البشرية ، ولكي يحصل التعارف كل يرجع الى قبيلته .

ومن جملة المعاني التي دل عليها النص أنّ الفضل لا يكون بالجنس بل بالعمل الصالح الذي به يتقي صاحبه وجه الله تعالى و الذي لا يريد به الا النفع العام ، و إن النصوص القرآنية كلها تدعو إلى التراحم بين الناس كما تنص على الوحدة الانسانية أنظر إلى قوله تعالى .﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٢١٣ ﴾[1]

ج–الحرية :

لا إيمان لمن لا تقوى له هكذا اقرت الشريعة قوانينها من خلال الخطاب القرآني و هكذا يؤكد صاحب الكتاب ويكرر ويعيد ويبني الفضائل في القرآن ، ويجعل مناطها و مدارها تقوى الله ، و الحرية جانب من الجوانب التي أُحيطت بها مقاصد الأحكام القرآنية و الحرية مقررة بأصول الأحكام أولها محاربة و مدافعة أخلاق النفس الحيوانية بالتقوى و الخلق الثابت ، وتجنب الاخلاق الموروثة.

ولقد ناقشت هذه الفلسفة القرآنية وجودين في القرون السابقة حتى قالوا ان الحرية هي جوهر الوجود الإنساني وهي إحدى مقولات الفلسفة الوجودية.

ناقش ذلك الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه الإسلام ملاذ المجتمعات الإنسانية ولست بصدد مناقشة هذه الفلسفة أين لجأت إلى الدكتور في مؤلفه لأنه ناقش مفهوم الحرية ونتساءل معه : ما الفرق بين ضرورات الطبيعة التي تعني خروج

[1] – سورة البقرة ، الآية 213

الإنسان وتخلصه من القسم الخارجي وتفاعل يتم بين الإنسان والأنظمة الكونية التي تحيط به وهي عنوان للإرادة التي يملكها في سائر تصرفاته وشؤونه الاختيارية ضرورات العبودية التي طبعت بها كينونة الانسان لله عز وجل ؟الاجابة بسيطة وسهلة ومسلم بها:

إن الانسان لا يستطيع تجاوز ذاتية الانسانية الحرية إذن وفق المنهج القرآني ترويض إرادة الانسان على الانسجام مع الواقع و تغذيتها بسلطان هذه الارادة وفق الواقع الكوني الذي فرضه الله اذ هو من جملة الأدلة الدامغة العلمية على وجود الله وامتلاكه لناصية الانسان[1] . فهناك تلازم شديد بين عبودية الانسان لله عز وجل و السلوك الأخلاقي الفاضل و الطريقة القرآنية لعرض هذا الموضوع ، لأنه يربط بين مبادئ العقيدة و الايمان بالله و المبادئ السلوكية في الحياة ويكشف عن التلاؤم الذي بينهما[2].

إذن ما مفهوم الحرية من المنظور القرآني ؟ عرفها الشريف الجرجاني :"الحرية في اصطلاح أهل الحقيقة، الخروج من رق الكائنات و قطع جميع العلائق و الغيار وهي على مراتب : حرية العامة عن رق الشهوات ، وحرية الخاصة عن رق المرادات لعناء إرادتهم من إرادة الحق و حرية خاصة الخاصة ، عن رق الرسوم و الآثار لامتحانهم في تجلي نور الأنوار و الاستشهاد بهذا التعريف مرده إلى سببين :

– أنّ الرافعي في بيانه لمفهوم المساواة و الحرية و تلاؤمها مع مقتضيات الفطرة الانسانية على ضوء ما نص عليه الخطاب القرآني ينحى منحنى تصوفي ، و كثيرا ما يجد القارئ في اسلوبه هذه اللمحات الصوفية وقد بينت سابقا ضمن حديثي عن عن اسلوب الرافعي من خلال اثاره ان اللمسات الصوفية تتزامن كتاباته و تبدو جليلة في أسلوبه ، و القارئ يلاحظ ذلك خاصة في هذا الفصل الذي فيه يردد الرافعي الجمع بين عنصرين مهمين : أسلوب القرآن في آدابه وروح الانسان وفطرته.

---

[1] –من روائع القرآن ، محمد سعيد رمضان البوضي (1420هـ .1999 م)، مؤسسة الرسالة ص 166.

[2] – من رسائل الرافعي الى ابي رية ، ص 20

وبأسلوب بديع يأتي الرافعي فيفسر قوله تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٢ [1]

و الشنئان يقول الكاتب :العداوة والغضب وما في حكمهما . وهذا على انهما من قوم لا من فرد كما ترى في الآية الكريمة : فينطوي في هذه الاضافة الحرب و الاستعمار غيرهما فتأمله"[2] و المقصود بالتأمل هنا لا التدبر حسب بل الوقوف على مقاصد :

الآية و أحكامها و الرجوع الى معانيها و تأويلها . جاء في التحرير و التنوير :" و اما الآية التي نحن بصدد تفكيرها فهي واردة بعد التنكير بميثاق الله ، فكان المقام الاول للحض على القيام لله ، اي الوفاء له بعهود هم له ، و لذلك عد قوله ، قوامين باللام و اذ كان العهد شهادة اتبع قوله : قوامين لله بقوله : شهداء بالقسط ، اي شهداء بالعدل ، شهادة لا حدث فيها ، و أولى شهادة بذلك شهادتهم لله تعالى وقد حصل " وأ ضيف تفسير الرازي لقوله تعالى : و:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ أي لا يحملنّكم بغض قوم على ألاّ تعدلوا فيهم لكنّه حذف للعلم وفي الآية قولان :الاول انها عامة بأن لا يعاملوا احد اعلى سبيل العدل و الانصاف وترك الميل والظلم و الاعتساف والثاني انها مختصة بالكفار فانها نزلت في قريش لما صدوا المسلمين عن المسجد الحرام .

---

[1] – سورة البقرة ،الآية 08

[2] – اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، 102

فإذ قيل : فعلا هذا القول كيف يعقل ظلم المشركين مع ان المسلمين امروا بقتلهم و يسيء ذراريهم .[1]

قلنا : يمكن ظلمهم ايضا من وجوه كثيرة : منها أنهم إذا أظهروا الإسلام لا يقبلونه منهم ومنها قتل أولادهم ومنه نقض عهودهم ثم قال تعالى (اعدلوا هو اقرب للتقوى) فنهاهم اولا ان يحملهم البغضاء عل ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا و تشديدا[2]. "ولا يجرمنّكم " و لا يخذلنّكم في الجرم كما يقول آثَمني . فالآية دلت على أن : على أنَّ كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه أن يقتصر بهم على المستحق لهم من القتال و الاسترقاق و تحريم المثلة بهم[3] ولد الإنسان ولادة جديدة في الجزيرة العربية، الانسان الذي يتخلق بأخلاق الله ، وكان هذا المولد الجديد للعرب و للإنسان في سائر الارض ، بعد ان اجمعت قبل الاسلام اصول الجاهلية المتعصبة العمياء ، جاهلية قاعدتها الاولى "انصر اخاك ظالما او مظلوما " .

ولم يكن الامر مقتصرا على العرب بل هي الجاهلية الانسانية ، و المسافة شاسعة بين درك الجاهلية ، وأفق الاسلام ، مسافة قدرت حدودها بين قاعدتين : انصر اخاك ظالما او مظلوما "وقول سبحانه وتعالى : " لا يجرمنكم شنان قوم ، ويمضي السياق يقوي في الجماعة المسلمة ، روح العدل و القسط و تكفكف فيها شعور العدوان و الميل و الانتقام ، و العبرة المنشودة في هذا في هذا المنهج و هذا الركن من الفضيلة المستمدة من التقوى إماته الغيظ و الشنئآن لهؤلاء القوم[4].

د- قاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : وهما مبدأ وغاية عند الرافعي مصدرهما واحد بالله و الإيمان كما سبق وبين في الفصول السابقة مرجع الآداب التي جاء

---

[1]- رسائل الرافعي الى ابي رية، ص 21

[2]- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ، ج 11، ص320 ، دار إحياء التراث العربي

[3]- تفسير القرطبي ، أبو عبد الله القرطبي ، ج6، دار الكتب العلمية ،ص 109

[4]- في ظلال القران ، سيد قطب ،ج2 ، ص 853 ومابعدها بتصرف

بها القرآن ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،صفة تاريخية جاء بيانها في قو له تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٨٦ [1]

وهذا ترتيب لمنازل الفضيلة فيتضح من خلال التقديم والتأخير تقديم " الأمر والنهي عن المنكر "على الأمر بالإيمان ،يقول الرافعي "فتأمل كيف قدم و أخر ، فإنك لا تحب هذا النسق الترتيب لمنازل الفضيلة الاجتماعية الكبرى ، تجعل الامة في نفسها خير أمة " في التفسير الكبير قول الايمان الرازي ، رحمه الله : " و اعلم ان هذا كلام مستأنف و المقصود منه بيان علة تلك الخيرية ، كما تطول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم و يقوم بما يصلحهم ، وتحقيق الكلام أنه ثبت في أصول الفقه : ان ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف ، ثم ذكر عتيبة هذا الحكم وهذه الطاعات اعني الامر بالمعروف و الايمان فوجب ان تكون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات"[2].

ولأن الايمان بالله أمر مشترك فيه بين جميع الامم المحققة جاء تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الإيمان في الخطاب ، وقد فصل الله هذه الامة المحققة على سائر الأمم المحققة ، فيمتنع أن يكون المؤثر في حصول هذه الزيادة هو كون هذه الأمة أقوى حالا في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من سائر الأمم فإذن المؤثر في حصول هذه الخيرية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و أما الايمان بالله فهو شرط لتأثير هذا المؤثر في هذا الحكم لأنه مالم يجد الايمان لم يصر شيء من الطاعات مؤثرا في صفة الميزية ، فالموجب للخيرية كونهم أمرين آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر .

---

[1] – سورة آل عمران الآية 110

[2] – مفاتيح الغيب ،فخر الدين الرازي ، ج8 ، ط3 (1420هـ) دار إحياء التراث العربي ص 325

و الايمان شرط التأثير[1]وفي تفسير البيضاوي : إنما أخرى (أي الايمان وحقه أن يقدم لأنه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر الايمان بالله و تصديق و إظهار لدينه، و استدل بهذه الآية على أن الاجماع حجة لأنها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر فاللام للاستغراق".[2] ومن ذلك ما ذكره الشوكاني : إن الخيرية مشتركة أول الأمة و آخرها بالنسبة إلى غيرها من الامم ، و إن كانت متفاضله في ذات بينها كما ورد في فضل الصحابة على غيرهم وبعد قول مجاهدة إنهم خير امة على الشرائط المذكورة في الآية وهذا يقتضي ان يكون "تأمرون" وما بعده نصب على الحالي وما يهمهما من قول مجاهد معنى التقديم والتأخير بتأخير الإيمان عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ قال :"لا يتم الايمان بالله سبحانه وتعالى إلا بالإيمان بهذه الامور ، اي كنتم خير امة حال كونكم امرين ناهين مؤمنين بالله ، وكما يجب عليكم الايمان به من كتابه "[3].

ونجد الرافعي قد حمل قضية الامر بالمعروف و النهي عن المنكر احداهم او كان الفضيلة الاجتماعية المستندة في عمومها على قوة الارادة و استقلالها ما يتطلبه الامر بالمعروف ولا يتم الا به ، اما الثاني حرية الرأي و استقلاله عند النهي عن المنكر واستقلال النفس وخلوها من العقائد الباطلة و الخرافات . وقيود الاوهام و العادات و التقاليد ، وبناء هذه الاستقلالية بالنظر والتدبر و اعمال الفكر في دلائل قدرة الله و آيات إعجازه في الكون فلا آيات بلا تدبر و تفكير هكذا فقط يستطيع المكلف المؤمن أداء رسالة الامر بالمعروف و النهي عن المنكر بما ان مصدره اليقين الالهي و التصديق الجازم والايمان الصادق و قوة يقينه بمصدرية الحق الذي نذود عنه" [4].

---

[1] – انظر: مفاتيح الغيب ، نفس المصدر السابق ص326

[2] – انوار التنزيل واسرار التأويل ، ناصر الدين (البيضاوي، تحقيق محمد صبحي خلاف ومحمد احمد الاطرش)، ط1 (1421هـ. 2000).دار الرشيد. ج2،ص 23

[3] – فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) ،محمد بن علي الشوكاني ، ج2، ص 33

[4] –الاعجاز والبلاغة والنبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ص 103

لم يترك المؤلف المسألة دون تأصيل ،لذلك الفيته يعرف الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و يفسره تفسيرا موضوعيا [1] فيقول :"اعترى لفظ المعروف ما اصاب لفظة التقوى و انما المعروف كل ما يعرفه الفعل الصحيح حقا و المنكر كل ما ينكره "[2]وتحقيق ذلك عند ابن منظور في لسان العرب قوله :"تكرر نكر المعروف في الحديث ، وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله و التقرب اليه و الاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع ." فهو اسم يحيط بالدين فيدخل في ذلك كل ما أمر به الله و رسوله من توحيد الله والاخلاص له (التقوى) [3].(اما المنكر فهو كل اعتقاد او قول او عمل انكره اله ورسوله كالشرك بالله وهو ضد المعروف وهو ما عرف قبحه نقلا وعقلا قال ابن جرير 'وأصل المنكر ما انكره الله وراوه قبيحا فعله(اي اهل الإيمان) ولذلك *الإيمان* سميت معصية الله منكرا لان اهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها ويستعظمون ركوبها[4] وبعد إنما خرج من هذا القرآن مالا خلاف على اعجازه و صار معجزا لأنه جاء بأفصح الالفاظ في احسن نظم التأليف مضمنا اصبح معاني من توحيد الله تعالى وتنزيهه في صفاته ودعاء الى طاعته وبيان لطرف مبادرته وتحريم وخطى وإباحة ومن وعظ و تقويم وامر بمعروف ونهي عن منكر وإرشاد إلى محاسن الاخلاق وزجر عن مشاؤها واضحا كل شيء موضعه الذي لا يرى شيء منه ولا يتهم في صورة العقل امر اليف منه جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج له و الدليل والمدلول عليه ليكون ذلك اوكد للزوم ما دعا اليه واباء عن وجوب ما امر به ونهى عنه [5]

---

[1] – انظر هامش نفس الصفحة 103 نفس الصدر السابق.

[2] – السان العرب ابن منظور ج 9 ص236 وانظر ايضا تذكرة اولى الغير شعيرة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عبد الله بن صالح القصير ط1(1411هـ) دار العاصمة ص11

[4] – الأمر بالمعروف والتهي عن المنكر (اصوله وضوابطه وآدابه) خالد بن عثمان السبت ط1(1415 1995)ص10.

[5]– البرهان في علوم القران ، أبو عبد الله بن بهادر الزركشي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،ط1 1976– 1957

-أصول الأخلاق في القرآن عند الرافعي

تعتبر الفلسفة الخلقية من العلوم المعيارية ، أي لا تقتصر على دراسة ما هو كائن ، او الاوضاع الراهنة ولكن ما ينبغي أن تكون عليه لذا تقتصر مهمته على وضع الشروط التي يجب توافرها في الرادة الانسانية وفي الافعال الانسانية لكي تصبح موضوعا لأحكامنا الاخلاقية عليها[1].

ومن هذا المنطلق يعالج المؤلف على ضوء الاعجاز الموضوعي في القرآن الكريم مسألة الأخلاق مقارنة بين ما وضع من نظريات فلسفية تعني بالفلسفة الاخلاقية وبين ما شرع من أحكام قرآنية هذبت هذه الاخلاق على نسق يتوافق وما تمليه الحيلة الانسانية.

فإن أول مسالة واجهت الفلاسفة في دراسة الأخلاق معرفة الفرق بين الارادة الخلقية و الارادة الطبيعية ، لان افعال الانسان وسلوكه منها ما هو صادر عن دوافع طبيعية عزيزية بحته ومنها ما يخضع للقوانين والمبادئ و القواعد.

قد خرج العلماء من هذه البحوث بإثبات عجز الفلاسفة عن اللحاق بآفاق الشريعة الاسلامية حيث تحقق للإنسان اذا ما التزم بها أعلى مستوى اخلاق ممكنة على مستوى الفرد و الجماعات و الامم ، و من ثم فلا محيص من اتباع الشريعة الاسلامية دون غيرها .يقول الرافعي : " فانظر هل جاءت علوم الفلسفة و الاجتماع بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن الكريم بما ينقض هذه الحقيقة ؟ وهل قررت تفسيرها بوجوه ضعيفة مضطربة لا تبلغ في الكمال مبلغها ولا تقارب هذا المبلغ وهل في الآداب الإنسانية التي قامت عليها الامم لهذا العهد مثل ان تكون سعادة الانسان في منفعة الناس[2] وهو هنا يشير إلى النظرية المنفعة، ذات الجذور اليونانية وعند الفيلسوف

[1] – دستور الأخلاق ، د.محمد عبد الله دراز (تحقيق عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ،ص23

[2]–اعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية ، ص 104

أبيقور (342ت،270ق م).فالمنفعة فكرة فلسفية لا تلتزم بالأصول الدينة [1]اذ نقيس صيحة العمل وصوابه بما يحققه من منفعة وسعادة بصرف النظر عن توافقه مع الاخلاق .ففي راي سقراط ان الانسان يبحث عن السعادة فإذا عرفت أن الفضيلة هي الطريق الوحيد الذي يوصل إلى السعادة فإنه لا يخطئ طريقها ولا يمكن ان يعمل الانسان ما يؤدي الى شقائه وهو عالم بذلك محتار له ، و الاشرار في نظر سقراط لا ذنب لهم الا جهلهم بحقيقة مقاصدهم او جهلهم بتحديد الوسائل التي تؤدي الى الغايات الطيبة[2] وذهب الفيلسوف اليوناني (ارس تيس) ان اللذة هي صوت الطبيعة .هذه النظرية التي تولد منها الفكر الراس مالي وهذا الخالق تماما جاء به القران و اما المنفعة القرآنية كما اشار الرافعي سابقا ، تلك التي تقوم على تحقيق المصلحة .

ما تهواه النفس و لو بلغت النفس في تحصيل منفعة الغير ما يصنع عليها مصلحتها فتحتمل المكارة و يكون ذلك مقدما على سعادة نفسه[3].

فالعلم و الربح و اللذة و الراحة ة المتعة و الصحة و نحوها كلها مصالح في ذاتها نافعة لأصحابها لها باي مزلق حصلت . و الجهل و الخسارة و الالم والتعب و المرض ... كلها مفاسد في ذاتها ، الا ان هذه النظرة الذاتية في تحديد المنفعة و المفسدة هي نظرة قاصرة لا تكفي و لا تصلح لبناء الاحكام عليها شرعا او وضعا ، لان اللذة العارضة قد تعقب آلاما و مضارا لصاحبها و لغيره في نفسه او شرفه او ماله ، كذا الربح في بعض صوره وطرفه ، اذا كان ابتزاز او جشعا ، قد يؤدي الى الظلم و اكل اموال بعض الناس بالباطل ، وهذا الجهاد على ما فيه من ضرر بالأنفس و اتلاف للأموال فانه تتوقف عليه حياة الناس و امن البلاد من خطر

2- الموسوعة الفلسفية المختصرة ترجمة محمد فؤاد كامل دار العلم بيروت

[2] -اعجاز القران والبلاغة النبوية ، ص 104

[3] - مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، العدد06(1420هـ ، جوان 1999)عن مقال للدكتور سعد الدين دداش المصلحة مراتبها و مجالات تطبيقها في الشريعة الاسلامية ص219.

العدو[1]. وربما نشأت المشكلة في ميدان البحث الاخلاقي ، ان الاخلاق ترفض دافع البحث عن اللذة (المنفعة) لذاتها كسلوك اخلاقي ، لان الشعور الاخلاقي يظهر ان ابتغاء اللذة لا بد ان يفضي الى حالة اليمة من التشتت الروحي و الصناع النفسي ، اي ان مسايرة الطبيعة من حيث نشيدان اللذة وتجنب الالم لا تحقق لدى الانسان مكارم الاخلاق التي يستمدها من معرفة للقيم و المبادئ الاخلاقية و المثل العليا[2]

[1]- الاخلاق بين الفلسفة و علماء الاسلام ، د مصطفى حلمي ، ط1(1424.2004هـ)،ص40وانظر ايضا : قصة الحضارة ، ويل بحوارث ، ترجمة محمد بدران ج2مجلد4، ص59دار توش

3- الاخلاق بين الفلسفة وعلماء الاسلام ، د.مصطفى حلمي ،ط1 2004- 1424هـ ،ص40، وانظر أيضا : قصة الحضارة ،ويل ديورانت ،ترجمة محمد بدران، ج2 مجلد 4 ، ص 59

اذا نأخذ مما نسيق ان الاخلاق في القرآن عند الرافعي اصلها التقوى او الايمان و اركانها الفضيلة اما اسس الفضيلة تقوم على ثلاث الحرية ، الاستقلالية للإرادة و المساواة ، ذلك مذهب الرافعي في الجانب الاجتماعي لإعجاز القرآن .

و نعقد في الفصل التالي بيان اهمية اللغة في معرفة كل ذلك اذ يقول : "ذلك و به الاعجاز الادبي في القرآن وهو متصل باللغة اتصالا سببيا كما رأيت ، ثم هو من وراء الجنسية العربية التي بسطنا القول فيها لأنه بتحقيق تلك العصبية الروحية ، اما حقيقة هذا الاعجاز مما يتعلق بحال الآداب نفسها و كونها آداب الفطرة المحصنة التي تماد الزمن لأنها مادة الانسانية و لأنها فصل ما بين الانسان وحوانيته وبين هدام الحيوان الناطق في انسانيته"[1]

6- دعائم الإنسانية في القرآن الكريم :

أ-تعيين النسبة الصحيحة في المساواة بين الانسان و الانسان : ولهذا ابعاد اجتماعية في تحصيل اسس المساواة بين الافراد والجماعات و يقتضي ذلك المساواة في اصل الحقوق الانسانية الثابتة من اتحاد الاصل ، ويقتضي العدالة و لا يرهق جنسا آخر بظلم او اذى او مضايقة او استعباد .

و الأفضلية لا تكون بالجنس و العشيرة ، بل يكون التفاضل بالعمل الصالح ، ام ليس باللون ولا بالسامية او الارية ، انما الاكرام بالعمل لخدمة الانسانية ، و العدالة كما تكون بين الآحاد تكون بين الجماعات .حتى تورث الاجيال العدالة لا الظلم و الاستعباد[2].و الوحدة لا الإشفاق بين فرد وفرد وبين جنس وجنس ، و يعمل الزمن عمله في تمكين (التفرقة)طباع هذه التفرقة بالوراثة.

---

[1] - اعجاز القرآن والبلاغة النبية ، مصطفى صادق الرافعي ، ص 106

[2] - نفس المصدر السابق ص 107

ب–حياطه النسبة الصحيحة في المساواة الانسانية فيما يبتلى به الانسان من الخير و الشر فتنة : بما انه قد ذاب في ميزان العدالة في التشريع الاسلامي ، العرف و القرابة و الطائفة و التبعية ، ولم يبق منه الا اعتبار واحد هو الحقيقة الانسانية المطلقة فلا تكون وقائع السياسة واحداث المجتمع وما يشبهها من الفتن كالحروب ونحوها الا عملا انسانيا يريد به دفع اعتداء او اقرار للحق لا رغبة لتحقيق اهواء النفس و تسليط العقوبات على رقاب الناس بما يؤدي الى ابتغاء الهلكة و احياء لشهرة لإبادة : يقول الشيخ محمد ابو زهرة : "جاء القرآن فحارب التعصب القبلي، و التعصب الجنسي و التعصب الاقليمي، وجعل الناس أمة واحدة لا فرق بين عربي وغير عربي و قامت بذلك العلاقة الدولية على أسس﴿**وَإِنۡ** عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾[1]ويضيف :" و اذا كان الوجود يتنازع فيه الخير و الشر ، و الفضيلة و الرذيلة ، فإنه لا بد من دفاع الخير ، لقد اراد الاسلام للناس المحبة ."[2]

فنرى إذا تركيز أسلوب القرآن فيما يعبر عنه من الموضوعات و المعاني ، تغليب النزعة الانسانية الشاملة ، و يحاذر ان يأتي في خطابه او في شيء من تعليقاته على الاحداث ببيانه فكر القارئ الى خصوص بيئة او عرف اقليم او جماعة معينة من الناس[3].

ج – الحد في النسبة بالقياس الى القوة الازلية : لكي يتحقق معنى المساواة بين ما هو قوي او ضعيف و يعبر الرافعي عن ذلك بكلام جميل : "ومن ثم لا تكون الانسانية الا الغلطة و الفظاظة في الاقوياء ، و الا الذلة و المسكنة في الضعفاء و تكون كل ذرة تسقط على الارض من نعل القوي تفتح في الارض قبرا لرجل ضعيف "فتمضي في رايه

---

[1] – سورة النحل الاية 126

[2] – المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة ، ص460

[3]– من روائع القرآن ، د، سعيد رمضان البوطي ،ص.221–

اسباب الدمار و الهلاك ، وتمسي حياة الانسان جحيما ، و قد اجتمعت الديانات السماوية في هذا الحد لأنه اساس كل نظام انساني[1]

إما نزل القرآن في كل ذلك بمواقف اجتماعية أخلاقية فذة خطيرة أيام كانت الانسانية ترزح تحت الظلم و التعسف و التسلط في المجتمع ، إذ بث القرآن الكريم في المؤمنين روحا انسانية شاملة ، ورتب في دمهم حقائق انسانية ، فالعقوبات و التشريعات تبين عظمة المنهاج القرآني و كماله في حماية الافواد و المجتمعات ، و بإمكاننا ادراك اهمية هذا الجانب في التشريع القرآني ، و أهمية التحديد فيه اذا تتبعنا تخبط القوانين البشرية ، و فشلها قديما و حديثا في هذا الباب سواء منها ما يتعلق بتحديد الحرية ذاتها او درجتها او نوع العقاب المناسب لها او وسيلة التي تصلح المجتمع و لا تزيده فسادا.

و القرآن الكريم يخاطب الفطرة البشرية و هي عامة في جميع الناس و طبيعتها لا تختلف في قوم عن الآخرين و الكتاب الذي يفي بحاجات البشرية هو كتاب الله ، لأنه يفي بالمفاهيم الضرورية للفطرة ولو ان الانسانية تجردت من هواها و جلست في نسبة مؤتمر عالمي تتفق على المفاهيم التي تقيم العلاقات بين الدول و الافراد على الحق و العدل و الحرية و المساواة لوجدت نفسها مع القرآن وجها لوجه سواء اعلنت اعتقادها ام لم تعلن ذلك[2].

وقد جاء في الظِّلال : ان في القرآن الكريم مناهج حياة كاملة معجزة مناهج لحياة الافراد ، وحياة الجماعات ، و حياة الامم و الشعوب و حياة الانسانية كلها مناهج متناسقة مع نواس الفطرة الانسانية التي تعرف النفس البشرية في كل اطوارها و احوالها و التي تعرف الجماعات الانسانية في كل ظروفها و اطوارها ومن ثم نهر يعالج النفس المفردة ، و يعالج الجماعة المتشابكة ، بالقوانين الملائمة للفطرة ، المتغلغلة في وشائها و دروبها ومنحنياتها الكثيرة ، يعالجها علاجا متكاملا متناسق الخطوات في كل

[1] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص108

[2] – ملامح الاعجاز النفسي في القرآن الكريم ،د. بلقاسم محمد غالي ، كلية الشارقة ،مجلد4 ، ع 1، ص 22

جانب.[1]يقول المولى عز وجل : "﴿۞يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥﴾[2] " على أن شهوة الانتقام ان لا تؤثر في تجسيد المساواة[3]. لأن البغي أو العدوان من طبيعة النفس الظلامية ، الهمت الفجر و التقوى و بغفلتها و جهلها حجبت عن التقوى و نور الحق حتى انحدرت الى هوة العدم و النسيان حيث تضال عديمة الذكر فاقدة الشخصية نسيت الله فنسيها ، و هذا النوع من النفوس يفضي بأصحابه الى التحجر الفكري و الطغيان الخلقي . ويبين المؤلف اهمية تحديد نسبة المساواة بين الافراد على الامس الثلاث التي سبق ووضعها لأنها ما تقول به الانسانية "وانها فطرة الانسانية التي نظر الناس عليها "[4].و يضيف موضحا: "و انت اذا تدبرت آداب القرآن الكريم حيث اصبتها منه ، رايتها قائمة على تلك الثلاث جميعا فان روح هذه الآداب كلها في ثلاث كلمات من قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٦٤﴾[5] و يشير الى اهمية القيد في جعل الهدى و الرحمة منوطة بقوله "لقوم يؤمنون " اذا ان الايمان اذا انتقت معه كل آداب الانسانية "[6] .

وجاء في مفاتيح الغيب :" وصف القرآن بكونه هدى و رحمة لقوم يؤمنون ، لا ينفي كونه كذلك في حق الكل ، كما ان قوله تعالى في سورة البقرة [فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ][7]لا ينفي كونه هدى لكل الناس كما ذكره في قوله و انما خص المؤمنين بالذكر

---

[1] – في ظلال القرآن ، سيد قطب ،ج4 ، ص49

[2] –سورة النساء ، الآية 135

[3] – مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص 279

[4] – اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص 108

[5] – سورة النحل الاية 64

[6] – اعجاز القران والبلاغة النبوية ، ص 109

[7] – سورة البقرة الاية 02

من حيث انهم قبلوه فانتفعوا به –﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِیٓ أُنزِلَ فِیهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ١٨٥﴾[1].كما في قوله " ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَاۚ ٤٥﴾[2]لأنه انما انتفع بإنذار هؤلاء القوم فقط "[3].

و المناسبة ، أن القرآن انزل لإتمام الهداية و كشف الشبهات التي عرضت للأمم الماضية و الحاضرة فتركت امثالها في العرب و غيرهم ، فلما ذكرت ضلالاتهم و شبهاتهم عقب ذلك ببيان الحكمة في ارسال (محمدﷺ) وانزال القرآن اليه فالقرآن جاء مبينا للمشركين ضلالهم بيانا لا يترك للباطل مسلكا الى النفوس و ومفصحا عن الهدى فصاحا لا يترك للحيلة مجالا في العقول ، و رحمة للمؤمنين بما جازاهم ايمانهم من خير الدنيا و الاخرة.

وعبر عن الضلال بطريقة الموصولة "الذين اختلفوا فيه "للأسماء ان سبب الضلال هو اختلاف في انبيائهم ، فالعرب اختلفت ضلالتهم في عبارة الاصنام ، عبدت كل قبيلة منهم صنما و الاتيان بصيغة القصر في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِی ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾

قصد الاحاطة بالأهم من غاية القرآن و فائدته التي انزل لأجلها فهو قصر ادعائي يرغب السامعون في تلقيه و تدبره من مؤمن و كافر و كل بما يليق بحالة حتى يستووا في الاهتداء و القرآن اهم مقاصده الفوائد الجامعة لأصول الخير و هي كشف مجالات الهدى الى معارف الحق و حصول اثر ذلك الامرين ، و هو الرحمة الناشئة عن مجانبة الضلال و

[1] – سورة البقرة الاية 185

[2] – سورة النازعات الاية 45

[3] – مفاتيح الغيب ، ج9، ص417

اتباع الهدى. و التعبير بـ :"لقوم يؤمنون ، دون المؤمنين "، او للذين آمنوا للإيمان انهم الذين الايمان كالسجية لهم و العادة الراسخة التي تقوم بها قومتيهم "[1]

قالوا: سبب الخلاف في قوله تعالى لا ليس بهم اختلفوا فيه" دليل على ان اتباع الرسل السابقين، نشأ بينهم خلاف بالسلطة الزمنية ، اذ حدثت الاخيرة بعد الرسل عندما اخذ اتباعهم يكنبون الصكوك و يدعي كل واحد فبهم سلطته على الذين و يشرع ما اتفق و هواه ولما تمليه عليهم عقائدهم المنحرفة اما الهدى فهو بيان الطريق الصحيح الواضح للغاية و الطريق لا يكون واضحا الا اذا خلا من الصعاب و العقبات وخلا ايضا من المخاوف ، فهو طريق واضح مأمون سهل ، وايضا يكون قصيرا يواصل الى الغاية اما الرحمة وصف الحق تبارك وتعالى بانه شفاء و بانه رحمة" ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ ﴾[2] فالشفاء: اذا اصابنا داء المولى عز وجل يقول : طيبوا داءكم وداووا امراضكم بكذا و كذا. ..

أما الرحمة : هي ان يمنع ان يأتي الداء مرة اخرى فتكون وقاية تتبلغ الداء من منهج لشفاء هذه البداءات فالقرآن فيه هدى و رحمة لمن آمن بالنبي و برسالته و يسمعه المؤمن به فيكون له هدى ورحمة ويترك في نفسه اشراقات نورانية تتسامى به وترتفع الى اعلى الدرجات .[3]

فالأصل اذا هو التوحيد ، وكل ما طرأ على هذه العقيدة من شبهات ، و كل ما شابه من شرك في صورة من الصور من تشبيه او تمثيل كله باطل . و يتفق الامام الشعراوي رحمه الله و السيد قطب في تفسير لهما مع الرافعي في مسالة التلقي، فقد يتلقى

---

[1]– التحرير و التنوير " تحرير المعنى السيد و تنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "محمد الطاهر بن عاشور ، ط(1984ه)، الدار التونسية للطبع ، ج 14، ص195. سورة الاسراء الآية 82

[2] –سورة الاسراء ، الاية 82

[3] – تفسير الشعراوي ،محمد متولي الشعراوي ،ط(1997م)ج13، ص8037وما يليها، مطابع اخبار اليوم ، و انظر ايضا، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العربي .ج3 ص404.

القرآن من يترك اثره فيه فيتحرك وجدانه و تستجيب له روحه و تنقاد له جوارحه وقد يتلقاه آخر فيعرض عنه ، و كأنه لم يسمعه وقد اروى الخطاب القرآني في كثير من المواضع في بيان من " على قلوبهم أكنة أن يفقهوه " او الذين قالوا : قلوبنا غلف " فوضعوا قلو بهم بالمغلفة اذا اين تقع مسالة حد"[1] .

المساواة التي افرد لها الرافعي هذا الفصل يقول الاستاذ في ذلك : " وما للظلم والتعسف و المكابرة المخاتلة و لا كل الرذائل الاجتماعية . الا مظاهر متعددة لهذا الاختلاف بعينه و لا القوانين و العادات و الشرائع و الفضائل الاجتماعية، الا وسائل مختلفة لتبين هذا الاختلاف على حدود بينة من الحق [2]فلا يمكن للإنسان ان يدرك تميز الاشياء الا اذا وجدت نقائضها كالظلام و النور والخير والشر وما هو محسوس و غير محسوس فالقيم الانسانية واحدة فالدين و النبوات و الحق والخير والجمال و الامانة قيم عامة والعمل ملازم لخلق كل إنسان (والله خلقكم وما تعملون) والعدل والبر والاحسان والصدق والشجاعة الادبية والصبر والمروءة والمعاملة الحسنة وإرادة الخير والتماسك والمسؤولية والقول الحسن قيم فردية واجتماعية وسياسية طالبها القرآن من جميع الناس ولجميع الناس.

ومن ذلك تعارف الشعوب وتعاملهم بالمثل وإحقاق الحق فيهم ودعوتهم إلى حكمته القرآن وعلى العكس ايضا فان شرور الانسانية واحدة مهما تكونت وتكيفت فهي بالنسبة للفضائل مرفوضة عند جميع الناس وهي بالنسبة للسلوكيات البشرية منبوذة مكروهة وإن تخبط بعضها في بؤرها فان العقلاء يبينون ويصلحون 3والناس إذا امة واحدة بالتركيب الجمعي الانساني مركبون من النسان الواحد والنفس البشرية الواحدة و بهذا لابد من تشريعات جامعة تتناسب معها النبوات والشرائع والآداب العامة التي نبه إليها القرآن .

---

[1]–حكمة القرآن والحضارة نذير حمدان ط1 (1416ها 1995م) دار الكلم الطيب (بيروت لبنان)ص152

[2] –الاعجاز والبلاغة النبوية ص

هذا التركيب الذي نبهه الله عن طريق الخطاب إلى ان الحضارات كيانات مستقلة من الناس وايامها متساوية بينهم وجعلهم اهل الفضل والاحسان فهي مسائل وقضايا خاطب القرآن بها الناس كافة لأنها كانت وماتزال شغلهم الفكري والعلمي [1] ففي ضوء القرآن يقول مالك بن بني [2]يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الانسان وحضارته كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها

7-وسائل النهضة في القرآن الكريم وعواملها:

01- صلة الحرية بالشريعة .

02- صلة الشريعة بالأخلاق .

03- صلة الاخلاق بالله .

فالحرية تقيدها الشريعة على ما بين المؤلف سابقا بيان الحرية في القرآن الكريم فلا حرية مطلقة انما حرية الشريعة تلك التي تتوافق و فطرة الانسان[3] وقد سبق و تحدثت الى مفاهيم الحرية في حديث المساواة و صدها .فهي : "المكنة العامة التي يقررها الشارع للأفراد بحيث تجعلهم قادرين على أداء واجباتهم و استيفاء حقوقهم و اختيار ما يجلب المنفعة و يدرا المفسدة دون الحاق الضرر بالآخرين "[4]

فلا بد اذا تتوافق الحرية و ضوابط الشريعة تلك التي توافقت و الفطرة الانسانية ،فإن كتب الحريات هو اقوى معاول هدم المجتمعات الانسانية بشكل عام، و اطلاق الحريات دون قيد او ضبط مدعاة ايضا لفساد الانظمة و انهيار للقيم لذلك قامت البشرية خلال عقود طويلة من اعمارها من تجارب و مناهج بشرية قاصرة كانت تولي

[1] - نفس المرجع السابق

[2] -الظاهرة القرآنية مالك بن بني ط4 (1420ها 2000) دار الفكر ص300

[3] - التعريفات ،الجرجاني بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري ط1(1405)دار الكتاب العربي ، بيروت 116

[4] -الحقوق و الحريات (السياسية في الشريعة الاسلامية ،د. رحيل محمد غرابية، دار المنار ط1(2000/1421)ص41

اهتماما بالأنواع من الحقوق على حساب حقوق اخرى ، فهي حينا تقدمت الفرد و تعبده و تعطيه اكثر مما يستحق فيكون ذلك على حساب المجتمع ، فتقع المجتمعات في ازمان فردية و تقديس للذات و تهميش لبنائها و حينا آخر تعلي من قدر المجتمع و تنسي الفرد فتحبسه حقوقه ، فتتضاءل قيمة الفرد و يصير مجرد ترس في عجلة الحياة .

و القرآن قدر اعلى الفردية في الفطرة الانسانية ، و عززها و اعلى من قيمتها و لكن لا يكون ذلك على حساب الجماعة ، بل جعل توازنا فريدا بين كلا النزعتين فلا تجد لذلك نظير في الانظمة البشرية الوضعية قديمة كانت او حديثة.

يقول الامام :"لا غرو كان هذا القرآن من اجل ذلك انما يصف حمل الآداب اي الكليات الادبية التي تلائم الفطرة في مختلف انمائها ولا يقرر الاخلاق تقريرا وضعيا على اسلوب الكتب و المصنفات ، فيمنعها على ان لها قواعد و ضوابط و اشباه القواعد و الضوابط

مما هو مثار الاختلاف و مبعث الفرقة في مذاهب الحكماء و مما لا يكون الآداب معه الا معادة على الناس في كل عصر بنوع من التنفيح و ضرب من التغيير يناسبان اختلاف كل عصر عن الذي قبله لا بل ان المعجزة في هذه الاداب الكريمة انها تقرر الاخلاق تقريرا عاما ، فيصفها القرآن على انها هي القواعد لغيرها ، والضوابط لما يبتز عليها و يوردها في احسن الحديث....."[1]

يريد القرآن نفس محررة من الأهواء والشهوات و ليس معنى التحرر من الشهوات الحرمان منها فان القرآن يريد للناس ان يستمتعوا بهذه الحياة فيقول تعالى: ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾[2] ويقول عز من قائل ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ

1 – اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص110 وانظر ايضا في القلم ،ج2 ص64.

2 – سورة الأعراف الاية 77

أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾[1] ومع هذا التقويم كف الحرية فالإنسان لا يعبد ألا خالقه وهذا الإقرار للحرية يلقي على الإنسان تبعة اختياره ويحمله مسؤولية حريته [2].

وإن مبدا التناسب بين المسؤولية والحرية تمتد جذوره بعمق في الضمير الإنساني بحيث لا يمكن تجاهله دون ان يبدو في موقفنا شيء من الإجحاف فإلى اي صد إذن إذا اخذنا الإنسان كما هو يمكن ان نتحدث عن مسؤولية مشروعة إذ ان علم النفس الحديث يثبت ان الغرائز الانسانية اقل صرامة واكثر قابلية للتفسير والتربية يؤثر بعضها في بعض اكثر والانسان الذي استطاع ان يروض الحيوان المتوحش إلى مستأنس كيف لا يمكنه السيطرة على ذاته و طباعه الخاصة و بذل الجهد في ذلك والقرآن يعترف للإنسان بهذه القدرة المزدوجة التي اوابها الإنسان وفي نطاق فرض القائل: بأن جزءا من طبيعتنا يطل مطلقا عصيا عن كل تعديل يجب التفريق بين المطالب التي توصي بها ميولنا الفطرية وبين علاقات هذه المطالب بإرادتنا[3] .

– خصائص الخطاب القرآني في بيان مفهوم الحرية: لبيان ماهية الحرية في هذا الفصل ، يوثق المؤلف خصائص الخطاب بوصفه "نظام انساني عام "لا يراد به الحرية –المنفعة– للنوع كله ،ثم الموازنة بين مقدار هذه المنفعة و بين مقدار الحرية التي تنال بها. فالحرية المطلقة عبث و المنفعة المطلقة ضرر ولو اتيح و ابيح كل امة ان تفعل ما تريد وفقا لتسلطها على ضعف غيرها لكان في ذلك مفسدة و فتنة عظيمة في الارض .

و بالجملة مقاصد القرآن من خلال آدابه انما اراد بها:" **الانسان الاجتماعي الذي يجتمع فيه من الآداب الاجتماعية التي ضمنت على مر عصور متعاقبة و بقاء روح**

---

[1] – سورة القصص:77 –

4– القرآن و قضايا العصر عائشة عبد الرحمن دار المعارف القاهرة ص77.

[3]–دستور الاخلاق في القرآن (دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن)محمد عبد الرحمن دراز ط10(1998،1418)مؤسسة الرسالة ص 207.

آدابه في انفس المسلمين كأنها فيهم صفة وراثية وكما كانت هذه الروح السبب الاكبر في انتشار الاسلام حتى بين اعدائه" .و تلك دلالة صريحة على انه الدين الحق الطبيعي للإنسانية و هو حقيقة زمنية لم يزل كل عصر يأتي الناس بدليلها و لم يستطع اعداء الاسلام ان يكابروا فيها فكابروا في تعليلها[1].

اذا بيان جملة الاداب القرآنية عند اديبنا يتميز باسلوب يبنى على جملة من الأسس :

01- الاطلاق كأنه نظام انساني واحد .

02- الموازنة بين الحرية و المنفعة .

03- ضبط الصلة بين عالم العقل و عالم المادة .

04- ان الارادة الاجتماعية للإنسان اساسها الفضيلة الادبية التي هي جزء من الشريعة التي بها تتحقق ارادة ومنفعة الجماعة.

[1] - اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص113

المبحث الرابع
علوم القرآن عند الرافعي

اختلف العلماء حول هذا الوجه ،الاعجاز الا انك تجد الرافعي في كتابه يشيد به و يجعله واحدا من اهم وجوه الاعجاز في القرآن الكريم :ومنهم من حصره فجعله قاصر على الآن الكشوف العلمية في الطبيعيات و علم الفلك و غيرها بينما الرافعي جعل منهجه مختلفا و يسمى هذا الفصل القرآن و العلوم "و ليس راتب عاقل. ممن يتدبرون تاريخ العلم الحديث ،و يستخصون اسباب نشأته و يتشبثون عند الخاطر من ذلك اذا اقدموا عليه و عند الرأي اذا قطعوا به . انه لو لم يكن القرآن الكريم لكان العالم اليوم غير ما هو في كل ما يستطيل به ....فإنما كان القرآن أصل النهضة الاسلامية ."[1]

قال القاضي ابو بكر بن الغربي في قانون التأويل :علوم القرآن خمسون علما و أربعمائة علم و سبعة آلاف علم و سبعون الف علم على عدد كلم القرآن الكريم مضروبة في اربعة ؟الكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع .و هذا مطلق دون اعتبار تركيب و ما بينهما من روابط و هذا مما لا يحصى و يعلمه الله ، و ام العلوم ثلاثة توحيد و تذكير و احكام فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات و معرفة الخالق بأسمائه و صفاته و افعاله ، و التذكير منه الوعد و الوعيد و الجنة و النار ، و التصفية الظاهر و الباطن و الاحكام منها التكاليف كلها و تبين المنافع و المضار و الامر و النهي و الندب ...."[2]

---

[1] – نفس المصدر السابق ص 114

[2] – قانون التأويل ،محمد بن عبد الله بن الغربي ، ط1 (1406هـ/1982م)تحقيق،محمد السليماني القبلة دار للثقافة الاسلامية ،مؤسسة علوم القرآن ـ ص

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام[1]:" معظم آلي القرآن لا تخلوا عن احكام مشتملة على آداب حسنة و اخلاق جميلة "[2].

للقرآن وجه اجتماعي كما قال الرافعي من حيث تأثيره في العقل الانساني فالعلاقة من العلم و الدين رابط مصيري بقرارات معا مصير الانسان و كهالة اذ هو ضياء لكشف الواقع و المعرفة الحقيقية ، و الحقيقة هي فعل الله و اثره ، فالعلم طريق طبيعي لرؤية آثار الخالق و تزداد معرفة الخالق بازدياد العلم.ايضا بمعناه العام اي يشمل الفلسفة .اداة لكشف حقيقة الكون و حقيقة الانسان و ارتباط الانسان بالكون و بالموجودات و دور الانسان في العالم و الحياة و في الكون [3].و يشير المؤلف في الهامش الى تاريخ العلوم و تطورها و نشأتها في الحضارات القديمة و اقتصاره اي العلم على طبقات معينة من المجتمع و من الحضارات التي تحدثت عنها :الحضارة المصرية الاشورية و الغرناطيين و الرومان ،و الهنود و اليونان[4].

و ليس من المغالاة في شيء ان نقول ان جميع ما انتجه العقل الاسلامي طيلة عهود ازدهار الحضارة الاسلامية راجع الى القرآن الكريم اما بشكل مباشر او بشكل غير مباشر ومن مظاهره ايضا تأثيره الكبير في الحضارة الانسانية ، ومن ذلك انه مهد بإشعاعه العلمي لقيام الحضارة الاوروبية الحديثة .فالقرآن بدعوته المفتوحة للعلم بنى احضاره شامخة سعدت بها الان لن يناقضه علم كوني صحيح يقول الرافعي في ذلك :"و هذا كله لم يعرفه اساتذة اليوم (الاوروبيون)الا في القرن السادس عشر للميلاد هم قد

---

[1] – عبد العزيز بن عبيد بن ابي القاسم بن الحس .شيخ الاسلام لدينه(578هـ/ت 660هـ)نفقة على الامام فخر الدين عساكر و قرأ الاصول العربية و في قضاء مصر اختصر نهاية المطلب و القواعد الكبرى و القواعد الصغرى الوافي بالوفيات الصخري ،م/ص185،تذكرة الحفاظ الذهبي

3 – معترك الاقران في اعجاز القرآن ابي الفصل جلال الدين (السيوطي،(تحت: احمد شمس الدين)المجلد 1،ط1(1988/1408م).دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ص20.

4– الطبيعيات و الاعجاز العلمي للقرآن الكريم .د. عبد الحليم عبد الرحمن خضر– الدار السعودية للنشر و التوزيع، ص19

[4] – انظر: قصة الح3ضارة،م–ص ،و تاريخ الحضارات العام .م. ص

اخذوه و اخذوا معه كثيرا من الفضائل الاجتماعية عن المسلمين و علمائهم لا يكابر في ذلك منصفوهم وذوو الاحلام منهم ."[1]

1-القرآن و علاقته نشأة العلوم الدينية :

اشار المؤلف في الجزء الاول من كتابه تاريخ آداب العرب الى اسباب ظهور (التدوين العلمي و بعض اسبابه و التي تختصرها في نقاط موجزة حتى لا اطيل على القارئ الكريم و لان مقام الحديث عنها بتحصيل قد يطول و لا يقصر ، اذ احاول حصر ما ذكره الكاتب على سبيل المثال:

1. اختلاف المسلمين في قراءة القرآن ، وامتزاج الثقافات ودخول لهجات و ثقافات دخيلة بسبب اختلاف السنة الحضريين الى ان فشل بينهم اللحن و الزي عن الوجوه الصحيحة للأعراب فاضطرب كلام العرب و ظهر المولد[2]والمصنوع . فسكان البلاد كانوا في هذا العصر – عصر التدوين – يتكونون من عنصرين عنصر عربي وهو العنصر الفاتح ، وعنصر أعجمي ، وكان أكثر حملة العلم في عصر الصحابة عرب فلما أخذ العلماء يعلمون في الامصار المفتوحة اشترك العرب والاعاجم في نقل العلم عنهم حتى اذا كان عصر التابعين وتابعيهم كان حملة العلم عربا ،يقول ابن خلدون في تعليل هذا :"و السبب في ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتصر احوال السذاجة والبداوة و انما احكام الشريعة التي هي اوامر اللهو نواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع و الصحابة و القوم عرب لم يعرفوا امر التعليم و التأليف والتدوين ولا ينفعوا إليه ولا دعتهم

---

[1] – اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ص 116

[2] – شرح ذلك احمد امين في الاسلام بقوله : كما كان هناك توليد بين الاجسام كان هناك توليد عقلي فعقول الناس من الامم المختلفة كان يتناوبها اللقاح فالفارسي يحمل عقلا فارسيا ثم يعتنق الإسلام ويتعلم اللغة العربية ، فينشأ مزيج من العقلين ، كتوليد افكار جديدة ، ومعاني جديدة فالأدب العربي كان مزيج طبع بالطابع العربي الاسلامي فسمى ادبا "عربيا انظر ضحى الاسلام ، احمد امين ، ج1 ، ص15.

إليه حاجة وجرى الامر على ذلك زمن الصحابة والتابعين كانون بريمون للمختصين بحمل ذلك و نقله القراء اي الذين يقرؤون الكتاب وليسوا اميين فقيل لجملة القرآن "قراء" ثم صارت هذه العلوم كلها محتاجة إلى التعليم فاندرجن في جملة الصنائع وقد قدمنا ان الصنائع من منتدل الحظي وان العرب ابعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية [1]

2. كثرة التأويل وتحريف الكلام الشرعي وظهور القول على الرسول

3. انتشار الجهل بآمور الدين وبعد العوام عن حمل العلم او طلبه

4 ـ اختلاف المدارس الفقهية و اختلاف الفقهاء في استنباط الاحكام الشرعية مما تسبب في ظهور الفتن اختلاط الامر على الناس

كانت هذه جملة الاسباب التي ذكرها المؤلف في مؤلفه عن اسباب النشأة العلمية للعلوم عند العرب .

ان منظومة الفكر الاسلامي هي قلب حضارته ط المانورت العقول و القلوب ، فحصنت المسلم بالعلم و التقوى و حثته على نشدان الترقي و الصلاح لنفسه و لأمته و للعلم فاذا كانت الحركة الدينية في صدر الاسلام هي الحركة الاكثر انتشارا فذلك لان اكثر العلماء كانوا علماء دين و ان السبب في ذلك ان الذي ملك على الناس نفوسهم و اراد فيه سبب وحدتهم و علة نهضتهم لولاه لقبعوا في كسر بيتهم و لما تعوا حدود بلادهم و لما فتحوا الامصار و دوخوا الممالك.

اخلص للقرآن قوم من غير العرب فاعتنقوا عقيدته فأقبلوا عليه يتفهمونه و الحديث يجمعونه ويشرحونه

[1] – فجر الاسلام ،احمد امين،(1969م) دار الكتاب العربي ،بيروت ص152

فعنده صدرت سائر العلوم الاسلامية او انشات مستعينة من العلوم القرآن نفسها اضافة الى سنة نبيه [1]و اذا نظرنا تأمل الى انواع العلوم التي في علوم القرآن فظهر لي يمكن تقسيمها الى قسمين .

أ–القسم الاول :العلوم الناشئة منه: و هي ما كانت متعلقة به تعلقا مباشرا و لا تخرج الا منه في علم نزول القرآن و احواله و علم القراءات و علم جمعه وتدوينه و علم الرسم و الضبط وعلم عدّ الآي [2]

و اما العلوم الناشئة عنه التي ذكرها المؤلف و تعني بها العلوم المرتبطة به كنص شرعي تؤخذ منه الاحكام التشريعية و يشاركه فيها الحديث و العلوم المرتبطة به كنص ادبي و تكون هذه خادمة له.

1– القراء: وهو علم يعنى بضبط اللغة و تحرير كلماته و تفرقة مخارج حروفه و عددها و عدد كلماته وآياته و سوره و احزابه و انصافه و ارباعه و عدد سجداته و التعليم عند كل عشر آيات، و المشابه و المتماثل.

2– إعراب القرآن: و يعني به المبني من الاسماء و الافعال و الحروف العامة وغيرها وعنوا ايضا في الاسماء و تواجهها و اضرب الافعال ، و اللازم ، و المتعدي جاد في الاتقان "من فوائد هذا النوع معرفة المعنى لان الاعراب يبين المعاني و يوقف على اغراض المتكلمين"[3].

3– علم التبشير : وهو علم يعنى بألفاظ القرآن و معانيها ، و جرى بينهم الخلاف بين المعنى الواحد للفظ و المعنيين فأعلموا فكرهم بوسائل و ادوات المفسر فراجحوا واستنبطوا كل بما افضى به عقله واملى عليه جهده و جاء في التحرير : نقول

1– المدخل الى علوم القرآن و العلوم الاسلامية .د. محمد امين فرشوخ ط1(دار الفكر العربي (بيروت)ص173

2– الاتقان في علوم القرآن ج1–2 ط4(1398م–1978م)مسيوخي ،انظر ايضا البرهان في علوم القرآن ، ج1 ص17

3 – الاتقان في علوم القرآن .ج1، ص235.

هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني الفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار او بتوسع و المناسبة بين المعنى الاصلي و المعنى المنقول اليه لا يحتاج الى تطويل "[1]

4. **علم اصول الفقه**[2]: اما لشمل التخصيص و الخبر و النص و الظاهر و المجمل و المحكم و المشابه و الامر و النهي و النسخ الى غير ذلك من انواع القسية و الصعاب و الاستقرار فهذا اطلق عليه عند العلماء علم اصول الفقه[3].

5. اصول الدين(التوحيد): و هو توسع الاصول في استنباط الادلة العقلية من القرآن الكريم و الشواهد الاصلية و النظرية وهو مصطلح مركب من كلمتين :

– **اصول** :جمع مفردها اصل وهو كل ما يتبنى عليه غير سواء اكان الانبياء حسيا كالأساس الذي يشيد عليه البناء فهو اصل له او كان الانبياء كليا كابتداء الاحكام الجزئية على القواعد الكلية جاء في البرهان "فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات بمعرفة الخالق بأسمائه و صفاته و افعاله فالدلائل : "و الهكم اله واحد"[4].فيه التوحيد كله في الذات و الصفات و الافعال .

– **الفقه**: و فائدة هذا العلم هي اقدره على نصب الادلة السمعية على مدلولها و معرفة الاحكام الشرعية بتطبيق قواعدها على الادلة (التفصيلية التي تستنبط منها الاحكام و القضاء في ذلك او الاجتهاد يعتمد على العقل و التبرير وحذف الامور و استخراج الدليل من الكتاب و السنة و لا يؤتى الا القلة من القادرين.

---

4 – التحرير و التنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ،ج1، ص12.

1 – ذكر الشوكاني :"جميع مباحث اصول الفقه راجعة الى اثبات اغراض ذاتية للأدلة و الاحكام من حيث اثبات الادلة للأحكام وثبوت الاحكام بالأدلة "انظر ارشاد الفصول الى تحقيق الحق من الاصول محمد بن علي بن محمد الشوكاني تحقيق الشيخ احمد عزو عناية ،ط1(1419هـ /1999م)دار الكتاب العربي ،ط1،ص23.

2– عرف العلماء الاصول هذا العلم :القواعد التي يوصل فيها البحث الى الاستنباط الاحكام من ادلتها التفصيلية او هو العلم بهذه القواعد .

– سورة البقرة الآية 163[4]

وقد بين المؤلف طبيعة هذا العلم بقوله:" و احكمت طائفة صحيح النظر و صادق الفكر فيما فيه من الحلال و الحرام و سائر الاحكام فاستثنوا اصوله و فرعوا فروعه و بسطوا القول في ذلك بسطا حسنا ، و سموه بعلم الفروع و بالفقه ايضا."

– و الفقه في اللغة : هو الفهم يقال فقه الامر اذا فقهه او تمعن فيه نجلا غوامضه

اما في الاصطلاح[1]: اي في تعريف الفقهاء له : "معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجود و الحظر و الندب و الكراهية و الإباحة هي مشتقاه من الكتاب و السنة و ما نصبه الشارع لمعرفتها من الادلة ،فاذا استخرجت الاحكام من الادلة قبل لها فئة .[2]

فعلم الحلال و الحرام في الاسلام مصدره القرآن و هو الشريعة العلمية و الاحكام التكليفية وما من امر شرع بالنسبة الا كان مرجعه الى القرآن فهو ما قال فيه العلماء : لا يوجد حكم شرعي الا كان له اصل في القرآن و السنة النبوية الشريفة بنيته او شرحته و لقد طار بعض الملحدين بهذه الحقيقة و زعموا انه يمكن الاستغناء بالقرآن عن السنة و ذلك هو الاختيار على الحقائق [3] .

6. قصص القرآن (التاريخ):

يقول المؤلف ومن جملة ما اعتنى به المسلمون عناية طائفة منهم بما (جنوا) حواه القرآن من اخبار القرون السالفة و الامم الخالية و نقلوا اخبارهم ووقائعهم ، حتى ذكروا بدء الدنيا و اول الاشياء و سموا ذلك بالتاريخ و القصص [4]وتعبير كثير من العلماء ان قصص القرآن لون من الوان تصاريفه البيانية فقد ذكر الله الحقائق الاسلامية في

---

[1] – البرهان في علوم القرآن .ج2ص03.و انظر في ذات المعنى :الاتقان في علوم القرآن ج1 ص556 و المشوق في علوم القرآن و علم البيان ابن قيم الجوزية،ص05،مناهل العرفان ص1232

[2] – مقدمة ابن خلدون ـ دار الكتاب اللبناني،ص798.

[3] – المعجزة الكبرى (القرآن)–الامام محمد ابو زهرة ،ص391.انظر الاتقان في علوم القرآن ج2.ط1.(1403هـ/2003م)،دار الفكر –بيروت لبنان ص482

4 – اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،ص118

القصص فلم يكن صبره فقط بل كان بيانا لحقائق الاسلام فمنهج القصصي في القرآن الكريم منهج جامع شامل متكامل فاذا كان الباحثون الآن يعينون نوعية المنهج الذي يملكونه في بحوثهم الادبية و العلمية فان مر ذلك الى المنهج القرآني يقول الدكتور محمد الدالي في كتابه الموسوم "الوحدة الفنية في القصة القرآنية :"...ورجل التاريخ العاشق للأخبار ، ان غمضت علية حوادث الليل و النهار ولم تسعفه المشافهة و المناقلة او الرواية لجأ الى مصدرها في قصص القرآن....."[1]

الا ان الشيخ محمد عبده يرى ان ترتيب الاحداث في القصص القرآني ليس قائما على الاساس التاريخي الذي يضطلع به المؤرخون و انما يرجع الى اعتبار بلاغي في غايته تحريك العواطف و الوجدان "[2]و يعقب الدكتور عدنان زرزور[3] على ذلك ان يوضح القيمة التاريخية للقصة القرآنية و قيمتها و اقامة الدليل السريع على ان القصص القرآني تاريخ ثابت و اخبار سلفت وحوادث وقعت ، و لهذا وصف الله تعالى قصص القرآن بأنها الحق: فقال تعالى "أن هذا لعو القصص الحق)[4] و هو ما ذهب اليه القاضي عياض في الشفاء و الشيخ محمد ابو زهرة في المعجزة الكبرى.

7ـ الخطابة و الوعظ :ومن جملة العلوم التي اولاها العلماء عناية:(امثال وحكم). و المواعظ وذكرة الموت والميعاد و الحساب و الجنة و النار[5]

---

[1] – الوحدة الفنية في القصة القرآنية .د. محمد الدالي –ط1(1414هـ/1993م).آمون للطباعة و التجليد.ص16.

[2] – تفسير المنارـ الشيخ محمدعبده،(تأليف العلامة رشيد رضا)ط1.ج12مطبعة المنار،ص101

[3]– القرآن ونصوصه ،د عدنان زرزور ،(1400هـ/1980م).مطبعة خالد بن الوليد ،ص333

[4] – سورة آل عمران الآية64

[5] –إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص 118،أنظر الاتقان الجزء 2 ص 162 و أيضا المعجزة الكبرى ص 419.

8. **وعلم للواقيت**: وهو ضرب من اضراب العلوم التي تعرف عنها ازمنة الليالي والايام واحوالها ومقاديرها لمعرفة زمن العبادات فالعالم ينظر إلى ما فيه لاكن الدالة على الحكم الباهرة في الليل .

9- **علم المواريث (الفرائض)**: " وأخذ القوم بما فيه آية المواريث من ذكر السهام وارجاءها وغير ذلك علم الفرائض و استنبطوا منها من ذكر النصف و الثلث و الربع و السدس والثمن حساب الفرائض ومسائل الهول و استخرجوا منه احكام الوصايا القرآن الكريم بيان الميراث بالتفصيل و لم يكن في السنة النبوية تفصيل في القرآن و لكن فيها تطبيق لأحكامه و توضيح لما عساه يستغلق على بعض الافهام فالقرآن بين ميراث الاولاد والابوين والزوجين وميراث اولاد الام والعلماء درسوا كل ذلك وبينوه وقعدوا له القواعد و صنفوا فيه مستنبطين منه ما يفيد و ينفع من الاحكام الشرعية رحمة بالعالمين.

10- **المعاني والبيان والبديع**:

وهو العناية الادبية بجانب من جوانب الاعجاز القرآني واختص به الدباء و الشعراء فنظروا إلى جوالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادئ و المقاطع والمخالص والتلوين في الخطاب والاطناب والايجاز و غير ذلك تطلق كلمة البديع في اصطلاح النقد والبلاغة على الخصائص الفنية (المتعلقة بالصناعة الكلامية وتأليف الكلام ونظمه ونعني بالخصائص الفنية هذه الاستعمالات الخارجية عن اصل وضع اللغة ،التي يراد بها فوق إفادة اصل المعنى زينة او قوة فيه و على ذلك قول ابن رشيق:" والإبداع إتيان الشاعر بالمستطرف الذي لم تجري العادة بمثله ثم لزمته التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر تكرره فاذا تم للشاعر ان يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الامد وحاز قصب السبق"[1] جاء في التحرير انه من الوجوه التي جاء بها القرآن معجزا

[1] -التحرير و التنوير ،الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور،ج1 ص 140.

العرب:" ما ابدعه القرآن من افانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في اساليب العرب ولكنه غير خارج عما سمح به اللغة "[1]

والإيجاز من مذاهب العرب في كلامها إذ ان العرب تختصر الكلام ليخفقوه لعلم المستمع بتمامه فكانه في تمام القول : ويقولون :ربنا ما خلقت هذا بأطلاء وفي قوله تعالى :"واشربوا في قلوبهم العجل" [2] يقول يسقوه حتى غلب عليه مجازه مجاز المختصر[3] اما الفراء فيرى ان من شان العرب لإيجاز وتقليل الكلام فيحذفون من الكلام قصدا للتخفيف و يقول :"والكتاب اعرب واقوى في الحجة من الشعر "تحاسبينا ما قيل :ان النحاة قد جعلوا الشعر اصلا للقرآن.

وقد عرف الجاحظ الإيجاز بقوله :لو ان قائلا قال لبعضنا : ما الإيجاز ؟لظننت انه يقول الاختصار و الإيجاز عنده ليس يعني به قلة عدد الحروف و اللفظ بل لابد ان يكون متطابقا لمقتصر الحال وان يكون السامع على العلم به .

يقول: "و الايجاز ليس يعني به قلة عدد الحروف و اللفظ وقد يكون الباب من الكلام من اتى فيما يسع بطن طومار فقد اوجز و كذلك الاطالة وانما ينبغي له ان يحذف بقدر ما لا يكون سببا لإغلاقه و لا يردد و هو يكتفي في الافهام بشطره فما فضل عن المقدار فهو الخطل"[4]و يضيف على ذلك فيقول "ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن: لتعرف بها فصل ما بين الايجاز و الحذف و بين الزوائد و الفضول و الاستعارات .فإذا قرأت فضلها في الايجاز.

و اختلف من بيت الايجاز و الاضباب و انشطة وهي المساواة اولا ويقول السيوطي واعلم ان الايجاز و الاطناب من اعظم انواع البلاغة حتى يقل صاحب سر

---

[1] – اعجاز القران والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ن ص

[2] – سورة البقرة الاية 93

[3] – انظر قضية الاعجاز القرآني و اثرها في تدوين البلاغة العربية ،د ، عبد العزيز عبد المعطي عرفة ص104، وانظر ايضا :مجاز القرآن ،لابي عبيدة،ج1،ص10.

[4] – الحيوان، الجاحظ،ج1،ص90.

الفصاحة [1] عن بعضهم انه قال : البلاغة هي الايجاز و الاطناب و قال صاحب الكشاف :كما انه يجب على البليغ في مظان الاجمال ان يوجز و يجمل فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل ان يفصل و يشبع "انتهى كلام السيوطي.

نذهب في كل مذهب ،او كما نقول اليوم "انه يفسح المجال لخيال الملتقى و على لف غيره في مسالة بلاغة الاطناب :"اذا كان الاطناب لا منزلة الا و يحس اكثر منها فالأطناب مشيئة ايجاز"[2].

هذه اشارة ولمحة عن قصد المؤلف بمعنى البيان و البديع و الايجاز بنيته في شيء من الاختصار لأنه سيأتي بيانه تفصيلا في المباحث القادمة.

2ـ القرآن والعلوم الاسلامية:

احتار المؤلف في هذا الفصل ان ينتقل بنا في رحلة تاريخية تأصيلية لتطور مختلف العلوم بسبب من القرآن الكريم ، متصفحا لوريقات من تاريخ الفنون المختلفة كالتفسير و الادب و الفقه في مختلف العصور التي ازدهرت فيه كما يبين في هذا الفصل ايضا دور الخلفاء الامويين و العباسيين انتهاء الى عصر الراشدين في بحث هذه العلوم و العناية بها :"و لسنا نريد ان نخوض في الكشف عن مبدأ انتشار العلوم النظرية و العلل الباعثة عليها، ومن كان مع اهلها من الخلفاء و من كان عليهم فلذلك موضع في كتاب التاريخ هو [3]املك به و اوفى ،غير اننا نوثق الكلمة في ان القرآن الكريم هو كان سبب العلوم و مرجعها كله بأنه ما من علم الا وقد نظر اهله في القرآن و اخذوا منه مادة علمهم او مادة الحياة له ، فقد كانت سطوة الناس في الاجيال الاولى من العامة شديدة على اهل العلوم النظرية .الا ان يجعلوا بينها و بين القرآن سببا من التأويل و الاستشهاد

---

[1] – هو : ابن سنان الخفاجي (ت466 هـ)

[2] – الاتقان في علوم القرآن،ج2،ص69.

[3] – ثلاث رسائل في اعجاز القرآن،ص80.

و النظر واشار في ذلك الى نشأة :علوم التفسير و انواعها و تطورها ،و اجتهادات العلماء في معرفة معاني القرآن و مقاصده ولم يكتف بذلك لتظهر سعة ثقافة الرافعي و احاطته بفنون مختلفة من العلوم كالفلسفة و التاريخ و الادب و الشعر ،و احاطته بما حوته امهات التصانيف و التأليف الزاخرة بما جادت به العقول و الحجى في مختلف العصور[1].

"يذكر احمد امين و يصف هذه الحقبة قائلا: "أول ما نلاحظ ان الامة الاسلامية في هذا العصر خطت خطوة جديدة في حياتها العقلية و حركاتها العلمية و كان هذا نتيجة لازمة لكل ما احاط بها من بيئة طبيعية و اجتماعية [2].

و من مميزات العصر العباسي ظهور حركة "التدوين "في كل فروع العلم و منها الفقه[3] وقد كانت الفاظ القرآن مادة كبيرة من مواد اللغة اجتهد العلماء في تحديد معانيها ،وكان حافزا لهم على الرحلة و الرواية لتبين مدلولها .فعلم التفسير في العصر العباسي اتخذ شكل الحديث بل كان جزءا منه ،وبابا من ابوابه ، ثم جاءت الخطوة الثانية وهي تجريد ما ورد في الحديث المرفوع و الموقوف من التفسير و قد دعا بذلك قوم من التابعين اختص كل جماعة بجمع تفسير عالم مصرهم فغنى المكيون برواية ما ورد من التفسير عن ابن عباس الملكي ،كمجاهد و عكرمة و سعيد بن جير ، وعزا التابعون من الكوفيين برواية ما ورد عن ابن مسعود الكوفي.

و ما لتحيز الرافعي هذا لبوجه من التاريخ الابيان لفضل القرآن على العلوم الدينية و العقلية فشغل في هذا الفصل بجمع اشاوات مختصرة لتطور بعض العلوم المتعلقة بعلوم القرآن كالتفسير و الفقه ومدى تأثر العوام بما طر أعلى الامة العربية من تغيرات سياسية و اجتماعية و عقلية .

---

[1] – اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص123

[2] – ضحى الاسلام ،احمد امين،ج2،ص01

[3]– نفس المصدر،ص171

ادى هذا الى ظهور مناهج علمية و تعدد طرف و اساليب التفسير ، وكما كان الحديث فيه الوضاع و الصادق فكذلك التفسير و الرافعي يبين ذلك على وجه تأكيد لأهمية العلوم و القرآن و ما زال سبب لها: فإنه لا يعرف في تاريخ العالم كله ،من لدن ارخ الناس ،كتاب بلغت عليه الشروع و التفاسير و الاقوال و المصنفات المختلفة ما بلغ من ذلك على القرآن الكريم "[1]

لا عيار اخذ انه قد حدث اختلاف بين المسلمين من الناحية السياسية و كان لهذا صداه في العقائد فكان نقاش عقائدي بين المسلمين ، وهذا النقاش سار مع الحياة العلمية بخط مواز للعلوم الاخرى حتى نضجت العقائد نتيجة الصراع الفكري و السياسي .

و الحقيقة ان تقسيم التاريخ العباسي الى فترات و تسميته بأسماء القائمين على السلطة قد يكون محببا من الناحية الفكرية و العلمية . لان العلوم الاسلامية التي منشؤها القرآن لم تتوقف او تفتر منذ ان بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا بل سارت على الناموس الطبيعي لتطور العلوم بصرف النظر عن التقلبات السياسية.

أ–العلوم العقلية و اثرها على الدراسات القرآنية و التفسير[2]:

دخلت الفكر الاسلامي مذاهب دخيلة حادت عن العقيدة الاسلامية ،وقد جاء ذلك كنتيجة حتمية للفتوحات الاسلامية التي سيطرت على حضارات كثيرة كما سبق و ان اشرت على ضوء ما اشار اليه الرافعي و كان النقاش بين المسلمين في اصول العقيدة ينتصر اهل الحق لحقهم بالمنطق و الفلسفة و براهينهم و يزيغ اهل الضلال في متاهات الفلسفة و اقيسة المنطق .

---

[1]– اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص124

[2] – عندما نذكر العلوم العقلية تقفز الى الذهن ما ابالقة القدماء على بعض الجهود الفكرية في العصور المتأخرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (القرن الثالث و الرابع الهجري)و اقصد هنا *الفرق الكلامية" و عادة ما يطلق هذا المصطلح على المعتزلة و الشيعة .

1ـ الشيعة: و يطلق عليهم الروافض [1]بدات ارهاصات هذه الفكرة ان صح التعبير او هذه الظاهرة بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه الا ان عقيدتهم و ضحت اكثر لظاهرة سياسية او دينية و للكن كظاهرة علمية ايضا و الشيعة فرق كثيرة جدا اما عقائدهم في الذات و الصفات في نفس عقائد المعتزلة و قد اثرت هذه العقائد على تفسير القرآن حتى بلغ ببعضهم القول ان القرآن محرف ومن اشهر تفاسيرهم تفسير الطبرسي و الطوسي و تفسير ابي الحسن العسكري [2]ومن الفرق التي اشار اليها الرافعي هم الاثنا عشرية و هم على ما جاء في التفسير و المفسرون للذهبي[3] يميلون بالقرآن نحو عقائدهم و يلوونه حسب اهوائهم و مذاهبهم و هؤلاء ليس لهم في تفسيرهم المذهبي مستند صحيح يستندون اليه انما هي اوهام و خرافات منه اعتقادهم بأن :جمع القرآن وتأويله هو كتاب جمع فيه علي(كرم الله وجه)القرآن على ترتيب النزول .الجامعة: وهي كتاب طوله سبعون ذراعا من إملاء الرسول صلى الله عليه وسلم و خط علي عليه السلام مكتوب على الجلد المسمى بالرق في عوض الجلد جمعت الجلود بعضها ببعض حتى بلغ طولها سبعين ذراعا و عدها من مؤلفات علي باعتبار أنه كتبها و رتبها من قول رسول الله(صلى الله عليه و سلم).

أما: الحفر فقد ذكره ابن خلدون في مقدمته و ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث

يقول ابن خلدون :"و اعلم ان كتاب الحفر كان اصله ان هارون بن سعد العجلي و هو راس الزيدية كان له كتاب يرويه جعفر الصادق و فيه علم ما سيقع لأهل البين

---

[1] – انظر: تأويل مختلف الحديث ابن قتيبة الامام ابي محمد عبد الله بن سلم بن قتيبة (تحقيق محمد محي الدين الاصفر)ط2مؤسسة الاشراق ص122 جاء في التخصص :قال ارفض القوم اجلهم ارسلوها بلا رعاء و قال ابن السكيت :الرفض الابل المتفرقة و سمي الروافض من الشيعة لانهم تركوا زيد بن علي انظر: لابن سيده تحقيق(خليل ابراهيم جفال)ج2دار احياء التراث العربي ص173 و انظر ايضا كتاب العين الفوا هيدي (تحقيق د مهدي المخزومي .د. إبراهيم السامرائي)ج7(بدون سنة طبع)دار مكتبة الهلال ص29

[2] – التفسير و المفسرون ج4 ،ص125

[3]– انظر : التفسير و المفسرون ،الذهبي،ج2،ص16،و انظر ايضا: تأويل مختلف الحديث ،ابن قتيبة ،ص122،و المقدمة ابن خلدون .

على العموم و لبعض الاشخاص منهم على الخصوص ،و قع ذلك لجعفر و نظائره من رجالاتهم علوا طريق الكرامة و الكشف الذي يقع لمثلهم من الاولياء و كان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هارون العجلي ،وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب فيه لان الحفر في اللغة هو الصغير و صار هذا الاسم علما على هذا الكتاب عندهم ،و كان في تفسير القرآن و ما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق و هذا الكتاب لم تتصل رواتبه و لا عرف عينة و انما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل ،و لوضع السند الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه او من رجال قومه ، فهم أهل كرامات"[1].

و للروافض هوطقاتهم و انحرافاتهم العلمية و العقلية لا يسعني في هذا البحث الرقوق عندها تفصيلا انما اردت بيان منهج الرافعي و آرائه فيما يتعلق بمذاهب المفسرين و كذا اتجاهات الدراسات القرآنية و تطورها و اثر القرآن في ترسيخ اللغة و استمرار بقائها . وقد ادرج المؤلف في حاشيته الصفحة رأيه في مذهب الشيعة و انظر سيدي القارئ تعقيده بعد بيان آراء العلماء في امهات الكتب ككشف الظنون و مقدمته ابن خلدون ، واحق امام رايه في المسالة :"و عندنا ان كل ذلك موضوع و باطل ،وان الكلام فيه اسلوب من اساليب القصص و ضرب من التهويل و المبالغة ولا نظن ان علم ما كان وما يكون شيء يسعه أو يسع الرمز اليه جلد ثور ،الا ان يكون هذا الثور هو الذي قيل فيه إنه كان يحمل الارض حتميا على احد قرنيه "فهو يذهب مذهب الذهبي في ابطال قوله الشيعة ووصف آرائهم بالهرطقة و الخيال و ليس المؤلف او الذهبي و حدهما من يرى في مذاهب الروافض مغالاة وبعد عن الحقائق العلمية و البراهين العقلية الدامغة[2].

---

[1] – انظر هامش ص124من كتاب المؤلف :اعجاز القرآن و البلاغة النبوية.

[2]– الملل و النحل. الشهر ستاني،(ت548هـ)،ج1،مؤسسة الحلبي،ص19.

و مع اتفاق جمهور العلماء على تفسير الشيعة و ضلالهم الا ان الرافعي في هذا المقام ليس بصدد بيان ضلال عقائدهم انما بيان مسألة علمية تتعلق بدراسة القرآن و عولمة و انتحال فصل المسألة عن المسألة .وقد اشار المستشرق .

جولد تسهير: و لا يقنع الشيعة ايضا بحمل عبارات القرآن و استعمالاته على احداث و اشخاص من عهد الاسلام المبكر و حروبه الاولى على الخلافة السائدة بل كان لابد ان يشتمل القرآن على نظامهم ومنهجهم الى اقصى نتائجه كذلك ينبغي ان يكون في القرآن مكان التتويج نظريتهم في الامامة و تصحيحها و لظهور الامام المحتجب في مستقبل الزمان"[1]و يشير الرافعي في هذا المقام الى بعض غريب تفاسيرهم كتلك التي ادخلوا عليها الحساب كتفسيرهم لقوله تعالى :"انا انزلناه في ليلة القدر ،وما ادراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من الف شهر "قالوا يعني بأن شهر مدة الدولة الاموية .فقد كانت ايامها خالصة ثلاثا وثمانين سنة و اربعة اشهر مجموعها الف شهر سواء[2].وهو ما نسب الى الحسن بن علي رضي الله عنهما". وذكر الحافظ كثير في تفسيره جملة من الاخبار عن مناسبة نزول هذه الآية ولخص قول الشيعة :و قال سفيان الثوري :بلغني عن مجاهد :ليلة القدر خير من الف شهر قال عملها صيامها وقيامها خير من الف شهر .رواه ابن جرير وهذا القول بأنها افضل من عبادة الف شهر ،و ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير وهو الصواب لا ما عاداه و ذكر ايضا في بيان ذلك :"قلت و قول القاسم بن الفضل الحداني انه حسب مدة بني امية فوجدها الف شهر لا تزيد يوما و لا تنخفض ، ليس بصحيح خان معاوية بن ابي سفيان (رضي الله عنه)استقل بالملك حين سلم اليه الحسن بن علي الحمرة سنة اربعين، و اجتمعت البيعة لمعاوية و سمي ذلك عام المبايعة ثم استمروا فيها متتابعين بالشام و غيرها لم تخرج عنها الامدة دولة عبد الله بن

---

[1] –مذاهب التفسير الاسلامي،ترجمة،د.عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي القاهرة،(1374هـ/1955م).القاهرةص.333/انظر الاتقان في علوم القرآن .ج2ص244.

[2] – اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص125.

الزبير في الحرمين و الاهواز و بعض البلاد قريبا من تسع سنين .لكن لم تزل يدهم عن الامرة بالكلية بل عن بعض البلاد ،الى ان استلمهم بنوا العباس الخلافة "كذلك ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ،ابن جرير الطبري[1] في جامع البيان[2].

- التفسير و التاريخ : ويذكر الرافعي نماذج عن تفسير القرآن الكريم تفسيرا تاريخيا و يذكرها هنا :"عمرو بن فائد ابو علي الاسواري" وهو ابن القصاص و ذكره الجاحظ في البيان و التبيين اذ يقول :"ثم قص في مسجده ابو علي الاسواري و هو عمرو بن قائد مئتا و ثلاثين سنة ،فابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن .

حتى مات لانه كان حافظا للسير و لوجوه التأويلات فكان ربما يفسر آية واحدة في عدة اسابيع كأن الآية ذكر فيها يوم بدر و كان هو يحفظ مما يجوز لان يكف في ذلك من الاحاديث الكثيرة و كان يقص في فنون كثيرة من القصص و يجعل للقرآن نصيبا من ذلك و كان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب و يحتج بخصاله المحمودة كثيرة[3] .و يذكر المؤلف ذلك في الجزء الاول من تاريخ آداب العرب[4].

-المتصوفة و تفسير القرآن :

وهم لا يبتعدون كثيرا عن المنهج الباطني في تفسير القرآن فتكاد تفاسيرهم شبه تفاسير الشيعة .وقد فسر الصوفية القرآن من خلال منهج عرفاني خاص او في ضوء الروح كما قال الباحث المصري جولد ستيهر.و الباطنية نقضوا عرى التفسير من اساسه

---

[1] -و ابن جرير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن،تحقيق بن عبد المحسن التركي ط1،دار فجر للطباعة و النشر ج2 ص 546.

[2]- تفسير القرآن العظيم. الجاحظ ابن كثير .ج8،ص441.انظر المحرر الوجيز،ج5ص505.

[3] - البيان و التبيين ،الجاحظ ،تحقيق(المحامي فوزي عطوي)ط1(1968م)،ج1،ص153.

[4] - انظر: تاريخ آدابالعرب ،مصطفى صادق الرافعي،ط4(1394هـ/1974م) ج1،ص382و انظر ايضا :البرهان في علوم القرآن .ج2،ص67وما بعدها.

و هدموا قاعدته التي وجب على المفسر الاحاطة بها كما اشترط للمفسر عند العلماء اذ زعم الباطنية ان النصوص ليست على ظاهرها الذي تدل عليه بحسب الوضع اللغوي بل ان لها معاني (باطنية)لا يعرفها الا الامام المسؤول عن التأويل ، ويمكن تعريف هذا التأويل بأنه صوف اللفظ عن معناه- او عن ظاهر معناه بلا دليل او قرينة و لهذا قال الامام الغزالي في هذه التأويلات :إنها تكذيبات عبر عنها بالتأويلات .4هذا ويعرف تفسير المتصوفة بالتفسير الاشاري.

و بين تفسير الصوفية و الباطنية اجتماع و افتراق ،فقد اجتمعوا في ان كليهما لا يعتمد اللغة العربية و دلالات الالفاظ و لا الاجتهاد و النظر العقلي المنطلق من هذه اللغة و الدلالات ،و المؤسس على اصول الشريعة و مقاصدها و قواعد التفسير و حدود التأويل ووجه افتراقهما :ان الباطنية يفسرون الآيات جميعا بنهام المنبوذة او المكذوبة ،و التي اخترعوها ليعطلوا احكام الشريعة الاسلامية ،او ليقلبوا حكمة القرآن ، فيكونوا بذلك قد فرغوا القرآن من محتواه او من معاينه .و خرجوا عليه و ابطلوا احكامه .اما اصحاب التفسير الاشاري من الصوفية فيسلمون بأن المراد من القرآن تلك المعاني التي تدل عليها اللغة و التي يذكرها اهل العلم بالتفسير غير انهم يذكرون عند تفسير الآية معاني اخرى اضافية . وقد اشترط العلماء في قبول التفسير الاشاري الا يحل محل الظاهر، أو ألا يدعى أنه هو المراد و حده دون الظاهر ،فضلا عن اشتراطهم الا يكون منافيا له[1].

و يعتز صاحب "الفتوحات الالهية" زعيم التصوف الفلسفي النظري و هو تفسير الآيات القرآنية تفسيرا يتفق مع نظرياته الصوفية ،سواء كان ذلك في التفسير المشهور باسمه او في الكتب التي تنسب اليه كالفصوص و هو من اصحاب نظرية وحدة الوجود

[1] – علوم القرآن و اعجازه و تاريخ توثيقه ،د، عدنان محمد زرزور ،دار الاعلام ،ص353.

،ويشير اليه الرافعي في حاشية الكتاب عند تفسير محيي الدين ابن عربي[1] قوله تعالى "وكل شيء احصيناه في امام مبين "ان قوله احصيناه يدل على انه تعالى ما اودع فيه الا علو ما متناهية مع كونها خارجة عن الحصر لنا .و قال: وقد سألت بعض العلماء بالله تعالى هل يصح لاحد حصر (امهات)هذه العلوم؟ فقال نعم هي مائة الف نوع و تسعة وعشرون الف نوع و ستمائة نوع ،كل نوع منها يحتوي على علوم لا يعلمها الا الله تعالى.و ليس كل علماء المتصوفة على ضلالة فمنهم من يشهد له بالعلم و الزيادة في هذا الفن :و نهاية القول في هذا الفصل أن القرآن منهل لا ينصب ما زال العلماء ينهلون من روافده المتعددة و فنونه المختلفة فما استطاعوا له طولا ،و ان الذي يحاول بشكل من الاشكال احصاء علوم القرآن ضرب من الخيال او الجنون ، و اما التفسير فمناهجه و اساليبه و كتبه عند العلماء على مر الزمن و التاريخ كعلم مدون وفن له قواعده و ضوابطه كثيرة كما ذكر الرافعي نقلا عن كتاب كشف الظنون.اذ عد اكثر من ثلاثمائة اسم و الرجل انما عد بعضها[2].

3)التفسير العلمي للقرآن الكريم و رأي الرافعي:

1. مفهوم التفسير العلمي :

هو شكل من اشكال البحث الموضوعي في تفسير القرآن الكريم، و لا يمكن الجزم انه ضيع المحدثين و نتيجة جهودهم ،و لكن قبل الخوض في مسألة هذا المنهج التي عرض لها

---

[1] – ابن عربي هو: ولد ابو بكر محمد بن علي ،من قبيلة حاتم الطائي و المعروف "ابن عربي" بألقاب "محيي الدين" و الشيخ الاكبر ،و ابن افلاطون في مدينة مرسيه 17رمضان 560هـ في عهد خلافة المستنجر في المشرق من اسرة غنية نبيلة ،كان كثير الرجال من مؤلفاته :الفتحات المكية ،فصوص الحكم ،ديوان ترجمان الاشواق ،كتاب اليقين توفي ابن عربي في دمشق عام638هـ/1240م،و دفن بقاسيون /انظر: اسين بلاثيوس(ابن غربي حياته و مذهبه) ترجمة عبد الرحمن بدوي ،ط(1979م)،و كالة المطبوعات،ص5 و ما بعدها .

[2]– انظر اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،ص126و انظر ايضا: كشف الظنون عن اسامي الكتب و الفنون، مصطفى بن عبد الله(حاجي خليفة)،ط(1941م)،مكتبة المثنى بغدادج1ص427.

الرافعي في كتابه ،و اشار اليها في غير ما موضوع من كتبه ،و قبل الاطلاع على موقفه من هذا النوع من التفاسير لابد من معرفة معنى و مفهوم التفسير العلمي.

يراد به الاستناد الى حقائق العلم التجريدي .و نظرياته. في شرح آيات الطبيعة ،و خلق الانسان و التي وردت في القرآن الكريم في سياقات شتى ،و مواضع متعددة و عرف ايضا بالكوني، او تفسير الآيات الكونية[1].

وقال المتكلمون انه صفة يتجلى بهما الذمر لمن قامت به وزعم الماديون انه ليس ال الخصوص اليقينيات التي تستند الى الحس وحده .

وقال علماء التدوين :انه المسائل المضبوطة بجهة واحدة و الغالب ان تكون تلك المسائل نظرية كلية و قد تكون ضرورية وقد تكون جزئية [2]و منا تعريف للعلم اما المصطلح فما وجب اجماع بين المؤلفين و الباحثين على تحديد مفهوم موحد جامع و اكثر الكتب التي كان شاغلها التفسير العلمي او الاعجاز العلمي تكاد تخلو من التحديدات الاصطلاحية.

اسباب ظهوره: كثر كلام الناس في هذا اللون قديما و حديثا لا نتساءل جميعا ما سبب ظهور هذا النوع من ذكر الكونيات في القرآن الكريم:

1.إقامة الحجة على الخلق بذكر آيات الله في الآفاق و الارض و الانفس .

2.تحريك الآذان ان تتوثب لالتماس المزيد من آيات الله للبحث في اسرار الكون و طبائع المادة .

3.محاولة بعض المسلمين اللحاق بالركب العلمي و التأكد من عدم معارضة القرآن و الاسلام للعلم.

[1] – التفسير و المفسرون ،الذهبي،ج4،ص380.

[2]– مناهل العرفان ،عبد العظيم الزرقاني ج1،ص14.

ولا بد هنا من التفريق بين الاعجاز العلمي و التفسير العلمي، فالأخير سبق بيانه من التحديد الذي سبق و ذكرته اما الاعجاز العلمي فهو اخبار القرآن و السنة و النبوية بحقيقة اثبتها العلم التجريبي اخيرا و ثبت عدم امكانية ادراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم

و ليس الرافعي وحده من مال الى هذا النوع من الاعجاز او التفسير كذلك نجد العلامة جلال الدين (السيوطي و الامام الغزالي[1](ت505هـ)ينحو منحنى الرافعي في القول بالتفسير العلمي ،و يقرر ذلك بوضوح و توسع في كتابه الاتقان فانظر قوله في النوع الخامس و الستون :"و قد احتوى على علوم اخرى من علوم الاوائل مثل الطب و الجدل و الهيئة و الهندسة و الجبر و المقابلة و النجامة و غير ذلك .....و اما الهيئة ففي تضاعيف سورة من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات و الارض وما ثب في العالم العلوي و السفلي من المخلوقات[2].و الامام الرازي رائد هذا المنهج من الناحية التطبيقية و قول منهجه بالنقد حتى قيل عن تفسيره في كشف الظنون :ان الامام فخر الدين الرازي ملأ تفسيره بأقوال الحكماء و الفلاسفة وخرج من شيء الى شيء حتى يقضي الناظر العجب. و قليل عنه في البحر المحيط: جمع الامام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ،و لذلك قال بعض العلماء "فيه كل شيء الا التفسير"[3]

وقد افرد الذهبي في مؤلفة رأي إمام الاصولي الشاطبي (ت720هـ)دون غيره لمع العلم ان هذا المنهج قد واجه موجة من الاعتراضات التي ابدى فيها العلماء و الكتاب

[1] – التفسير و المفسرون ،الذهبي،ج4،ص382.

[2] – الاتقان في علوم القرآن ،ج2،ص162.

[3] – انظر: التفسير و المفسرون ،ج4،ص54،فكرة إعجاز القرآن ،د، نعيم الحمصي ،ص101.

انكارهم للتفسير العلمي مفسدين آراء اصحابه ،وقد آليت على نفسي ان اعرج بإيجاز على اوجه و اسباب رد المنكرين و حججهم و الخروج من ذلك الى رأي الرافعي في المسألة:

1.يرى اكثرهم ان محاولات التفسير العلمي وصلت في كثير من الاحيان الى تبرير و قعود المسلمين و تخلفهم في ميدان البحث العلمي ،و كذا بسبب انطوائها على معنى التعويض للمتخلف عن هذا القعود و ان كان هذه الحجة عند الشاطبي اضعف من اعتبارها .

2.مغالاة الناس في تفسير القرآن تبلك النظريات كأداة بقلب كتب التفسير الى كتب في علم الاحياء او الفلك او الطب ،وذلك بنقل ما اكتشفه الاوروبيون في هذا الباب و حشو كتب التفسير فيه لأدنى مناسبه[1].

3.يرى بعضهم أن هذا الاتجاه من التفسير غير سديد و ذلك لان العلم في قلقو تغيير دائم ،ينقص اليوم ما اقره بالامس و الحقائق العلمية تبقى ثابتة في نظر العلماء حتى تمحضها حقائق اخرى فكيف يجوز في المنهج الصحيح ان يحتكم في آيات الله التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها الى تلك النظريات القلقة المتغيرة او الخاضعة للتغيير[2].

4.. ان القرآن كتاب كامل في موضوعه اضخم من العلوم الكونية .

5. الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة .اما ما يحيل اليه البحث العلمي الانساني بكل ادواته هي حقائق غير نهائية مقيدة بالتجربة و الفحص .

6. الحقائق العلمية او الاحرى بنا ان نسميها (فروض علمية)و كل النظريات الخاصة نشأة الانسان و اطواره و نشأة المجتمعات لا يمكننا اعتبارها حقائق علمية حتى بالقياس

---

[1]– مناهج التفسير من العصر الاول الى العصر الحديث ،ج1.ص58 وما بعدها.

[2] – لمحات في علوم القرآن، محمد بن لطفي الصباغ ص292 وص294،وهو رأي الشاطبي في الموافقات ، و الذهبي ،وسيد قطب و جمهرة من العلماء ،انظر ايضا: فكرة الاعجاز القرآني ،نعيم الحمصي.

الانساني و انما هي نظريات و فروض ،كل قيمتها انها تصلح لتفسير اكبر قدر من الظواهر الكونية او الحيوية او النفسية او الاجتماعية الى ان يظهر فرض آخر ليفسر قدرا آخر اكبر من الظواهر.

- **راي مصطفى صادق الرافعي:**

ونحن بصدد الحديث عن الآيات الكونية ،او التفسير العلمي ،و إزاء موقف موضوعي يقتضي الوقوف موقف المحلل الواصف ،لا المنتقد ،اجد الرافعي يرفع راية الاعجاز العلمي بل و يجعل منه من اهم وجوه الاعجاز و يرجع في ذلك الى مؤلف من مؤلفات معاصريه :"الفلكي المشهور الغازي احمد مختار باشا :وهو دياني تركي .....من كبار القادة العثمانيين تعلم بإستنبول وتنقل في اعمال بالمجاز و اليمن و اسبانيا ومصر (مندوبا ساميا)و عاد الى بلاده من اعضاء مجلس الاعيان سنة (1908م)وكان صدر اعظم سنة (1913م)و توفي بالأسبانة لقب الغازي لحسن بلائه في الحرب التركية الروسية وكان يجيد العربية الا انه ضيق كتبه باللغة التركية و ترجم شفيف لكن [1]بعضها مثل (رياض المختار مرآة الميقات و الادوار).و إصلاح التقويم و التقويم المالي[2].

و الكتاب تفسير لسبعين آية من كتاب الله مفسرة تفسيرا علميا، اعتمد فيه الكاتب و يقرر المؤلف ان ذكر الآيات الكونية و العلمية في القرآن دليل على نوع آخر من الاعجاز ،فالزمن زمن علم وهو متجه اليه بما هو متاح من ادوات البحث و الدليل و سيكون ذلك احد اسباب الجوهرية للتقدم الحضاري ،فالدين حجة عقلية و سيكون العقل آخر الانبياء في الارض.

فالقرآن رسم للإنسان هذا المنهج و حثه عليه و طلب منه تطبيقه ،ولهذا لم يكن بدعا ان يؤتي ثمراته في العالم الاسلامي على النحو المعروف في التاريخ .

---

[1] – شفيق ،يكنبن منصور باشا بن احمد يكن ،عالم بالقانون و الرياضيات ولد بالقاهرة ،وتوفي فيها ،له مؤلفات في علم الحساب و حساب التفاضل و التكامل و ترجمات كتاريخ /الاعلام ج3ص159

[2]– انظر الاعلام ،خير الدين الزركلي ،ط5(2002)،دار العلم للملايين ،ج1،ص255

قال الغازي في مقدمته كتابه وهو ما نقله الرافعي :"و في القرآن غير ما يكفل للهيئة الاجتماعية سعادتها و سلامتها في معاشها و معادها مما حواة من الدساتير الاخلاقية و الادارية و السياسية و غطة الامثال و القصص – فيه اشارات و آيات بينات في مسائل ما برحت العلوم الطبيعية تحاول الكشف عن كنهها منذ عصور ،و لا سيما في علم التكوين و التخريب (القيامة)الذي دل بنظريات الاخصائيين من علماء الفلك و مباحثهم و مشاهداتهم في طور التقدم و الارتقاء "[1].1.هـ.

ذلك هو العلم الحديث ،علم هذا الكون ،بالذي فيه من مواد و قوى و ظواهر جارية او ساكنة لهذه المواد و القوى وهو الى اليوم اثبت قاعدة يستقر عليها اعتقاد و ايمان ما انفسخت تلك القاعدة للعقائد و الايمان[2].

و على الرغم من استنكار علماء التفسير لهذا المنهج قديما و حديثا ،الا ان عددا كبيرا من العلماء المسلمين ظل مؤمنا بأن الاشارات الكونية في كتاب الله ،اي الآيات المتعلقة ببعض اشياء هذا الكون على اجمالها و تناثرها بين آيات الكتاب المجيد .تبقى بيانا من الله خالق الكون و مبدع الوجود .وفي القرآن اسرار الكائنات و احوال السماء قدرته و مناسبها وتناسقها تقديرا حقيقا ،لذلك فهم الناس من علم" الهيأة السماوية "[3]ان الاجرام ماهي الانفاط صغيرة متناثرة هنا و هناك ،كأدراك عظمة الشمس و الكوكب "[4] فإن هذه الارض يشبهها الكاتب هنا بحبة الحمص من حيث الحجم مقارنة بالشمس و"كوكب الشعرى"[5] ،أقول كحبة الحمصة و مائدة مستديرة فمساحة

---

[1] – اعجاز القرآن و البلاغة النبوية،ص131.

[2] – الطبيعيات و العجاز العلمي للقرآن الكريم ،د، عبد العليم عبد الرحمن خضر الدار السعودية للنشر و التوزيع ص249.

[3]– هكذا جاء في الكتاب ،انظر اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،ص131.

[4]– الطبيعيات و الاعجاز العلمي للقرآن الكريم ،د، عبد العليم عبد الرحمن خضر ،ص79

[5]– الشعرى بكسر الشين :نجم في السماء ،قال مجاهد و ابن زيد :هو من زمر الجوزاء وهما شعريان ،احداهما : العميصاء و الأخرى ،لأنها عبرت المجرة ذكره الزهراوي واسمه عبد العربي ،لذلك خصت بالذكر ،انظر :المحرر الوجيز ،ايف عطية ج6،ص234و قال ابن عباس :هو الكوكب ،انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ح22،ص551و انظر لفتح القدير (الشوكاني) ،ج7ص82.

ثم ينقل لنا المؤلف تفسير قوله تعالى في سورة يسن الآية :38"و الشمس تجري لمستقر لها" ،ففيها بيان فائدة عظيمة حول الا عالمنا الشمسي ،و هذه الفائدة تتجلى في معرفتنا أن هذا العالم مكون من طائفة مستقلة من الاجرام السماوية نعد بالمئات يدور بسرعة عشرين ألف ذراع فرنسية في الثانية الواحدة ، يقول المؤلف .

فالنجوم كلها تتحرك مع مجراتها في الفضاء الكوني. فالشمس (و معها كواكبها طبعا) تتحرك مع مجرتنا متباعدة عن المجرات .و بهذا تتحرك النجوم تحركا معقدا و إن كل نجم يشغل مكانا في الفضاء الكوني مختلفا بمرور الزمن و لا يعود الى نفس مكانه ابدا ولا يدري احد نهاية هذا التحرك و قد عبر عنها القرآن الكريم في عدة نصوص فتأمل قوله في سورة الانبياء (و هو الذي خلق الليل و النهار و الشمس و القمر كل في فلك يسبحون).اذ تبحر الشمس عن الارض بمسافة فلكية واحدة ،حقا ان التعرف على الكون و ما فيه من ابداع دليل واضح على قدرة الخالق[1].

ويوجهها المؤلف في هامش الصفحة الى وجه آخر من وجوه الاعجاز في الآية ،وجه بياني يراد به الاعجاز العلمي :"تأمل هذا التنكير في قوله "بمستقر" فهو يشعرك ان العالم الشمسي يجري في اللانهاية الى "نهاية محتومة "[2]وهذه حقيقة علمية ،قيل " المستقر" هو ابعد ما تنتهي اليه و لا تجاوزه و قيل نهاية ارتفاعها في الصيف و نهابة هبوطها في الشتاء ،و قيل مستقرها تحت العرش لأعفا .

تذهب الى هناك فتسحبه[3]،وجاء في الكشاف قال" لمستقر: لحداها مؤقت تنهقي اليه من فلكها في آخر السنة، شبه بمستقر المسافر اذ قطع مسيره "[4] وقيل الوقت الذي نستقر فسه و ينقطع جريها وهو يوم القيامة و بذلك قال الرازي في مفاتيح العنب وذكر

---

[1] – الطبيعيات و الاعجاز العلمي للقرآن الكريم ،د، عبد العليم عبد الرحمن خضر ،ص79

[2] – إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص132.

[3] – فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ،احمد بن علي الشوكاني ،دار الفكر، بيروت ،ج4،ص369

[4]– تفسير الكشاف ،الزمخشري،ج5،ص.434

في تفسيرها اربعة اوجه :نقول الرازي ان اللام في قوله "لمستقر تذكر للوقت و للوقت طرفان ابتداء و انتهاء يقال سرت من يوم الجمعة الى يوم الخميس فجاز ما يستعمل فيه في احد طرفيه لما بينهما من الاتصال و يؤيد هذا قراءة من قرأ(و الشمس تجري الى مستقر لها).ومن الوجوه التي ذكرها في تأويل (المستقر :1. يوم القيامة ،2. السنة ، 3. الليل اي تجري الى الليل ،4. ان ذلك المستقر ليس بالنسبة الى الزمان بل هو للمكان ويضيف: فإن اصحاب الهيئة قالوا الشمس في فلك و الفلك يدور فيدير الشمس فالشمس تجري مجرى مستقرها[1].

و يضيف صاحب السرائر مستبدا بعظمة القرآن و اعجازه و قدرته على التأثير "و سيرجع الفلكيون موحدين اذا علموا ان الاسرار العلمية التي يحسبونها جديدة ،هي في القرآن كما ظهرت لهم."[2] و هذا المأخذ الذي وقف عنده المعارضون لمنهج التفسير العلمي او الاعجاز العلمي في القرآن ،هو انتظارنا و قعود المسلمين عن الاكتشاف بأنفسهم و بذل الجهد في البحث و الاستنباط من القرآن الكريم ، نقرأ بلغتهم ،و هم حاملي الرسالة ،فكيف بنا ننتظر الاكتشافات العلمية تولد من صلب الحضارات الغربية ثم نهتف بهم :هذا موجود في كتابنا فإنه في رأيي مدعاة للكسل و الخمول.

ويشير الرافعي ان الكتاب مؤلف من ثلاثة فصول :الاول يبحث كيفية تكوين العالم ووجود الحياة ،و الثاني يوم القيامة او خاتمة عمر الارض ،و الثالث في المباحث و الآيات القرآنية المتعلقة بإعادة الخلق وهو نتاج لمجهود دام خمسة و عشرين سنة[3].

ويمضي الرافعي في سرد الامثلة ليوضح وجهه نظره آية وقف عليها في كتب العلامة "داوود الأنطاكي[1](ت1800هـ). يذكرنا المؤلف بأن القرآن و الآية التي ساقها في هذا

---

[1] – مفاتيح الغيب – الرازي ،ج13،ص42.

[2] – اعجاز القرآن و البلاغة النبوية،ص133.

[3] – نفس المرجع السابق ص133.

المقام نزلت على بني امي في قوم لا يعرفون من فنون العلوم، كعلم التشريح مثلا او علم التكوين ،فجمعت الآية بين الاعجاز البياني و الاعجاز في المعنى و إعجاز في الصورة، مع أن ظاهرها يؤدي الى مفهوم عبارة علمية محضة كنوع من أنواع التقرير.

وهذه احدى ميزات الآيات العلمية في القرآن تجمع بين قوة المعنى ما يفوق و يضاهي قوة العقل العربي في قوة الفهم و قوة التعبير[2].

و جاء بيان خلق الانسان في كثير من أي القرآن الكريم و منه قوله سبحانه و تعالى في سورة المؤمنون من الآية 12-14 ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فيعبر عن الطين بالصلصال .وهو الطين اليابس الذي يشبه الفخار فقال الله تعالى:" خلق الانسان من صلصال كالفخار، خلق الجان من مارج من نار"[3]-و في سورة المؤمنون التي ذكرت او ذكر المؤلفات اوضح الله تعالى مراحل خلق الانسان .و جمعهما في آية شاملة مطابقة لما اكتشفه الاطباء و علماء التشريح [4]و لا حاجة لنا بعد هذا البيان نهي (يقول الدكتور وهبة الزحلي الفاجع عن أصل خلق الانسان الى ابطال نظرية النشوء و الارتقاء للعالم الاوروبي داروين ان أصل الإحياء من انسان و حيوان و طير هو كائن من خلية واحدة ثم تطور الى خلتين .....و إن الانسان تطور عن القرد لوجود تشابه بينهما في الرأس.

و يفسر الرافعي في الحاشية وصف القرار " بأنه مكين " يقول هو إعجاز يفهمه الاطباء

---

[1] – داوود الانطاكي :هو داوود بن عمر الانطاكي المعروف بالضرير ولقب بالبصير أيضا ،انتهت اليه رياسة الاطباء في زمانه ولد في انطالية ،و حفظ القرآن الكريم ،و قرأ المنطق و الرياضيات من الطبيعيات (ولد1008هـ/1600م)من تصانيفه تذكرة اولي الالباب ،انظر الاعلام الزركلي ،ج2 ،ص333.

[2]– إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،ص134.

[3]– سورة الرحمن الآية 14-15.

[4]– الانسان في القرآن الكريم ،أ ،ذ ،وهبة الزحلي ،مجلة الحضارة الاسلامية ،يصدرها :المعهد الو طني للتعليم العالي للحضارة الاسلامية ، وهران ،العدد الرابع ، (1419هـ/1998م)،ص62.

و الذين درسوا التشريح ،من جملة النظريات العلمية أن الرحم مجهر في تكوينه وفي خصائصه بما يمكن أشد التمكين للجرثومة التي يكون منها اللقاح، ففيه مخابئ.

و يلاحظ أن الانطاكي من خلال هذه الآية بين الدلالات الظاهرة و بين الحقائق العلمية التي شاهدها في علم التشريح .و قد نظر العلامة مصطفى صادق.

فيما كتبه داوود الانطاكي في تفسيره لهذه الآية ،و قارنه بما جاء في علم التشريح الحديث فوجده مطابقا لما في هذا العلم.

فالخلق :الانشاء و الصنع ،لم يكن العرب يعرفون من كلمة العلقة و العلق ، الا انها الدم الجاهد و يفسرها داوود الانطاكي لقوله "أي صيرناها دما قابلا لتمدد و التخلق بالزوجة و التماسك ".ومن إعجاز القرآن العلمي يقول الطاهر بن عاشور في التحرير و التنوير سميت هذا الكائن بالعلقة فإنه وضع بديع لهذا الاسم اذ قد ثبت في علم التشريح ان هذا الجزء الذي استحالت اليه النطفة هو كائن حي له قوة امتصاص من دم الام بسبب التصاقه بعروق الرحم تدفع اليه قوة الدم و العلقة ،قطعة من دم عاقد[1].

اما لفظ السلالة في اللغة يأتي بمعان منها :انتزاع شيء و إخراجه في رقق ،كما تعني أيضا السمكة الطويلة ،اما الماء المهين فالمراد به هنا (أي في طور السلالة ،أي ماء الرجل ،و بالرجوع الى اختبارات الاطباء للسائل المنوي سنجد سلالة تستخلص من ماء الرجل و على شكل السمكة الطويلة و يستخرج برفق من الماء و قد أشار الذكر الحكيم بقوله "ثم جعل نسله من ماء مهين"[2].و من غرائب تفسير الانطاكي أنه جعل وجها متقاربا بين أطوار الخلق ، خلق الانسان و (واط)التي بلغت سبعة أطوار و الكواكب السيارة السبعة[3].

---

[1]- انظر: اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص136 وانظر أيضا: التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ،ج19، ص24.

[2]- سورة السجدة الآية 08.

[3]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص136.

و المرحلة الثانية بعد النطفة و العلقة مرحلة الانشاء: أي مرحلة العظام التي يكسوها الله عظما فانظر ماذا قال علماء الاحياء أن تكون الجنين يمر بطورين الاول تكون العظام اما الثاني فتكوين العضلات ،بمصطلحات عينية معاصرة العظام لا تتطور معا في آن واحد في الجسم كله ،بل هناك برنامج أو جدول زمني لتكونها و أول عظام يكتمل تكونها هي عظيمات الآذان الداخلية (خلال المرحلة الجنينية)بينما لا تكتمل مراكز النمو للعظام الطويلة للأرجل الا بعد سن العشرين من الولادة او اكثر و بهذا ينتقل الجنين في شكله من مرحلة المضخة التي تحمل مشكلا آدميا إلى مرحلة العظام التي يغلب عليها شكل الهيكل العظمي المميز للإنسان ، جاء في تفسير الطري: وقوله (فخلقنا المضغة عظاما) يقول: فقد جعلنا تلك المضغة اللحم عظاما وقد اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز و العراف سوى عاصم (فخلقنا المضغة عظاما)على الجمع ،وكان عاصم و عبد الله يقرآن ذلك:(عظما)في الحرفين على التوحيد جميعا .و قد رتبها الرازي أي مراحل التخلف سبع مراتب يقول :المرتبة السادسة :قوله تعالى فكسونا العظام لحما) و ذلك لأن اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة لها ،و يورد في ذلك قول المعتزلة :"لولا ان الله تعالى قد يكون خالقا لفعله إذا قدره لما جاز القول بأنه أحسن الخالقين ،كما لو لم يكن في عباده من يحكم و يرحم لم يجز أن يقال فيه أحكم الحاكمين و ارحم الراحمين ،و الخلق في اللغة هو كل فعل و جد من فاعله معتر الا عن سهو و غفلة "1هـ .

و في تفسير الجامع الصحيح للقرطبي :من هذه الآية قال ابن عباس لحمر حين سأل مشيخة الصحابة عن ليلة القدر فقالوا :الله أعلم ؟ فقال عمر :ما تقول ابن عباس ؟ فقال :يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق السموات سبعا و الارضين سبعا و خلق ابن آدم من سبع و جعل رزقه في سبع ، فأراها في ليلة سبع و عشرين فقال عمر رضي الله

عنه: أعجزكم أن تأتوا بمثل ما اتى هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه"[1]و هو قول الانطاكي عن توافق الاطوار الكونية و الاطوار الانسانية سبعا سبع.

وما نخرج به من هذا الفصل أن مصطفى صادق الرافعي دعا الى هذه اللون من التفسير و حث عليه وهو يرى أن الآيات الكونية في القرآن الكريم تحتوي على إعجاز داخل المجاز ،و يرى أن الزمن متجه في سيره الى الجهة العلمية القائمة على البحث و الدليل فإذا أسفر الصبح ـ أي تقدم البحث العلمي بما يخدم التفسير ،و بقي بعض الناس يناما لا يرونه و قد ملأ الدنيا فذلك من عمى النوم في أعينهم[2].

لكن لابد من الاستطراد هنا و التنبيه الى أن المغالاة في هذا النوع عن التفاسير و الاعتماد على المنهج العلمي كليه إذ يسلم البعض أن كل ما يكتشف هو خادم للقرآن الكريم و لنص من النصوص الكونية و جعلوا ذلك من دلائل الاعجاز الذي تختلف صورة باختلاف العصور وقد جانب هؤلاء الصواب حين التطبيق .لأنهم جمعوا بين كل نظرية وحقيقة علمية و بين آية من آية القرآن الكريم كما صرفوا الالفاظ عن مدلولاتها اللغوية و كان عملهم الى الموسوعات أقرب منه الى التفسير .

و مع ذلك في عصر طاعه فيه الجانب المادي ، و جانب الناس القرآن فكانوا غرباء عنه أو كالغرباء و مع أجيال لا تؤمن من اليوم بما هو علمي بحت ،لابد عن تحري الحذر مع النشء في تلقينهم وموضوعات القرآن الكريم ،فالقرآن في النهاية معجزة الله و المعجزة التي ابد بها الله نبيه ،فهو كلام الله معجزة في كله دون تبحيض أو تخصيص معجز في جزئياته كما في عمومه وفي ذلك لا أخاف سيد قطب عندما قال :ولم يجئ القرآن ليكون كتاب علم فلكي او كيمياوي او طبي ، كما يحاول بعض المتحمسين له أن

---

[1] – انظر جامع البيان في تفسير القرآن ،ج12،ص108،مفاتيح الغيب ،أبوبكر الرازي ج ص ،و جامع البيان في تفسير القرآن ج ص .

[2] – التفسير العلمي للآيات الكونية ،تاريخه ،مواقف العلماء منه ،د، بكر زكي عوض،ص496 بدون معلومات طبع.

يلتمسوا فيه هذه العلوم ،أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يلتمسوا مخالفاته لهذه العلوم "[1]،فإن كلتا المحاولتين دليل على سوء الادراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته و مجال عمله ، إن مجاله هو النفس الانسانية ، و الحياة الانسانية ،ووظيفته أن ينشئ تصورا عاما للوجود و ارتباطه بخالقه ،و لوضع الانسان في هذا الوجود و ارتباطه بربه ،وأن يقيم على اساس هذا التصور نظاما للحياة ، يسمح للإنسان أن يستخدم كل طاقاته .

و لا يمنعني في هذا المقام أن أستشهد بقول الدكتور في كتابها الرائع القرآن و قضايا الانسان :"و قد تكررت الاشارة الى خلق الانسان من علق ، او من تراب او من علقة ،في آيات كثيرة ،و ليس من شأني هنا أن أعرض لما يخوض فيه المحدثون من تأويلات علمية لهذه الآيات فلست من أصحاب هذ المذهب ،و إنما قصارى جهدي أن أتدبر آيات كتابنا الاكبر و اصغي الى ايحاء سياقها ،و آيات خلق الانسان ،جاءت كلها في سياق العظة و الاعتبار، لافتة الى اطوار الجنين البشري التي يدركها الناس بأيسر ملاحظة و انتباه ويبدوا في الآيات العمد الواضح الى الاستقلال بها على القدرة الالهية على البعث[2] و إذا كان الاسلوب العلمي في التشريح و الاحياء ، لا يتعلق بمثل الكفر و الشكر .و الايمان و الخصومة و الابتلاء و الغرور.....فإن طبيعة النص القرآني من حيث هو كتاب هدى و دين تقتضي توجيه كل لفظ و آية الى مناط الهداية و الاعتبار[3].

و القاعدة في التفسير و البيان ما قاله الزرقاني :"أما الامور التي يجب البعد عنها في التفسير بالرأي فمن أهمها التهجم على تبيين مراد الله من كلامه على جهالة بقوانين اللغة أو الشريعة ،و مهما حمل كلام الله على المذاهب الفاسدة ،ومنها الخوض فيما استأثر الله

---

[1] -في ظلال القرآن سيد قطب ج1 ص 9..

[2] -القرآن و قضايا الأنسان د.عائشة عبد الرحمن –بدون سنة طبع –دار المعارف ص 20

[3] - نفس المرجع السابق ص22.

بعلمه ومنها القطع بأن مراد الله كذا من غير دليل و منها السير مع الهوى و الاستحسان"[1]

[1] –مناهل العرفان،عبد العظيم الزرقاني ج2 ،ص367.

الفصل الثالث

أسس الإعجاز القرآني عند الرافعي .

الفصل الثالث :أسس الإعجاز عند الرافعي

المبحث الأول: الرافعي وأقوال السابقين في إعجاز القرآن

أولا:حقيقة الإعجاز القرآني عند الرافعي...

ثانيا :الرافعي وجهود الدارسين لقضية إعجاز القرآن.

ثالثا:الرافعي والأقوال في إعجاز القرآن

المبحث الثاني:الرافعي وجهود المؤلفين في إعجاز القرآن

1-نظم القرآن : الجاحظ.

2- إعجاز القرآن : الواسطي

3- النكت في إعجاز القرآن:الرّماني

4-إعجاز القرآن : الباقلاني

5-بيان إعجاز القرآن الخطابي

6-تحرير التحبير : ابن أبي الإصبع

7-التبيان في الإعجاز : الزملكاني

المبحث الثالث:التحدي والمعارضة ورأي الرافعي

1-وجوه الإعجاز

2-سر الفصاحة وسلامة الفطرة

3-التحدي والمعارضة ودفوع الرافعي

المبحث الرابع : خصائص أسلوب القرآن الكريم

1-تعريف الأسلوب

2خصائص أسلوب القرآن الكريم

3-تمام الإعجاز والقصور البلاغي الإنساني

4-معجزات الصناعة البيانية

ا

المبحث الخامس : أسس الإعجاز القرآني عند الرافعي

1- مفهوم النظم عند الرافعي:

- التتركيب

-الحروف والحركات الصرفية واللغوية عند الرافعي

- الطريقة التي انفرد بها النظم عند الرافعي

-الغنة وتأثيرها الإيقاعي

- طول المفردة القرآنية

-سورة النور أنموذجا

-الإعجاز الإيقاعي في غريب القرآن

ثالثا : الجمل وكلماتها

المبحث الأول

بين الرافعي و أقوال السابقين:

"لقد اثبت تاريخ الانسانية أن هذا اليقين الساري فيها لن يكون غير الدين ،فهو وحده معنى الجاذبية بين المعلوم الذي تبدأ النفس سيرها منه و بين المجهول الذي تصير اليه النفس طوعا و كرها... على انك ترى اصحابنا ..لا يتحاملون على شيء ما يتحاملون على القرآن الكريم فهم يخصونه بمكاره العلم كلها و يجفون منه أشد الجفاء و القرآن سر اللغة و أساس البلاغة و ممكن الاعجاز"[1]

لا شك سيدي القارئ بعد رحلتك معي في المبحث السابق علمت أن هذا لن يكون الا أسلوب الرافعي فإني قد بحثت في أمهات الكتب ،عن مقدمة أبلغ من هذه المقدمة في كتب علوم القرآن عند المعاصرين فلم اجد ما يضاهي بلاغتها قدمت سابقا أن الرافعي قرر في صدر كتابه انما كتب كتابه "اعجاز القرآن "ليجلوا عن وجه الاعجاز في كتابنا المقدس" فمن المقرر في مناهج الدراسة العلمية أنه لمناقشة نص من النصوص الأدبية و تناوله تناولا علميا في خصائصه و مقوماته لا بد قبل كل شيء من توثيق نسبته الى مصدره ،لأن ذلك كثيرا ما يلقي ضوء يعين على تقييم النص و تقديره تقديرا يكون أقرب للصواب .و الرافعي و هو الرجل الذي أخذ على عاتقه تناول نص القرآن من حيث اعجازه بالدراسة لم تكن لتفوته هذه الحقيقة لذلك نص الفصول الأولى ببيان مصدره و تاريخ جمعه ،و طرق قراءته انتهاء الى الموضع الذي استهدفه من تأليفه الكتاب "اعجاز القرآن" و "اعجاز البلاغة النبوية" .

[1] -إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص11.

- أولا :حقيقة الاعجاز عند الرافعي :

1) إعجاز القرآن :

يتراوح اعجاز القرآن عند الرافعي بين معنيين:

الاول : في ضعف القدرة الانسانية في محاولة المعجزة و مزاولته على شدة الانسان واتصال عنايته.

الثاني : استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن و تقدمه ،فكأن العالم كله في العجز انسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت .

هو وجه من وجوه الاعجاز ذكره الرماني و عدد من العلماء عرفوا الاعجاز و جعلوه مقترنا بقصور القدرة مع توفر الداعي :" وجوه الاعجاز تظهر من سبع جهات و ذكره ترك المعارضة مع توفر الداعي و شدة الحاجة....."[1].

و الإعجاز عن الطبري (ت310هـ) مبينا و جها من وجوهه اذ يقول :"الاعجاز هو عجز العرب عن معارضته و لا تعد السخافات التي جاء بها مسيلمة او سجاج معارضة[2] و غير بعيد عن ذلك عرفه الاشعري على انه فعل خارق للعادة مقترن بالتحدي سليم في المعارضة ينزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة ،و هو منقسم الى خرق المعتاد و إلى اثبات غير المعتاد[3].

أما القاضي عبد الجبار[4](ت969هـ):فمعنى قولنا في القرآن أنه معجز :أنه يتصدر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به".

---

[1] – انظر: رسائل في إعجاز القرآن– ص75.

[2]– الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي، ج2،ص148.

[3] – المغني في أبواب العدل و التوحيد ، القاضي عبد الجبار ،ج1،ص226.

[4]–عبد الجبار بن احمد القاضي أبو القاضي أبو الحسن المعتزلي ،قاضي قضاة الرأي شيخ الاعتزال ،توفي سنة اربع عشرة وأربعمائة و قيل سنة خمس عشرة ،ولي القضاة في هذا الصاحب و عزل بعد وفاته لإنكاره فضله و القولة بمعصيته انظر: الوافي بالوفيات

و قال السكاني (ت626هـ) و اعلم ان اعجاز القرآن يدرك ولا يمكن و صفه كاستقامة الوزن ،تدرك و لا يمكن و صفها و كالملاحة ،وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت و لا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطرة الا بإتقان علمي البيان و المعاني و التمرين فيهما[1].

و قد ذكره ابو الخير من جملة فروع علم التفسير و قال :صنف في جماعة ،فذكر منهم الخطابي و الرماني و الرازي ،و منهم الباقلاني و ابن سواقة و ابن أبي الإصبع و الزملكاني[2]و التعبير عن المعجزة بالآية كثير جدا في القرآن كما اسلفت في الفصل الاول عن دلالات اللفظ.

و لقد كانت الاعجاز القرآني خليقا أن يثير في الحياة الاسلامية مباحث على جانب من الاهمية يتصدى بها العلماء للكشف عن وجوه البلاغة القرآنية ،و عن اسلوب القرآن الفذ في التصوير و التعبير و بذل اولئك العلماء جهودا مشكورة ،وقاموا بمحاولات مضنية ابراز البلاغة القرآنية في صورة موحية ذات ضلال تركت أثرها على اتجاهات الدراسيين للعلوم القرآنية و الابحاث العربية جملة وتفصيلا ،و غالبا ما وقفوا عند النص الواحد ،فاقتطعوه اقتطاعا من الوحدة القرآنية الكبرى ،ودرسوه على حده دراسة تحليلية جزئية ذهب بمعالم جمالها خلائهم الذي لا يتناهى حول مشكلة اللفظ و المعنى ،فكانت النزعة الكلامية غالبا ما تفسد عليهم تذوقهم للنصوص و ادراكهم مواطن البلاغة و الإعجاز ،و الواقع ان مفهوم الاعجاز يرتبط ارتباطاوثيقا بالقرآن الكريم كما يقترن بالتحدي و المعارضة و بخصائص اللغة العربية و مدى طواعيتها على تقبل نمطين من الكلام :الاول :الهي سماوي ،والثاني بشري أرضي ،و في ذلك قال محمد محمود

ج6،ص38،سير أعلام النبلاء الذهبي ج17ص244،الأعلام ،الزركلي ج، ص.

[1]– مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري ،احمد جمال العمري ،بدون سنة طبع ،دار المعارف ،مصر– ص 17.

[2]–أبجد العلوم :صديق بن حسن القنوجي ،ط1،(1423هـ/2002م)،دار ابن حزم ،ص282.

شاكر :"فإذا صح ان الاعجاز كائن في رصف القرآن و نظمه و بيانه بلسان عربي مبين و أن خصائصه بانية للعهود من خصائص كل نظم و بيان تطلعه البشر في بيانهم ،لم يكن لتحديهم به معنى إلا أن تجتمع لهم و للغتهم صفات بعينها[1] "فالباحث المفكر ماك حدد مفهوم الاعجاز بالقول أهل اللغة يرون أن الاعجاز هو الايقاع في العجز ،واهل الاصلاح يرون ان الاعجاز هو الحجة التي يقدمها القرآن الى خصومه من المشركين ليعجزهم بها .فأما حين نريد تحديد هذا المصطلح في حدود التاريخ اي في حدود ادراك البشر لحجة ،وادراك المسلم لحجة الاسلام بخاصة خلابة من مراجعة القضية في ضوء التاريخ[2].

يقول احد الباحثين معلقا على ذلك و بذلك يكون قد حدد هذا المفهوم في الاطار اللغوي و الاطار الديني و الاطار التاريخي ليستشهد بعد ذلك بآيات التحدي في القرآن الكريم و لينتقل الى مستوى آخر من التحديد فيقول :"فالإعجاز هو بالنسبة الى شخص الرسول الحجة التي يقدمها لخصوصه ليعجزهم بها و هو بالنسبة الى الدين وسيلة من وسائل تبليغه و هنا يضئ مالك من بني على تحديده سمات معينة :

1. أن الإعجاز كحجة لابد أن يكون في مستوى ادراك الجميع ،فلا يمكن أن يتحدى الله البشر لا يدركون كنهى وماهيته ،والا فلا منطق هنا في التحدي .
2. الإعجاز البياني او اللغوي باعتبار حجة النبي(صلى الله عليه وسلم) وسيلة من وسائل تبليغ هذا الدين[3].
3. من حيث الزمن :أن يكون تأثيره بقدر ما في تبليغ الدين من حاجة اليه ،و هذه الاخيرة تحدد نوع صلته بالدين ،الصلة التي تختلف من دين الى آخر باختلاف

[1] –مداخل إلى إعجاز القرآن الكريم ،أبو فهر محمد محمود شاكر ،ص96.

[2] – الظاهرة القرآنية ،مالك بن نبي ،ص20.

[3] –النقد والاعجاز دراسة محمد تحريشي،ص16.

ضرورات التبليغ ،وهذا التوجه يكشف عن مستوى من التحليل تبدو فيه صفات الاعجاز محددة من حيث الحجة و الوسيلة و الزمن .

و كان مصطفى صادق الرافعي من الذين حددوا هذا المفهوم كما ذكرت في بداية المبحث،وينتج هذا التحديد من استقراء لأهم تحديدات العلماء للإعجاز ، فالرافعي من الباحثين المتخصصين في دراسة الاعجاز ،وقد ربط تحديده هذا بالزمن و علاقته بضعف المقدرة الانسانية التي تعني كل الناس و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا و ربط المؤلف الاعجاز بالقرآن فقال: " ان القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الاعجاز على اطلاقة ،حين ينفي الامكان بالعجز من غير الممكن فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الانسانية مبلغا ،و ليس الى ذلك مأتى و لا جهة و انما أثره كغيره من الآثار الالهية "[1].

فيمكن القول كون القرآن معجزا لكونه دالا على تلك المحاسن و المزايا التي يختص بها غيره من سائر الكلام و لا يجوز ان تكون راجعة الى الدلالات الوضعية سواء كانت باعتبار دلالتها على معانيها الوضعية ،او مجردة عنها وقد ذهب الى ذلك اقوام.

وقد افرد بالتصنيف في اعجاز القرآن كما جاء في الاتقان خلائق ذكرهم الرافعي في مؤلفه منهم الخطابي و الرماني و الزملكاني و الإمام الرازي و ابن سراقة و القاضي أبو بكر الباقلاني و قبلهم المفسرون و علماء الكلام و الفقهاء و اهل الاصول و الحديث و علم المقاصد و الادباء من اهل النحو و البلاغة و البيان و اهل دقائق العلوم كما سبق و أشار المؤلف في فصل الاعجاز العلمي.

و حسبه في هذا الفصل أن أشار الى تحديد عام بمعنى الاعجاز و قد جعل ذلك مقدمة لينفذ ما قيل في هذا العلم تفصيلا عند العلماء المتقدمين ،غرضه من هذا نترك المؤلف عنه بجزالة أسلوبه و براعة بلاغته يبين:

[1] -إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ص156.

"ونحن قائلون فيما هو الاعجاز عند علمائنا ـ رحمهم الله ـ و ما وضعوه فيه من الكتب ثم ما هي حقيقة عندنا ،ثم نبسط الكلام فضلا من البسط بأسلوبه و بيانه مما يناسب[1] اللغة و يستطرف اليها ..... و لسنا ندعي أننا أشرفنا على الأمد و أوفينا على معجزة الابد، فإن هذا أمر ضيق كثير الالتواء لمن تلتمس جوانبه ،و اقتحم مصاعبه...".

ثانيا :الرافعي و جهود الدارسين لقضية الاعجاز القرآني:

تبوأ القرآن مكان الصدارة لكونه النص الادبي الاول للأمة ،و الكتاب المعجز و الوحي السماوي الى جانب كونه أساس التشريع و الموجه الى معاني الامور ،فكان من الطبيعي أن يكون سحور الاهداف الفكر و التأليف و التأليف في الأمة.

فظاهرة الاعجاز القرآني ظاهرة لم تعرفها الآداب الاخرى التي عرفتها الانسانية على وجه العموم و العرب على وجه الخصوص ،فمن الطبيعي أن تشتغل حيزا واسعا في الدراسات العلمية

وان تشكل فارقا مهما في طريق تحولات الحركة النقدية ابتداء من عصور التدوين ،لم يكن النقد هي مسافة العام موجها الى خدمة فكرة الاعجاز على نحو عامد ولكن عدم انفصاله عن البلاغة كان من الطبيعي أن يقف به عند تلك الفكرة او يجعل أدواته ووسائله صالحة للوقوف عندها .

ثالثا :إرهاصات التدوين و نشأة علم الاعجاز :

ظلت القدرة الناقدة و المغروسة في طباع العرب تعينهم على تمييز طبقات الكلام يحذقون بها نقده ،و يحكمون بها عياره و هم في غنى عن النظريات و الاصول المدروسة التي تأسس عليها نقد الكلام تماما كما كانوا في غنية بصحة طباعهم ،و سلامة ألسنتهم

[1] -نفس المرجع السابق ص139.

عن المعرفة النحوية و الصرفية ولهذا لم يتكلموا في وجه الاعجاز ،ولم يلتفتوا اليه فالمعروف لا يعرف ،لان برهانه قائم في نفوسهم و مضى الامر كذلك تبدلت أحوال العرب ،و لانت جلودهم و نجم في مجتمع المسلمين أهل التشكيك و جاهروا بالزيغ ،و كثر القول في القرآن و اعجازه[1].

يقول فضل عباس :"من المفيدأن ننبه هن أن مصطلح الاعجاز لم يكن معروفا في عهد النبوة و الصحابة و التابعين ،انما عرف فيما بعد ،دليل ذلك كتاب الله تبارك و تعالى فالكلمة التي كانت تقوم مقام المعجزة . هي الآية و هذا ما ورد في كتاب الله تبارك وتعالى .قال تعالى :﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾[2].و يعتقد الكاتب أن المصطلح كعلم لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري. و أول ما نشأ نشأ في بيئة المتكلمين[3]. اذ أن القرآن عول على قدرة العرب في تمييز طبقات الكلام . وتلك شهادة من الله لهم بالتفوق في هذا الباب و بقيت هذه القدرة الناقدة ،و المغروسة في طباعهم تعينهم على تمييز طبقات الكلام يحذقون بها نقده و لهذا ايضا لم تكن المعارف البلاغية و النقدية التي ولدت في صورة اشارات و علل ،وتوجيهات لم تكن منبثقة من فراغ ،وانما كانت بدايات تقنين منهجي علمي لتلك السليقة الناقدة و الجملة اللغوية الفصيحة و لما كان انتقال السنة القرب على نحو السليقة أمرا باكرا كان النحو أسبق علوم العربية ،فنتحدث أصوله في أوائل القرن الثاني[4]و لما دخلت الأفكار الفلسفية في أول عهد بني العباس فتلقفها

---

[1]–الإعجاز البلاغي ،د، محمد محمد أبو موسى ،ص21.

[2]–سورة الإسراء الآية ،59.

[3] –إعجاز القرآن الكريم ،د، فضل عباس ،ص27.

[4]–الإعجاز البلاغي ،د، محمد محمود موسى ،21.

الذين يحبون كل واحد من الأفكار و يميلون إلى الاستغراب في أقوالهم فنفعتهم الفلسفة إلى أن يعتنقوا القول بالصرفة و يطبقوه على القرآن الكريم.

فقال قائلهم :إن العرب كان في مقدورهم الاتيان بمثله لولا ان الله سرفهم عن ذلك بمنع و عجز أحدثهما فيهم[1].

لا يبعد ان يكون هذا القول منقولا عن الفلسفة الهندية فلقد ذكر أبو الريحان البيروني (ت440هـ) :" ان جمهور علماء "البراهمة"[2] في الهند يعتقدون أن البشر يعجزون عن محاكاة الفيدا[3]" و هو كتاب يشمل على مجموعة من الاشعار ليس في كلام الناس ما يماثلها في زعمهم ، لان براهما صرفهم عن الاتيان بمثلها".

لما بدأ العرب ترجمة الكتب في العصر العباسي الاول عن الفارسية و الهندية و اليونانية عرف الناس هذه الافكار فتلقف المغرمون بكل واحد من الافكار و مستهجن من الاقوال مهما كان شذوذه ،كان المعتزلة أسرع الفرق للاستفادة من الفلسفة اليونانية وصيغها صيغة اسلامية و الاستعانة بها على نظرياتهم و جدلهم، و كان من أشهر من أستخدم الفلسفة في ذلك ابو الهذيل العلاف و النظام و الجاحظ.

في هذا العصر كما لاحظ الذهبي وضعت في اللغة العربية أسست كل العلوم ـ تقريبا ـ فقل ان نرى علما اسلاميا نشأ بعد و لم يكن قد وضع في العصر العباسي ،وضع تفسير القرآن وجمع الحديث ووضعت علومه ووضع علم النحو و القافية سيبويه كتابه الخالد وجد بعد ذلك توسيع هذه العلوم و زيادة جزئياتها وإجادة تأليفها او ضعفه ،ومعالجة مسائلها معالجة انفع و اضروا قد كان لكل من العلوم النقلية و العقلية منهج

---

[1]–القول بالصرفة في اعجاز القرآن الكريم ،د، عبد الرحمن بن معاضة الشهري ،ط1 (1432)،دار ابن الجوزي ،ص28.

[2]– هي ديانة وثنية هندية ،تمثل مبادئ روحية وخلقية الى جانب المبادئ القانونية و التنظيمية متخذة عدة الهة بحسب الاعمال المتعلقة بها فلكل منطقة اله ولكل عمل او ظاهرة اله ،وقد تشكلت غير ميسرة طويلة من القرن الخامس عشر (ق،م)انظر: الملل و النحل 250/2،والموسوعة الميسرة في الاديان و المذاهب المعاصرة ص531،و الموسوعة العربية الميسرة 1906/2.

[3]–انظر: ضحى الاسلام ،أحمد امين ،ج2،ط10 ،دار الكتاب العربي ص13، فجر الاسلام ص299.

خاص ،فأما منهج البحث و التأليف في العلوم النقلية و في اقل من خمسين سنة من آخر الدولة الاموية الى صدر الدولة العباسية كانت أغلب العلوم قد دونت و نظمت ،سواء في ذلك العلوم النقلية من علوم القرآن والحديث و الفقه و علوم اللغة و الادب على اختلافها و العلوم العقلية من علوم الرياضة و المنطق و الفلسفة و الكلام.

وهكذا غدت الدراسات البلاغية مقدمة لدراسة القرآن الكريم و تفسيره و ضرورة لتذوق و ادراك البيان القرآني ،حتى انك تحب من العلماء من كان لا يبدأ بتدريس تلاميذه كتب التفسير ،الابعد ان يدرس هؤلاء التلاميذ فنون البلاغة .وقال الايمان بأن سر الاعجاز في فصاحته و بلاغته الى ايجاد حركة تأليف كبيرة في لغة القرآن و فصاحته.

وسبق وأشرت ان هذا المصطلح لم يظهر الا متأخرا قصد "اعجاز القرآن" و اول كتاب يحمله في عنوانه فهو كتاب اعجاز القرآن للواسطي (ت306هـ) و هو كتاب مفقود ،الا ان قدم كتاب خاص بإعجاز القرآن وصل الينا هو "النكت في اعجاز القرآن" لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت384هـ) ثم تتابعت المؤلفات بعد ذلك و كثرت كثرة لا تكاد تحصى قديما و حديثا[1]. و تجدر الاشارة هنا ان الحديث عن التأليف في علم الاعجاز أقصد به انفراد كتابه مستقلة تحمل في عناوينها المصطلح اما الفكرة او العلم قد فرض له العلماء بالدراسة و خصوه بلد باحثهم كالمفسرين ،والفقهاء واهل الاصول وعلوم الحديث ..... الخ و مختلف الفنون .

و لقد كان مرد التدوين في علوم القرآن و اعجازه الى نشأة علم الكلام ،و هو علم كان ثمرة للبحث في العقائد و قد تعاون على نشوئه أسباب كثيرة من الفتوحات الاسلامية التي نشأت على أعقابها الفلسفات الحديثة و علوم المنطق فمنهم من حاول التفلسف في الدين و اثارة الخلافات الدينية و كذلك المسائل السياسية و لعل اوضح

[1]–دراسات في علوم القرآن ،د، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ط5،(1428،2007)،ص292،فوسة مكتبة فهد الوطنية أثناء النشر.

مثل لذلك مسألة الخلافة وسبب ثالث حاجة المتكلمين الى الفلسفة لوقوفهم أهم خصومهم يجادلونهم فمثل حججهم ،اضطرتهم إلى أن يقرؤوا الفلسفة اليونانية و ينتفعوا بالمنطق و باللاهوت اليونانيين سمي هذا العلم الذي يبحث في العقائد بالأدلة العقلية على المخالفين بعلم الكلام ،وقد سمي كذلك ،لأن اهم مسألة وقع فيها الخلاف في العصور الاولى مسألة علم الكلام و خلق القرآن و سمي العلم كله بأهم مسألة فيه. أو لأن مبناه كلام صرف في المناظرات على العقائد و ليس يرجع الى عمل ،و المتكلمون فرق مختلفة :معتزلة و مرحبة وشيقة و خوارج و غيرهم سبقوا فلاسفة الاسلام في الزمان.

رابعا :–الرافعي و الاقوال في اعجاز القرآن :

–علم الكلام :

ينفذ المؤلف في هذا الفصل الاقوال في الاعجاز باعتباره ناقدا معتمدا في ذلك على منهج المقارنة و التحليل .والرافعي في هذا المقام لا يغفل أهمية التصنيف و الترتيب العلمي التاريخي اذ تظهر سعة اضلاعه و ذكائه فهو قد بارع أديب مبدع و عالم مطلع حافظ لا نكاد ننتهي من قراءة فصل من فصول كتابه حتى تصحبي اشراقاته العلمية و تتداعى طعون الطاعنين و دعاوى المفوضين في ألفاظ جزلة وعناية دقيقة بأسلوبه فتراه يجمع اللفظة اختصا بما يجانسها و يلائمها ،اما في حروفها ،اضافة الى الصقل و التهذيب و لا يزال يقلبها و ينسبهما ،حتى تخرج قوية رصينة :وتراه يقول :"وهذه سبيل من الكلام لا يزال اذاها حاضرا ،و سالكها حائرا ،فإنه يندفع اليها أيان متناقضان الا كان أقواهما معتبرا صوابا بحتا لا بقوله و لكن بضعف الآخر وان كان هو في نفسه خطأ صواحا و فسادا صرفا او جهلا و إحالة "[1]وفي قوله "وقد أسلفنا في غير هذا الموضع ان كل فرقة انشغبت في الاسلام ،وانبسطت لهل ظل فإنما هي عقل رجل ،ديني واحد "و

[1]– إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،ص141.

براعته في وصفهم ."فالمقر من أولئك كالمنكر من هؤلاء ،ما دام سبيل جميعهم من صناعة الكلام ،وعلى ناحية المكابرة "

و للحديث عن المتكلمين لابد اولا من تحديد المصطلح ان علم الكلام هو علم يقتدر معه اثبات العقيدة الدينية بإيراد الحجج و دفع الشبه"[1].و قال ابن خلدون "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية "[2]و عرفها الجرجاني : "بالعلم الذي يبحث فيه عن ذات الله تعالى و صفاته و أحوال الممكنات من المبدأ و المعاد على قانون الإسلام "[3]،و كذلك عرفه طاش كبرى زاده :بأنه "علم يقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية بإيراد الحجج عليها و دفع الشبه عنها " و عرف أيضا بأنه :"باب من الاعتبار في أصول الدين يدور النظر منه على محض العقل في التحسين و التقبيح و الإحالة و التصحيح و الإيجاب و التحوير و الاقتدار و التعديل و التحوير و التوحيد، والتفكير".

يبين الرافعي أن أقوالهم في اعجاز القرآن متضاربة يسقط بعضها بعضا ،و في حديثه عرض الرافعي رحمه الله للقول بالصرفة ،وشيء من حيرة النظام الذي اشتهر عنه هذا القول .ثم قال بأسلوب ساخر. "و هو عندنا رأي لو قال به صبيته المكاتب ،وكانوا هم الذين افتتحوه و ابتدروه لكان مذهبا من تخالطهم في بعض ما يحاولونه اذا عمدوا الى القول فيما لا يعرفون ليوهموا أنهم قد عرفوا "

ولا فإن من سلب القدرة على شيء بانصراف همته عنه و هو بعد قادر عليه مقرن له. لا يكون تعجيزه بذلك في البرهان الا كعجزه هو عن البرهان ،اذا كان لم يعجزه عدم القدرة ،و لكن اعجزه القدرة وهو لا يغالب ،والمرء ينبى و يذكر وقد يتراجع طبعه فترة لا عجزا و قد يحتويه السأم و يتخونه الملال ،فينصرف عن الشيء و هو له مطبق و ذلك

[1] –المواقف من علم الكلام ،ص07.

[2] – المقدمة، ابن خلدون ،ص458.

[3] – التعريفات ،الشريف الجرجاني ،ص162.

ليس أحق بأن سيء عجزا من ان سمي تهاونا و لا هو أدخل فيما يحمل عليه الضعف منه فيما يحمل عليه فضل الثقة[1]".

و يوضح الدكتور فضل عباس رأي الرافعي في الصرفة فيقول :"و توضيحا لكلام الرافعي نقول :"أن القول بالصرفة لا يتفق و الحكمة الالهية بيان ذلك :ان الله تحداهم ان يأتوا بمثل القرآن او بسورة منه :فهل يليق بالحكيم الخبير و الحكم العدل ان يقول لهم لتجتمعوا و لتتعاونوا و لتبذلوا كل ما عندكم من جهد و طاقة و لتستعينوا بمن تشاؤون و افعلوا كل ذلك من اجل الاتيان بسورة ،مع ارخاء العنان لهم يقول :سأمنعكم و اصرفكم عن هذا .

لنتصور مدرسا وضع أسئلة الامتحان لطلابه ولكنه عند لحظة الامتحان جمع الاقلام من الطلاب ،او أطفا الكهرباء و لنتصور احد الناس يتحدى حامل الاثقال و لكنه حينما جاء ليحمل قيد يديه، ماذا يقول الناس عن هذا المدرس و عن هذا المتحدي إن عملهما ليس فيه شيء من الحكمة ولا الجدية بل هو عبث "[2]،وقد استعرض الرافعي اقوال المتكلمين و حمل جملة شعراء على النظام و سماه بـ :" شيطان المتكلمين و نجد الرافعي يذكر مذهب الصرفة جملة و تفصيلا"[3] يقول الإمام محمد ابو زهرة : " إن مثل الذين يقولون :إن إعجاز القرآن بالصرفة كمثل الذين قالوا : إن القرآن سحر يؤثر " و قد اثبت ذلك الرافعي في كتابه إعجاز القرآن فقال :" وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب إن هذا السحر يؤثر و إن التشابه بين القول انه سحر الامتناع عن المماثلة في كليهما من خارج الشيء لا من ذاته فالقول بالصرفة يفيد ان العرب لم يكونوا عاجزين ولكن حيل بينهم و بين العمل على المماثلة و كذلك

[1]-اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص143 و ما بعدها.

[2]- إعجاز القرآن الكريم ، د، فضل العباس، ص100.

[3] - قضية الإعجاز القرآني و اثرها في تدوين البلاغة العربية ،د، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، ص771.

الامر في السحر بشدههم حتى يعجزوا و هو ما وصل إليه الوليد بن المغيرة بعد ان قدرو دبر في ملأفي ، قومه يجيء كاتب متفلسف فيأتي بهذا القول من غير تقدير ولا تدبير[1].

ويعرض المؤلف تحديد مفهوم الصرفة عند كل من النظام :" إلى أن الإعجاز كان بالصرفة و هي ان الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقا للمادة "[2]. وهو قول يغزوه الباحثون قدامى ومحدثين دون خلاف على ذلك حيث ان النظام وهو رأس المعتزلة بينما فريق سنة القول بالصرفة في إعجاز القرآن إلى المعتزلة وإلى النظام نفسه و تردد فريق ثالث في سنته إلى المعتزلة فجاءت اقوالهم مضطربة و آراؤهم متناقضة و حتى نتعرف وجه الحق في هذه القضية و الرأي الذي ينسب القول إلى المعتزلة عامة و إلى النظام خاصة و هو الرأي الشائع و عليه اكثر الباحثين في الإعجاز من المحدثين ولم يأتي ذلك من فضاء بل جاءت استنتاجاتهم فقال البغدادي " الفضيحة الخامسة عشرة من فضائحه قوله ،أي النظام :إن نظم القرآن و حسن تأليف كلماته ليست معجزة للنبي (صلى الله عليه وسلم)ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة ،وانما وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الاخبار عن الغيوب ،و قال الشهر ستاني[3] :"قوله أي النظام في اعجاز القرآن :إنه من حيث الإخبار عن الامور الماضية و الآتية و من وجهة صرف الدواعي عن المعارضة ،ومنع العرب عن الاهتمام به حيرا و تعجيزا حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على ان يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة و نظما "يقول د.منير السلطان :"إن رأي النظام هو المحصلة التلقائية لمذهب المعتزلة في العدل الالهي"[4].

---

[1]– المعجزة الكبرى الإمام محمد ابو زهرة، ص74.

[2]– نظرية الإعجاز القرآني و اثرها في النقد العربي القديم،د، احمد السيد محمد عمار، دار الفكر، ص43.

[3]–الملل والنحل الشهر ستاني، ج1،ص66.

[4]–مقالات الإسلاميين ،الأشعري ،تحقيق محي الدين عبد الحميدج1ص296.

و يشير الدكتور منير سلطان الى عدم موافقة لنسبة نظرية الصوفة الى النظام ويستند في ذلك الى استعراض آراء النظام الكلامية ،فالإنسان عنده مستطيع بنفسه لا بحياة،و استطاعته هي غيره و تبقى الاستطاعة على الفعل حتى تحدث به آفة و هذا الانسان لا يقدر على ما لا يخطر بباله أي أن قدرة الانسان مقيدة بمدى علمه ومدى ما يخطر بباله فالقدرة تابعة للعلم بل للإرادة نفسها لا يأتي مرتبتها إلا بعد مرتبة العلم ،فالإنسان ـ عند النظام ـ يعلم الشيء ثم نريده نفسه ثم تقوم قدرته بتنفيذه اذن فالعجز ليس في القدرة الانسانية و لكن في استطاعة القدرة التي منحها الانسان ،فالمنحة التي منحها الله تعالى للإنسان بذلت استطاعتها ،فاستطاعت كل الاغراض ثم لم تستطع القرآن، و قد حاولت و جربت ففشلت ،لا لأن القرآن القديم ،ولا لأن حكاية للقديم ،فالحكاية و الاصل واحد ـ عند المعتزلة بل لأن المنحة محدودة و القدرة لها نهاية و لا حيلة معها ،فهكذا أراد المانح جل وعلا، ولو زاد في العطاء لزادت القدرة في الاستطاعة و لأتى على الانسان حين من الدهر و هو للقرآن مقلد ولآياته معارض[1].

وقد بين جمهور العلماء و منهم الرافعي أن الصرفة بكل صورها ،تسلب الاعجاز الذاتي للقرآن ،وانها وهم ذهب اليه خيال القائلين بها دون سند أو دليل[2].

و قد خالف الدكتور أحمد أبو زيد كثيرا من الباحثين حين قال :" فإيراد قضية الاعجاز في سياق هذا البحث المتعلق بالصرفة ،وفي معرض الرد على الدهر يبين، يفيد بأن هذه النظرية انما وضعت للدفاع عن القرآن ، وتنزيهه عن مطاعن الملحدين ،فهو يرى أن هذه النظرية انما وضعت للدفاع عن القرآن ، و لا يذكر أمد دور المعتزلة في الدفاع عن القرآن ، و بيان اعجازه و اسراره البيانية ،الا أ، عدم اتفاقهم على مفهوم واحد

[1]– إعجاز القرآن بين المعتزلة الأشاعرة ،د.منير سلطان ،منشأة المعارف،ص54.

[2]–الصرفة دلالتها عند القائلين بها ردود المعارضين لها ،سامي عطا مس ،ص4.

نظرية الصرفة يدل على انها لم تصدر عن عقيدتهم في كلام الله ،و في خلق القرآن ،لذا أميل الى ماذكره كل من البيروني .

والبغدادي و الشهر ستاني[1] ،من أقوال[2]،و الرافعي في نهاية حديثه عن الصرفة يقدم رأيه الخاص الذي يعتقده و به يبين ،والرافعي لم يرفض قول المعتزلة بالصرفة فقط ،ففي عرضه لآراء العلماء السابقين في الإعجاز و استنفاده جهدا واضحا و كبيرا في عرض هذه الآراء و مناقشتها ثم ينتهي به المطاف الى رفض هذه الآراء جميعها صحيحها و سقيمها ،فإذا انتهى من هؤلاء العلماء ،وقضوا فيما خلفوا وراءهم من مباحث في الاعجاز هذا القضاء ،لم يدع الباب يغلق على فراغ بل حاول ان يميد هذا الفراغ وان يقدم الترجيح الصائب و الرأي السديد في بيان صحة الرأي في نظرية الإعجاز[3].

وتظهر حجته في ذلك خاصة في تفنيد قول النظام بالصرفة[4] معتمدا على مرتكزات :

1- اعتماده على رأي الجاحظ و انتقاده للنظام مع ان الرجلين ينتميان الى مدرسة واحدة و ينقل قول الجاحظ يعيب مذهب النظام وهو تلميذه فيقول:"إنما كان عيبه الذي لا يفرقه سوء ظنه وجوده قياسه على العارض و الخاطر و السابق الذي لا يوثق بمثله ،فلو كان بدل تصحيحه القياس التمس الاصل الذي قامت عليه كان امره على الخلاف .و لكنه كان يظن الظن ثم يقيس عليه و ينسى أن بدء أمره طان ظنا ،فإن أيقن جزم عليه و حكاه عن صاحبه حكاية المستبصر في صحة معناه ،ولكن كان لا يقول

[1]- الفصل في الملل و الاهواء و النحل ،ابن حزم ،مكتبة الخانجي ،ج3،ص12

[2]-إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،فهي ص145.

[3]-الإعجاز في دراسات السابقين ،عبد الكريم خطيب ،ص329.

[4] - الصرفة دلالتها لدى القائلين بها سامي عطا حسن ،جامعة أهل البيت ،و ردود المعارضين لها

سمعت و لا رأيت و كان كلامه اذا خرج مخرج الشهادة القاطعة لم يشك السامع أنه انما حكى ذلك عن سماع قد امتحنه ،او عن معاينة قد بهرته"[1].

2- ان من سلب القدرة على شيء بانصراف وهمه عنه ،وهو بعد قادر عليه مقرن له لا يكون تعجيزه بذلك في البرهان الا كعجزه هو عن البرهان ،اذ كان لم يعجزه عدم القدرة.

ظاهر هذا التقرير أن ابن حزم افلك مسلك معاصريه كالجرجاني (ت451)القائل بأن الذي اعجز به الله العرب ،ولكن ذلك الظاهر من تقرير ابن حزم ليس كذلك في بقية كلامه [2]يقول الرافعي في هذا الشأن ،"و لم نر ان أحدا فسر هذه الكلمة "الصرفة كابن حزم الظاهري ،فإنه قال في كتابه (الفصل)في سبب الاعجاز :"لم يقل احد ‘ن كلام غير الله تعالى معجز لكن لما قاله الله تعالى و جعله كلاما له اصاره معجزا ومنع من مماثلته .قال :وهذا برهان كاف لا يحتاج الى غيره و يعقب الرافعي بأسلوب قريب من التهكم و السخرية بقوله :"بل هو فوق الكفاية و اكثر من ان يكون كافيا ايضا :لأنه لما قاله ابن حزم و جعله رايا له ،اصاره كافيا لا يحتاج الى غيره ...و هل يراد من اثبات الاعجاز للقرآن الا اثبات أنه كلام الله تعالى "[3]و هذه دلالة اخرى على وفرة ما لديه من المعلومات التي تستطيع بها أن يصدر مثل هذه الأحكام الكلية ،فهي تواتيه من كل ناحية ،ويعيش في عصورها وادوارها جميعا و يحضرها عصره أيضا هذا الامتزاج الأثير و متى رأيت هذا المؤرخ لا يتوكأ الا على المنطق و المقاييس و الاوزان ،فاقذف به و بتاريخه و ادبه و آرائه حيث شئت ،فإنه لا يمتنع في يدك و لا يستعصي ،وتلك حقيقة علمية أخرى يضيف فيها المؤلف جديدا الى الاحكام في التاريخ العربي ،و يجتهد لنا فنا من النقد و المقارنة فيبدوا ان الطريقة العلمية عنده قائمة على استقراء المادة و احاطة من

[1]-إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني ،د، صلاح عبد الفتاح الخالدي-دار عمار ط1421-1هـ/2000م ص95.

[2]-الملل و النحل ،ابن حزم ج ص94.

[3]- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص146.

جميع جهاتها ،فهي لا تخرج التاريخ نفسه كما هو في الواقع ،وانما تجئ برأي ما يكون فيه معياره دائما ذكاء صاحبه و عقله و خياله ،و نجد الرافعي في هذا التاريخ شخصية تجتمع فيها مواهب متعددة واضحة ، فيكتب في التاريخ مؤرخا ، وفي اللغة لغويا ، و في الشعر شاعرا، و في النثر كاتبا ... ثم لا يفوته ان يكون جريئا في الحق نقابا عليه "[1].

و اذ رجعنا الى كلام ابن حزم في الفصل يقودنا كلامه الى ان القرآن ليس من جنس البشر فلا يجوز قياسه ككلام البشر بأي حال من الاحوال و هذا لا يعقل ان يخالف فيه سلم فهو ثم يخالف علماء الإسلام في القول بإعجاز القرآن ،فقد وضع المسألة اي مسألة الاعجاز في مكانها الصحيح و لم ينف البلاغة عن القرآن.

بقي في هذا المقام أن أوضح أن الرافعي أراد من بيانه موقف ابن حزم من قضية الصرفة أن يوجهنا الى مسألة غاية في الاهمية كون الامام يدور كلامه في هذا الفصل كله على نفي أن يكون القرآن يدخل و كلام المخلوقين تحت حد واحد و مقياس واحد ،وهذا بالتأكيد ما لم يقله احد من القائلين بالإعجاز البلاغي فما نقل عن احد أنه يقول ،إن القرآن في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين و انما قالوا "انه في درج البلاغة التي تفوت قدرة المخلوقين فوقا يبهر و يقهر"حتى تنقطع الأطماع عن المعارضة .و ابن حزم يرفض ان يعلل عجز الخلق عن الاتيان بمثل القرآن بأي علة اخرى سوى انهم قد عجزوا فاختار القول لذلك بالصرفة فهو الذي يفيد ذلك ،فالقائلون بها لا يذكرون لعجز الناس سببا سوى ان الله أراد ذلك[2].

و لقد ابطل هذا القول أقصد القول بالصرفة جمهور العلماء منهم القاضي الباقلاني و الجرجاني اذ عقد الاول له بابا في كتابه "نكت الانتصار لنقل القرآن "تحت عنوان الكلام على المعتزلة القائلين بأن العرب صرفوا عن معارضته مع قدرتهم على الاتيان بمثله

[1]-بين المحافظة و التجديد ،مصطفى نعمان البدري ،ط1(1411/1991م)ص420 بتصرف.

[2]-الفصل في الملل و الأهواء و النحل ،ابن حزم ،ج1،ص87،و انظر أيضا :

"و خلاصة القول في هذا أن القول بالصرفة قول باطل و هو كما وصفه الجرجاني بأنه "قول في غاية البعد و التهافت وأنه من جنس ما لا يعذر العاقل في اعتقاده "[1]و الحقيقة ان الدلالة عن بطلات هذا القول تظهر في كثير من الاوجه ذكرها العلماء و ليس من قول في اعجاز القرآن اسقط من القول بالصرفة وقد بين ذلك في الفصل الاول الدواعي و الاسباب التي بنى عليها العلماء حججهم لإبطال هذه النظرية و نفيها عن اعجاز القرآن الكريم .

و نفاها ايضا القاضي عبد الجبار الى مفهوم معاير لسابقيه و هو في هذه المرة يرتبط بالقوم أنفسهم ،وليس شيئا خارجا عنهم أو مفروضا عليهم فرضا و هذا المفهوم هو ان :"دواعيهم انصرفت عن المعارضة لعلمهم أنها غير ممكنة على ما دللنا عليه ،لولا علمهم بذلك لم تكن لتتصرف دواعيهم لأن نجعل انصراف دواعيهم تابعا لمعرفتهم بأنها متعذرة ،وقال ابن كثير رحمه الله :(و اما من زعم من المتكلمين ان الاعجاز هو صرف دواعي عن معارضته مع امكان ذلك او هو سلب قدرتهم على ذلك نقول باطل ثم قال:(فالخلق كلهم عاجزون حقيقة و في نفس الامر عن الاتيان بمثله ،و لو تعاضدوا و تناصروا على ذلك لا تقدر الرسل الذين هم أفصح الخلق ،و اعظم و اكملهم أن يتكلموا بمثل كلام الله ،و هذا القرآن الذي يبلغه الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن الله اسلوب كلامه لا يشبه أساليب كلام رسول الله(صلى الله عليه وسلم)[2].

مجموعها كلها وهذا فاسد ثم يضيف :فإن قد أبطلنا رأي أهل الصرفة و زيفنا كلامهم فلا وجه بعده من وجوه الإعجاز و هكذا فإنا قد أبطلنا قول من زعم ان الوجه في اعجازه اشتماله على الاخبار بالأمور الغيبية و ابطلنا قول اهل الاسلوب و غيره من

---

[1]–نظرية الصرفة ملامحها و ابعادها و أثرها في الفكر الاسلامي ،السيد جعفر السيد باقر الحسيني، و انظر ايضا :التحرير و التنوير ،ج1،ص103و ما بعدها وفكرة الاعجاز في كتب الدراسات القرآنية ،د، محمد مقدم ،رسالة (2004/2003م)ص294.وما بعدها بتصرف.

[2]– لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير ،د، محمد بن لطفي الصباغ 1ط3،ص94.

سائر الاقاويل فلا يجوز أن تكون معدودة في وجوه الاعجاز لان الامور الباطلة لا يجوز ان تكون عللا للأحكام الصحيحة ومن وجه ثان وهو ان الفصاحة و البلاغة اذ كانت حاصلتين فيه فهما كافيتان في الاعجاز فلا وجه يعد غيرهما و معهما"[1] و قد عد المؤيد بالله العلوي عشر مذاهب أبطلها كلها و رجع ما ذهب اليه عبد القاهر الجرجاني وجها بدة العلماء كما وصفهم الا ان الرافعي لم يعقب على مذهب العلوي بالترجيح او الرد كما عقب على السابقين من المتأخرين الذين ذكرهم انما راح يفيد الاقوال بالإعجاز و ما يؤخذ على مذهبه هذا أنه غالبا لا يعزو ما يشير اليه من الآراء الى أصحابها او مؤلفاتهم انما يشير اشارة المعتمد بجعل القارئ يبحر في عالم المصنفات بحثا وتدقيقا و استنباط أو بثقة العالم الذي يعرف قارئه و سعة علمه و اطلاعه و اني ارجح الرأي الاول لأنه قد اوضحه في بداية مصنفه هذا و ان كانت عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) عزو القول الى صاحبه الا اذا جهل المصدر و كثيرا ما يكتفي الرافعي بالتلميح الى القول و اغفال ذكر الطائفة او اصحاب المذهب او صاحب الكتاب الا نادرا و كما تحدث الذين تعرضوا لقضية الاعجاز في القرآن عن الصرفة من اهل الكلام كذلك لجماعة منهم من اهل التقسيمات المنطقية على تباين بينهم في الآراء "شبه و مطاعن يوردونها على القرآن و هي نحو عشرين وجها"[2].

إذ فسروا قوله تعالى في سورة البقرة :﴿ وَإِن كُنتُم فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا

فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣[3]﴾من قرأ

---

[1]– الطراز،للإمام يحي بن حمزة العلوي اليمني ،تحقيق د ،عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية ،ج،ص224 ط1(1423هـ/2002م)،و انظر ايضا البيان العربي(دراسة في تطور الفكرة البلاغية2 عند العرب و مناهجها و مصادرها الكبرى ،د، بدوي طبانة ط4 (1388هـ)المطبعة الفنية الحديثة ،ص332 و ص365.

[2] –اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ص149.

[3] –سورة البقرة.

سورة منه فقد اتى بمثلها قال الزركشي في البرهان أي يشهدون لكم أنها في نظمه وبلاغته و جزالته فعجزوا فقال تعالى﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْتفعلوا﴾مبالغة في التعجيز و إفحاما لهم و به قال السيوطي في الاتقان[1] و الزمخشري في الكشاف انظر إلى تفسيره إذ يقول :﴿ وَإِن كُنتُم فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾معناه مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو"و علو الطبقة في حسن النظم" و يقول أيضا "و لان القرآن جدير بسلامة الترتيب و الوقوع و الوقوع على اصح الأساليب و الكلام مع رد الضمير إلى المنزل أحسن ترتيبا و ذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو المسوق إليه و مربوط به فحقه إن لا يفك عنه برد الضمير إلى غيره[2] يقول الفخر الرازي عند تفسيره لهذه الآية فإن قيل :قوله (فأتوا بسورة من مثله ،تتناول سورة الكوثر و سورة العصر و سورة الكافرون و نحن نعلم أن الإتيان بمثلها او بما يقول منها ممكن فإن قلتم أن الإتيان بأمثال هذه السور خارج عن مقدور البشر، كان ذلك مكابرة ،و الإقدام على أمثال هذه المكابرات مما يطرق التهمة إلى الدين ،قلنا لهذا السبب اخترنا الطريق الثاني أي طريق الصرفة و قلنا إذا بلغت السورة في الفصاحة إلى حد الإعجاز فقد حصل المقصود وإن لم يكن الأمر كذلك كان امتناعهم عن المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين أمره ،معجزا فعلى هذا التقدير يحصل المعجز "[3] إن فحوى كلام الرازي هنا يوحى أنه يميل الى القول بالصرفة خاصة في السور القصار.

و قد عقد عبد القاهر الجرجاني فصلا (في الذي يلزم القائلين بالصرفة)[4]

---

[1]– البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين بن عبد الله بن بهادر الزركشي تحقيق محمد أبو الفضيل ط1(1376هـ/1957م)،دار إحياء الكتب العربية ،ج2،ص110،الإتقان في علوم القرآن ،ج2،ص167.

[2] – الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الاقاويل في وجود التأويل أبي القاسم جار الله بن عمر الزمخشري ،ج1،ص242 .

[3]– التفسير الكبير ،فخر الدين الرازي ،117/2،دار الكتب العلمية بيروت ط2.

[4] – دلائل الاعجاز ،عبد القاهر الجرجاني (علق عليه محمود محمد شاكر)ط3،مطبعة المدني ،ص38.

و من جملة ما عالجه الجرجاني ورده في الدلائل يقول :"و هذه شبهة أخرى ضعيفة ممن يقدم على القول من غيرورية و هي أن يدعي أن لا معنى للفصاحة سوى التلاؤم اللفظي و تعديل مزاج الحروف حق لا يتلاقى في النطق حروف تثقل على اللسان"[1].

و قد استشهد بما قاله الجاحظ في ذلك مثبتا الفرق بين قول الشاعر:

وقـبر حـــرب بمكـان قـفز و ليس قـــرب قبر حـــرب قـــــبر

وقول ابن يسير:

لا أذيـــل الآمـال بعـــدك إنـي بعـدها بالآمـــال جـــد بخـيل .

إذ يبين الجاحظ من خلال هذه المقارنة بين البيتين كيف أن ألفاظ النطق الأخير أن البيت إذا تفقدناها وجدناها بعضها يتبرأ من بعض فالكلام عنده و كما أشرت في المبحث الأول مؤسس على ثلاث طبقات.

1- المتناهي في الثقل المفرط فيه.
2- الأحق منه أي الكلام الثقيل.
3- ما يكون فيه بعض الكلفة على اللسان إلا انه لا يبلغ أن يعاب به صاحبه و يشهر أمره في ذلك و يحفظ به
4- الفصيح هو ما خلا وصفا من الثقل و الكلفة و العيب.

وقد أبطل الإمام الجرجاني هذه الشبهة :- إن ذهب إليها ذاهب — إن قصر ناصفة الفصاحة على كون اللفظ كذلك وجعلناه المراد بها لزمنا أن نخرج الفصاحة من

[1] – دلائل الاعجاز (في علم المعاني)،الامام عبد القاهر الجرجاني ،السيد محمد رشيد رضا ،دار المعرفة (بيروت ،لبنان)،ط(1402هـ/1981م)،ص45.

حيز البلاغة "[1]اهـ و تفصيل ذلك و تعليله عنده أنه ان سلمنا بهذه القاعدة فلا يخلو من أمرين :

الأول: جعله أي الكلام البليغ العمدة في المفاضلة بين عبارتين دون اعتبار غيره .

الثاني: جعله وجها من وجوه التفاضل و اقتضاء تقديم كلام على كلام.

وهذا يفضي إلى قصر الفضيلة عليه فلا يكون الإعجاز إلا به و يعبّره القاضي من الشناعة و السخف الذي لا يقبل و احتج في ذلك بقوله :"لأنه يؤدي إلى أن لا يكون للمعاني التي ذكروها في حدود البلاغة من وضوح الدلالة ،وصواب الإشارة و تصحيح الانقسام ،و حسن الترتيب و النظام ،و الإبداع في طريقة التشبيه و التمثيل و الإجمال ثم التفصيل ،ووضع الفصل و الوصل موضعهما و توفية الحذف و التأكيد و التقديم و التأخير شروطها – مدخل فيما له كان القرآن معجزا حتى ندعي أنه لم يكن معجزا من حيث هو بليغ ولا من حيث هو قول فصل و كلام شريف النظم بديع التأليف و ذلك أنه لا تعلق شيء من هذه المعاني بتلاؤم الحروف"[2]

"ثم يرد على شبهة من رغم أن عجز العرب لم يكن لأصل أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل نظم القرآ ن ،ولكن العجز الذي ظهر فيهم ،لأنهم تحدثوا بأن يأتوا بنظم في مثل معاني القرآن .

ومعلوم أن معاني القرآن لم تكن ممكنة لديهم و لا يصح التحدي إلا بما يتصور وجوده وما يدخل في خير الممكن "[3]وفي كتابه الدلائل يستدل على ما قرره في الشافية من أن القرآن معجز في نفسه و أن إعجازه في نظمه و تأليفه.

---

[1] – نفس المصدر السابق ص46.

[2]– نفس المصدر السابق ص47.

[3]– قضية الإعجاز القرآني و اثرها في تدوين البلاغة العربية ،د، عبد العزيز عرفة ط1(1405هـ/1958م)،عالم الكتب ،ص570.

و قد أشار الرافعي رحمه الله عليه في هامش الصفحة إلى المبالغة التي تميزت رد القاضي على المطاعن و الشبه: " و قد أطال عبد القاهر الجرجاني في الرد على القول بأن من قرأ سورة فقد جاء بمثلها ،و أبدى في ذلك و أعاد وفشا و كرر(يشير إلى استشهاده بأقوال الجاحظ)."حتى أخذ الرد شطرا من كتابه "دلائل الإعجاز" و زعم هنا القول أيضا في الشعر والفصاحة يقول القاضي :"ولا يصح أن يكون الوصف الذي يكون به الإعجاز في الكلم المفردة ،لأن تقدير كونه فيها يؤدي إلى المحال "وهو أن تكون الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة قد حدث في مذاقه حروفها و أصدائها أوصاف[1].

و لا يزال ميزان البلاغة و التقدير يزخر بالآراء و المذاهب التي تتهالك و يبتلع بعضها بعضا، و لا يزال العلم يكفيه الحكم في تفاضل الأقوال .و تقسيم حظوظها يثبتها من الاستحسان غاية غائمة نستشرق إليها كما استشرق عبد القاهر إليها و إن كد و ثابر و أثرى ،وقد أشار إلى ما يشبه رأي الرافعي في نقده للجرجاني محمد أبو موسى في مؤلفه الشيق: "الإعجاز البلاغي" إلا انه هنا يتابع كيف يعلوا بعض الكلام بعضا ،أو تتوافر فيه العناصر التي يرقى بها في سلم الفضيلة درجا بعد درج حتى يتجاوز الحدود التي تطيقها طاقات البشر .وتنقطع دونها أطماعهم ،و تستوي الأقدام في العجز هنا سيتبحر هذا الباب و يذكر عبد القاهر أنه لا يكفي في هذا أن تنصب له قياسا وان وصفه وصفا مجملا بل لابد من التفصيل...و ليس هذا حديثنا للمرح العظيم الذي بناه عبد القاهر ،و الذي فتح به آفاقا سامية ووضع به أسسا دقيقة لهم الكلام ،وتذوق أسراره و غوامض بنائه، وإنما هو حقيقة أدركها من هم أعرف بتراث المرجاني و أنفذ في فهم الباب كله[2].

[1] – قضية الاعجاز القرآني ، عبد العزيز عبد المعطي عرفة المصدر نفسه،ص57

[2] – الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم،محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ص 157.

ويقرر الرافعي أن إطالة المحاججة في المضيف من الأقوال جدلا و السخيف منها موضوعا لا تخلوا من أن تكون في نفسها رأيا ضعيفا"[1]و في كلام الإمام وجهة نظر جدير بنا الأخذ بها و كما ترى فيها تأثر الرافعي بالمنهج الفقهي الأصولي و هي من جملة الآداب التي تحدث عنها ابن حزم في الملل و النحل .

و كم ذكره ابن الجرجاني :إذ ادعى هذا الأخير أن الكذب و السفه موجود في القرآن الكريم وهو مما رده وسفهه المؤلفان .

-الرافعي و السيوطي:

و يقول الرافعي أن السيوطي في كتابة الإتقان قد افرد للإعجاز فصلا كان قد بسط فيه الأدلة التي أشار إليها كخلاصة و تفصيل لأقوال العلماء من المتأخرين ،و يضم بعضها إلى بعض دون أن يتعرض لها أو لأكثرها بنقد كاف وهو ما أشار إليه إذ يقول:" فالصرفة إلى جانب القول بالبلاغة إلى جانب القول بالمعنيات فلا ندري ما يأخذ بها و ما يدع و كأنه لا يرى ضرورة لأكثر من عرضها"[2].

إلا انه ينفرد برأي يحتج له بالإيجاز و الأحاديث كون القرآن مصدر لجميع العلوم: دينية و دنيوية و يبين في آخر المؤلف ما ألفاظ القرآن من جمال ويورد ألفاظ خفيفة في النطق موسيقية في السمع و يقارنها مع مرادفاتها في اللغة لبيان حسن الانتقاد في الألفاظ وهي ملاحظة موسيقية محضة تقدر له[3].

و كان عصر السيوطي عصر تأليف و تدوين في مختلف العلوم و شتى الفنون فاستمر على التحصيل و التأليف و الشرح و الاختصار و ليس هناك فرق بين ما جاء به الزركشي في البرهان و بين ما جمعه السيوطي في الإتقان اللهم الإجمال الموسيقى

---

[1]- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي ص149 (الهامش).

[2] -إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر نعيم الحمصي ، مؤسسة الرسالة ص161.

[3] - نفس المرجع السابق،ص163.

اللفظية التي سبق وأشرت إليها و رأيه الذي قال به علماء المنفذين و المتأخرين على حد سواء :كالغزالي و الشاطبي كون القرآن في إعجازه لا يختص بوجه واحد من وجوه الإعجاز و إنما معجز لكونه مصدر لجميع العلوم[1].

رابعا–المنكرون للإعجاز في ميزان الرافعي : يجدر بي التذكير أن ظهور الفرق الكلامية كان وليد لجملة من المعطيات السياسية و الدينية و الثقافية و الاجتماعية كما سبق و ذكرت في كذا مقام من هذا البحث ،و القرآن منذ انزل مناط عناية ودراسة المسلمين و غير المسلمين بحثا و تقصيا.

يقول احمد أمين[2] :"و لما انتهى المسلمون من الفتح و هدءوا و اخذوا يفكرون ظهرت هذه المسألة (يقصد المعتزلة و الجبرية[3]والقدرية[4])وكان قد تكلم فيها من قبل فلاسفة اليونان"[5]و يضيف احمد أمين: "و على عكس من هؤلاء القدرية طائفة الجبرية و كان من أولهم جهم بن صفوان ،و لذلك تسمى هذه الفرقة الجهمية و كان يقول إن الإنسان مجبور لا اختيار له و لا قدرة ، ولأنه لا يستطيع أن يعمل غير ما عمل و أن الله قدر عليه أعمالا لا بد أن تصدر منه".

---

[1] – اعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق ،د، حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة ،اللجنة العامة للقرآن و السنة ،الكتاب الرابع ،(1390هـ/1970م)ص1585.

[2] – فجر الاسلام ،أحمد أمين ،ص348.

[3] –جاء في الملل و النحل ان الصنف الثالث منهم مرجئة خالصة عن القدر و الجبر ،و إنما ضلت هذه الطائفة بالأرجاء دون غيره و هي فيما بينها خمس فرق تكفر بعضها بعضا و هم البوسنية و العثمانية و الثوبانية و التومنية و المرسية و صنف منهم قالوا بالأرجاء و الجبر على مذهب جهم فهم معدودون في الجهمية "1هـ.انظر الملل و النحل ،عبد القاهر بغدادي ،ج1/ص139 و قال ايضا :"ذكر فرق الضلال عن القدرية المعتزلة عن الحق و القدرية عشرون فرقة "نفس المصدر السابق ص147.

[4]– يقول الشهر ستاني:المعتزلة يسمون أصحاب العدل و التوحيد و يلقبون بالقدرية و ذلك لإسنادهم أفعال العباد لقدرهم و إنكارهم القدر ،فيها موافقة لرأي معبد الجهبني غيلان الدمشقي القدريين و قال أبو منصور في كتاب الفرق في بغداد المسائل التي اتفق عليها القدرية و منها قولهم جميعا أن الله غير خالق لإكساب الناس و أن الناس هم الذين يقدرون أكساهم .1.هـ، انظر فجر الاسلام ،نفس المصدر السابق ،ص349،انظر ايضا تاريخ الجهمية و المعتزلة ،لجمال الدين القاسمي (الدمشقي ،ط1،(1399هـ،1979م).مؤسسة الرسالة ص72.

[5] – إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص150.

و في هذا الباب يفيد الرافعي أقوال منكري الإعجاز من المعتزلة عائدا إليهم بالحجة البينة و التسفيه الواضح لجملة أقوالهم بعد أن سبق و أشار إليهم كما ذكر في بداية هذا البحث :"أما الذين يقولون إن القرآن غير معجز .لا بقوة الفدر و لا بضعف القدرة فقد ذكرنا منهم طرفا "5وهم أئمة المعتزلة و أرباب الفلسفة و الأديان مثل :عيسى بن صبيح المزدار.

-عيسى ابن صبيح المزدار: كان متكلما بارزا و عالما زاهدا وكان يسمى راهب المعتزلة لعبادته ،و قيل انه حيث حضرته الوفاة ذكر أن ما ملكت مال شبه لم يدر ما حكمها فأخرجها للمساكين تحرزا و إشفاقا[1].

و المراد بضم الميم و هو أبو موسى عيسى بن صبيح المزدار تلميذ بشير بن المعتمر كما ذكر الرازي و الجاحظ.و قال البغدادي في الفرق و كما قيل عمر"لقبه الذي يرى الجاحظ أن ترجمة من الفارسية إلى العربية لائق به إذ معناه :القذر الجيفة و قد توفي سنة 226هـ"[2]و هو من كبار المعتزلة ومن المقدمين فيهم ومن عقائدهم كما أسلفت القول في القدر و التولد و قوله في القرآن :قدره الناس على مثل القرآن فصاحة و نظما و بلاغه ،و هو ممن بالغوا في القول بخلق القرآن و كفر من قال بقدمه بأنه قد أثبت قديمين .و قد سأله إبراهيم ابن السندي[3] مرة عن أهل الأرض جميعا نكفرهم فأقبل عليه إبراهيم و قال الحبة أتى عرضها السموات و الأرض لا يدخلها لا أنت و لا ثلاثة وافقوك؟ فلم يحر جوابا و من أشهر تلامذته الجحفران و أبو زفر و محمد بن سويد ،و حكي الكعبي عن الجعفرين أنهما قالا :إن الله تعالى خلق القرآن في اللوح المحفوظ و لا يجوز أن ينقل إذ يستحيل أن يكون الشيء في مكانين في حالة واحدة و ما نقرؤه فهو حكاية عن

[1]-نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد العربي القديم،د.أحمد سيد عمار ،ص46.

[2] - انظر :الاعتقادات (الرازي)ص/البرصان و العرجان و العميان و الحولان ح1،ص138.

[3]- هو: إبراهيم بن السندي بن علي بن بهرام ابو اسحاق توفي سنة 303هـ.

المكتوب الأول في اللوح المحفوظ و ذلك فعلنا و خلقنا .قال :و هو الذي اختاره من الأقوال المختلفة في القرآن "[1]هـ.

الحسينية:و هي فرقة أخرى من فوق المعتزلة أتباع الحسين بن القاسم القناني و من هرطقاتهم أيضا أنهم أكثر بلاغة و أقوى حجة مما تضمنه القرآن و هو من اسحق و ابعد الحجج العقلية التي نقلت عن المعتزلة .

و قد أطال العلماء في رد و تسفيه هذه النظريات و الشبه و المطاعن كلها، في معظم كتبهم و لا داعي للوقوف عندها كلها لان المقام في هذا المبحث ليس مقامها[2].

[1]– الملل و النحل الشهر ستاني ،ج1،ص82.

[2] –انظر: دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني ،و انظر أيضا الحبيان و التبيين للجاحظ ،الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني ،و الملل و النحل للشهر ستاني، و تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة و غيرهم كثير.

المبحث الثالث

الرافعي و جهود المؤلفين في مادة الإعجاز القرآني

لم يوفر سادتنا العلماء بعد تفشي النزعة الكلامية و انتشار فكرة الصرفة في الدفاع عن الإعجاز القرآني ابتداء من المائة الثالثة "[1]لقد ظهرت المعتزلة بجانب الأدباء ووجد بظهورهم اول كلام منظم عن إعجاز القرآن الكريم ، و ظهر بجانبهم طائفة من المفسرين كان لهم في تنمية البلاغة و الكشف عن أشرارها و خاصة بلاغة القرآن الكريم[2].

كان الحديث عن الإعجاز في القرنين الأول و الثاني تأريخا محضا لموقف كفار العرب من القرآن و إعجازه ،أو تفسيرا لآيات الإعجاز في كتاب الله تبارك و تعالى يقول الإمام: "فلما فشت مقالة بعض المعتزلة بأن فصاحة القرآن غير معجزة ،و خيف أن يتلبس ذلك على العامة بالتقليد أو العادة و على الحشوة من أهل الكلام الذين لا رسوخ لهم في اللغة و لا سليقة لهم في الفصاحة و لا عرق لهم في البيان ،مسند الحاجة إلى بسط القول في فنون من فصاحته و نظمه ووجه تأليف الكلام فيه".

1-نظم القرآن الجاحظ :

و هو مؤلف أشار إليه المتكلم الأديب أبو عثمان الجاحظ ،و هو زعيم للبيان العربي في قوته و أمره ،و في دقته و صحته و حلاوته و جماله وفيه.

و بعد أن اثبت الجاحظ عجز العرب و هم في أوج بلاغتهم من معارضة القرآن الكريم يقول الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة أن الذي أعجزهم مع انه من حبس كلامهم

[1]-إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص151.

[2]- إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق ،حضني محمد شرف ،ص11.

نمطه البديع[1].و يقول في كتابه الحيوان :"و في كتابنا المنزل يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به"[2]و نحن هنا بصدد الحديث عن مؤلف الجاحظ ،لا عن مذهبه فقد سبق و فضل القول في هذا الباب.

يرجع سبب التأليف في إعجاز القرآن إلى انتشار مذهب الصرفة و ظهر الزنادقة الذين كانوا يلفقون الآثار و ينشرونها و يطعنون في القرآن ،و يبحثون عن متشابهة و عن خاصه و عن عامه و يصنعون الكتب على أهله ،و كذا اليهود يقول الجاحظ في قوله تعالى :﴿ ومن يقرض الله قرضا حبسا فيضاعف له﴾. قالت اليهود على وجه الطعن و الغيب و التخطئة ،و كذلك ظهر من انكر المجاز في القرآن و في اللغة العربية او في القرآن كل هؤلاء ألف الجاحظ من اجلهم كتاب "نظم القرآن "هذا الكتاب الذي ضاع و لم يضلنا الا خبره الذي بثه كتبه "الحيوان" و "العثمانية" و يحدثنا الجاحظ عنه فيقول :"..و بلغت منه أقصى ما يكن مثلي في الاحتجاج للقرآن و الرد على كل طعان فلم أدع فيه مسألة لرافضي و لا لحديثي و لا لحشوي ،و لا لكافر مباد و لا لمنافق مقموع و لا أصحاب النظام ممن يزعم ان القرآن حق و ليس تأليفه بحجة و أنه تنزيل و ليس ببرهان و لا دلالة"[3].

و يبدو من إشارات الجاحظ مواضيع الكتاب تضمنت تفصيل الآراء و المذاهب المتباينة المختلفة حول قضية إعجاز القرآن و تقييد لحجج الطاعنين منذ نزل القرآن إلى زمن الجاحظ و احتجاج للنظم القرآني و أسلوبه البياني قياما إلى كلام العرب .

[1] – قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية ،د، عبد العزيز عبد المعطي عرفة ص155.

[2] – نفس المصدر السابق ص155و ما بعدها.

[3] –نفس المرجع السابق ص157و انظر ايضا الحيوان ج1،ص9.

و يرجع الدكتور عبد الرءوف مخلوف[1] الرأي أن الكتاب خاص بالدفاع عن النظم القرآني و جلاء الحس البياني و اعتماده في ذلك على أمرين:

1- عنوان الكتاب ،فما كان الرجل ليسميه "**نظم القرآن** " ألا وهو يعقد القلب على أن النظم هو وجه الإعجاز فيه و ليس شيء غير ذلك .

2- ما تجده في كتب الجاحظ الباقية من كلمات متناثرة هنا و هناك فكلها يوحى باتجاهه هذا الذي رجحنا ،من ذلك ما جاء في العثمانية "حين يقول :"فأما معرفة صحيح الكلام ما سقيمه و حقه من باطله، و فصل ما بين المقرب و الدليل ،و الاحتراس من حيث يؤتى المخدوعون ، و التحفظ من مكر الخادعين و تأتي المجرب و رفق الساحر و خلابة الشيء ورجز الكاهن و أخبار المنجمين و فرق ما بين نظم القرآن و تأليفه و نظم سائر الكلام و تأليفه فليس ،يعرف فرق في النظم و اختلاف البحث حتى يعرف القصد من الرجز و المخمس من الأسباع و المزاوج من المنثور و الخطب من الرسائل و حتى يعرف العجز العارض الذي يجوز إيقاعه من العجز الذي هو صفة في الذات فإذا عرف صنوف التأليف عرف مباينة النظم و أن حكم البشر واحد في العجز الطبيعي و إن تفاوتوا في العجز "1هـ،يقول الدكتور "فحديث الجاحظ في هذا النص واضح الدلالة على مذهب في إعجاز القرآن و أن حكم البشر واحد في العجز الطبيعي عن بلوغهم مثله دون العجز العارض الذي قد يكون لو كان الإعجاز بالصرفة "[2]1هـ.

و قد بقي الكتاب إلى أن اطلع عليه الباقلاني فقد عرض به و بأسلوب الجاحظ فيه و في غيره مما كتب حيث قال :"وقد يزعم زاعمون أن كلام الجاحظ من المتقن الذي لا يؤخذ فيه و الباب الذي لا يذهب عنه و أنت تجد قوما يرون كلامه قريبا و منهجه بعيدا فإن أردت أن تحقق هذا فانظر في نظم القرآن و في الرد على النصارى ،وفي خبر

[1] – الباقلاني و كتابه اعجاز القرآن ،د، عبد الرءوف مخلوف ،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ص39.

[2]–نفس المصدر السابق ،ص40.

الواحد ،و غير ذلك مما يجرى هذا المجرى هل تجد في ذلك كله ورقة واحدة تشتمل على نظم بيع و كلام مليح."[1]

و من مؤلفاته أيضا حجج النبوة وهي رسالة في معجزات النبي(صلى الله عليه وسلم) وهي تتضمن بخلاف "نظم القرآن "جميع معجزات النبي(صلى الله عليه وسلم) لا القرآن منفردا.

و آخر في خلق القرآن و آخر في "الفرق بين النبي و المتنبي" و كتاب :"مسائل في القرآن الكريم "إضافة إلى المناقشات الكلامية العديدة في النبوة و الإعجاز المنتشرة في كتاب الحيوان[2].أما عن نظم القرآن الذي يقول عنه الخياط ما ذكره مسير سلطان بقوله: "و لا يعرف للاحتجاج لنظم القرآن و عجيب تأليفه و أنه حجة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) على نبوته غير كتاب الجاحظ و في البيان و التبيين يحدثنا الجاحظ كيف خالف القرآن كلام العرب الموزون و المنثور و هو منثور غير مقفى على مخارج الأشعار و الأسجاع و كيف صار نظمه من أعظم البرهان و تأليف من اكبر الحجج"[3].اهـ

و الجاحظ يجمع بين قوة البيان ورصانة الأسلوب و قوة الحجة له أسلوب يتميز بالانسيابية يظهرها الاستطراد و الإطناب و كثرة التحليل ،و يتناول الأديب بيان القرآن بهذا الأسلوب و هذه الطريقة ،فسلك في تفهم فنون بيانه و استعاراته و تشبيهاته جديدا ،فلا يبدوا أنه اتبع المفسرين و اللغويين و النحويين و لا المعتزلة أنفسهم إتباعا حرفيا بل شق لنفسه طريقا و ارتضى رأيا لاءم فيه بين طبيعة الأسلوب القرآني و البيان العربي بصفة عامة ،أما دراسته لفن التعبير في الآية فلم يتجه الاتجاه اللغوي المعروف بتوجيه همه إلى غريب الألفاظ فيشرحها بل توسع فأدخل في الاعتبار المعنى العام في الآية بل السورة

[1] –انظر: اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ص151،و انظر أيضا :الباقلاني و كتابه إعجاز القرآن ،د،عبد الرءوف مخلوف ،ص41.

[2] – إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة ،د.مسير سلطان ،ص58.

[3] – نفس المرجع السابق ص62و انظر الانتصار الخياط ص155.

أحيانا .و يمكن القول أن الجاحظ قد انتهج في تفسيره البياني للآيات القرآنية منهجا يتلخص في:

1- استخدام المنهج العقلي لإثبات الحجة.

2- تحكيم الذوق الفني في أسلوب الآية إذا اختلف في تفسيرها و هنا تتضح مقدرته الفنية في تذوق النصوص و معرفته بدقائق نظام الكلام و اطلاعه على ضروب القول عند العرب، و مدى استيعابه الدقيق لبيان القرآن[1].

و يبدوا أن هذه العبقرية لم تمنع النقاد أن يعرضوا لمنهج الجاحظ في الدور عن الكرة النظم و إعجاز القرآن نقدا و تقريضا ،كما أشرت سابقا إلا أن أديبنا الرافعي يرجح هاهنا ميزان الجاحظ و يرد عنه ما رآه المؤلف دعما لجهود الجاحظ و يؤسسه لدفاعه بأمرين:

1- الظرف الزمني :فسبب تأليف الجاحظ لكتابه يختلف اختلافا ظاهرا عن الظرف الزمني الذي دعا الباقلاني إلى تأليف كتابه ،فالأول أراد رد سهام الطاعنين عن إعجاز القرآن بخض النظران كان متهما بالصرفة أم لا إما الباقلاني فدوافعه مختلفة لا شك – في الظروف التاريخية و السياسية و الدينية و العلمية تختلف اختلافا بينا.

2- حاول الجاحظ في مصنفه توكيد القول في الفصاحة و الكشف عنها على ما بقي ابتداء في هذا المعنى إذ كان أول من بدأ التأليف فيه و لم تكن المناهج العلمية في الدرس البلاغي قد وضعت بعد و يعد الجاحظ من أوائل من رسم الطريق لدراسة البلاغة[2].

[1] –اثر القرآن في تطور النقد العربي ،د، محمد زغلول سلام ،ص73و ما بعدها.

[2]– إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص151.

2-اعجاز القرآن (محمد بن يزيد الواسطي (ت306هـ):

يقول نعيم الحمصي :يؤلف في هذا العصر ابو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي كتابا في إعجاز القرآن البياني يقول فيه :أن القرآن معجز بالنظم و الكتاب مفقود و ذكره الرافعي فلم يزد على أن قال :انه قد سبق عبد القاهر الجرجاني إلى التأليف في هذا الوجه من الإعجاز و انه أول من جود في هذا المذهب – أي مذهب أن القرآن معجز بالنظم – ثم تبعه الرماني ،و انه أي الواسطي بسط القول فيه على طريقتكم في التأليف .وذكر الرافعي كما ذكر عبد العليم الهندي ان الجرجاني شرح كتاب الواسطي شرحا كبيرا سماه المعتضد و شرحا اصغر منه و ذلك قبل ان يضع كتابيه (دلائل الإعجاز)و أسرار البلاغة و يعقب الرافعي على ذلك بقوله (و لا نظن الواسطي بنى الا على ما ابتدأه الجاحظ ،كما بنى عبد القاهر في دلائل الاعجاز على الواسطي.

و يعلق بضم الحمصي على ما جاءه به الرافعي معتقدا أن الكاتب يدلي برأيه في هذا الباب من القول و المعلوم أن كتاب الواسطي مفقود ،و يستغرب متسائلا حول حجة رأي الرافعي و مدى صحته العلمية كون الواسطي أول المؤلفين و المجودين لمذهب إعجاز القرآن.

و يجمع كثير من النقاد في العصر الحديث إلى رفض ما اعتقده الرافعي كالدكتور علي مهدي زيتون الذي أشار إلى ذلك قائلا :"و مما يعتقد أن مفهوم النظم قد بدا يعني البناء العام للنص ،و امتد كذلك حتى زمن الطوسي (460هـ/1067م)و الطبرسي (548هـ/1153م)و ان كان المعنى الثاني النحوي قد شهد لوجود نواة نكت الرماني "تفتحت عند عبد الجبار لتؤتي اكلها على يد عبد القاهر و لتمتد حتى زمن الزمخشري و الرازي يجعلنا هذا نميل إلى رفض ما ذهب إليه الرافعي من أن الفكرة بدأت عند الجاحظ

و انتقلت إلى الواسطي[1] فالجرجاني لان وجود هذه الفكرة الجنيني عند الرماني ،ينفي ان تكون قد بلغت من التطور مبلغا مرموقا عند الجاحظ و الواسطي"[2]

وقد ذكر السيوطي من افرد التصنيف في إعجاز القرآن و نظمه من السنة أو المعتزلة و لم يشير إلى كتاب الواسطي و ليس مثل السيوطي من تفوته مسألة لهذه لكان أشار إليها و كذا الزركشي في البرهان .

3-الرماني[3]:(النكت في إعجاز القرآن)

هو العلامة الأديب أبو الحسن علي بن عيسى الرماني و قد سبقت ترجمة و هو من أعلام الاعتزال ،و كتابه او مؤلفة (النكت في إعجاز القرآن)من الكتب المؤلفة في القرن الرابع الهجري الثلاثة :كتاب الرماني و كتاب الخطابي و كتاب الباقلاني التي وصلتنا "[4].

بدأ الرماني كتابه ببيان وجوه الإعجاز التي تظهر كما أسلفت في الفصل الأول من سبع جهات : ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة و التحدي للكافة و الصرفة والبلاغة و الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة و نقض العادة و قياسه بكل معجزة[5].و قسم البلاغة إلى ثلاث طبقات و قسمها إلى عشرة أقسام :الإيجاز و التشبيه و الاستعارة و التلاؤم و الفواصل و التجانس و التصريف و التضمين و المبالغة و حسن البيان ثم

---

[1] – انظر: البلاغة فكرة الإعجاز القرآني ،د، نعيم الحمصي ،ص62و انظر أيضا إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي،ص152.

[2]– اعجاز القرآن و اثر .في تطور النقد الادبي من اول القرن الخامس /11هالى نهاية القرن السابع /(13ه)،علي مهدي زيتون ،نصوص و دروس ،ط1(1992م)،دار المشرق.

[3]– يعرف الرماني بالإخشيدي نسبة إلى إسناده :انه الإخشيد أستاذه، و بالوراق لأنها صرفته و كان إماما علم العربية على ما ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء ج4/1826/تحقيق إحسان عباس ،ط1(1414ه)،دار الغرب الإسلامي-انظر أيضا البداية و النهاية ج11،ص314،طبقات المفسرين ،24،بغية الوعاة ج2.ص180

[4]-إعجاز القرآن أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ،تحقيق :احمد صقر ،ص2.

[5]– ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ،نفس المصدر السابق ،ص169.

فسرها بابا بابا على ترتيبها تعريفا و تمثيلا و بعد أن فرغ من تفسير أبواب البلاغة العشر إلى بيان الوجوه السبعة التي ذكرها في أول كتابه على أن مظاهر إعجاز القرآن ووضع أوجه دلالتها على الإعجاز ،و بذلك يبدو أن الرماني قد حدد موقفه من الإعجاز في كتابه فالقرآن عنده معجز بنظمه و بيانه و ذلك لأنه خرق العادة من هذه الناحية فلم يكن ما تضمنه شعرا يقيده الوزن و القافية و لكن كلام جميل لطيف و إن اقصر سورة فيه معجزة كأطول سورة فيه ،و ما يؤخذ على الرماني في كتابة القول بالصرفة الذي لا ينسجم مع ما قرره من الوجوه الأخرى للإعجاز[1].

و يعيب الرافعي على المتقدمين في تأليفهم كونهم كانوا امتدادا لبعضهم البعض حتى كاد أن يتهمهم بالتكرار و البعد عن الجدة إلا قليلا. و ليست عيبا بكل بحث لا بد و أن يؤسس على ما سبقه إما بناء أو نقدا أو دحضا و تجديدا .

إذ نجد أن الرماني قد ثقل عنه الكثير ،و لا يؤخذ الرماني بأقوال السابقين في البلاغة فيما ورد عن بعضهم منها في صورة مقتضبة متوافرة ذكر أكثرها الجاحظ في البيان و التبيين ،ومنها أنهم كانوا يسألون عن البلاغة فيجيبون :هي إفهام المعنى ،و هي تحقيق اللفظ على المعنى ،إلا إن الرماني لا يرى البلاغة مجرد إفهام للمعنى[2].و ترى طرافة التعريف الذي و ضعه الرماني للبلاغة يروم من خلاله تحقيق معنيين المعنى الأول متعلق بالأثر النفسي و المعنى الثاني متعلق بالأسلوب أو الصورة البيانية للبلاغة من اللفظ و الصياغة و النظم ،و لا نجد اختلافا أو خلافا في تقسيماته العشر المبالغة فقد وردت في بحوث السابقين في الدراسات القرآنية أو في كتب البيان العربي و الدراسات اللغوية و الشعرية ،فالتشبيه و الاستعارة و الإيجاز و المبالغة وردت بأسمائها و ألفاظها أو بألفاظ

[1]–نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد العربي القديم ،د، سيد محمد عمار،ص80.

[2]– انظر ص من المذكرة الفصل الأول قد سبق و أشرت إلى مذهب الرماني في بيان معنى البلاغة.

مغايرة (التجانس ـ التجنيس)و إما الجدة في الأبواب الجديدة التي أضافها الرماني إلى بحوث البيان و البلاغة في القرآن كالتلاؤم و التصريف و التضمين[1].

5-إعجاز القرآن الباقلاني(ت403هـ):

هو القاضي أبو بكر الباقلاني ،واسمه محمد و كنيته أبو بكر في النصف الأخير من القرن الرابع لا يعرف تحديدا سنة ولادته و يذكر الرافعي كلاما طويلا عن الباقلاني و يحدثنا عن كتابه المشهور"**إعجاز القرآن**":«الذي اجمع المتأخرون من بعده أنه باب في الإعجاز على حدة»[2]

و يستغرب الرافعي من كون القاضي قد تجاهل الإشارة إلى اعتماده على الرماني أو الخطابي أو الواسطي و لا حتى الجاحظ:«إلى كتاب الجاحظ بكلمتين لا خير فيهما »[3].يقول القاضي : «و كذلك قد يزعم زاعمون أن كلام الجاحظ من السمر الذي لا يؤخذ فيه و الباب الذي لا يذهب عنه و أنت تجد قوما يرون كلامه قريبا و منهاجه معيبا ،و نطاق قوله ضيقا حتى يستعين بكلام غيره و يفضح إلى ما يوشح به كلامه :من بين سائر و مثل نادر و حكمة ممهدة منقولة و قصة عجيبة مأثورة ،وأما كلامه في أثناء ذلك فسطور قليلة و ألفاظ يسيرة فإذا أحوج إلى تطويل الكلام حاليا عن شيء يستعين به فيخلط بقوله من قول غيره كان كلاما ككلام غيره فإن أردت أن تحقق هذا فانظر في كتبه في نظم القرآن و في الرد على النصارى و في حيز الواحد و غير ذلك مما يجري هذا المجرى هل تجد في ذلك ورقة واحدة تشتمل على نظم بديع أو كلام مليح ؟على إن

---

[1] -انظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن و انظر أيضا :قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوينه البلاغة العربية ص331ـ 333،و انظر أيضا :اثر القرآن في تطور النقد العربي الى آخر القرن الرابع الهجري ،د، محمد زغلول سلام ص236.الإتقان في علوم القرآن ،ج2ص136و ما بعدها.

[2] -إعجاز القرآن و البلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي ،ص152.

[3] -انظر: اعجاز القرآن للباقلاني .تحقيق :السيد احمد صقر ،ط(1963)،عنه ذخائر العرب ،دار المعارف،ص121وص126وص127.

متأخري الكتاب قد نازعوه في طرقته وجاذبوه على منهجه فمنهم من ساواه حتى ساماه و منهم ومن ابر عليه باراه»[1].

وقد تعرض له من نقاد لعصر الحديث نفر كثير لكن قبل ذلك لا بد أن نعرض للمتقدمين من العلماء و آراؤهم في كتابه إعجاز القرآن و أهميته و ملامح الجدة فيه و ليس بأفضل من المؤلف اليتيم الذي حققه السيد احمد صقر و الثاني الذي قدمه و نرمه الدكتور عبد الرءوف مخلوف أقول و ليس أفضل من هذين السفرين معنيا لبيان ذلك:

ممن حمل على الباقلاني و اخذ عليه أبو حامد الاسفراييني[2](344-406هـ)كان شديد الإنكار على أصحاب الكلام عامة و على الأشاعرة و الباقلاني في خاصة و هو القائل:«اشهدوا علي بأن القرآن كلام الله غير مخلوق كما قاله احمد بن حمبل،لا كما يقوله الباقلاني»[3]وتتبرأ الأشاعرة ومن مزاعم الباقلاني .و لكن هل كان الباقلاني مبتدعا يقول بخلف القرآن ،بحديث السيد احمد صقر بمقولة «فما كان الباقلاني مبتدعا يدعو الناس إلى الضلالة»[4]

و فيه اشتد أبو حيان التوحيدي[5]:"فما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا .يزعم انه ينصر السنة و يفحم المعتزلة ،وينشر الرواية و هو في إضعاف ذلك على مذهب الحزمية و طرائق الملحمة قال: «و الله إن هذا لمن المصائب الكبار و المحن الغلاظ و الأمراض التي ليس لها علاج»و قد يكون ابو حيان مدفوعا الى تلك العداوة بتأثير العداوة بين الباقلاني و بين أستاذه أبي سليمان المنطقي من جهة ،و بينه و بين أبي حامد الاسفراييني من جهة أخرى و كلاهما له نفس أبي حيان منزلة سياسية و إجلال

[1]- نفس المصدر السابق ،ص248.

[2] -أبو محمد الاسفراييني ،هو.

[3] - إعجاز القرآن للباقلاني، ص54.

[4]-نفس المصدر السابق،ص54.

[5] -نفس المصدر السابق،ص56.

بالغ ،و من النقد القاسي الذي تعرض له الباقلاني هو تلك الأقوال المذكرة التي قالها عنه ابن حزم الظاهري الذي تعرض له الباقلاني هو تلك الأقوال المذكرة التي قالها عنه ابن حزم الظاهري (384-456م)في كتاب«الفصل في الملل و الأهواء و النحل »قال: «كافر أصلع الكفر مشرك ملحد خبيث المذهب ملعون يكد في أسماء الله و يخالف القرآن و يكذب الله يوجب الشك في الله و في صفة النبوة! مظلم الجهالة من أهل الضلالة ،ممرور فاسق أحمق يكيد للإسلام و يستخف به»، و يذود السيد احمد صقر عن إمامه بنفي كل ما نسبه ابن حزم من أقوال خبيثة للأشاعرة أو للقاضي الباقلاني .

ما من المحدثين الذين تعرضوا له بالنقد أيضا :الدكتور محمد مندور و الدكتور احمد بدوي و الدكتور بدوي طباعة و عبد الكريم الخطيب .

1- محمد مندور :

يتعرض محمد مندور للقاضي الباقلاني في حديثه عن الشعر و نقده للاستدلال من ذلك على إعجاز القرآن عن طريق الاستدلال العكسي، ويرى الدكتور عبد الرءوف مخلوف انه نقد لا غناء فيه و يشير الدكتور محمد مندور أن طريقة الباقلاني في نقد البحتري لا تختلف في شيء عن هذه الطريقة التي أنتجها في نقد امرئ القيس، و يخلص من ذلك كله إلى أن النقد الذوقي في المستقيم لم يتوفر للباقلاني[1].

2- الدكتور بدوي طبانة:

خص الباقلاني بثلاث صفحات من كتابه البيان العربي و هو فيها على خط مضاد للدكتور مندور في ذلك يقول :« و في أيدينا اثر جليل يدل على حذف المتكلمين للبيان فضلا عن حذفهم لعلم الكلام و هذا الأثر هو كتاب إعجاز القرآن الذي ألفه أبو بكر الباقلاني الذي أفاض القول فيما يوجه للقرآن من المطاعن »[2].

[1]- الباقلاني و كتابه اعجاز القرآن ،د، عبد الرؤوف مخلوف ،منشورات دار مكتبة الحياة،ص530.

[2]-البيان العربي ،الدكتور بدوي طبانة ،ط4،دار مكتبة الأنجلو المصرية ،ص55.

ويقول الدكتور طبانة و هو يقصد من هذا أن التفاوت في الجودة في كلام المجيدين شيء يهدي إليه النظر اليسير في المأثور من كلامهم فمنه الجيد و منه الوسط و منه الرديء حتى معلقة امرئ القيس المشهورة و هي في مجموعها أجود المأثور يلحظ فيها هذا التفاوت بين أجزائها و يدرك التباين في القوة بين أبياتها أما القرآن فكل نظمه جيد و كل و صفه محكم.

و في رأي الدكتور عبد الرءوف إن الباقلاني لم يقصد إلى ذلك حين ذكر البديع و انه لا يستفاد من جهته الإعجاز و إنما قصد إلى أن الصور البديعة جزئيات صغيرة يمكن أن يتأتى للشاعر منها مثل الذي نجده في القرآن .و هي حين تأتى للشعراء و الكتاب و الخطباء لا تفيد إعجازا و لا سموا و لا تقتما في نفس الكلام لأن الفينة في الكلام تتأتى في نظم القطعة المتكاملة وف تخليف كل متناسق الأجزاء محقق للغرض الذي من اجله أنشئ و الجزئية و إن كانت بعض ذلك الكل فإنها لذاتها لا تقوم دليلا على إعجاز من أتى بها بل مما لا يحب ألا يطيل الناقد الوقوف أمامه عند نظره في الأثر الفني باعتباره كلا متكاملا[1]

3. عبد الكريم الخطيب (الإعجاز في دراسات السابقين):

و هو كتاب مهم بسط فيه مؤلفه في دراسة تحليلية تاريخية مناهج العلماء في بلاد وجوه الإعجاز و من حملتهم القاضي الباقلاني ،يرى الكاتب أن القاضي ليس مؤسسا للآراء التي يقول بها في وجوه الإعجاز و ليس هو الذي كشف عن هذه الأخيرة و نصب الأدلة إليها بل هو مسبوق لهذه الآراء وهو يموج بأنه إنما يحكي أقوال من سبقه من العلماء في هذا الميدان و لكن الرجل مع هذا يقول الدكتور عبد الكريم نظر فيما نظر إليه غيره و رأى فيما ينقل من رأي و بعد أن عرض الدكتور عبد الكريم مختلف الوجوه

[1] -إعجاز القرآن للباقلاني ،ص538.

الإعجازية و البيانية عند الباقلاني يختم بقوله مؤكدا هو الآخر أن "الرجل لم يأت بجديد يحدثنا به عن إعجاز القرآن و كل ما يقوله بعد هذا هو كلام مكرر معاد"[1]،و الحديث في هذا المقام يطول إلا لكنت عرضت لجميع من أخذوا بالنقد دراسة الباقلاني لوجوه الإعجاز .

أما الرافعي فوضع الكتاب و مؤلفه في ميزانين ،الميزان الأول في آراءه و انتقد إعراضه عن الإشارة إلى اعتماده على دراسة السابقين كالجاحظ و الخطابي و الواسطي .و الميزان الثاني أشاد بالبحث البياني و المنهجية التي درس بها الباقلاني قضية الإعجاز و ارتأيت و أجيب أن رأيي صواب إن أبين في نقاط جوهرية رأي الرافعي ذو الوجهين ،مآخذه على الرجل و محاسنه التي ذكرها و أشاد بها عن كتابه :

1- عاب الإمام الأمثلة و في رأيه أن هذه الأمثلة و إن شاد بها الباقلاني و اعتبرها من محاسن الكتاب إلا أنها في رأي الإمام قد ذهبت بأكثره و عزت جملته و هي من عيوبه[2].

2- مع ان القاضي كان غرضه ان ينبه على الطريقة و يدل على الوجه و يهدي الى الحجة لكن الاغراق في الحشد و المبالغة في الاستعانة و الاعتماد على النقل جعل من الكتاب يبدو و كأنه على غير ما وضع له و الثلاثة التي ذكر يقول (يقصد الطريقة و الوجه و الحجة لو نبسط لها كل علوم البلاغة و فنون الادب لوسعتها و هي مع ذلك حشو ووصل[3] .

إلا ان كثير من النقاد خالف الرافعي فيما ذهب إليه كعبد الكريم الخطيب و نعيم الحمصي و كذا الدكتور عبد الرءوف مخلوف الذي قال :"و لا أوافق الرافعي إلى ما

---

[1]-إعجاز القرآن في الدراسات السابقين ،عبد الكريم الخطيب،ص222.

[2] - إعجاز القرآن للباقلاني ،د، عبد الرءوف مخلوف ،ص528 و ص529و انظر إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص152.

[3] نفس المصدر السابق ،ص153.

ذهب إليه في قضية حشر الباقلاني للأمثلة و الشواهد و الشواهد فخلك في رأيه منهج أهل الذوق في الفنون و الآداب ،"وذلك أن يضعوا اليد على النماذج حتى يتحسس التذوق اسرار الفن و يعرف مواطن الحسن و مواقع الجمال او ما عسى ان يكون بصد ذلك و ما اخر البلاغة العربية الى ان نقرأ من علمائها نهجوا فيها منهج المناطقة فعنوا برسم الحدود ووضع التعاريف و من ثم جاءت كتبهم و هي ابعد ما تكون عن فن الكلمة[1].

و على الرغم من ذلك لم يفت الرافعي الاشادة بجهود القاضي الباقلاني في كتابه و من جملة ما اشاد به فأنصفه:

1- ان الكتاب قد استبد بهذا الفرع من التصنيف في الإعجاز ، و اجتمع فيه ما يحتاجه هكذا مصنف من قوة اللغة و جمال البيان و المحاججة و النقد على ما امتاز به من علو المنزلة وعمق الفكرة و دق الترتيب و قوة الحجة .

2- تضمن الكتاب عصره فاستحث به الخواطر الوانية و الهمم المتثاقلة في اهل التحصيل و الاستيعاب .

3- خلا عصره من كتاب مثل كتابه إذا كانت علوم البلاغة لم تهذب بعد و لم تجرد فيها الأمهات و الأصول و اجمع في كتابه خصال كثيرة كالأجمال و التهذيب و نقد آراء من سلقه من العلماء.

و تنتهي مع الرافعي في رحلته مع القاضي الباقلاني و كتابه ،وقد أتى حديثه هذا كما بدأه فضيلة الإعجاز واسعة ،عميقة ،ضاربة في العمق لا يمكن سبر أغوارها كلها و لا معرفة أسراره جميعا يقول "إن الناقص في هذه الصيغة كالخارج عنها و الشاري فيها

[1] – الباقلاني و كتابه اعجاز القرآن ،د، عبد الرؤوف مخلوف ،ص529.

كالبائن منها ،و قد كانت علوم البلاغة لم تهذب لعهده، و لم يبلغ منها الاستنباط العلمي ،و لم تجرد فيها الأمهات و الأصول "[1].

6-الإمام الخطابي :(388هـ)بيان إعجاز القرآن :

و فيه ناقش و جوه الإعجاز و أوضح فيها رأيه ،و عوض مذهب الصرفة و قال به لولا أن رأيه في دلالتها تشهد بخلاف ذلك وهي قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الجن و الإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾فأشار في ذلك الى أمر طريقة التكلف و الاجتهاد و سبيله التأهب و الاحتشاد ،و المعنى في الصرفة التي وصفوها لا بلائم هذه الصيغة ،فدل على ان المراد غيرها[2].

وقد أعطى الخطابي للبلاغة أهمية كبيرة و خصص لها معظم الكتاب ،،و لكنهم لا يذكرون شيئا يحدد جهاتها ،فهم يسلمون بهذا الوجه من أوجه الإعجاز دون تحقيق و الخطابي يرفض ان يكون مقلد الغيرة مثلهم و الإعجاز البلاغي عند يقوم على ثلاثة أسس:

1- الفصاحة :ان القرآن جاء بأفصح الألفاظ.

2- تضمن اصح المعاني .

3- استخدم في نظم المعاني أحسن نظم التأليف.

و اما الجانب الآخر غير البلاغة فقد أشار الخطابي أيضا إلى وجه عاب على معاصريه و المتقدمين في بحوث الاعجاز اغفاله و قد سبق و فصلت القول قيد في المباحث الاولى:و التأثير النفسي للقرآن منظوما و لا منثورا اذا قرع السمع خلص له الى القلب من اللذة و

[1]- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص154.

[2]- بيان إعجاز القرآن ،،ثلاث رسائل لإعجاز القرآن ص109.

الحلاوة في حال ، ومن الروعة و المهابة في اخرى ما يخلص منه اليه قال تعالى :﴿ الله نزل احسن الحديث كتابا متماثلا بها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم و قلوبهم الى ذكر الله﴾[1]و لما سمعته الجن ان قالت :﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به﴾[2] يقول في اي ذوات عدد منه ،وذلك لمن القى السمع وهو شهيد و هو من عظيم آياته.

7-فخر الدين الرازي :(ت388هـ):هو محمد بن عمر بن الحسني بن علي الملقب فخر الدين الرازي المولد الطبرستاني الاصل[3] ،شافعي المذهب كان يعرف بابن الخطيب أيضا .

و اما لقبه "الرازي" فهو نسبة الى مدينة "الري"[4]

وقد اجمع السبكي كلمة الاطراء و الثناء عليه بوصفه امام المتكلمين ذو الباع الواسع في تعليق الاجتماع بالشاسع من حقائق المنطوق و المفهوم ،اما ابن حجر العقلاني في مقال عنه انه راس في الذكاء و العقليات لكنه من الآثار و له تشكيلات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة سأل الله ان يثبت الايمان في قلوبنا و لست في هذا المقام بصدد البحث في هذا الجانب من حياة الرازي الفكرية او النقدية و لكن معرفة و تقضي آراءه حول قضية اعجاز القرآن في تفسيره الكبير ،فالإعجاز عنده في فصاحة القرآن و تجده

---

[1] -سورة الزمر الآية 23.

[2] -سورة الجن الآية 23.

[3]- ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ،بيان اعجاز القرآن ،لأبي سليمان بن براهيم الخطابي ،ص68و ما بعدها.

[4] -هي نسبة على خلاف القياس ،و قد لحقوا الزاي في النسبة اليها كما الحقوها في المروزي نسبة الى (مرو)،د ،المدينة كبيرة من بلاد الديلم ،ينظر :معجم البلدان 256/48و ينظر تهذيب الانسان ج1/ص450.

يؤكده بشيء من التفصيل ،و التعليل و المحاورة المنطقية التي تدلل بالحجة لإثبات هذا الرأي ،ثم تراه مسبوق و جها آخر من وجوه الإعجاز ،أما الطريق الثاني أن يقول القرآن لا يخصى ما أن يقال انه كان بالغا في الفصاحة إلى حد الإعجاز أو لم يكن كذلك ،فإن كان الأول تثبت انه بعجز و ان كان الثاني كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة، وقال بعض الباحثين ان في قولهم الأخير منحنى من مناحي الصرفة أما الدكتور ماهر مهدي بلال اثبت في بحثه المرسوم بـ: فخر الدين الرازي بلاغيا أن المؤلف قد أبطل القول بالصرفة صراحة و لم يرتض أي وجه من أوجه الإعجاز غير الفصاحة[1].

ومن الوجوه التي يضيفها الرازي إلى الفصاحة ،إعجاز القرآن من حيث المعنى ،إذ تجده في كثير من الأحيان يتكلم حول معاني الآيات من حيث الترتيب و التناسق و المنطقية في التدرج ،ويصرح أن الإعجاز يمثل المعاني كما يشمل الألفاظ فهذه المعاني كاملة لا اختلاف فيها و لا اعوجاج و لا تقديم و لا تأخير[2].

هذا و لم يثير الرافعي إلا اسما للإمام الرازي لا إيجابا و لا سلبا و إنما جعله منه أهم صنفوا و قد تكلموا عن إعجاز القرآن.

8ـ ابن أبي الإصبع[3] (تحرير التحبير ،بديع القرآن):

كان بليغ مصر الأوحد الذي لا يلحق مثاوه و لم يشفق عنان أما رأيه في إعجاز القرآن فيرى انه معجز بألفاظه و أسلوبه و تراكيبه و أثره في النفوس البشرية ،ويخالف عبد القاهر و الباقلاني في رأيهما اللذان يقولان فيه بأن وجود الأنواع البديعة في القرآن غير

---

[1]–فخر الدين الرازي بلاغيا ،ماهر مهدي هلال،ص193.

[2] – نفس المرجع السابق ص196.

[3]– هو :زكي الدين عبد العظيم ابن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد المصري المعروف بابن أبي الإصبع توفي (354هـ)،من أشهر مؤلفاته :بديع القرآن و الخواطر السوائح في أسرار الفواتح من أشهر بلغاء مصر ،خرج لنفسه معجما كبيرا مفيدا قد درس بالجامع الظافري بالقاهرة مدة انظر فوات الوفيات ،محمد شاكر بن عبد الرحمن بن شاكر صلاح الدين ،ت (إحسان عباس) ،ط (1979م)،دار صادر بيروت ،ج2/ص367،انظر أيضا ،الأعلام ،خير الدين الزركشي ،فوات الوفيات ج294/1،معجم مصطلحات.

دال على إعجازه ،ويؤيد ذلك بجمع الأنواع البديعة التي عرفت إلى عهده و جديده الذي اكتشفه مستشهدا لها بآيات القرآن مخرجا لذلك الآيات على الوجوه البلاغية مبينا في دراسته لهذه الشواهد سلامة نظم القرآن ،وسلاسة أسلوبه و بلاغة معاينة وفصاحة ألفاظه ثم يقارن بين هذه الشواهد و أمثالها من النثر و الشعر ليثبت بلاغة القرآن و إعجاز البشر عن الإتيان بمثله و كان هدفه من وراء ذلك : مهولة استخراج إعجاز القرآن و تقريب طرق إيجازه[1].

و على هذا يمكن أن يعد مؤلف "بدائع القرآن" في البلاغيين إذ أنه يجمع و ينتقي و يهذب و يبدو أن فكرة هذا الكتاب كانت رد فعل لفكرة الباقلاني التي بسطها في "إعجاز القرآن" و التي ذهب فيها إلى أن إعجاز القرآن لا يلتمس من ناحية ما اشتمل عليه من البديع.

ومن أروع ما كتب في هذا الباب "ائتلاف اللفظ مع المعنى" تلخيص تفسير هذه التسمية أن تكون ألفاظ المعنى المراد يلاءم بعضها بعضا، ليس فيها لفظة نافرة عن أخواتها غير لائقة بمكانها كلها موصوف بحسن الجوار ،بحيث إذا كان المعنى مولدا كانت الألفاظ مولدة "[2].

يبدو أن المتكلمين اتخذوا دراسة البيان أساسا اعتمدوا عليه لدراسة القرآن ، وسبيلا من سبل إدراكه و ابن أبي الإصبع واحد من هؤلاء أراد فهم معانيه و معرفة أحكامه و ما إشارة الرافعي لهذين الكتابين لابن أبي الإصبع بسبب تأثره و هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن.

[1] -إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق ،د، حقي محمد شرق ،ص16.وانظر معجم مصطلحات القرآن ،د، علي شواخ إسحاق ،ج1/ص149.

[2] -البيان العربي ،دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ،د، بدوي طبانة ،ص68.

كما أشار الكاتب أيضا إلى مؤلف آخر له و المؤلف لا يستهان به في جمهرة علماء جرد واسيوف الهمة و شمروا عن ساعد الجدة و البذل المعطاء لكشف ما استطاعوا إليه سبيل من أوجه الإعجاز ،واعني هنا العالم الأديب الزملكاني[1].

9-الزملكاني(727هـ):التبيان في الإعجاز[2]:

و الكتاب عرض و تلخيص الآراء عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز"فلا يخرج في إعجازه عن فكرة النظم و لكنه يجعله في جودة كل من اللفظ و المعنى و في ائتلافهما و ليس هذا بجديد[3].

و قد رتب الكتاب على سوابق و مقاصد و لواحق ،أما السوابق فقد وزعها على ثلاث مقدمات ،المقدمة الأولى في فضل علم البيان و المقدمة الثانية في حصر مواقع الغلط في اللفظ و المقدمة الثالثة في طريق تحصيله و أما المقاصد فتجمعها أركان ثلاثة:

1- الركن الأول يتحدث عن الدلالات الافرادية ،كالحقيقة و المجاز و الفرق بين الإثبات بالاسم و الفعل و التقديم و التأخير في الاستفهام و النفي.

2- مراعاة أحوال التأليف بين المفردات و الجمل حتى تكون أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض.

3- الحديث عن معرفة أحوال اللفظ و أسماء أضافه في علم البديع و يذكر فيه ستة و عشرون لونا من ألوانه.

ثم ينتهي الى رد الشبه التي آثارها الطاعنون و المخالفون لنظرية النظم على نحو ما ذهب إليه الإمام عبد القاهر[1].

---

[1] - فكرة إعجاز القرآن ،منذ البعثة حتى عصرنا الحاضر ، د، نعيم الحمصي ،ص112.

[2] - هو كمال الدين ،عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني نسبة إلى زملكان،قرية بغوطة دمشق ، من ألقابه أبو المكارم و أبو محمد و اشتهر بـ (ابن خطيب زملكان ،اشتهر بعلم البيان ،شافعي المذهب توفي سنة 727هـ ،انظر المجيد في إعجاز القرآن المجيد ،لابن الزملكاني، تحقيق دكتور شعبان صلاح ،ص 19 ،و انظر ايضا ،طبقات الشافعية ،السبكي ج8،ص316.

[3] -فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر د.نعيم الحمصي ص112 .

يقول الرافعي: "و هي كتب بعضها من بعض"[2]و في هامش الصفحة يطلع أديبا على معجز الأدباء[3] لياقوت الحموي يقول :الرافعي :" لا يفوقه في هذا الباب تأليف ، يقصد في ذلك أبو زيد البلخي و كتابه نظم القرآن ، ويؤسس ذلك على ما وجده في كتاب البصائر[4] لا في حيان الفارسي التوحيدي[5] مشيدا بكتاب نظم القرآن ،إذ تكلم في جميع معاني القرآن بكلام لطيف دقيق .

10- احمد بن سهل ابو زيد البلخي)(الجاحظ الثاني)نظم القرآن:

هو أبو زيد احمد بن سهل البلخي (**235/322هـ** ،احد علماء الإسلام و علمائها البارزين في الأدب و الفقه و الفلسفة ،وكتابه ونظم القرآن لا يفوقه في هذا الباب تأليف قال أبو صيان التوحيدي لقول أبي حامد القاضي:" أرى كتابا في القرآن مثل كتاب لأبي زيد البطني ،وكان فاضلا يذهب إلى رأي الفلاسفة و لكنه يتكلم في القرآن بكلام لطيف دقيق في مواضع و اخرج سرائره و سماه نظم القرآن ولم يؤد على جميع المعاني فيه و هذا الكتاب .

و لا تزال القائمة حافلة بأسماء علماء و أدباء شحذوا الهمم و بذلوا الجد والجهد أمنهم من سلك طريق الهدى فأجاز و أصلح و إن كان جهده عند الأحزبة ناقص غير كامل ،و كيف يكتمل القرآن أسراره عميقة و أغواره مستظل دوما ابد الدهر محل

---

[1] – المجيد في إعجاز القرآن المجيد ص، و انظر أيضا:قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية،د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة،ص732.

[2]– إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي ،ص154.

[3] – هو مؤلف لياقوت الحموي الرومي من أشهر كتب التراجم تشتمل النسخة منه زهاء لما نمائه ترجمة موزعة على نحو 33 طبقة من نحوين و لغويين و نسابين و قراء ترجمة و حققه الدكتور إحسان عباس ،طبع لأول مرة سنة 1907.

[4]– البصائر و الذخائر لصاحبه ابي حيان التوحيدي من ابرز القادمين فيه ابن الجوزي و الذهبي و اعتبروه من الزنادقة وصنف مع ابن الراوندي وابو العلاء المغربي.

[5]– كان من تلاميذه الرماني .انظر:من أعلام النبلاء ،ج11 ،ص87انظر البصائر.

السؤال وما بعث البعث و التدقيق ،مهما اختلفت الأزمان و الأمكنة و تقلبت المفرق و المذاهب أصاب من أصاب و اخطأ من أخطأ، لكن نفق معهم جميعهم و نحن نعلم ان حسن النية و صلاح المقصد حاضر قبل الطعن و التشويه ،هي وقفة غير موضوعية إنما عقول العباد درجات وأفهامهم مختلفات و لو كان العباد في الفهم سواء ما حملوا أمانة الرسالة و لا أنيط التكليف و الحجى، فخر سير يوم الحساب بالرقاب ، و تشخص الأبصار"[1].

و المؤلف ذكر في كتابه قليل من هؤلاء و هؤلاء و لم يشير حسب البصر، و التمثيل و لا وجه اقتصاره على أمنها دون الآخر إنما اكتفوا بالإشارة إليهم إشارة المعلم لطلابه ،إلى مواطن المذاكرة و المراجعة وحسب ذلك أن يجعل القارئ ينتج خزانة المصنفات في مختلف الفنون الأدبية و البلاغية توسعا وسعيا للتفصيل و نهلا من روافد المباحث الأدبية التاريخية والدراسات القرآنية.

[1]–الذخائر لأبي حيان التوحيدي تحقيق : وفاء القاضي انظر لسان الميزان و قد أشارت إليه عائشة عبد الرحمن في إعجاز وسائل ابن الأزرق ،ص21و بـ ،مصطفى مسلم ،مباحث في إعجاز القرآن ص47.رثمة صوان الحكمة ،البيهقي ،ح1،ص6.

المبحث الثالث:

التحدي و المعارضة و رأي الرافعي :

بعد رحلة تاريخية نقدية جاب بنا فيها الرافعي بين المخطوطات لعصور بالغة شهدت فيها الدراسات القرآنية لأوج ازدهارها و تطورها ،يحط بنا الرجال شأنه شأن العالم الحذق المحيط دراية بفنون صناعته العارف بأحوالها المدرك لمداخلها و مخارجها ،هنا حيث يحقق الرأي ،و يبث الفكرة و يؤسس لنظرية تلمس فيها الجدة صدر التقليد و الصواب خشية الخطأ،و معرفة السبيل إلى تذوق مجمل النواحي الجمالية في ألفاظ القرآن.

وجه الرافعي اهتماما بالغا الى دراسات القرآن و بيانه و يؤسس لذلك في كتابه مستندا إلى خمس وسائل أو طرق :

1- البحث و التأمل .

2- تصفح الآراء و تقيدها .

3- الاستنباط من القرآن و اكتناه الروح التاريخية في أوضاع الإنسان و آثاره.

4- تتبع كلام البلغاء في أغراضهم التي قصدوها في مؤلفاتهم.

5- رد وجوه البلاغة إلى أسرار الوضع اللغوي التي ترجع إلى الإبانة عن حياة المعنى بتركيب يتلاءم و المعنى دقة في التأليف ،و أحكاما للوضع و جمالا في التصوير[1].

"أما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن ،و ما حققناه بعد البحث ،وانتهينا إليه بالتأمل و تصفح الآراء و إطالة الفكر و إنضاج الروية ،و ما استخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه و إطالة أسلوبه ،ثم ما تعاطيناه لذلك من التنظير و المقابلة و اكتناه الروح

[1]- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ص156.

التاريخية في أوضاع الإنسان و آثاره و ما نتج لنا من تتبع كلام البلغاء في الأغراض التي يقصد إليها و الجهات التي يعمل عليها ،وفي رد وجوه إلى أسرار الوضع اللغوي ،التي مرجعها إلى الإبانة عن حياة المعنى بتركيب حي من الألفاظ يطابق سنن الحياة في دقة التأليف "[1].

1-وجوه إعجاز القرآن عند الرافعي:

يقرر الرافعي في هذا البحث أن القرآن معجز من وجوه عدة و يخالف في ذلك كثير من العلماء الذين سبقوه و جعلوا إعجاز القرآن مقتصرا على النظم أو الصرفة.

يقول الرافعي:"فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب و معجز في أثره الإنساني و معجز في حقائقه و هذه وجود عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء فهي باقية ما بقيت"[2].و أنت ترى أن الرافعي قد جعل وجوه الإعجاز في ثلاث :

1- تاريخ القرآن.

2- أثره الإنساني .

3- حقائقه.

ونريد بتاريخ القرآن نزوله في تلك الفترة من حياة الأمة العربية ،و التي بلغ فيها شأن اللغة العربية عندهم غايته ووصل أثر الكلمة في النفس الإنسانية هداه فكان مجيء القرآن في هذه الفترة بالذات و على هؤلاء القوم بأعيانهم هو وجه بارز من وجوه الإعجاز"[3].بلغ العرب في عقد القرآن مبلغا من الفصاحة لم يعرف في تاريخهم من قبل ،فإن كل ما وراءه أن ما كان أدوارا من نشوء اللغة و تهذيبها و تنقيتها و إطرادها على سنن الاجتماع ،فكانوا قد أطالوا الشعر و افتنوا فيه و توافق عليه من شعرائهم أفراد معدودون كان كل واحد منهم كأنه عصر

---

[1]-نفس المصدر السابق ص 156.

[2]-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ص 156.

[3]-إعجاز القرآن في دراسات السابقين ،عبد الكريم الخطيب ص231.

في تاريخه بما زاد من محاسنه و ابتدع من أغراضه و معانيه. و ما نفض عليه من الصبغ و الرونق ثم كان بهم من تهديد اللغة العربية[1] "كان العرب مغرمين بالفصاحة و البيان يعظمون الشعر و ينحنون لكل قول بليغ و كانت لبعضهم براعة كبيرة في التعبير، بلغوا فيه في عصر النبوة ما بلغه قوم فرعون في السحر. فقد خصوا من البلاغة و الحكم من ما لم يخص به غيرهم من الأمم و اتو من دراية اللسان ما لم يؤت به إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب و جعل الله لهم طبعا و خلقه و فيه غريزة وقوة ،يأتون منه على البديعة بالعجب و يدلون به إلى كل سبب ... منهم البدوي ذو اللفظ الجزل و القول الفصل و الكلام الفخم و الطبع الجوهري و المنزع القوي و منهم الحضري ذو البلاغة البارعة و الألفاظ الناصعة و الكلمات الجامعة و الطبع السهل ،و التصرف في القول القليل الكلفة ، الكثير الرونق الرقيق الحاشية[2]و الفصاحة عند أهل العلم أن يكون اللفظ جاريا على القوانين المستنبطة من استقراء كلام العرب كثير الاستعمال عندهم الموثوق بعربتيهم ،و قد علموا عند الألفاظ الكثيرة الدور فيما بينهم هي التي تكون جارية على اللسان سالمة من تنافر الحروف و الكلمات ،و بين الغرابة و التعقيد اللفظي و المعنوي و قد حرموا بأن اللفظ الفصيح ما يكون سالما عن المخالفة القوانين و التنافر الغرابة والتعقيد[3].

و جاء في الدلائل "و اعلم انك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك ، أن نظم في الكلام و لا ترتيب حتى يغلق بعضها ببعض بعضها على بعض و تجعل هذه

---

[1] -إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،نفس المصدر السابق ص 157.

[2]-الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ،القاضي ابي الفضل عياض ص317.

[3]-المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ،التفسير ابي تحقيق ،(د. عبد الحميد هنداوي) ص137،انظر دلائل الإعجاز للقاضي أبي بكر عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق محمود شاكر ،ص55 و ما بعدها

نسب من تلك و استنتج أن اللفظ تبع للمعنى في النظم و إن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها"

و الرافعي ليس بصدد بيان و التفصيل في هذا الجزء أو هذا الوجه من الإعجاز على أهميته ،و لكن اقتضت منهجية بحثه الوقوف عند هذا الفصل ،و هذا الجانب من بيان تاريخ وحال العرب قبل و أثناء نزول القرآن لنا تفصيل بهم علينا أن لا نغفله و الذي يقتضي أن مناط إعجاز القرآن لا يتعلق بجهة واحدة وأن العربي خليق بهذا الاصطفاء إذ أعده الله لذلك أعدادا: يقول الرافعي في بيان ذلك :" إنما مذهبنا بيان إعجازه في نفسه من حيث كلام عربي ،لأننا إنما نكتب في هذه الجهة من تاريخ الأدب دون جهة التأويل و التفسير "[1]ومن المعلوم أن العرب يحبون الكلمة الجميلة و الصوت الجميل ،ويطربون للكلمة الشعرية و هم قوم لد قال تعالى:﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ٩٧﴾ [2]وهم أهل خصام و جدل و قد اهتم العرب كثيرا بصناعة الشعر يقول الدكتور شوقي ضيف :" من يرجع إلى صناعة الشعر العربي في أقدم نماذجه يرى صعوبة هذه الصناعة و إنها ليست عملا عقلا بل هي عمل موسوم بتقاليد و مصطلحات كثيرة ،وتلك آثار الشعر الجاهلي تتوفى قيود و مراسيم متنوعة، و قصائد القرف السادس الميلادي على ما يقول أكثر الأدباء أنها ثمرة صناعة طويلة[3].

---

[1] -إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي ص157.

[2] -سورة مريم الآية 97.

[3]- مباحث في البلاغة و إعجاز القرآن الكريم ،احمد رفعت احمد زنجير ،جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ،ط1(1428هـ/2007م)ص33.

و قد ذكر عبد المعطي عرفة إن علماء المقارنة بين اللغات رأوا أن اللغة العربية بدأت تاريخها المعروف بخصائصها المميزة بها اليوم في عصر سابق للدعوة الإسلامية ،ويردونه إلى القرن الرابع قبل الهجرة و يرده العقاد إلى عصر قبل ذلك بكثير و يعلل رأيه بأن المقابلة من اللغة العربية و بين أخواتها السامية تدل على تطور لا يتم في بضعة أجيال ،و لا بد له من أصل قديم ،يضارع أصول التطور في أقدم اللغات ،و منها السنكريتية و غيرها من اللغات الهندية الجرمانية.

فقد كان العرب على استعداد قوي للإصلاح لسانهم و تهذيب لغتهم بأخذهم من لغات القبائل الوافدة عليهم في موسم الحج ،وفي هذه الأسواق الأدبية المطلقة تمكنه حتى عذب أسلوبهم ورقت حواشيهم لغتهم وصاروا أفصح العرب وتغلبت لهجتهم على لهجات العرب الأخرى من جميع القبائل[1].يقول الإمام: "و كل من يبحث في تاريخ العرب و آدابهم ،و ينفذ إلى ذلك من حيث تنفذيه الفطنة و تتأتى حكمة الأشياء فإنه يرى كل ما سبق على القرآن من أمر الكلام العربي و تاريخه إنما كان توطيدا له و تهيئة لظهوره و تناهيا إليه و درية لإصلاحهم به وليس في الأرض أمة كانت تربيتها لغوية غير أهل هذه الجزيرة"[2].

2)سر الفصاحة و سلامة الفطرة عند الرافعي :

أ- مفهوم الفصاحة:

لغة :من الفصح و الفصاحة و جاء في القاموس المحيط فصح ككرم ،فهو فصيح و فصح من فصحاء و فصاح و اللفظ الفصيح ما يدرك ما يدرك حسنه بالسمع و فضح

[1]- قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية،د.عبد العزيز عبد المعطي عرفة ،ص41و ما بعدها

[2] - إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ص158

الأعجمي تكلم بالعربية و فهم عنه أو كان عربيا فازداد فصاحة كتصفح و أفصح تكلم بالفصاحة و أفصح اللبن ذهبت رغوته أو انقطع اللبأ عنه[1].

و الفصاحة الظهور و البيان و يقال أفصح الصبح إذا بدا ضوءه و أفصح كل شيء إذا وضع في الكتاب العزيز ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾[2] يفرق ابن سنان بين الفصاحة و البلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ و البلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني ، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة و إن قيل أنها فصيحة و كل كلام بليغ فصيح و ليس كل فصيح بليغا كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه ،و الجاحظ يعرف البلاغة :"و قال بعضهم و هو أحسن ما اجتبيناه و دوناه .لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه و لفظه معناه .فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك.

و قد جاء في البيان :"فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفحم معنى القائل و جعل الفصاحة و اللكنة و الخطأ و الصواب ،و الإغلاق و الإبانة و المعرب كله سواء و كله بيانا..و إنما عنى العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب النصحاء[3].و عرفها الرازي بأنها بلوغ الرحل بعبارته كله ما في قلبه مع الاحتراز عن الاحتراز المخل و الإطالة المملة "[4]وفي اصطلاح أهل المعاني :عبارة عن الألفاظ البيئة الظاهرة المتبارزة الى الفهم و المأنوسة الاستعمال بين الكتاب و الشعراء لمكان حسنها و هي تقع و صفا للكلمة و

---

[1]– القاموس المحيط ،الفيروز آبلاي ،ج، ص/و انظر ابن سنان الخفاجي اسرارالفصاحة ص58.

[2] –سورة القصص الآية 34.

[3] –البيان و التبيين ، أبو عثمان الجاحظ ،ج1،ص148.

[4] –فخر الدين الرازي بلاغيا ،ماهر مهدي هلال ،ص111.

الكلام و المتكلم ،حسب يعتبر الكاتب اللفظة و حدها ،أو مسبوكة مع أخواتها ،يقول الرافعي:

«بلغ العرب في عقد القرآن مبلغا من الفصاحة لم يعرف في تاريخهم من قبل فإن كل ما وراءه إنما كان أدوارا من نشوء اللغة و تهذيبها و تنقيعها و أطرافها على سنن الاجتماع ،فكانوا قد أطالوا الشعر و افتنوا فيه ،و توافى عليه من شعرائهم أفراد معدودون كان كل واحد منهم كأنه عصر في تاريخه بما زاد من محاسنه وابتدع من أغراضه و معانيه ، وما نفض غليه من الصيغ و الرونق ، ثم كان لهم من تهذيب اللغة و اجتماعهم على نمط من القرشية مثالا لكمال الفطرة الممكن أن يكون :و أخذهم في هذا السمت ما جعل الكلمة نافذة "في أكثرها لا يصدها اختلاف من اللسان و لا يعترضها تناكر في اللغة ،فقامت بذلك دولة الكلام ،و لكنها بقيت بلا ملك ،حتى جاءهم القرآن»[1]. و لو كانت العربية دون الكمال اللغوي جين نزل بها القرآن لم تستطع أي قوة أن تضبطها عند هذا الحد ،و لا ان تتحول بينها وبين الرقي اللغوي اللازم و الذي هو اكتشاف الطاقات المبينة في اللسان و إنما كان ذلك يكون قطعا ،و حينئذ تتجاوز اللغة في بيانها و ألفاظها و طرائق تراكيبها ،نظم القرآن و طرائق بيانه و تقع تلك الفجوة بين لغة الناس و لغة القرآن[2].و يأتي الجرجاني و يفصل القول في ذلك وحدي به أن يفعل في تحقيق القول على البلاغة و الفصاحة و البيان و البراعة ،و كل ما شاء كذلك و هو ما يعبر به عن فصل القائلين على بعض من حيث نطقوا و تكلموا ،و اخبروا السامعين من الأغراض و المقاصد ،و راموا أن يعلموهم ما في نفوسهم و يكشفوا لهم عن خمائر قلوبهم ". و يضيف :"لا معنى لهذه العبارات و سائر ما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت و الصفة و ينسب فيه الفضل و المزية إليه دون المعنى

[1] -اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص157.

[2] -الإعجاز البلاغي، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم،د.محمد أبو موسى ص14.

غير و صف الكلام بحسن الدلالة .. و إذا كان هذا كذلك فيبقى أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف و قبل أن تصير إلى الصورة التي يكون بها التكلم"[1].

و إن تحديث عن حالة العرب قبل القرآن أديبا لا يمكن فصله عن وضعيتهم الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الدينية و لكنه حديث تطور شعبه و تتفرع طرقه إلى ما يبعدنا عن مقاصد البحث ،و لكن يكتفي بالإشارة الى ذلك ،إذ تروي كتب التاريخ و السير أن العرب قبل الإسلام كانوا قبائل متفرقة مختلفة النزعات ، و كانت كل قبيلة تكون وحدة مستقلة لها مركزها بين القبائل الأخرى و لها حدودها الخاصة و حماما المستقل الذي تذود عنه و تقلى في حمايته ،وكانت كل قبيلة تعتز بماضيها و تحرض على تاريخ نضال آبائها و أجدادها و جهادهم لا علاء شأن القبيلة ،ورعاية أفرادها و حمايتهم كما تعتز القبيلة بحاضرها فتمجد شعراءها و تفخر بخطبائها ،تتغنى بأشعارهم و تروي خطبهم ،لان الخطيب أو الشاعر كان لسان القبيلة الناطق[2].

فلهجة قريش كما يثبت "بشوقي ضيف" لم يبدأ ذيوعها و انتشارها بين العرب في الإسلام عن القرآن الكريم كما ظن بعض الباحثين فقد كانت منتشرة بينهم .

---

[1]– دلائل الاعجاز ،عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق السيد محمد رشيد رضا دار المعرفة ،بيروت لبنان ،ص35،و انظر ايضا :قول ابي هلال العسكري في الصناعتين اذ يقول البلاغة من قولهم بلغت الغاية و بلغتها غيري و مبلغ شيء منتهاه و المبالغة في الشيء انتهاء الى غايته فسميت البلاغة بلاغة و اما الفصاحة قال قوم أنها من قولهم أفصح الصبح اذا اضاء ،فظهر و فصح أيضا و افصح الاعجمي إذا أبان بعد لم يكن يفصح و يبين ،فصح اللحان اذا عبر عنا في نفسه و اذ كان الامر على هذا فالفصاحة و البلاغة ترجمان الى معنى واحد و ان اختلف اصلاهما و قال بعض علمائنا :الفصاحة تمام آلة البيان فلهذا الا يجوز أن يسمى الله فصيحا اذا كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة بينما يوصف كلامه بالفصيح لما يتضمن من تمام البيان بدليل ان الالتغ و التمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتهما ،انظر :كتاب الصناعتين ،(الكتابة و الشعر)،لأبي هلال العسكري ،تحقيق و تصحيح محمد امين الخانجي ،ط1(1319ه)،مطبعة مأمون بك ،ص7و ما بعدها .

[2] –نظم القرآن ،محمود السيد شيخون ،ص09.

بل منذ أوائله ،فأقدم نصوصه كأحدثها نظم بهذه اللهجة القرشية التي اتخذوها لغة أدبية عامة لهم و التي سميت بعد بالفصحى ،فقد كانوا يشعرون بروعتها فاندفعوا يحاكونها ،وقد امتلأت نفوسهم بأهلها و مكانتهم الروحية و الاقتصادية و السياسية و من غير شك بلغ انتشار هذه اللهجة الذروة في الإسلام ،فقد اقبل العرب في كل مكان شمالا و جنوبا على اكتشاف من اخاويف لعنته و قد اخذ يعممه في أنحاء الجزيرة بل في بلد إسلامي[1]

يقول الرافعي في ذلك :« و كل من يبحث في تاريخ العرب و آدابهم و ينفذ إلى ذلك من حيث تنفذ به الفطنة و تتأتى حكمة الأشياء فإنه يرى كل ما سبق على القرآن من أمر الكلام العربي و تاريخه ،إنما كان توطيدا له و تهيئة لظهوره و تناهيا إليه و درية لإصلاحهم به و ليس في الأرض امة كانت تربيتهم لغوية غير أهل هذه الجزيرة فما كان فيهم كالبيان آنف منظرا و أبدع مظهرا و أمد سببا إلى النفس و أقوم في سمائها شرعا وأوفر في أنفسهم ريحا ..وهذا موضع عجيب للتأمل وأي شيء في تاريخ الأمم أعجب من نشأة لغوية تنتهي بمعجزة لغوية»[2]

فالذي كان يرصد مجرى الحياة العربية قبيل البعثة النبوية كان يرى أوضح ظاهرة في حياة هذه الأمة و اقوى قوة عاملة فيها هي الكلمة "فالكلمة في حياة الأمة العربية هي تاريخ امة بأسرها ،هي عقلها المفكر ،وهي قلبها النابض ،و قد يبدو الكلام غريبا إذا قلنا أن ما يراه بعض الناس أن اللغة ليست مقصورة على العرب بل إن الناس جميعا شركاء لهم في هذه الظاهرة الطبيعية ،فلكل أمة لغتها التي تعيش بها و تنتقل بها الأفكار و الآراء بين أفرادها.

[1] –تاريخ الأدب العربي ،العصر الجاهلي ،د، شوقي ضيف ،ص136 دار المعارف .

[2]– إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص158.

فلم يكن بين يدي العرب في موطنهم هذا شيء يصلهم بالحياة و يجعل بينهما و بين قلوبهم ،وعقولهم، و مشاعرهم وخيالاتهم طريقا إليها غير الكلمة البليغة ففي الأمم الأخرى ،كالخط مثلا ، الرسم، النحت ،فيرون في كل هذه المجالات مسارح فسيحة تتحرك فيها عقولهم و يسبح فيها خيالهم هذا إلى جانب ما عند تلك الأمم من اللغة التي ينظمون من ألفاظها و عباراتها ما تستطيع الكلمة جملة من معطيات عنوانهم و قلوبهم[1] و نستطيع أن نؤكد أن العرب و حدهم من بين سائر الأمم هم الذين استطاعوا صياغة الحياة كلها في تلك الكلمات التي أصبحت لغة مكتملة البناء راسخة الأركان ،فالشعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام أو أدركه الإسلام ،هو الصورة الكاملة للبيان العربي ،وهو الشهادة القاطعة لما بلغته الكلمة في اللسان الغربي ،من امتلاكها كل ما يمكن من قدرة على الإبانة عن أدق المشاعر الإنسانية[2].

يقول المؤلف :"هذا على انه ـ كما علمت أنشأهم على الكبر، ولم يجر معهم على المألوف من مذاهب تربية الأمم، و لا هو كان طباقا لروح الإطلاق التاريخية فيهم التي تظهرها العادات على كل دين و شريعة و سياسة ،إذ كانت ميراث الدهر و كان مستقرة على عرق سار.."[3] و هذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته ،إذ انطلق في تنظيره لعلوم اللسان العربي من واقعة اللغوي ،فحتى تتحقق اللغة و تتمظهر في أداء صحيح و صائب لابد من توازن معبر في خادم و خاضع في آن واحد للتطور العقلي الاجتماعي الإنساني وقد أصاب الرافعي شاكلة الصواب حيث تحدث عن الإعجاز القرآني من ناحية الأسلوب ،فذكر أن العرب حين ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا أن ألفاظه هي الألفاظ التي يتداولونها و

---

[1] –الإعجاز في دراسات السابقين ،عبد الكريم الخطيب ،ص110.

[2] –نفس المصدر السابق،ص113.

[3] –إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي.

لكن طريقة نظم هذه الألفاظ ووجوه تركيبها ،و سبق حروفها في كلماتها ،ونسق الكلمات في الجمل كلها جديدة في بابها ،حتى أحسوا بضعفها و رأى بلغاؤهم أن الأسلوب القرآني خمس من الكلام غير ما هم فيه"[1]ثم يقول :"لا جرم أن ذلك سر من أسرار الفطرة ،فلولا أن كبر الأمر بينهم كان للفصاحة و أساليبها لما انتقام لهم الفطرة اللغوية و ما بلغوا منها حتى صارت هذه الأساليب كأنها أعصاب نفسية في أذهانهم تنبعث فيها الإرادة بأخلاق من معاني الكلام الذي يجري فيها و تعتزم أي تغلبهم على أخلاقهم – و طباعهم – فتصرفهم في كل وجه ،كأنها إرادة جبار محترم و لا يستأني و لا يتئد"[2].

و يعلق عبد الكريم الخطيب معقبا على هذا الكلام الذي لم يرقه كلا معي رأيه أنه لا يمكننا التسلم بما يذهب إليه المؤلف في كل العرب كانوا على فساد و يسيرون في اتجاه مضاد للحياة حتى أشرفوا على الفناء، و إن الإسلام دفع بهم إلى هاوية الفناء التي أشرفوا عليها ،ثم طلع بهم على الحياة من جديد ،(و أحب في هذا المقام أن انقل الكلام الجميل دون تصرف الذي ورد في كتاب الدكتور عبد الكريم):"إذ كان العرب على الفساد الذي ركبهم أقرب الناس إلى الخير و إلى قبوله، و إذا كان هذا الفساد لم يصبهم

في مروءتهم و في نخوتهم و قوة نفوسهم .. أنهم مازالوا أرضا طيبة نبت فيها وشوه وجهها الجدب أما صميم الأرض فهو طيب .... إذا أصاب بها حيث اخضرت و أزهرت و اخرج من كل زوج بهيج..فلم يكن من إعجاز القرآن هنا إلا انه غرس مبادئ الإسلام و شريعته في مناصب مهيأة للغرس و الثمر ..و لو سلمنا بهذا القول الذي يقوله الرافعي لما كان هذا من وجوه إعجاز القرآن إذ لا يصح أن يكون شاهد المعجزة متراخيا في الزمن عنها

[1] –مصطفى صادق الرافعي ،فارس القلم تحت راية القرآن ،د، محمد رجب ،البيومي ،ص100.

[2]–إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي،ص159.

و لقعاني إعقابها، فذلك وضع لا يستقيم أبدا .. و شاهد لا تنتفع به المعجزة إلا بعد أن تراتب أولا"[1].

ونتابع مناقشة لقول الرافعي قائلا إن التسليم عرضا بما يذهب إليه من وجوه الإعجاز و يقصد به الفاعلية المذهلة التي تركها الظفران في المجتمع الأساسي الأول ،فلوا استقام ذلك الوجه فلن يستقيم في جميع الأحوال ،ويكون شاهد موته ،و كما يكون حجة للقرآن فقد يكون حجة عليه كما نسمع كثيرا من السفهاء و المضللين و يقولون :إن الإسلام و بالتالي القرآن هو سبب تأخر المسلمين اليوم ؛وانه لا سبيل إلى الخلاص من هذا التخلف و اللحاق يركب الحياة إلا إذا خلع المسلمون دينهم هذا و القوا ذلك الكتاب في أيديهم.

فهنا يكتشف الرافعي عن رأيه صريحا في إعجاز القرآن ،وهو ان فصاحة القرآن هي آية إعجازه "ولم يختلف الرافعي عن القدماء كالجاحظ و الرماني و الباقلاني ،وغيرهم فهو يؤكد هذا المعنى الذي ذهب اليه في اعجاز القرآن فيقول في موضع آخر بعد أن يذكر أثر القرآن في الشبه العربية و المجتمع العربي[2].

و يجلو الرافعي ذلك بقوله :"لولا أن القرآن قد ملك سر هذه الفصاحة و جاءهم منها بما لا قبل لهم برده ،و لا حيلة لهم معه ،مما يشبه على إتمام "أساليب الاستهتار في علم النفس "[3].فلو أن هذا القرآن غير فصيح يقول الرافعي او كانت فصاحة غير معجزة في أساليبها التي ألقت إليهم ، لما منهم على الدهر منا لا ،و لخلا منه موضعه الذي هو في الجملة كأنه موجود فيهم بأكثر معانيه ،قبل أن يوجد بألفاظه و أساليبه ،ثم لنقضوه كلمة

---

[1]– الإعجاز في دراسات السابقين ،عبد الكريم الخطيب ،ص234و ما بعدها.

[2]–إعجاز القرآن في دراسات السابقين، نفس المصدر السابق،ص337.

[3]–الاستهواء :و يعني به في علم النفس القابلية للإيحاء و يعني به الميل للتصديق لو يقال دون الحاجة إلى تمخيص للانتفاع نحو هدف معين تأثر به تفكيره.

كلمة ،وآية آية، دون أن تتخاذل أرواحهم أو تتراجع طباعهم ،ولكان لهم و له شأن غير ما عرف و لكن الله بالغ أمره و كان أمر الله قدرا مقدورا[1].

و مهما كان المتكلم لغويا كاتبا كان أو غير كاتب ،ومهما كان يحفظ في ذهنه من متن اللغة و ألفاظها ووجوه تراكيبها فإنه يقف من هذه اللغة إمام بحر عظيم من الكلمات و التعابير الحقيقية و المجازية وهيهات أن تنصب في ذهنك أو تتدفق في روحك و تنكشف أمام خيالك واضحة فأنت إنما يلقي حيال تفكيرك و ذهنك إلى هذا البحر العظيم ليلتقط منه ما تسارع إليك و سهل على لسانه أو اعتاد عليه قلمك و فكرك.

فلو كان هذا القرآن غير فصيح ،أو كانت فصاحته غير معجزة ،لما ثبت على مدار الدهر و لن عزمت مكانته ،او كان مصيره مصير الشعر و النثر في أدب العرب ،كونه جزء من التاريخ الأدبي موجود لأكثر معانيه قبل وجوده بالألفاظ و الأساليب.

و الرافعي بأسلوبه البليغ يريد أن يركن في هذا الجانب أكثر و كأنه أمام محفل من الطاعنين وأمام أمة من المعرضين بإعجازه ،محاربا زائدا عن حصون بلاغته خطبا فذ شحذ بلاغته كلها لبيان حجته ،فتراه في هذا المقام يذود عن القرآن ذو الخطيب الفذ لا الباحث المنهجي ،فكثيرا ما يكرر الفكرة مع الفكرة عود قصد و غير قصد و به يضع أمام ما يريد تبليغه خطوطا حمراء لينبه القارئ إلى أهميتها وخطورتها ،حتى يقال أن الرافعي معجز في إعجازه لذلك يدق عن الإفهام في الكثير من الأحيان فيضرب و كأنه يخاطب من وراء الستار الغيبي أو يطل عليك بذهنيات بعيدة المدى ،وأجمل ما في هذا الجزء من الكتاب بلاغته التي ما بعدها بلاغة في تحليل المعاني و هي تكاد تكون جولات فلسفية حول ماهية

[1]- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص161،وانظر تقرير ذلك. في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني =ص32و ما بعدها وانظر أيضا مقدمة ابن خلدون و انظر إعجاز القرآن ،الباقلاني ،ص38

الإعجاز[1]. فقد افلح الرافعي مدى عمره الأدبي في أن يكون في الأدباء أو حري بنا أن نجعله في طبقة العلماء البلغاء طبقة وصفه و براعة توليده ،ويجر غوره و جودة تصويره ،ويكاد يجزم أكثر النقاد و الأدباء الذين عاصروه ومن جاء بعده من دارسيه أقول انه يكاد يجزم بعضهم أنه في النثر شبيه بأبي تمام في الشعر على انه قد ظلم بالنسبة إلى سواه لدى مؤرخي الأدب المعاصر في تعرضه لحملات ظالمة وقف ضدها وقفة المحارب مؤيدا بالحجة و العقل[2].

فانظر إلى قوله :"فلا يستطيع من لا يقول بإعجازه أن يقصره على زمن الجاهلية أو يتحلل في ذلك ،وهو بعد من الإحكام و السمو شرف الغاية و حسن المطابقة بحيث تتعرف منه روح كل امة قد فرعت الأمم و استولت على الأمد التاريخي ،ونالت ما لا ينال إلا مع بسطه في العلم ،و زيادة في المعرفة لوجوه العمل و فضل من القوة و مع كمال المنزلة في كل ذلك و شابه من مقومات الأمة...فذلك ما علمت"[3] فتلاحظ غالبا أن جنوح الرافعي لدراسة آداب العرب و حتى هذا الجزء الذي خصه لدراسة إعجاز القرآن هي دراسة نقدية ذات منهج فني و هو عموما الطابع الذي غلب على أكثر الدراسات النقدية التي قدمها الرافعي في قالب في إسلامي بحث مع توظيفه لمصطلحات غير بعيدة من التكامل بين جوامع ثقافية المستمدة من روح التراث العربي القديم و المعاصر في مختلف الفنون كالفلسفة و التاريخ والفقه ،وعلوم القرآن ،مع حرصه على تطبيق آراء النقاد القدماء في نقده و دراساته بعيدا كل البعد عن دراسات المستشرقين التي رفضها جملة وتفصيلا و إقباله على الأفلاطونية إذ تتضح وضوحا صلبا في أسلوبه و كتاباته.

---

[1]–مصطفى صادق الرافعي و أدبه ،مصطفى كمال الحاج ،رسالة مقدمة لدائرة العربية نيل شهادة في العلوم سنة1946.

[2]– النهضة الإسلامية في سير أعلامها المحاصرين، د.حمد رجب اليومي ،دار القلم ،ج1 ، ص442.

[3]–الإعجاز و البلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ص161.

3-لعروبة وقضية الإعجاز عند الرافعي :

و هو الوجه الثاني الذي جمع فيه المؤلف في غير ترتيب بين ما سبق و قد أشار إليه في الفصول السابقة عن الأثر الإنساني للقرآن الكريم و حقائقه التي تضمنها إعجازه و يرجع تأثير القرآن على قوم أو أمة مثل الأمة العربية إلى أسباب عدة أولها :

1- طبيعة الأرض 2- طبيعة الأهل

1- طبيعة الأرض : يقول الرافعي :"من الثابت البين أن لهيئة الطبيعة جهة التأثير في تهيئة الإطلاق فترى في الجهات المقفرة أو المخفوفة و التي يلقي منظرها في نفسك الرهبة دون المحبة و الفزع دون الاطمئنان أقواما كانوا نشؤوا في المعابد وولدوا في الصوامع فليس في أخلاقهم الاستسلام للوهم و التخيل و الخوف من كل شيء تكون فيه روح الطبيعة "[1] أو كان لموقع مكة اثر بالغ في وحدة اللغة و نهضة العرب لأنها كانت في النصف الثاني من القرن السادس محطا للقوافل الأمة من الجنوب و قد لعبت البيئة العربية دورا هاما إذا كانت العرب تحسين على شكل قبائل و على اختلاف فيما بينها يقول احمد أمين كثرة وقلة و شكل ذلك فارقا في اختلاف اللهجات فنستطيع إذا حصرنا الكلمات العربية المستعملة في الجاهلية أن نعرف ماذا كانوا يعرفون من الماديات وماذا كانوا يجهلون و كانت عوامل كثيرة كما اثر على هذا التباين و الوفرة و العمق فلغات العرب على تعددها و اختلافها إنما ترجع إلى لغتين أصليتين : لغة الشمال ولغة الجنوب و بين اللغتين بون بعيد في الأعراب و الضمائر و أحوال الاشتقاق و التصريف حتى قال أبو عمرو بن العلاء :"ما لسان حمير بلساننا و لا لغتهم بلغتنا" و إن كانت إحداهما ليست بمغزل عن الأخرى و الحقيقة أن السكوت المخيم على الصحراء يملا النفوس المستعدة رفعة و يكسبها صفاء لا شيء في

[1] -إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص161

الصحراء من صنع الإنسان فالصحراء موسيقى ذات نغمة واحدة متكررة موسيقى عابسة قاسية فلا عجب أن ترى أهلها قد استولى عليهم نوع من انقضاض (النفس أو الكآبة أو الوجد ولا عجب أن يتغنى شعراؤها بنوع واحد من القول و نغمة واحدة لأن الصحراء توقع على نفوسهم صوتا واحدا فيشعرون كما تلقوا شعرا واجدا[1].

و في الهامش الفصل هذا يحدثنا الرافعي لأن للعرب مذاهب كثيرة فيما يتعلق بتأثر العامل البيئي في جذع وطموح خيالهم إلى ابعد ما يمكن تسميته بالخرافات و الذهاب مذاهب بعيدة في التمسك بالتخيلات والمرقطات التي أصبحت فيما بعد راسخة كجزء لا يتجزأ من عقائدهم "ولكننا نفتخر على تعريف ما أتينا به تعريفا لفظيا فالعلتان إناث الجن و السعالي جمع سعلاة وهي شجرة الجن ويقال إن الغيلان من السعالى والهواتف : جمع هاتف وهي الجن"وذكر أيضا أن آيات تأثرهم بالبيئة حيث تعرف روحها هذه الطبيعة من خلال خوفهم الشديد من كل شيء كالأوثان و ما قدسوا و تبعوا من عادات و أعراف و يوضح الرافعي أيضا المنهج الفني التأثيري الذي اعتمده القرآن في استماله قلوب نشأت على العصبية و الميل إلى العاطفة و العض بالنواجذ على معتقداتهم ،أمة لم يأل النبي (صلى الله عليه وسلم)على نفسه أي يدعوها بحكم الدهاء أو المخاتلة أو المراعاة فيقرهم على طبائعهم ومعتقداتهم كما فعل كثير من قادة العالم ،ويضرب لذلك مثلا و يستشهد بصفحة من صفحات تاريخ أوروبا عندما انتحل نابليون الكاثوليكية في حربه على الفديين[2]. واسم حين دخل مصر و في روما بخصمة البابا.

---

[1] –انظر فجر الإسلام احمد أمين ص46 و انظر أيضا تاريخ العرب الأدبي احمد حسين الزيات دار نهضته مصر للطبع و النشر ص14.

[2]– الفنيين هم .

أما القرآن كان منهجه مختلفا، و لا يمكنه أن يبنى مضاف ما يفكر أو ينتهجه البشر و لا يمكن لأمة أن تخرج من طباعها النفسية وعصبيتها و المخاتلة و الحيلة ،و تستمر و تثابت على مر الزمان و المكان ،وتكون لها هذه القوة ،وتجتمع على هذه الكلمة ،و هذا لا يمكن أن تلتمسه في الأرض كلها إلا عند العرب .ولا يمكن تحقيقه إلا بالقرآن[1] و إعجازه وان كان لذلك دلالة أو أثر فهو أن العرب قوم فيهم ثقافة و أديان[2].

فعلى عصبيتهم امتازوا بين معاصريهم بالنزوع إلى الكلام الطيب ،لو انك وارث بين العرب و غيرهم ممن هم في مثل حالهم لوجدتهم في اسماك الأعزل أما العرب الذين غلبت عليهم الأمية على الرغم من التفاوت الكبير بين ثقافات عاصرتهم كثقافة اليونان و الرومان وحاضرتهم إلا أن الرصيد الفني و الفكري الذي تركوه لا يقل أهمية من حيث الزاد الكمالي و القيمة الحضارية إذ أن الأدب عندهم جزء من سليقتهم تم ركن بحاجة إلى تقصيد أو تنظير يقول الإمام محمد أبو زهرة :"أما العرب الذين غلبت عليهم الأمية مع تذوق في القول و تحيز خير و استهجان هجينه فإن أدبهم يكون باللمح السريع ،و النظر الخافق أحيانا و المستبصر المتدبر في أكثر الأحيان عند الذين أوتوا فكرا و عقلا و إدراكا و في الجملة لا وسط بين كلامهم و حبائهم ،ولا زمن مستغرق بين خاطرهم و قولهم ،فتكون خيالاتهم فيها جمال اللمح و قوة اللفظ ،وسرعة الإدراك"[3].

لذلك كان من المناسب يمثل هؤلاء الذين تلقوا دعوة محمد صلى الله عليه وسلم و خاطبهم القرآن الكريم ابتداء أن تكون المعجزة من النوع الذي يحسنونه رأيه في ذلك دأب ما

---

[1] – إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص164.

[2]– قال المؤرخون :إن نوحا عليه السلام كان فيهم و ايضا سيدنا ادريس ،وسيدنا صالح وشعيب وهود و إبراهيم و إسماعيل انظر :قصص الأنبياء ،عبد الوهاب النجار ،ص34و ص32،ص70،و قصص القرآن ،محمد أحمد جاء المولى ،ص15 و ما بعدها ،وانظر تاريخ الطبري .

[3]–المعجزة الكبرى الإمام محمد أبو زهرة ص 57.

سبق النبي (صلى الله عليه وسلم) عن معجزات الأنبياء و المرسلين لمعرفة مقدار علو المعجزة إلى تعرف القدرة و الطاقة على مجاراتها أو معارضتها بأي شكل من الأشكال[1].

4-التحدي و المعارضة:

لا يكون يخلو كتاب او مصدر او مرجع صنف او اختص بدراسة اعجاز القرآن او موضوع يختص بالدراسات القرآنية الا وتجده قد جعل من مباحثه قضية التحدي و المعارضة بسير تاريخي و تقيد علمي منهجي لإقامة الحجة و بيان الدليل أن القرآن معجزة قائمة في ذاتها ،ثابتة لا تقبل التغيير و التبديل و لا حتى المعارضة ،وأحمق ذاك أو سفيه من حاول و لو مجرد المحاولة او ساوره غروره البشري كرغبة حقيقية او خاطر عابر مجاراة القرآن و معارضته.

و قد عرضت في الفصل الاول بتفصيل مسهب معنى التحدي و معنى المعارضة عند العلماء و في سائر كتب الدراسات القرآنية ،في عرض تحليلي و لكن اروم في هذا المقام ان اجلوا منهج مؤلفنا في مؤلفه في بيان منهج الرافعي و أسلوبه في طوح هذه القضية و ان كان قد اشار اليها سابقا هو الآخر في بداية بحثه .و مقارنة ذلك بما قدمه العلماء السابقين.

أ-معنى التحدي و المعارضة عند الرافعي :

التحدي قبل القرآن كان مفهوما مستغرقا للمنازعات الأدبية في أسواق العرب ،عكاظ و أسواق عكاظ و غيرها أما التحدي بالقرآن فعرفه الرافعي :أن فصاحة القرآن و بلاغته في اللفظ و الأسلوب و المعنى فأدى إلى امتلاك الوحدة العربية المعقودة في الألسنة و قد استولى

[1]-نفس المصدر السابق ص 58.

عليها بفرض قوته التي تفوقها " فيما هي قوية به" بحيث يشعر أهلها بالعجز و الضعف و الاضطراب ،شعور الا حيلة فيه لحديعة و التلبيس في النفس بين الشك و اليقين "[1].

فالتحدي لغة يتصل اتصالا و ثيقا بالمعنى الاصطلاحي و ان كان الرافعي يضع له حدا أدبيا لا وجها اصطلاحيا علميا ،لا بمعنى المباراة و المبارزة جاء في لسان العرب "تحديث فلانا "إذا باريته في فعل و نازعته الغلبة و هي بمعنى المبارزة و الغلبة ،يقال :أنا حديّاك أي معارضك ،وهذا حديا أي نده و نظره ،وأنا حدياك بهذا الأمر أي مباريك الوحيد فابرزي وحدك[2].

و يضيف الرافعي :" ومن طباع النفس التي جلبت عليها ،أنها متى خذلت و كان خذلانها من قبل ما تعده أكبر فخرها و اجمل صنعها و اعظم همها و اصابها الوهن في ذلك ،وضربها الخذلان باليأس فقلها تنفعها نافعة بعد ذلك او تجزئتها قرة أخرى ،وقلما تصنع شيئا دون التراجع و الاسترسال فيما انحدرت إليه و مجاوزة مالا تستطيع الى ما تستطيع"[3].

وقد ذكر الرافعي في هذا المبحث تحدي الله تعالى الكافرين بأن يأتوا بمثل هذا القرآن او بعض سور منه وذكر من حاول الايان بمثل هذا القرآن العظيم فباء و ذكر طرفا من كلامهم الذين به زعموا المعارضة .

و لم يجرؤ العرب رغم ما وصفوا به من عصبية و رغم ما بذلوه من جهد و اتخذوه من أسباب لصد الدعوة الاسلامية و على ما كانوا يعلمون من هذا الامر و انه ذاهب بعقائدهم و طريقهم بقول المؤلف :"فلم يجمعوا كيدهم ،و لم يصدموه بل استأنوا به على امر ،وسرحوا فرصة كانت لهم ممكنة ،وتركوا أسبابا كانت منهم قريبة ،و ليس في ذلك سبب وراء القرآن

---

[1] – اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص166.

[2] –المعجم الوسيط ،ابراهيم مصطفى ،مادة صدا ،ج1 ص162.دار الدعوة.

[3] –إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،نفس المصدر السابق،ص147.

،فإن كل آية يسمعونها كانت تصيبهم بالشلل الاجتماعي و تخذلهم انفسهم فلا يحسون منها الا تراجع الطبع و فتور العزيمة "[1].و قد بينت سابقا أن التحدي واحد من الشروط التي ينعقد بها الاعجاز القرآني ،وما ادى الى خذلانهم أن تتحقق نظامهم أن يكون القرآن من عند النبي فيقع التفاوت اللغوي الذي عادة ما يصاب به البلغاء فيحسنون مرة ويسيئون مرة ،علوا ونزولا و ظلوا يتربصون منتظرين و لكن القرآن وحي هيهات أن يصاب بأمراض اللسان وعلاته.

ب–الحكمة من التحدي :

يبين الرافعي هاهنا الحكمة من التحدي لقرآن العرب و قد عالج ذلك من الجهتين رئيسيتين أولهما :استمرار الإعجاز حتى يشهد التاريخ بعجز البلغاء برغم فصاحتهم و براعتهم الخطابية في عصر شهدت الفصاحة فيه اوج تألفها و تطورها فلا يجرؤ بعد ذلك أعجمي أو مولد أو طاعن على ان يزعم القرآن غير معجز يقول بروكلمان :"بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا ،و المسلمون جميعا مؤمنون بأن اللغة العربية هي وحدها اللسان الذي احل لهم أن يستعملوه في صلواتهم و بهذا اكتسبت اللغة العربية منذ زمان طويل رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التي تنطلق بها الشعوب الإسلامية."[2]

أما الوجه الثاني من حكمة التحدي أن اللفظ المعجز لا يمكنه أن يؤدي معناه الذي يحتمله إلا إذا وقع بها التحدي فعلى رغم العلماء و منهم الرافعي أن التحدي ميزان ينصب

---

[1]–إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، مصطفى صادق ،ص128.

[2]– تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ،ج1،ص23نقله الى العربية ،د، عبد حلمي النجار ط4،ج1:ص23.

بين القدرة و العجز ،وهذا ما ورد في التعريف الذي ذكرته سابقا لمعنى التحدي بإعجاز القرآن .

و كذا ذكر بعض الباحثين أن فائدة التحدي تظهر من جهات عدة وذلك لان التحدي برهان و دليل على صدق الرسول (صلى الله عليه وسلم)وكذلك من أجل.

تثبيت فؤاد النبي(صلى الله عليه وسلم) ومن معه من المؤمنين فهو بالتحدي يزداد ثباتا و عزما ويشعر بمدد الله و عونه و أنه ليتعهده برعايته و من فوائد التحدي بالقرآن أن يعرف إعجازه من لا دراية له بفنون إعجازه عند وقوفه على عجز الفصحاء و البلغاء بالعلم المتواتر[1].قال القاضي أبو بكر الباقلاني :انما احتيج الى التحدي لإقامة الحجة و إظهار وجه البرهان (على الكافة) لأن المعجزة أذا ظهرت فإنما تكون حجة بأن يدعيها من ظهرت عليه ،و لا تظهر على مدع لها إلا و هي معلومة أعفا من عند الله ،فإذا كان يظهر وجه الإعجاز فيها للكافة بالتحدي وجب فيها التحدي لأنه نزول بذلك الشبهة عن الكل و ينكشف للجميع أن العجز واقع من المعارضة[2] ...

و مما يؤكد هذا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد دعا الآحاد إلى الإسلام محتجا عليهم بالقرآن ،لأن نعلم ضرورة أنه يلزمهم تصديقه تقليدا ونعلم إن السابقين الأولين إلى الإسلام لم يقلدون وإنما دخلوا على بصيرة و لم نعلمه قال لهم :ارجعوا إلى جميع الفصحاء فإن عجزوا عن الإتيان بمثله فقد ثبتت حجتي ،فالإعجاز الذي وقع به التحدي هو إعجاز في ذات القرآن..في آياته وكلماته فقد تحدى القرآن الإنس و الجن على أن يأتوا بمثله ..ذلك

---

[1]-إعجاز القرآن .الباقلاني :تحقيق : السيد احمد صقر ص 24.

[2] -نفس المصدر السابق ،ص25،انظر الاتقان في اعجاز القرآن ،ج2،ص149.يقول السيوطي :"و لا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله معجز لم يقدر أحد على معارضته بعد تحديهم بذلك.

وهو مجرد آيات تتلى و كلمات تقرأ و تسمع ...لم تكن تلك الكلمات قد اختلطت بالحياة و دارت دورتها في الناس و أقامت دولة و أنشأت نظاما[1].

و يبين الرافعي في هذا المبحث أو الجزء مراحل التحدي .

و التحدي ،وتتجلى في الآتي:

أ- طلب المعارضة بمثل القرآن.

ب- التحدي بعشر سور مثله مفتريات.

ج- اقتران التحدي بالتفزيع و التأنيب.

د- التحدي بسورة كاملة.

و يسهب فضل عباس في بيان هذه المراحل بشكل جميل و يتفق مع ما ذهب اليه الرافعي و أكثر العلماء الذين بحثوا هذا الباب من مباحث اعجاز القرآن ،فلا يكاد يخلوا مصنف من مصنفات الدراسات القرآنية قديمها وحديثها عن التطرف الى مراحل التحدي اما دراسة بلاغية او بيانية او تفسير تحليلي ،فإن تحدي القرآن كان في أكثر من آية و في أكثر من وقت واحد و في أكثر من مكان كذلك .و الاختلاف بين المراحل الثلاث التي سبق و اشار اليها الرافعي قائم من حيث تنزل الآيات القرآنية و من حيث السياق و من حيث الاسلوب و لهذه الفروق و دلالتها في تعيين أو ترجيح احد القولين السابقين في بيان وجوه الاعجاز ،فإذا كان التحدي في المراحل الثلاث المخاطب به العرب و العرب بضاعتهم البيان و سجيتهم فن القول ،اذن فالمرحلة الرابعة المخاطب بها الناس جميعا عربهم و عجمهم .

و لما كان العرب بسجيتهم يدركون سر الكلمة حيث وهبهم الله الفصاحة و البلاغة و لما بعث النبي(صلى الله عليه وسلم) و أيده الله بمعجزة القرآن الكريم الذي هو الغاية القصوى

[1] -إعجاز القرآن في دراسات السابقين ،عبد الكريم الخطيب ،ص340

في الفصاحة ،و قوة التأثير انظمة العرب بالعديد من الاتهامات الباطلة الكاذبة و إليك سيدي القارئ جهود الرافعي في بيان ذلك ،فلم أجد أبلغ و لا أحمل من أسلوبه و ربأت ببلاغة الكاتب على ان أحرك في نصوص حرف فأفسد جمال و دهشة التصوير لعمري ان كتابه مازال يعزف على أوتار البلاغة ألحانا تسمعها و نقيها ثم تجعلها مكررة في ذهنك و قد صبها في روحك صبا فاستطعت الى ذلك سبيلا ،يقول الامام الحجة الرافعي رفع الله شأنه :"فلما رأوا همهم لاتسموا الى ذلك و لا تقارب مطمعة فيه ،وقد انقطعت لهم كل السبيل الى المعارضة بذلوا له السيف ،كما يبذل المخرج آخر وسعه ،و أخطروا بأنفسهم و أموالهم وانصرفوا عن توهن حجته الى تهوينها على انفسهم لكلام من الكلام ،فقالوا ساحر و شاعر و مجنون و رجل يكتتب أساطير الاولين ،وانما يعلمه بشر ،وامثال ذلك مما اخذت به الحجة عليهم وكان اقرارا منهم بالعجز"[1]

ويقول :"و أمر العادة مما تخدع به النفس عن الحق لانها أعراق ضاربة في القلوب ،ملتفة في الطبائع ،وخاصة في قوم كالعرب كان شأن الماضي عندهم على ما رأيت في موضع سلف وكانت العادة منهم دنيا حين لم يكن الدين الاعادة "[2]

وقد احتج الرافعي في هذا الباب بمعلمه و بالاديب الذي نجد اثره واضحا في أسلوبه ومنهج بحثه و أقصد بذلك الجاحظ،و لما تجد الكاتب في هذا المصنف يشير الى مصادر بحثه[3].

---

[1]-إعجاز القرآن الكريم ،د، فضل عباس ص31.و ما بعدها.

[2] -إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص171.

[3]-انظر :نفس المصدر السابق ص172/انظر الاتقان في العلوم القرآن نقل الرافعي للنص كاملا الجزء 2ص248.

ج–معارضة القرآن الكريم :

إنّ التطرف لموضوع معارضة القرآن يستلزم البحث عن ثبوتيتها التاريخية اذ يتم اثبات مصداقية النص من خلال التحليل التاريخي لحقبة المعارضة و نصوصها و الظروف السياسية المختلفة بها و المؤلف في هذا الباب يأتينا بصفحات من ذلك كله ويشير الى ماهية المعارضة عند من حاول فعجز فيقول :"و منهم من تعاطى معارضة القرآن صناعة و ظن أنه قادر عليها و حصر ذلك و بيانه تماما بعض ما يشهد به التاريخ من اعجاز القرآن ."

مسيلمة بن حبيب الكذاب[1]:

اقتصر المؤلف هاهنا على ذكر ما جاء به مسيلمة من الاخبار الواردة في بطون الكتب و سردها سردا تقريريا يتوافق و بحثه و دراسته التي بدأها بالجزء الاول من هذا الموضوع(تاريخ آداب العرب) و كلنا يعلم ان مسيلمة بالحيامة و حديثه غير ذي شأن الصنعة مكانه الرجل اولا سخافة ما أخبر عليه من جهة ثانية قال العلوي في الطراز :"و أما ما يحكى عن (مسيلمة) الكذاب فهو بالخلاعة أحق منه بالمعارضة "[2].

[1]–هو ثمامة بن قيس من بني حنيفة وكان قد تنبأ في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)وقيل انه كتب الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم):"من سليمة رسول الله الى محمد رسول الله ،اما بعد فإن الارض نصفها لي ونصفها لك و بعث بذلك اليه مع رجلين من اصحابه ...."و قد ملك على يد وحشي....انظر تفصيل ذلك كله تفسير البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن ط4 (1997/1417م) و تاريخ الطبري ج3 /ص137.

[2]–الطراز ،ابو حمزة العلوي ،ص.

ومن مزاعم مسيلمة أن له قرآن نزل عليه من السماء و يأتي به ملك يسمى رحمن ،و ذكر الطبري:"أن الرحمن كان من أسماء الله لا يتسمى بها الكذاب مسيلمة ـ و هو اختزاله اياه يعني اقتطاعه من اسمائه لنفسه ـ أخبر جل ثناؤه أن اسمه "الرحمن الرحيم"[1].

و لا يختلف الرافعي عن آراء جمهور العلماء في مسيلمة :"و رأي اذا سئل فيه و كلها ضروب من الحماقة يعارض بها أوزان القرآن في تراكيبه ،ويحتج في اكثرها الى سجع الكهان لأنه كان يحسب النبوة ضربا من الكهانة فيسجع كما يسجعون "[2].

يقابل القالب الشكلي (نقض العادة) بما أتى به مسيلمة من الحماقات على وزن القرآن او يقال ان الشعر الحر المعروف لدينا الآن يغاير ما ألفه العرب من الشعر المنظوم ،او النثر ففيه نقض للعادة على زعمهم و عند مراجعة كتب التفسير و التاريخ و الادب تروي معارضات عروض بها القرآن يشبه تماما السفه الذي ادعاه مسيلمة[3].

ونقل له المؤرخون كمثل قوله :" و المبذرات زرعا ،و الحاصدات حصدا ،و الذاريات قمحا ، و الطاحنات طحنا و العاجنات عجنا ، و الخابزات خبزا ، و الثاردات ثردا و اللاقمات لقما ، اهالة وسمنا لقد فضلتم على اهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر .."

و اذا تأملنا هذا الكلام الذي جاء به مسيلمة و غيره لوجدته ركيكا ساقطا ...ويذهب بعض الباحثين الى انه من الممكن ان المسلمين وضعوه للتندر و التهكم و من القائمين بهذا الجاحظ و غيره كثير[4].

---

[1]-جامع البيان في تأويل القرآن ،محمد بن جرير الطبري (310هـ)تحقيق(احمد محمد شاكر) ط1(1420/2000م) .

[2]-إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص174.

[3]- التحدي بالقرآن الكريم ،د، محسن سميع الخالدي ،عن ملخص بحث ،مجهول الطابع ،ص13.

[4]- فكرة اعجاز القرآن ،نعيم الحمصي ،ص25،و انظر :الحيوان ،الجاحظ،ج7،ص5،ص87

كما أشار المؤلف الى زهط من اهل التنبؤ في صدر الاسلام و في السنوات اللاحقة من ذلك عبهلة بن كعب المكنى بالأسود العنسي [1]و يطلق عليه ذا الخمار أيضا ،وكان رجلا فصيحا و لم يصلنا شيء مما ادعى أنه اوحي اليه ولكنه قتل قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم).

- ومنهم ايضا طليحة بن خويلد بن نوحل ابن نضلة ،الفقعسي الاسدي من بني دودان بن اسد خزبيه ،وكان يعمل فيها يقولون بألف فارس ادعى النبوة فاتبعه بنو اسد ذكر ذلك الطبري في تاريخه:" و ان الاسود قد غلب على اليمين فلم يلبث الا قليلا حتى ادعى طليحة النبوة و عسكر سميراء و اتبعه العوام و استكثف امره وبعث حبال ابن اخيه الى النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعوه الى الوادعة و يخبره خبره و قال حبال ان الذي يأتيه ذو النون فقال و قد سمي ملكا وقال حبال :انا ابن خويلد فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) قتلك الله و حرمك الشهادة"[2].و لم يكن اتباع قومه له لفصاحة او معجزة جاءها ولكنهم عصبية و طلبا لا مر يحسبونه كائنا في العرب من غلبة بعظهم على جماعتهم و حدث ان بعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد لقتاله و كان مع طليحة بن حصن في سبعمائة من بني فزارة و لكنهم انهزموا جميعا و قد نقل كل ذلك و جمعه من امهات الكتب و حققه في الهامش على ما قاله ابن الاثير في كتابه اسد الغابة و معظم البلدان لياقوت الحموي و كذا منهم سجاح بنت حارث النميمة و هذه تنبأت بعد وفاة النبي(صلى الله عليه و سلم)و تزوجت مسلمة و لم تدع قرآنا و انها زعمت انه يوحى اليها فتأمر و تشجع كولقها حين توجهت نحو مسيلمة (عليكم باليمامة ودفوا دفيفة الحمامة و انها غزوة صرامة لا يحقكم بعدها ملامة و

[1]–خرج بعد الوداع ،كان اسودا شعبانا و كان يريهم الاء حبيب و سبي قلوب من سمع منطقة ،و كان أول من خرج أن خرج من كهف خبان ،و هي كانت داره ،تاريخ الرسل و الملوك و صلة تاريخ الطبري ،ط2،ج3،ص186.

[2]–تاريخ الطبري ،ابن كثير الطبري ،ج2،ص432.

منها ايضا النظر ابن الحارث لم يدع النبوة و لا الوحي و لكنه زعم انه يعارض القرآن فكلف شيئا في اخبار الفرس و ملوك العجم و بالغ فجعلها خوارق لأنه جاء بأخبار يجهلها العرب و لم يحفل الادباء و المؤرخون كثيرا لاخباره[1]. يقول الرافعي :(ثم اسلمت هذه المرأة بعد وحسن اسلامها و ما كانت نبوتها الا زفافا على مسيلمة وما كانت هي إلا امرأة)[2].

و ذكر الرافعي ايضا :النظر المحارث و من جاء بعده لم يدعي النبوة و لا الوحي و لكنهم زعموا معارضتهم القرآن و لم يحفل احد من المؤرخين و لا الادباء بهذا الرجل[3].

و ينافح الرافعي في هذا المقام عن رجلين انهما بالزندقة والكفر بسبب محاولتهما معارضة القرآن .

ان معرفة الامام من الثلاثة (لبن المقفع المتبني و ابن الراوندي) ازاء قضية المعارضة تأتي من جلاء دفاعه في كتابه عن المتهمين متخذا في ذلك موقف الدارس المحلل و لكن السؤال هل نحن ازاء تحليل و دراسة موضوعية ام هي عادة المؤلف عندما تأخذه الحمية وقد تشرب و ما سيلا عاطفيا الى فكرة ما ستخذلها الهمة و استقصر الوسيلة و المعايير و الحجج و لا يكون ذلك عادة من فراغ او ارض رخوة بل صلبة ثابتة قوامها رصيد علمي سيتحقق الوقوف عنده و تقديره.

و ابن المقفع من رجال الحضارة الإسلامية و قد ساهم في إثرائها و ما وصلنا ابن المقفع يدل على صدق ايمانهم و إخلاصه لبناء نهضة الأمة الإسلامية في إطار منهج إصلاحي مبني على اسس عقلية صرفة غير أن الأقوال في اتهامه بالزندق كثيرة .وفي عصره

---

[1] – فكرة اعداد القرآن نعيم الحمصي ،ص25.

[2]–لا ادري ماذا يقصد بقوله هنا تحديدا و لكن هي إشارة أن طبيعة المرأة المتقلبة في مزاجها و أدائها و انها في نهاية مجرد كائن ضعيف.

[3]– إعجاز القرآن ،و البلاغة النبوية ص178.هو النظر :ابن حارث، ابن كلدة ،ابن علقمة القرشي ، من بني عبد الدار عداده في أهل الحجاز.

مارس الأدباء و النقاد و اللغويون و الفلاسفة و المفكرون ،حرية اجتماعية وأدبية واسعة في حياة بلغت مرحلة كبيرة من التطرف في الاستهتار و قصف المتع و شرب الحمزة...الخ و كان ابن المقفع يعيش حياته و يمارس مهنة الكتاب ترجمة و تأليف أدى ذلك إلى ذيوع صيته .

يرى العديد من القدماء و محدثين أن آثاره المترجمة الى العربية سواء المفقودة او الموجودة غايتها الدعوة للعقيدة المعنوية خاصة ولعقيدة فارس عامة و من فهي احياء كبير لماضي الفرس المتميز و كان اختفاء مؤلفاته مدعاة لفتح الباب واسعا أمام مناوئا ايقاعه في الزندقة لكن الايمان الرافعي له راي مختلف لاستقام ان يكون ابن المقفع على رواية الرواة ان ابن المقفع عارض القرآن ثم استحيا من فعله فمزقه يقول المؤلف :" اما نحن فنقول :ان الروايتين مكذوبتين جميعا و ان ابن المقفع ابصر الناس باستحالة المعارضة لا لشيء لانه من ابلغ الناس و اذا قيل لك ان فلان يزعم ان كان المعارضة و يحتج لذلك و ينازع فيه فاعلم ان فلان هذا في الصناع احد رجلين اثنين :"اما جاهل فيصدق في نفسه و اما عالم يكذب على الناس و لن يكون فلان ثالث ثلاثة)[1].

اما ابن الراوندي :ابو الحسني بن يحي المعروف بابن الراوندي من اهل مروا الروز كان من متكلمي المعتزلة قيل ان ابوه كان يهوديا لم يكن يستتر على مذهب او رأي المتكلم بارع حذق لا يضاهيه احد في عصره و اختلف في سنة وفاته و قيل انه كان قبل ذلك و مما الف من الكتب الملعونة: كتاب يحتج فيه على الرسل و يبطل الرسالة و ينقض على نفسه ونقضه الخياطة[2].

[1]- اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص149.

[2]-انظر الفهرس لا من النديم ،ج1،ص216،الانتصار للخياط :ص58ووفيات الاعيان ج1،ص94.

الرافعي على ابن الراوندي عن رايه القائد ان المسلمين اتجهوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذي تحدى به النبي فلم تقدر على معارضته ،فيقال لهم أخبرونا :لو ادعى مدع لمن تقدم من الفلاسفة ..... مثل دعواكم في القرآن ،قال :الدليل على صدق بطليموس او اقليدس ان الخلق يعجزون عن يأتوا بمثل كتابه ،اكانت بنبوته تثبت .؟

وكان رد الأمام الرافعي قطعا إذ تعجب لجمل الراوندي و جعله كتاب القرآن و كتاب اقليدس او ايا كان في ميزان واحد ،واعتبره من جملة هذان الأطباء و سفهه ،بقياس يشبه قيامه متأخرا "كما يطرد القياس عينه في قولنا ان كل حمار يتنفس ،وابن الراوندي يتنفس ،فابن الراوندي يكون ماذا ؟ و لو ان مثل هذه السخافة تسمى علما تقوم به الحجة فيما يحتج له و يبطل به البرهان فيما يحتج عليه ،لما بقيت في الأرض حقيقة صريحة و لا حق معروف و لا شيء يسمى باسمه ،ولكان هذا اللسان المتكلم قد عبرته أمم كثيرة ،لأن فيه قوة من قوة الخلق..."[1] و إتماما للفائدة ،فإن أول من تكلم في الصرفة في كتابه فضيحة المعتزلة ردا على الجاحظ و هو أول من نسبه إلى النظام ،الا ان الخياط في كتابه الانتصار نقض اقواله كلها و يسخر منه الامام "[2]...قد امعن في سحفه فلا تدري اجعل الهه هواه ،أم جعل الهه في فمه"[3]. و قد ذكره ابو العلاء الجعفري في رسالة الغفران مستخفا رأيه و كتابه بقوله : " و اما ابن الرواندي فلم يكن إلى المصلحة بمهدي و اما تاجه فلا يصلح ان يكون نعلا هل تاجه كما قالت الكاهنة " اف وتف و جورب و خف "[4] و مما روي عنه ايضا انه قال لابن الاعرابي إمام اللغة و الادب هل يضاق اللباس ؟ يريد الطعن في قوله تعالى : " فأذاقها الله

---

[1] -إعجاز القرآن و البلاغة النبوية في صادق الرافعي ص181.

[2] -عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ،حسن عبد الفتاح احمد .

[3] -الجدول في اعراب القرآن الكريم محمد عبد الكريم صافي ،ط4 (1418هـ) مؤسسة الايمان ص180/ص182.

[4] - إعجاز القرآن و البلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي ص182/ص12.

اباس الجوع " فقال له ابن الاعرابي : لا باس ايها النسناس هب ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان نبيا اما كان اعرابيا[1]"

و يبدو ان المغربي في رسالة الغفران قد وقف بالنقد والهدم لكثير من الادباء الذين تهيء قدرتهم على معارضة القرآن او الطعن في إعجازه و من بين اولئك الشاعر المعروف بأبي الطيب المتنبي الذي توفي قتيلا سنة (354هـ) و الروايات التي تتهم زمرة الادباء و الشعراء من اوائل القرن الهجري الى الخامس مرجعه ابتداء قوة اساليب هؤلاء الشعراء و الادباء و الثاني كيد خصومهم لهم وتحديدهم لأخطائهم و نفس هذه الروايات تنتهي الى ان المتنبي و ابن سينا و ابن المقفع و المغربي كفوا عن معارضة القرآن شعورا منهم بالعجز و لا عن الاتهام بالمعارضة بدا مبالغا فيه او لمختلف اختلافا لإثبات العجز عن مقارعة القرآن لأعظم الشعراء العربية و كتابها و الدلالة على ان هؤلاء اذا عجزوا فإن من دونهم اعجز و لعل نسبة المعارضة إليهم راجعة إلى أنهم جاءوا في عهد كثرت فيه المذاهب و الفرق الاسلامية و احترام الجدل في القضايا الدينية خاصة في مسألة الاعجاز و يذهب الدكتور نعيم الحمصي الى رأي أميل اليه رهبا صرح هؤلاء بآرائهم لا من نبيل .

الطعن في القرآن او الرعاية في معارضته و لكن من قبيل التصريح بأفكارهم اذا كانوا من اهل التفكير الحر فانقل عنهم نقلا مبالغا فيه و استرسلوا في الخيال و اضيف الى اقوالهم ما لم يقولوه[2].

[1]–الأساليب و الاطلاقات العربية ابو المنذر حمود بن محمد بن مصطفى عبد اللطيف المنوي ،ط1(1432هـ/2011م)المكتبة الشاملة مصر ،ص23/وانظر في ذات السياق ،رسالة الغفران ،المغربي تحقيق ابراهيم اليازجي ط1(1325هـ/1907م)ص168.

[2]–فكرة اعجاز القرآن الكريم ،د، نعيم الحمصي ص39.

و الامام الرافعي لا يمنع ان يكون للرجل شيء من هذا و يرجع ذلك عنده لأسباب منها ان بعض الشعراء يواجهون هذا النوع من الهرطقة قبل النظم كقوله مثلا :" وصلتني وصلك الله محتلا و قطعتني مثلا فان رأيت ان لا تحبب العلة الي و لاتكدر الصحة علي فعلت ان شاء الله "فإن هذا و شبهه انما هو بعض شعره منثورا"[1]

ففي رأيه ان المتبني لم يكن ذلك الرجل الفصيح البصير بأساليب الكتابة و صناعتها ووجوهها و لا هو من العرب الاقحاح و ليس يمنح ان ينسب اليه الكلام لأنه لو أراده في معرضة القرآن ما جاء بأبلغ منه لأنه لا يمكن ان يكون افصح من العنسي او مسيلمة ويفوق بين الوضعين التاريخيين فإن كان لمسيلمة بعض الاثر في قومه و القرآن غصن طري و الوحي في طريقه الى الانتشار لا كعصر المتنبي و القرآن راسخ في قلوب الناس مدرك في عقولهم يميزون معنى اعجازه و فصاحته و تعتبر مغامرة المتنبي في بني كلب مغامرة اقرب منها الى السذاجة من الجرأة .3غير ان الخطيب البغدادي يذكر هذا الخبر لكلمة اقل وقعا و اثرا على آذان من كلمة ادعاء النبوة فقد اورد :"انه ادعى الفضول الذي نبذ به و سار خبره الى امير اطراف الشام فاستخص اليه من قيده وسار به الى محبسه "هذا يؤكد ما اداه الرافعي من كلامه ان المتنبي لم يطمح تماما الى النبوة و لمن فضول شاعر متهور ابدت له نفسه ماتبنيه عادة عقول الادباء و الشعراء من خروج عن المألوف و عن خيال جامح و مغامرة قد لا تكون محمودة العواقب غالبا .

اما المعلم الادبي الثاني فهو من اعجم ما وقف عند التاريخ الاسلامي و الادبي من حيث التناقض و التضارب ما نقل عنه من خبر و الغريب انه رحل في سماته الشخصية لا يشبه في ادبيته النماذج التي ذكرت آنفا و يشير الى ذلك المؤلف :"و تلك و لا ريب على

[1]–اعجاز القرآن و البلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي ص 184.

المعري اداه بها و حاذق "[1].ها انت عرفت سيدي القارئ ابو العلاء المعري (449هـ)علم يشهد له لا بالعبقرية فحسب بل ينفرد بالحكمة و بنوع و اتقان للذهن غير انه لم يبح من فردية ادعائه النبوة و رجل كالمعروف لم يخل تاريخه من الحاسدين لأسباب كثيرة ما يحمل بنا لطول تفصيلها ذكرها كلها في هذا المقام و لكن يجدر بي إلى ما جاء من التحقيق في خبر ادعاء النبوة و رأي الرافعي في القضية.

تحليل ونقد :

و رد عن الرافعي ان المعري قال :"اقسم بخالق الخيل و اليح الهابة بالليل بين الشرق مطلع سهيل ان الكافر الطويل الويل و ان العمر لمكفوف الذيل نعد مدارج السيل و طالع التوبة من قبيل تنج و ما اخالك بناج"

وهو من الكتاب الذي به افتري على المعري و قيل انه عارض به السور و الآيات تعديا عليه وظلما فإن الكتاب ليس من باب المعارضة في شيء و قد ذكره الحموي في معجم الادباء و مقداره مائة كراسة يقول ياقوت (الناس في ابي العلاء يختلفون فمنهم من يقول :انه كان زينتها و ينسبون اليه أشياء مما ذكرناها و منه من يقول :كان زاهدا عابدا متقللا يأخذ نفسه بالرياضة و الخشونة و القناعة باليسر و الاعراض عن اعراض الدنيا)[2] .

[1]– ذكر الخطيب البغدادي عن القاضي بن ام شيبان انه قال :"و قد كان المتنبي لما خرج الى كلب و اقام فيهم و ادعى انه علوي حسني ثم ادعى ذلك النبوة ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه بالشام في الكذب في الدعوتين و حسب دهرا طويلا ز هذا الخبر يفيد انه ادعى العلوية و اراد ان يثبت انه منهم غير ان الحقائق الثابتة في ذلك الزمان كانت تنافي دعواه انظر خزانة الادب الخطيب الادبي ،مكتبة الخانجي للطبع و النشر و التوزيع ، د، ت ،د ، ط،ج20ص355.

[2]– اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ص185.

ويحكم ياقوت على المعري بسوء المعتقد فيقول :" و كان متهما في دينه ،قال السلفي :حكي عن ابي علاء معري في الكتاب الذي املاه في الفضول و الغايات و كأنه معارضة للسور و الآيات فقيل له :اين هذا من القرآن فقال :لم تسقله المحاريب اربعمائة سنة[1].

اما النص المذكور يحلله الرافعي في كتابه بقوله :"ان لفظة تاج هي الغاية و ما قبلها مسجوع فيبتدأ بالفصل و ينتهي الى الغاية و هذا كما ترى عكس التواصل في القرآن الكريم لأنها تأتي خواتم لآياته فكأن المعارضة نقض للمعارضة و مجاراة للموضوع و ثقل الياقوت الحموي اختلاف الناس فمنهم من يقول انه كان زنديقا و ينسب اليه الاشياء و منهم من يقول انه كان زاهدا عابدا متقللا يأخذ نفسه بالرياضة و الخشونة و القناعة باليسر و الاعراض عن اعراض الدنيا و نقل قولا لكمال الدين ابو قاسم عمر بن ابي جرادة[2]: قرآن بخط ابي السير شاكر بن عبد الله بن سليمان المعري ان المستنصر صاحب مصر بذل لابي العلاء ما في البيت من المال بالمعرة من الحلال فلم يقبل شيئا منه.

دفوع الرافعي و حجته :

1- يعتبر الامام ان الاديب بصير لنفسه عالم لمكانته و مكانة الكلام الذي هو بصدد معارضته و ليس من الحمق كي يقدم على مجاراة على ما يستحيل معارضة .

[1]- ارشاد الاديب الى معرفة اديب شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الحموي ،تحقيق :احسان عباس دار العرب الاسلامي بيروت ،ط1 (1414هـ/1993م) ج1،ص305 و انظر ايضا ابو العلاء المعري دفاع المؤرخ ابن العديم عنه دار سعد المصرية ص100.

[2] -هو كما الدين ابو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي الحلبي المعروف بالصاحب ابن العديم (586هـ،/666هـ)انظر فوات الوفيات ،ج3 ص126و بغية الطلب في تاريخ حلب ج1 ص16 معجم الشيوخ الكبير شمس الدين الذهبي تحقيق محمد الحبيب الهيلة ط1 (1400هـ/1988م) ج1 ص417 و الجواهر المضية في طبقات الخفية عبد القادر بن محمد بن رضى الله القرشي محي الدين الحنفي ج2ص104

2- ان البلاغة لا تكون مراغمة للغة و لا هي اغتصاب لألفاظها و توطين لغرائبها و الفصاحة كما يقول الجاحظ شيء غير التشدق و إفاضة الإملاء و غير اضطراب الأسلوب بين التواء و استقامة و استهلاك للمعنى و توعر للفظ و المعري يعرف هذا كله من نفسه .

3- إثبات المعري اعجاز القرآن في رسالة الغفراء و نفضه لمذهب ابن الراوندي و لا يمكن للرجل في رايه ان يسير في نفسه غير ما يبديه[1]. و في ذلك قال الباقلاني :"فإن قال كذلك فقد اصاب و ابصر لقصد و لا يمتنع ان يشتبه عليه الحال في الابتداء ثم يلوح له رشده و يبين له امله و ينكشف له عجزه ،ولو كان بقي على اشتباه الحال عليه لم يخف علينا موضع غفلته ولم يشتبه لدنيا وجه شبهته و متى امكن أن تدعي الفرس في شيء كتبهم أنه معجز في حسن تأليفه و عجيب نظمه"[2]

و قد جاء في بعض البحوث ما مفاده أن الادعاء الذي يقتضي معارضة المعري للقرآن الكريم في ايقاعه و فواصله يقول الباحثين :لا بد من النظر الى هذا الكلام شيء من الريب حيث ان من امضى النظر في الفصول و الغايات و جد انه نسجه على اسلوب القرآني في بعض جوانب منه كما يقول :" أنلت العائلة اباها و اصاب الوحدة و رباها و الله بكرمه اجتباها ،اولاها الشرف بما حباها ،ارسل الشمال و صباها و لا يخاف عقباها " فيبدو هذا يشبه السياق في سورة الشمس الا ان الباحث تجد نفسها امام طريقتين :الاول يفضي بها الى لن المعري عارض القرآن الكريم اما الطريق الثاني يدل على ان الشاعر الاديب مقلد لا

[1]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي ،ص185و ما بعدها ،انظر ايضا:

[2] -2- اعجاز القرآن ـ ابو بكر الباقلاني ،تحقيق السيد احمد صقر ،ص62،وانظر ما قاله ياقوت الحموي من فهرست كتابه النروسيات ،ج1،ص137.

معارض لأنه لو كان الامر كله سرى في كل الكتاب لا بعضه ،و ان اعتماده على السجع متباينة في اللزوميات بين موضع و موضع[1].

و ينتهي الرافعي بنا في هذا المبحث أن لا معارضة حقيقية لإعجاز القرآن .فتصور المتهافتين على المعارضة أنهم وجدوا محطا لأسلات أقلامهم في مسجع اقتصار اعتقاداتهم أنها اضعف نقطة في النظم القرآني ،فالسجع في هذه.

السور هو بمثابة كمائن نظامية حادة عن مقاليد الاعجاز القرآني و ذلك باقتناص العقيدة و النفوس و لكنها أثبتت عجزهم أمام حتمية اعجاز القرآن و الهيئة و هو يدلل وجود معارضة و الا ما جدوى الاعجاز فيه أو حتى نقول لو كانت هناك نية عند كفار قريش فقد اجهضت هذه لوجود الاعجاز هذا من جهة و انه لا يمكن نجاح معارضته و ان استوفت شرائطها من جهة اخرى لأنه من السهل الممتنع.

و يتضح أن مجمل ما عرضه الرافعي هو المعارضات الادبية و أقصد ما وضعه تحت مجهر الدراسة في حين أن المعارضات السياسية أشد وضوحا من المعارضة الاسلوبية لا سيما و انها في داخل قبائل العرب و في حدود مجالهم الجغرافي ،اما الاسلوبية فقد شلت وجها تاريخيا من وجوه تلك المعارضة اليائسة .

و يحضرني في هذا المقام ما ختتم به الدكتور نعيم الحمصي كجله الموسوم بفكرة الاعجاز :"التصديق بقضية الاعجاز قائم على القناعة الوجدانية ،فالحجة التي تفتح المناصر قد تزيد المنكر انكارا و المؤمن بفكرة الاعجاز يرى أن عجز العرب عن معارضة القرآن دليل على اعجازه و على رسالة الرسول ،على حين يرى من لا يؤمن بها أن عجزهم حينئذ دليل

[1]– د،علي ككنجيان خناري و د، عبد الاحد غيبي ،فرشيد فرجزادة ،نظرة تحليلية في الفصول و الغايات لأبي العلاء المعري ،مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها فصلية محكمة ،العدد الثامن شتاء 1390هـ/2012م/ص126.

على ان النبي حيزهم بيانا ،وليس دليلا على انه رسول الله و على ان القرآن كلام الله وذلك. في رأي المنكر ،كما لو عجز الناس عن معارضة امرئ القيس من شعراء العرب من ادباء الانكليز ،فإن عجزهم لا يحمل من أحدهما رسولا".[1]ا.هـ

و يبقى الوجه المشرق من هذه المعارك الكلامية قديمها و حديثها و مستقبلها أن القرآن سيبقى المداد الالهي الذي لا ينضب يحب لواقع الفكر و البحث في أذهان العقول و الحجى فتزهر بطون المصنفات ،وتتبرعم في كل عصر حقول ثرية شهية تعزي الباحثين على مر الزمان و المكان .

قال الله تعالى :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ٨٩ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢[2]﴾.

[1]–فكرة إعجازالقرآن الكريم د.نعيم الحمصي ص 462.

[2] – سورة الاسراء الآية 87. 92

المبحث الرابع

خصائص أسلوب القرآن عند الرافعي.

1- تعريف الاسلوب :

في اللغة :

الاساليب الطرق و الفنون ،وكل شيء امتد على غير امتناع فهو اسلوب و يقال لعنف الاسد :اسلوب لأنها لا تنتخي [1]وفي اللسان :"يقال للسكة من النخل أسلوب و يقال للسطر من النخيل أسلوب و كل طريق ممتد ـ قال :و الاسلوب الطريق و الوجه و المذهب يقال أنتم في أسلوب سوء و يجمع أساليب و الاسلوب الطريق تأخذ فيه ،وعند الزمخشري مادة سلب في أساس البلاغة: "وسلكت أسلوب فلان طريقته و كلامه على أساليب حسنة.

أمّافي الاصطلاح

فإن ضبط للفظ من الصعوبة ما جعله مقترنا و معروفا عند العرب في حديثهم عن الفصاحة ،يقول الجرجاني :"و البلاء و الداء و العياد ،إن هذا الاحساس قليل في الناس ،حتى إنه ليكون أن يقع للرجل الشيء من هذه الفروق و الوجوه في الشعر بقوله او رسالة يكتبها الموقع الحسن ثم لا يعلم أنه قد أحسن ،فأما الجهل بمكانة الاساءة فلا تعدمه ،فلست تملك اذا من أمرك شيئا حتى تطفر بمن له طبع اذا فتحته وري ،و قلب اذا رأيته رأى فأما و

[1]- محمل اللغة لابن فارس ،تحقيق :زهير عبد المحسن زهران،ط2(1406هـ/1986م)ج1،ص470،لسان العرب ،ابن منظور ،ط3،ج1/ص43،أساس البلاغة ،الزمخشري،ج1،ص468.

صاحبك من لا يرى ما تريه ،و لا يهتدي للذي تهديه .... و كما لا تقيم الشعر في نفس من لا ذوق له ،كذلك لا تفهم "[1]. و الاسلوب عند العرب عموما اتخذ عدة مسارات ،اذ يدل عند بعضهم على طريقة العرب في أداء المعنى كما جاء في تأويل مشكل القرآن "و الشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب ،و عدل بين هذه الاقسام فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر و لم يطل فيمل السامعين ،ولم يقطع بالنفوس ظمأ الى المزيد "[2].و يبدوا ان ابن قتيبة يرى أن الفصاحة تقتضي مناسبة القول للمعنى فيكون الإيجاز و الإطناب حسب ما تقتضيه الصياغة عادة ،مع مراعاة حال الملتقي عن القاء قصيدته.

وقد حاول بعضهم توظيف مفهوم الاسلوب كونه مرتبط بمعنى النظم كالزمخشري و القاضي الباقلاني و الجرجاني ،أما ابن خلدون الذي تبلورت في تعريفه فكرة القدامى عن الاسلوب إذ نص في وضع حد الاسلوب نحوا تنظيريا بناء على جهود سابقية "و لنذكر هنا سلوك الاسلوب عند اهل الصناعة ،وما يريدون بها في اطلاقهم فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيها التراكيب او القالب الذي يفرخ فيه و لا يرجع الى الكلام باعتبار افادته اصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب و لا باعتبار افادته كمال المعنى من خواص التراكيب ... انما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة باعتبار انطباقها على تركيب خاص "[3]و هكذا حدد ابن خلدون معنى الاسلوب و صورة الابداع الادبي.

هكذا اذا تحدد ماهية الاسلوب عند اهل اللغة من البلاغيين و النقاد ،اما الرافعي فيحدد الاسلوب الادبي عنده بما لا يبتعد كثيرا عن ما تقدم و قد استهله في مقدمة كانت

---

[1]–دلائل الاعجاز في علم المعاني ،عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق محمود محمد شاكر،ط3(1413هـ/1992م)،مطبعة المدني،القاهرة،ص549.

[2] –الشعر و الشعراء ،ابن قتيبة الدينوري ،بدون سنة طبع ،بدون تحقيق ،دار الحديث ،القاهرة ،ج1،ص76.

[3]–ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، ابن خلدون ،تحقيق خليل شحادة ،ط2،(1988،1408م)،دار الفكر بيروت ،ص786.

وصلا بين ما سلف من حديث التحدي و المعارضة ،و موضوع الفصاحة و البلاغة عند العرب و مكانتها و ميزاتها التي وصفها الرافعي : بقوله :"لم يكن من الفرق عند فصاحتهم بين فن وفن من القول الا ما يكون من تفاوت المعاني و اختلاف الاغراض و سعة التصرف "و يصف الكلام على انه كان على منوال واحد "قبيلا واحدا و خسا معروفا "[1]اضافة الى أنهم كانوا "لا يغتصبون لفظة و لا يطردون كلمة و لا يتكلفون لتركيب و لا تلومون على صنعة الفطرة و تمدهم الطبيعة ننسق الألفاظ الى ألسنتهم ،وتجري مع أوهامهم ،و تستجيب فيهم لكل حركة من النفس لفظة المعنى الذي هو اصل هذه الحركة ثم لا تكون هذه اللفظة الا كأنها خلقت لذلك المعنى خلقا ،و أفرغت عليه إفراغا حتى لا يناسبه غيرها فيما لا يلتئم على لسان المتكلم ،ولا يكون في موضعها أليف منها في مذهب و نحن قومه و طريقة لغته "اذا الاسلوب الادبي عند العرب في نظر الرافعي قائم على أسس و منه وجوه الفصاحة التي أشار إليها ابن قتيبة و ابن خلدون و لم تخرج عن ذلك المعنى زمن ميزاته:

1- عدم الاختلاف البين بين أساليب العرب الا من حيث تباين الفنون أو المعاني.

2- جزالة العبارة.

3- ائتلاف اللفظ مع المعنى و حسن هذا الائتلاف .

4- انتفاء التنقيح و الابطاء و التردد في القول و صناعة الخطاب.

2) خصائص أسلوب القرآن :

ان الباحث اذا رجع الى كتاب الرافعي لم تستطع أن يلم تمام الالمام بتحديد خاصية معينة من خصائص أسلوب القرآن التي ذكرها ،و ذلك راجع الى طابع التعميم ،وقد أوضح أن الاعجاز القرآني انما يرجع الى الاسلوب و النظم و التأليف ،غير انه عمم و لم يخصص

[1]- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية.

مثلا كما يقول أحد الباحثين :"الكمال اللغوي يمكن ان يندرج تحت ما ذكره من الخصائص الاخرى مثل ما للحركات النحوية و الصرفية من البلاغة و النغم و الموسيقى و اختصاص القرآن بطريقة في استعمال الكلمات كالأفراد دائما او الجمع دائما و هكذا هو يشبه الباقلاني في تعدد الاقسام[1].

فالقرآن معجز في اسلوبه من حيث طرق نظمه ووجوه تركيبه و نسق الحروف في كلماتها و كلماته في جملها و نسق هذه الجمل في جملته "[2]و ما زال يؤكد أن تركيبه هو روح الفطرة اللغوية فيهم.

و هذا ما يشهد للقرآن كأقوى الادلة أنه وحي من الله و ليس من كلام البشر فلا هو من قبيل الشعر ،و لا هو من قبيل ما كان متداولا عندهم من ألوان النثر و لا يشب في شيء لون من الوان كلامهم ،ومن ارتاب في هذه الحقيقة فليضع أي آية في أي نص من كلامهم فيجد الفرق بينهما شاسعا .

يقول الجاحظ :"و هو محمد (صلى الله عليه وسلم) كان اغلب الامور عليهم و احسنها عندهم و أجلها في صدورهم حسن البيان ،ونظم ضروب الكلام ،مع علمهم و انفرادهم به فحين استحكمت لفهمهم وشاعت البلاغة فيهم و كثر شعراؤهم وفاق الناس خطباؤهم بعثه الله عز وجل وجعل لحية الكبرى الدالة على صدق نبوته "القرآن الكريم و كان ذلك من اعجب ما اتاه الله ساقط معسائر ما جاء به من الآيات ومن ضروب البرهانات و لكل شيء باب و مأتى و اختصار و تقريب"[3].

---

[1]–خصائص التعبير البياني و سماته البلاغية ،عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني ،ط1(1992/1913)مكتبة وهبة ،ج1،ص156.

[2]– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص189.

[3]– من الفصول المختارة للجاحظ على هامش الكامل نقلا عن: قضية الاعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية ،د، عبد العزيز عبد المعطي عرفة ،ص152.

3) **الفرق بين اسلوب القرآن و الكلام البشري:** يختلف القرآن كل الاختلاف عن الاسلوب البشري فهو لا يشبه في شيء أي لون من الوان التعبير سواء تلك التي كانت متداولة في عصر الرسولﷺ.او اتى جدت في العصور التي تلته ،وهو منزه عن النقص ،و التكرار الممل لغير ما فائدة و لذلك التعقيد الذي لحبه عند صاحب الذكرة العميقة ،و لا ذلك الثقل الذي تجده عند الايجاز فهو: "بليغ النظم عجيب التأليف ،متناه في البلاغة ،وهذا الابداع لا يختص بموضوع دون آخر و لا يتفاوت من آية الى اخرى ،أي أن نظمه بديع في قصصه ،ومواعظه ،وتبشيره و تخويفه ووعده ووعيده كما هو بديع على حد سواء في حكمه و أحكامه و فيما يشتمل عليه من اخلاق كريمة ،ويسر مأثورة ،وفيما يضربه من أمثال و ما يأتي به من حجج و لا تفاوت في نظمه بين آياته الطويلة و آياته القصيرة ،ولا تفاوت في فيه ايضا بين قصصه المكررة و هو ينتقل بك من معنى الى معنى فلا تجد فيه ذلك الضعف الذي تجده عند البلغاء عندما ينتقلون من شيء الى شيء و من باب الى باب "[1].

و الرافعي اذ يعرض رأيه في الاعجاز لا يفوته ان يعرج على سبب الاعجاز البياني عموما فهو يرى ان اسلوب الاديب نتيجة لمزاجه الخاص و ان اعجاز القرآن في اسلوبه راجع الى انه ليس من مزاج البشر ، لولا ذلك لأشبه أسلوبا من أساليب العرب او من جاء بعدهم الى هذا العهد و لهذا من أهم ميزاته ما أشار اليه القرآن ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا [2]﴿٨٢﴾. تلاحظ هنا انه قد جعل السبب مسببا و العلة معلولا فبدلا من ان يسعى لإثبات ان القرآن من الله بإثبات أنه معجز فتراه يقوم بالعكس فيثبت أنه معجز لأنه

---

[1]– المعجزة القرآنية ،بغدادي بلقاسم ،ديوان المطبوعات ،الجامعية، الجزائر ،ص109.

[2] –سورة النساء الآية 82.

من عند الله و لذا فقد علل ذلك بأنه انفرد عن اساليب العرب بأسلوبه الخاص اذا ليس و ضعا انسانيا على جهة العموم ،و لو انه أثبت قبل ذلك أن أسلوب القرآن فوق طاقة البشر لكانت طريقته في البرهنة صحيحة[1].

4) تمام الاعجاز و القصور البلاغي الانساني عند الرافعي :

. يأمر العرب :استلقن العرب بلاغة القرآن و فصاحته فيئموا من المحاولة مجددا لمعارضة القرآن او حتى المحاولة ،و العجز هنا من قبيل القوة لا الحيلة .

يقول الرافعي :" وقد استيقن بلغاء العرب كل ذلك فاستيأسوا من حق المعارضة اذ وجدوا من القرآن ما يغمر القوة و يحيل الطبع و يخاذل النفس مصادمة لا حيلة و لا قرة فالنبي قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه ،واثبت ذلك الخطابي بقوله :"و قد بقي النبي صلى الله عليه وسلم يطالبهم به مدة عشرين سنة مظهراهم النكير زاريا عن أديانهم مسفها آراءهم و احلامهم حتى نابذوه و ناصبوه الحرب :فهلكت فيه النفوس و اريقت المهج و قطعت و احلامهم وذهبت الأموال و لو كان ذلك في رسهم و تحته اقدارهم لم يتكلفوا هذه الامور الخطيرة و لم يركبوا تلك الفواقر المبيرة و لم يكونوا تركوا السهل الدمث من القول الى الحزن الوعر من الفعل و هذا ما لا يفعله عاقل ،و لا اختياره ذو لب و قد كان قومه قريش موصوفين برزانة الاحلام و وقرة العقول و الالباب و قد كان فيهم الخطباء المصاقع و الشعراء المفلتون و قد وصفهم الله تعالى في كتابه بالجدل و اللدد ،فقال سبحانه:

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ [2].

[1] -إعجاز القرأن البياني بين النظرية و التطبيق،د.حنفي محمد شرف ص 211.

[2]-الزخرف ،الآية 58.

فكيف كان يجوز ـ على قول العرب و مجرى العادة مع وقوع الحاجة و لزوم الضرورة ـ أن يغفلوه ،و لا يهتبلوا الفرصة فيه،و ان يضربوا عنه عنه صفحا و لا يجوزوا الفخ و الظفر فيه لو لا عدم القدرة عليه و العجز المانع منه"[1]

يرى الرافعي ان سر التفاوت التفاوت بين اسلوب القرآن و اسلوب البشر ،مع ان المادة اللغوية واحدة لا تختلف ترجع الى امور أهمها :

أولا: ما نجده في القرآن الكريم من قوة نسج و إحكام في السرد: يقول: "فأما ان يكون الكلام الذي يقصد اليه في المعارضة كهذا القرآن ،أحكم دقيقة و جليلة و امتنع كثيرة و قليلة و اخذ منافذ الصنعة كلها ،واستبرأ المعنى الذي هو فيه الى غايته و قطع على صاحبه امر الخيار في الوجه الذي يعارضه منه و كان من وراء ذلك بابا واحدا في امتناعه لا موضع فيه للتصنيع ،و لا معمز للثقاف و لا مورد للمقالة ،وقد تولقت علائقه و ترادفت حقائقه فأنت إن قرأت القرآن من اوله الى آخره لن تحس بنبره او ثغره في انتقالك بين المعاني ،ومن الآية الى التي بعدها أو من موضوع الى موضوع"[2].

فالقرآن اذا يتميز في اسلوبه بما جعل الانسان يقف مذهولا بين يدي اعجازه فوائده تلتقي نهايات الفضائل كلها يجمع بين القصد في اللفظ و الوفاء بحق المعنى و فيه اقناع للعقل و امتاع للعاطفة و في بيانه اجمال فالناس عادة ما يغبنون اذا ما أرادوا تحديد أغراضهم لتتمتع للتأويل و لكن القرآن تتسابق فيه الغيلتاندون فتور فكما تظهر معاينه و مقاصده واضحة جلية الا انه يترك مجالا و متسعا للاجتهاد في الفهم كما نجد القارئ ان التعابير لا تخرج عن كونها طلبا لأفعال او نهيا عن افعال بما يجعله يتسم ببراعة القول و تنوع الصيغ الكثيرة للتعبير الذي يريده .

---

[1] – نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد العربي القديم ،د، سيد محمد عمار،ص81.

[2] –إعجاز القرآن الكريم و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص190.

ثانيا : إن الاحكام و القوة في الاسلوب القرآني تجدها في القرآن مكية و مدنية على السواء و في سوره الطويلة و القصيرة ،فهو لا يختلف في تصويره اليوم الآخر و الحديث عن الكون و آيات الوحدانية لا يختلف عنه في آيات الاحكام على تعدادها و هذا ما لا تجده عند فصحاء العرب شعراء و خطباء، و هو اجابة عن السؤال الذي سئل منذ عهود هل يعرف اعجاز السور القصار بما يعرف به الرافعي في هذا ،ذلك ان كل سورة قد علم أنها معجزة بعجز العرب عنها يقول :"و سمعت بعض الكبراء من اهل هذا الشأن يقول انه يصح أن يكون علم ذلك توقيفا و الطريقة الاولى أسد و تظهر فائدتها في ان الاولى تبين ان ما علم به كون جميع القرآن معجزا موجود في كل سورة قصرت أو طالت فيجب أن يكون الحكم في الكل واحدا و الاخرى تتضمن تقدير معرفة اعجاز القرآن بالطريق التي سلكناها"[1]

و نسب المتحدي إليه الكلمة منه أو العبارة فإن ذلك مما يجوز ،أن يتأتى لبعضهم وقد اشار الجاحظ لذلك في حجج النبوة "و ذلك اذ يقول بعد تقرير ان المتحدي إليه لا لكون اقل مقدار اقصر سورة "لأن رجلا من العرب لو قرأعلى رجل من خطبائهم و بلغائهم سورة واحدة ،طويلة أو قصيرة لتبين له في نظامها و مخرجها و في لفظها و طبعها ،انه عاجز عن مثلها"[2].و يبين الجاحظ مؤيدا بما ذهب اليه الباقلاني أيضا أن هذا التحدي ليس منوطا بالحرف و الحرفيين و الكلمة و الكلمتين :"الا ترى أن الناس قد كان يتهيأ في طبائعهم و يجري على ألسنتهم أن يقول رجل منهم :الحمد و انا لله و على الله توكلنا ،وربنا الله و حسبنا الله ونعم الوكيل و هذا كله في القرآن غير انه متفرق ،غير مجتمع و لو اراد انطق الناس

[1]–البرهان في علوم القرآن الكريم ،الزركشي ،ج2،ص109.

[2]– الباقلاني و كتابه اعجاز القرآن ،د، عبد الرؤوف مخلوف.ض162.

أن يؤلف من هذا سورة واحدة طويلة ،على نظم القرآن وطبعه و تأليفه و مخرجه لما قدر عليه و لو استعان بجميع قحطان و معبد بن عدنان"[1].

و يفرض الامام الى مسألة هامة و هي ذات علاقة برأي المعتزلة العقدي حول القرآن الكريم و التحدي علاقة ذلك بقضية الصرفة ،ويقول في ذلك :"لا جرم كان من الرأي الفائل و المذهب الباطل قول أولئك الذين زعموا أن الاعجاز كان بالصرفة على ما عرفت من معناها ،و ما دعاهم الى القول بها الا عجبهم كيف لم يأت للعرب أن يعارضوا السورة القصيرة و الآيات القليلة مع هذا التحدي و هذا التفريغ ،وهم و الكلام سيد عملهم و لهم فيه المواقف و المقامات أن اولئك لو كان لهم احساس العرب أو لم يأخذوا الامر على ظاهره و ردوه الى اسبابه في الفطرة لرأوا أن المعنى للعجز هو في الكثير و القليل فإن التحدي بالسورة الواحدة طويلة أو قصيرة ،لم يكن في اول آية نزلت من القرآن ...كان بعد سور كثيرة منه"[2].

و يظهر في هذا الفصل آثار المتقدمين في فكر الامام فهو لم يذهب بعيدا عن حقيقة الاعجاز عند الجاحظ و الباقلاني (الذي شد المصنفة سابقا)و لا عن القاضي عبد القاهر الجرجاني ،اذ يبدو المؤلف متأثرا تمام التأثير بما ذهب اليه هؤلاء تقليدا و لكن اثراء و اعادة ترتيب و توضيب و شكل آخر في الطرح بالنظر الى تطور الحس النقدي في عصره اعتمد على اسلوب المقارنة بين مادتي اللغة العربية قبل الاسلام و لغة القرآن من جهة ثانية وهي ذات ملامح نظرية الجاحظ التي ترسخ فهم التراث الادبي جملة وتحليل خصائصه ثم الموازنة بينه و بين البلاغة القرآنية يبد ان المؤلف ارتضى لكتابه الخفة من الشواهد و الامثلة و عزو

[1]–نفس المصدر السابق ،ص163، وانظر ايضا :حجج النبوة ،الجاحظ على هامش كتاب الكامل في اللغة و الادب للمبرد ،مطبعة التقدم العلمية ،1932. ج1،ص293.

[2]– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ،ص193.

الكلام الى اصحابه و ذكرت اسباب ذلك التي ارتابتها وقد اومأ اليها الكاتب نفسه في بداية حديثه عن الاعجاز.

و بالعودة الى موضوع المعارضة و اعجاز السور القصار و الطوال في القرآن الكريم ،قال الرماني:فإن قال قائل :"فلعل السور القصار يمكن فيها المعارضة ،قيل لا يجوز ذلك من قبل ان التحدي قد وقع بها فظهر العجز عنها في قلة ـ فائتوا سورة ـ فلم يخص بذلك الطوال دون القصار ،فإن قال :فإنه يمكن في القصار أن يتغير الفواصل فيجعل بدل كل كلمة كما يقوم مقامها فهل يكون ذلك معارضة ؟ قيل له :لا من قبل أن المفحم يمكنه أن ينشئ بيتا واحدا و لا يفصل بطبعه بين مكسور و موزون"[1].

بما ان السورة جاءت بلفظ ذكرة (بسورة) في قوله تعالى :"فليأتوا بسورة من مثله "فيقول العلماء بخلاف المعتزلة منهم أنها تشمل كل سورة في القرآن طويلة أو قصيرة فيكون المعجز من القرآن هو السورة من القرآن الكريم طويلة أو قصيرة ،وهذا ترجيح جمهور العلماء و زادوا على ذلك :أن مقدار السورة القصيرة و هي ثلاث آيات ،معجز ايضا و ذهبت طائفة أخرى الى ان الاعجاز في القليل و الكثير من القرآن دون تقييد بسورة ،واستدلوا بظاهر قوله تعالى :"فليأتوا بحديث مثله"[2]. ويطرح هذا قضية أخرى من جمهور العلماء هل كل ثلاث آيات من القرآن معجزة كقولنا اعجاز سورة ،اذ أننا نجد الكثير من الآيات المفردة في القرآن الكريم تزيد على كثير من السور القرآنية القصيرة ،فتلاحظ أن للسورة القرآنية شخصية و ذاتية تختلف من حيث الأداء و المقاطع و المفاصل عن غيرها من السور و ان تشابهت موضوعا وهدفا .

---

[1] –الاتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي ،ج2،ص159.

[2]– مباحث في اعجاز القرآن الكريم ،مصطفى مسلم،ص39.

قال ابن كثير فالإعجاز حاصل في طوال السور و قصارها و هذا لا اعلم فيه نزاعا بين الناس سلفا و خلفا"[1]. و ذكر شيخ الاسلام ابن يتيمة: "ما ذكره من ان السور القصيرة لا اعجاز فيها مما ينازعه أكثر العلماء ،و يقولون بل السورة معجزة و نازعه بعض الاصحاب (اصحاب ابن حبل) في الآية و الآيتين قال ابو بكر بن العماد قوله: انما جاز للجنب قراءة اليسير من القرآن لأنه لا اعجاز فيه ،ما اراه صحيحا ،لان الكل محترم و انما ساغ للجنب قراءة بعض الآية ،توسعة للمكلف ،ونظرا في تحصيل المئوية و الحرج مع قيام الحرية كما سوغ الصلاة مع يسير الدم مع نجاسته"[2].ا هـ.

2. التكرار:

ينتقل الرافعي في هذا الجزء الى معنى تحقيق للتحدي ،و هو التكرار و كعلاني في هذا البحث احب ان أجلوا آراء العلماء و مفاهيم حول المصطلح ثم ابين موقف الرافعي في كتابه لمصطلح التكرار.

تعريفه :استعراض المعنى اللغوي لم يصطلح التكرار يبين أن معاني مادة كرر تدور حول عدة محاور بينها ابن منظور فيذكر أن الكل الرجوع ...و الكل مصدر كن عليه يكر كرا و كرورا و تكرارا عطف و كرر الشيء و كرره أعاده مره بعد أخرى و كررت عليه الحديث ...رددته عليه و الكل الرجوع هي الشيء و منه التكرار و كره البحث و تجديد الخلق بعد الفناء و كأني به يريد القول بأن المتكلم على سبيل المثال يذكر عدة جمل متتالية فينسى المتلقي فيكرر المتكلم كلامه ليذكر عرف الجاحظ الاطناب و حدد له الحال و المقام الذي يستدعيه يقول :"و جملة القول في الرداد أنه ليس فيه حد ينتهي اليه و لا يؤتى على وصفه

---

[1]- تفسير ابن كثير، ج1،ص62.

[2]- أكثر اهل العلم يرون العفو عن يسير الدم و القبيح و ممن روي عنه ذلك .ابن عباس و ابو هريرة و جابر و ابن ابي اولى و سعيد بن المسيب وجبير و طاووس و النخعي و قتادة و الاوزاعي ،انظر المغني :ج1،ص725.

،وانما ذلك على قدر المستمعين و من محضره من العوام و الخواص و قد رأينا الله عز وجل ردود ذكر قصة موسى و هود و هارون و شعيب و ابراهيم و لوط و عاد وثمود[1].

و يعرف ايضا بالأطناب و قد عرفه ابن قتيبة و تعرض لبعض صوره ،فحقيقة التكرار أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا أو يأتي بمعنى ثم يعيده و هذا من شرطة اتفاق المعنى الاول و الثاني .فإن كل متحد الالفاظ و المعاني فالفائدة في اثباته تأكيد ذلك الامر و تقريره في النفس و كذلك اذا كان المعنى متحدا و ان كان اللفظان متفقين و المعنى مختلف فالفائدة في الاتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين[2].

و قد عرفه الزركشي بأنه : الترديد و الاعادة و ذكر أن من أسباب كونه من أساليب الفصاحة "تعلق بعضه ببعض"و هذا التعلق من الامور التي تحقق التماسك مثل تعلق شبه الجملة بما يرتبط به[3].

ويعرض احد الباحثين :على انه اعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة او فقرة و ذلك باللفظ نفسه او بالرادف و ذلك لتحقيق اغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين العناصر المتباعدة[4].

و عنه قال ابن الأثير :"اعلم أن في القرآن مكررا لا فائدة في تكريره ،فإن رأيت شيئا منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه فانظر على سوابقه و لواحقه لتتكشف لك الفائدة منه "[5].

---

[1]– قضية الاعجاز القرآني و اثرها في تدوين البلاغة العربية ،عبد العزيز عبد المعطي عرفة ص206.

[2] –لسان العرب ،ابن منظورة ،مادة كرر ،3851،4،دار صادر ،بيروت ،لبنان ،.

[3] –لبرهان في علوم القرآن ،الزركشي ،ج2،ص.

[4]– علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ،د، صبحي ابراهيم الفقي ،ط1(1431/2000م) دار قباء للنشر و التوزيع ،القاهرة ،ج2،ص19.

[5]– نفس المرجع ،ص17.

و جاء في الاتقان :التكرير أبلغ من التوكيد كنوع رابع من أنواع "اطناب الزيادة "و هو عنده من محاسن الفصاحة و من جملة فوائده :التقرير و قيل :الكلام اذا تكرر تقرر و قد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الاقاصيص و الانذار بقوله تعالى "و صرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون[1]،أو بحدث لهم ذكر و منها التأكيد و زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ثم قال :أنه تعالى أنزل هذا القرآن و عجز القوم عن الاتيان بمثله ،ثم أضح الامر في عجزهم بأنه كرر ذكر القصة في مواضع اعلاما بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأي نظم جاءوا و بأي عبارة عبروا" اهـ.

- التكرار عند الرافعي :

لم يذهب الامام بعيدا عن تحديد العلماء لمعنى التكرار و هو في نظره من المعاني الدقيقة و مفهوم التحدي "هو الذي في بعض آيات القرآن فتختلف في طرق الأداء و اوصل المعنى واحد في العبارات المختلفة كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد النصر و الوعيد و بسط الموعظة و تنبيت الحجة و نحوها "اهـ [2] و يشير المؤلف الى أهمية هذا النوع و هذا الوجه من أوجه البلاغة القرآنية حيث أن الكثير من الملحدة و مذهب مذهبهم ظنوا أن هذا الضرب من فنون القول نقص ووهن .

أ-أنواع التكرار:

إن الحديث عن أنواع التكرار كثير في كتب البلاغة خاصة و كذا في بعض كتب تفسير القرآن الكريم و الاكثر هو الحديث عن دواعيه و أغراضه باعتبار أنه اعادة ذكر لفظ

[1]- الإتقان في علوم القرآن ،السيوطي ،ج2،ص77 ـ 88.

[2]-إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي

أو عبارة أو جملة او فقرة باللفظ نفسه او بالترادف و هناك نوع من التكرار اشار اليه السيوطي و هو نزول بعض أي القرآن ،او سورة أكثر من مرة ،الآية نفسها و السورة نفسها فمن الملاحظة أن تكون الآية نفسها او السورة نفسها نزلت في أكثر من موضع ،لكن المصحف ذكر هذه الآية مرة واحدة ،وكذلك السورة فلم يذكر المصحف ـ على سبيل المثال ـ سورة الفاتحة أكثر من مرة ،لهذا لا يعد هذا من قبيل التكرار.

قسم العلماء التكرار الوارد في القرآن الى نوعين :

تكرار اللفظ و المعنى :و هو ما تكرر فيه اللفظ دون اختلاف للمعاني و قد جاء على وجهين :مفصول و موصول ،اما الموصول فيأتي على وجوه مختلفة:

اما تكرار كلمات في سياق الآية مثل قوله تعالى :﴿ هيهات هيهات لما توعدون ﴾و

اما المفصول فيأتي على صورتين :اما تكرار في السورة نفسها ،واما تكرار في القرآن كله و مثال التكرار في السورة نفسها في قوله تعالى :﴿ و ان ربك لهو العزيز الرحيم [1]﴾في سورة الشعراء تكررت ثمان مرات.

و اما التكرار في القرآن كله و هو الذي لا يحدث مستوى السورة الواحدة بل يتعداها الى التكرار على مستوى السور .

أما النوع الثاني :هو تكرار المعنى دون اللفظ :

مثل قصص الانبياء مع أقواهم كقصة سيدنا آدم مع ابليس و قصص بني اسرائيل و ذكر الجنة و نعيمها و ذكر النار و عذابها.

[1]– سورة المؤمنون ،الآية 36.

ب–أغراض التكرار:

بعد التكرار من الظواهر الاسلوبية التي تستخدم لفهم النص الادبي و لاشك ان له علاقة و طيدة بالنحو و هو مصطلح عربي كان له حضوره عند البلاغيين العرب القدامى و نقلا عن ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن :"و أما تكرار الانبياء و القصص فإن الله تبارك و تعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث و عشرين سنة بفرض بعد فرض "[1] و قد اخبر الله عز وجل بالسبب الذي لأجله كرر الأقاصيص و الاخبار في القرآن الكريم اذ قال تعالى :"و لقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون "و قال أيضا "و صرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او ليحدث لهم تكرارا "...فإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه و تدعوا الحاجة اليه فيه ،بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة الى الحذ و الاختصار ،وانما يحتاج اليه في الامور المهمة التي تنظم العناية بها و يخاف بتركه و قوع الغلط و النسيان فيهما و الاستهانة بقدرها[2].

و يصد ابن قتيبة أغراض التكرار التي أذكرها موجزة فيما يأتي :

1- تيسيرا منه على العباد.

2- تدريجيا لكمال الدين.

3- تنبيها للمسلمين من سنة الغفلة .

4- استعبادا و اختبارا للبصائر

5- التوكيد الذي تتعدد مقاصده و غاياته .

---

[1]-تأويل مشكل القرآن ،ابن قتيبة،ص 76

[2]-بيان اعجاز القرآن المطبوع ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن الخطابي ،تحقيق (محمد خلف الله ،د، محمد زغلول سلام)ط3،(1976م)،دار المعارف ،مصر ،ص52.

6- تنزل الآية و الآيتين جوابا لهم عما يسألون و ردا على النبي (صلى الله عليه وسلم) كما في قوله تعالى "و رتلناه ترتيلا".

7- الايضاح بعد الابهام أي ذكر المعنى مبهما ثم توضيحه .

ويوضح ذلك الامام الرافعي بناء على ما جاء في الصناعتين نقلا عن الجاحظ في كتابه الحيوان و هو من اسرار معاني التكرار التي لم ينته لها أكثر العلماء و فيه بفوق العلماء بين الخطاب الموجه الى العرب و الاعراب و الخطاب الموجه الى اسرائيل او كان الكلام عنهم ،فالاول يكتفر فيه باللمحة الدالة و بالشارة الموحى بها فيقع الكلام على سنن مال ألفوه من إيجاز و حذف بخلاف النوع الثاني يختلف باختلاف طبيعة الملتقى او المحكي عنه لذلك كان الكلام مبسوطا مبالغة في افهامهم و توسع في تصوير المعاني لهم و تلوينها بالالفاظ ايجازا في موضع و اطنابا موضع[1]. قال الجاحظ :"و رأينا الله تبارك و تعالى اذا خاطب العرب و الاعراب أخرج الكلام مخرج الاشارة و الوحي و الحذف و اذا خاطب بني اسرائيل او حكى عنهم جعله مسبوطا و زاد في الكلام فأصوب العمل اتباع آثار العلماء و الإقتداء على مثال القدماء و الاخذ بما عليه الجماعة"[2].

---

[1]-يقو ل الرافعي ردا على طه حسين فيما يتعلق بليت عمرو بن كلثوم: الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين ،و يفسر ذلك تفسيرا أجمل من البيت نفسه في كتابه :تحت راية القرآن :"إن التكرار في بيت عمرو بن كلثوم هو سلر البلاغة فيه و هو اللون الذي نفضه الشاعر من ألوان روحه على المعنى ليخلقه خلقا حيا بحيث لو لم يكن هذا التكرار لضعف المعنى و سقطت رتبة الشعر فإن هذا الشعر يمثل في البيت غضب قومه و حفاظهم و قدرتهم على المجازاة و النقمة و الاخذ الشديد "ثم أعاد بنا البيت بقوله ،متى ما يجهلن أحد علينا جهلنا .....الخ او لا بقوله الا ثم نهى فهذه واحدة ثم كرر بعد ذلك بعد ذلك لفظ الجهل بالفعل و المصدر و اسم الفاعل و كأنه يقول ان الصباع بثلاثة و كل ذلك انما أفاده التكرار و هذا هو غضب الطبع البدوي و حفيظته "انظر تحت راية القرآن ،مصطفى صادق الرافعي المكتبة العصرية،ط1(1423/2002)،ص113.

[2]- انظر: في نفس الموضوع :مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان المعاني و البديع و إعجاز القرآن ،البلخني ابن النقيب ،(تحقيق :د، زكريا سعيد علي)،مكتبة الخانجي ،ص226.و و الحيوان عمرو بن بحر الجاحظ ،ط2،دار الكتب العلمية بيروت ،ج1،ص64.و انظر ايضا :الصناعتين لأبي هلال العسكري ،ص،الاعجاز و البلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي ص195.

و يعتبر الرافعي ان التكرار في لغة العرب و اشعارها هو سر الفصاحة "ما بالك إن ورد في القرآن ،و هو نفس ما ذهب اليه الباقلاني في الانتصار للقرآن " يقول :"و للتكرار فوائد نحن ذاكروها ـ إن شاء الله ـ فمنها أن الله سبحانه و تعالى لما خاطب العرب بلسانهم على أوجه ما نستعملها في خطابها و كانت تستجيز الاطالة و التكرار تارة اذا ظنوا ان ذلك أبلغ في مرادها وأنجع و تقتصر على الاختصار أخرى في مواطن الاختصار خاطبهم الله سبحانه على ما جرت عليه عادتهم و العرب تقول "عجل عجل " "وقم قم"فنقول "و الله لا أفعله" ثم "و الله لا افعله" اذا اردت التوكيد و حسم الطمع في نعلته"[1].

وهو عنده سر من اسرار الادب العبراني جرى القرآن عليه في أثر خطابهم خاصة ليدركوا ألوهية بما يتميز به من:

ـ رشاقة العبارة .

ـ حسن المعرض.

ـ فصاحة التركيب.

ـ ابانة المعنى .

ـ وتكرار الكلام لكل ما يفيده التكرار :توكيدا و مبالغة و تحقيقا ،و هي جملة وجوه اعجاز التكرار التي ذكرها الرافعي ،وقد استعمل لذلك الترادف في اللفظ و المعنى ،ومقابلة الاضداد وغيرها مما هو في نفسه تكرار آخر للمحسنات اللفظية، و تحسين للتكرار المعنوي[2].

---

[1]– الانتصار للقرآن ، القاضي ابو بكر الباقلاني ،تحقيق محمد عصام القضاة ،ط1،(1422هـ/2001م)،دار الفتح عمان ،ج2/ص800.

[2] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي،ص196.

ومن المعلوم ضرورة أن الناس مختلفون في طبقاتهم و ثقافتهم و مذاهبهم ،و اشترطوا لبلاغة الكلام ان يكون ملائما للمواطن التي يقال فيها و الاشخاص الذين يخاطبون به، و هذه الناحية أثر كبير في اختلاف الاساليب ،فإذا نظرت الى القرآن الكريم ترى تنوع أسلوبه في عهدي نزوله ،وتتميز السور المكية عن المدنية ،و القصارى عن الطوال فالملكي مثلا يتسم بالقصد في العبارة غالبا وقوتها ،لأنه كان يخاطب قوما كفروا بربهم ،و اشتدوا في عنادهم و محاربتهم لنبيهم ،وحتى في خطابه للمنافقين و كذلك الاسلوب الذي خاطب به أهل الكتاب من اليهود و غيرهم قد تميز بطابع خاص استدعاه لسان حالهم و طبيعة عملهم و تفكيرهم.

5-معجزات الصناعة البيانية في القرآن الكريم :

ان تركيب اسلوب القرآن كما أسلفت وجه مباين لكل ما عرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم و تنزيل كلامهم على انه يؤاتي بعضه بعضا و تناسبه كل آية منه كل آية أخرى في النظم و البلاغة ،فيبدوا و كأنه قطعة واحدة ،و البلغاء تختلف أساليبهم في أنفسها من القوة الى الضعف لأسباب و علل لا يصعب الكشف عنها في نفس القائل و ذلك لأنه ليس وضعا انسانيا يقول الامام :"فيقال ان المولدين و من حكمهم تتهيأ لهم معارضة السور القصارى و الآيات القليلة ،و يأتون الى ذلك بالصيغة و ما ألفوه من إحكام الرصف و ادماج الكلام و التغلغل في طرائق الانشاء و التوفر.

على تحسين بهجته و تزيين ديباجته فإنه مع هذه الوسائل كلها ابعد من العرب في أسباب العجز[1].

[1]- اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص197.

فأنت ترى الرافعي يثبت ان الاعجاز القرآني هو عجز العرب عن معارضة القرآن وقد اكد على ذلك مستعملا مصطلحات تكررت في هذا المبحث وفي الكتاب عموما و حتى في وحي القلم و كتابه تحت راية القرآن (روح القرآن ،روح المعنى ،الفطرة ،الفطرة اللغوية ،الوجدان ،الاحساس)كما اللغة ،كمال الفطرة الفنية و من جملة خصائص بعة الاسلوب القرآني و إعجازه البياني أشار الرافعي إلى :

أ– الملاءمة و الاحتباك:

الملاءمة من التلاؤم وهو نفيض التنافر ،ونعني به تقدير الحروف في التأليف و هو عند بعضهم.على ثلاثة اوجه :متنافر و متلائم في الطبقة الوسطى و المتلائم في الطبقة العليا.

و المتلائم في الطبقة العليا القرآن كله ،اما فوائده البلاغية تظهر في حسن الكلام في السمع و سهولته في اللفظ و تفصيل في المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة و طريق الدلالة .قال الرماني:" فإذا إتضاف الى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الاعجاز للحيد الطباع البصير بجواهر الكلام "و هنا الاشارة واضحة لما نعرفه باسم النظم[1].

فالتلاؤم وصف لابد منه لكي يكون الكلام خفيفا على اللسان مقبولا في الأذن موافقا لحركات النفس مطابعا لطبيعة الفكرة أو الصورة او العاطفة .

ب–الاحتباك :

لغة :الاحتباك من الحبك و هو (الشد و الاحكام و تحسين أثر الصنعة في الثوب)وفي الحجاج :احكمته و احسنت عمله فقد احتبكت و المحبوك الشديد الخلق من الفرس

[1] –قضية الاعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية ،د، عبد العزيز عبد المعطي عرفة ،ص386.

وقيل هو الابتزاز بأحكام و الاحتباك شد الازار و كل شيء احكمته و احسنته عملا فقد احتبكته و يروى في تفسير "و السماء ذات الحبك حسنها و استواؤها وقال بعضهم :ذات الخلق الحسن و تحبك الشخص شد الحبكة و هي حبل شيد به على الوسط " تحبك و شمر على ساعديه استعدادا للعمل و جاء في الاتفاق ان الاحتباك من الطف الانواع و ابدعها وقد ذكره الزركشي و البقاعي[1]،اذ قال في شرح البديعة :من انواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز وهو ان يحبك من الاول ما أثبت نظيره في الثاني و في الثاني ما اثبت نظيره في الاول كقوله تعالى : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [2]

المولدين ومن في حكمهم من إرادة الطوال للمعارضة و إن ارادوا مثل النظم او لم يريدوه على ان المعارضة لا تكون شيئا سيئا ما لم تكن بمثل النظم و الاسلوب اما النظم فقد علم وجه استحالته [3]و اما الاسلوب فحذف من الاول الانبياء لدلالة الذي ينعق عليه و من الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه"[4] و حذف عند الزركشي بالحذف المقابل: و

---

[1] –الصحاح ،تاج اللغة ،الفار ابي تحقيق احمد عبد الغفور عطار ،ج4/1578.الفائق في غريب الحديث و الاثر ابو قاسم الزمخشري تحقيق علي محمد البجاوي محمد ابو الفضل ابراهيم ،ج1/257 تهذيب اللغة الهروي ،تحقيق محمد عوص المرعب ابواب الحاء ،ج4/68.مجمل اللغة ابن فارس تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ج1/262.معجم اللغة العربية المعاصرة ،د، احمد مختار عبد الحميد عمر ج1/437.القاموس المحيط ،محمد الدين الفيروز آبادي محمد ،نعيم العرقسوسي ج1/935.

[2]– سورة البقرة 171.

[3] – يشير هنا الى حدين سابق في الصفحة 197و ما بعدها اذ يفيد ان اعجاز السور القصار كامن في نظمها أيضا وطريقة تأليفها من الجملة الى الكلمة الى الحرف بحيث التركيب و أجراس حروفها و فواصلها وان ارادة معارضتها من قبل المولدون تخرج منه الى عيوب اللسان لان مناط الاعجاز في نظم القرآن للنظم التركيب ،الاسلوب ،وروح المعنى ،انظر :اعجاز القرآن و البلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي ص198.

[4]– الاتقان في علوم القرآن ج2،ص79

هو ان يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف في كل في كل واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه " ويقع الاحتباك بين الجمل المتقابلة وبين الالفاظ الضدية و المتشابهة او المتناظرة و بين المهنية و المشتبه ومن العلماء الذين بينوا الاحتباك ابو حيان الاندلسي (ت745هـ) توضيحا مفصلا ولكن لم يطلق عليه اسم الاحتباك بل اشار اليها من قبيل البديع كوجه من اوجه الحذف في بيانه للآية :"و من هن مثل الذي عليهن بالمعروف "قال معلقا عليها :هذا من بديع الكلام اذا حذف شيئا من الاول اثبت نظيره في الآخر و اثبت شيئا في الاول حذف نظيره في الآخر و اصل التركيب :و لهن على ازواجهن مثل الذي لأزواجهن عليهن فحذفت على ازواجهن لإثبات عليهن و حذف لأزواجهن لاثبات لهن "[1]

يقول السيوطي و مأخذ التسمية من الحبك الذي معناه الشد و الاحكام و تحسين أثر الصنعة في الثوب و حبك الثوب :سد ما بين خيوط فلما ادركها الناقد البصير بصوغه الماهر في النظم وضع المحذوف مواضعه فكان مبايعا من خلل بطرقه فسد بطريقه ما يحصل به من الخلل مع ما اكسبه من الحسن و الرونق.

و الاحتباك في القرآن الكريم امثلته كثيرة و انواعه متعددة و يؤدي ادوارا بيانية و لمسات بلاغية تؤدي الدهشة في امتع و اروع صورها ومرد هذا التنوع و الاختلاف يرجع الى تقدير المحذوف و المحذوف نفسه غالبا من السياق[2].او بوجود قرينة تدل عليه ومن جملة فوائده البلاغية حددها احد الباحثين على سبيل المثال لا الحصر فيما يلي و قد رجعت الى مصادره التي اعتمد عليها :

---

[1] -نفس المصدر السابق،ص80.و انظر ايضا :البحر المحيط في التفسير ابو الحيان محمد الاندلسي تحقيق صدقي محمد جميل ،دار الفكر بيروت ،ط(1420هـ) ج2،ص470.

[2] -عدنان عبد السلام أسعد وأحمد فتحي رمضان ،الاحتباك في القرآن الكريم رؤية بلاغية عن مجلة كلية التربية الاساسية المجلد 4 العدد 2 الاحتباك في القرآن الكريم (الرؤية البلاغية)ص25.

1- احكام النظم بحذف فضول الكلام و ما يمكن الاستغناء عنه مع قلة الالفاظ وكثرة المعاني التي تدل عليها.

2- تحقيق فضيلة الايجاز و سرعة الوصول الى الامر المطلوب فباستخدام الاحتباك يعطي دلالات اوضح و يكون ذا اثر ابلغ في إيصال المعنى

3- جعل المتلقي يبحث عن المحذوف فيدفعه إلى التجاوب مع ما يقرأ فترسخ المعلومة في ذهنه فيقل نسيانه .

4- تهذيب العبارة لأن المعنى الذي يدركه الفهم ادراكا قويا مع حذف الالفاظ الدالة عليه يكون في ذكرها فضول يتنزه عنه البيان[1].

تلك اذن وجوه البيان لأساليب القرآن التي تميز بها نظمه و عجز المولدون و انتباههم عن محاكاة أساليب القرآن في طول سوره و قصرها و جاءت محاولاتهم بالفشل و جاء أسلوبهم مرتبكا متكلفا بعيدا تماما حتى عن المحاسن ببلاغة و البيان و البشرية[2].

و قد أشار المؤلف أيضا الى خاصية لها من الشأن ما يجعلنا نتمهل في التوقف عندها اذ افرد لها العلماء مصنفان وشهدت لها ميادين الجدل بجولات وصولات و ان المقام ليضيف للتفصيل فيها وانما اول الحديث عنها كما فعل الامام الى المباحث القائمة واقصد بالذكر التناسق وعلم المناسبة و اهميتها البلاغية و البيانية كوجه من وجوه اعجاز القرآن و خاصية من خصائص اسلوبه .

طوال السور و قصرها :

جمع القرآن في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) و اعيد جمع ما جمع في مصحف جامع في عهد عثما (رضي الله عنه) و رتبت السور بوحي الهي ،وكذا انعقد الاجماع على ان

---

[1] -النبأ العظيم عبد الله دراز ص125،و انظر ايضا خصائص التراكيب ،د، محمد ابو موسى .

[2] -اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص199.

النبي لم يقبض الا بعد ان قرأ على سيدنا جبريل بالترمت الذي لم يوافق مناسبة النزول و انما كان عليه الصلاة و السلام يأمر الكتبة و يشير الى مواضع السور و الآيات .

يقول الامام محمد ابو زهرة :"و كان من المستحسن ان نتكلم في هذا لا في مقدار البلاغة فيها " (يقصد الطوال و القصار من سور القرآن)فالجميع سواء و لكن من حيث الحكمة ان امكن ان يؤدي تطاولنا الى معنى ندركه فكتاب الله فوق طاقتنا في ادراك مراميه كلها لأنها ارادة الله تعالى و هي لا تقبل التعريف .."[1]

هل هناك فرق بين اعجاز الطوال واعجاز القصار؟ شوال وقف عنده الرافعي وكعهدي به في هذا الكتاب لم يأل على نفسه بيان ذلك جمعا بين ما اتفق عنده من نظريات السابقين و استشهادا بالقياس الى ماجد من مكتشفات العلوم يقول :"فأنت ترى ان السور القصار اشد فستعلم وجه الامر فيه "[2].

التناسق في الترتيب ان نظم السور القصار كله يكاد يكون على منسق واحد مؤلف النغم بما سيسر حفظه و هذا التسيير نرده احباب كثيرة منها اتحاد النغم و الفواصل و منهج التلاؤم بين ألفاظها واحد .وكأنها لقصرها لا يتغير فيها النغم و لا مقاطع الكلام كقوله :"و الضحى و الليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى".

ج –إيجاز القصر :

فكل آية وضعها كأنها سورة من كلمات قليلة تساعد الطفل الصغير على حفظها فلا يضيق بها نفسه بأسلوبها بعيد عن الاطناب الممل او الثقل المعقد لم يحدث ان وجدنا اطفالنا يحفظون المعلقات مثلا في سهولة حفظهم لسور القرآن فالطفل المسلم تجد والديه يعودانه على حفظ القرآن الكريم ويبدآن بالقصار غالبا دون صعوبة وهذا اعجاز من نوع آخر شيء

[1] –المعجزة الكبرى الامام محمد ابو زهرة ص302.

[2] – نفس المصدر ص198.

يبديه اعجاز القرآن يقول الامام محمد ابو زهرة :و اننا نرى ان الجزء الاخير في ترتيب القرآن الكريم الذي اختفى باشتماله على قصار السور و الذي يسهل حفظه على الناشئين الذين لا يريدون جمع القرآن في صدورهم "[1].

اعجاز النظم في سورة الناس قال الله تعالى :﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ هذه السورة البديعة في نظمها تكرار فاصلتيها و هي نموذج تطبيقي لنظرية اعجاز السور القصار اذ تختص عن غيرها بالاعتبار و الوقوف عند فواصلها المتقاربة غير المتباعدة بينما الآيات الطوال تكون في موضوع يحتاج الى التدير في اوله ر آخره و أخذه جميعا كما في آيات الاحكام و بعض القصص[2].

في حين السور القصار كل آية فيها تصلح ان تكون موضع تدبر بل يلزم فيها التدبر و ان كانت متصلة بما بعدها صلة وثيقة وللسائل ان يسأل عن تكرير "الناس" في فواصل هذه السورة في خمسة مواضع قيل لمشابه رؤوس لأي لغيرها من السور او لان الاوصاف الثلاثة اتى بها عطف بيان لقولك "ابو فارق ابو حفص عمر" هناك تطابق في الوزن العروضي لكلمة(الوسواس) مع الخناس فضلا عن التجانس الصوتي في البنيتين فلفظة الوسواس من المفردات التي اختبرت لمحاكاة أصواتها محاكاة طبيعية و الوسوسة من المفردات التي يتضاعف فيها المعنى بسبب تكرير أصواتها ابن(ت329هـ):"كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة و مد فقالوا :سر و توهموا في صوت البازي تقطيعا فقالو سر سر و ذلك

[1]– المعجزة الكبرى الامام محمد ابو زهرة ص303.

[2] – اسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في تربية متشابهة القرآن لها قيد الحجة و البيان برهان الدين الكرماني تحقيق عبد القادر احمد عطا دار الفضيلة ص257.

ان تجد المصادر المضاعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة و القلقلة الصلصلة ،القعقعة)[1].تكرير الحرف المقطع يؤلف شخصية الكلمة في تحقيق الدلالة الحقيقة حتى لا يمكن في أي أن تحل محلها في أداء وضيفتها الإجمالية و الدلالية المضافة و كما اشارت سابقا جعل ابن الاثير (ت627هـ)هذه الخاصية من اساليب التوكيد .

فجمعت سورة الناس بين تناسب الفواصل و(السنين) مصرف 1وهيمنته على النص فيتراكم و يسود بشكل يجعلك تشعر ان صوتك يحدث وسوسة كاملة تتناسب وجود السورة وهو ما استفاد قطب أشار اليه :"و نوع آخر ومن تصوير الالفاظ بجرسها يبدوا في سورة الناس ...اقرأها متوالية تجد صوتك يحدث وسوسة كاملة تناسب جو السورة ،جو وسوسة الوسواس وسبب ذلك تكرار صوت السن وتراكمه و تكثيفه فيها ما يتناسب مع معنى السورة و قد وصف القدماء و المحدثون حرف السين من حروف الصفر و قالوا عنها انها اصوات تنمل انسلالا و هذا الموقف لصوت السيء يتناسب تماما مع الوسواس و هذا يعني انسجام التركيب الصوتي للمفردة مع دلالتها او لازمة من لوازم تدل عليه .

و اذا نظرنا الى السين وجدناها من حروف الانفتاح و هي التي لا يرتفع فيها اقصى اللسان نحوى الاعلى و لا يتأخر نحو الجدار الخلفي للحلق ،وهي من أصوات التفوق و فيها لا يضيق مجرى البلعوم لان مؤخرة اللسان لا تتأخر فيه وفق هذا السين سن الأصوات المستقلة و المنفتحة و المرقمة.

اذ هذه الأسباب البلاغية و البيانية اجتمعت كلها لتجعل من خصائص هذه السورة تناسب مقاطعها عند النطق بها و معانيها و ألفاظها لأن الفاصلة تقع عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها فرونق الكلام كما لا يخفى عليك صفاؤه و صفاء الكلام

[1]-في ضلال القرآن ، سيد قطب ،المجلد 6،ص4011.

يبدو فيما يلقاك من جرسه وايقاعه في نظم كلمة جملة كما سيأتي تفصيله في المبحث الثاني[1] .

و خلاصة القول ان هذا الترتيب الصوتي أدى وظائفا عدة و أثر كبير في اعطاء آيات القرآن الكريم جرس موسيقيا له أثره في امالة النفس البشرية لان القرآن ينتقي الاصوات بحسب الدلالات قصد تجسيد المعاني في احسن سورة .

ارتباط الفاصلة القرآنية بمعاني التركيب و الآيات فلم يقتصر الخطاب القرآني على رعاية حسن النظم فحسب ،انما اهتم مع ذلك و قبله بالمعنى لذا يحدثنا العلماء على وجب اختيار سورة الفاتحة كمستهل كبداية القرآن الكريم و ختمه بالمعوذتين ووجه التناسب بين المواضيع الثلاث"[2]

و إنا نقول أن بعض الآيات فيها طول ،و بعض الآيات الكريمات فيها قصر ليس معناه أن ما فيه طول هو من قبيل التطويل في الكلام بل هو من قبيل الاطناب الذي لا تجد فيه كلمة زائدة ولا تحب فيه عبارة ليس ثمة حاجة إليها بل إن الآية التي يكون فيها تطويل قد تجيء في جملة ما هو من قبيل إيجاز القصر مثل قوله تعالى :" يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر

وليس المراد بالطويل ان تكون الالفاظ اكثر من المعاني بل المراد ما يتجاوز حد الاطناب البليغ المستحسن :فالمعاني مع الالفاظ متكافئة وربما كان فيها ايجاز لا اطناب فيها فضل عن التطويل ،والطول للآية يعطيها ألفاظا كثيرة ربما تكون أكثر من الالفاظ.

---

[1] – العزف على أنوار الذكر ،محمود توفيق محمد سعد ،ط1(1424هـ) ص90.

[2]–انظر انوار التنزيل و اسرار التأويل (تحقيق :محمد عبد الرحمن)،ط1(1418هـ)ج5،ص350. روح البيان ،المولى ابو الفداء ،ج10ص546،التسهيل لعلوم التنزيل ،ابن خوي ج3صص529،جامع البيان في تأويل القرآن ،ج24،ص709.

و كذلك جاءت السور قصارا على هذا الترتيب في الفواصل تيسرا من الله عز وجل للناس و هي الحكمة التي أضافها الرافعي في آخر حديثه من اهمية الفواصل في السور القرآنية القصيرة يقول :"ويضاف الى هذه الحكمة فائدة أخرى و هي تيسر القرآن و أداء الصلاة على العامة فإنهم لولا هذه السور لتركوا الصلاة جميعا اذ لا تصح الصلاة او بآيات مع الفاتحة :و قد أغنتهم القصار و يسرت عليهم فكانت على ما تضمنته معجزة اجتماعية كبرى "يقصد بذلك ترسخه و سوعه انتشاره و ترسخ المعاني الجزلة و القيم القرآنية في روح الصغير و الكبير العالم و الامي النساء و الرجال ،عربا و أعاجم في يسر الماء في انسيابه و شفافيته و رقته و غزارته و فائدته بعد الظمأ الروحي أنيعت الارواح و له رقت قلوب الاخلاق أبدالا تبين لا يروم في تأثيره و التأثر الا من أبت عليه نفسه و غلطة قلبه و كان من الذين على قلوبهم أكنة".ت

6)إعجاز القرآن و معجزات الصناعة :

يحدد الرافعي مفهوم معجزا الصناعة الكلامية في القرآن الكريم ،ويقارنها بالصناعة في المعجزات المادية ،و أتساءل في هذا المقام كيف وجه الرافعي فكرة أبدية الإعجاز في صناعة الكلام .

- هي مركبات قائمة من مفردات مادية حتى وقف امرؤ من الناس على سر تركيبها ووجه صنعتها فقد بطل إعجازها .

- أما صناعة الكلام :"هو صور فكرية لا من أوضاعها من التفاوت على حسب ما يكون من اختلاف الامزجة و الطباع و آثار العصور ـ و لا تجزئ فيها الصناعة و آلاتها من صفاء الطبع ،ودقة الحس و سلامة الذوق و نحوها مما يرجع أكثره الى الفطرة النفسية في أي مظاهرها "

أ-عناصر هذه الصناعة :

يحدد الرافعي أن سر هذه الصناعة من وراء عنصرين لطالما تكررا في مواضع شتى في مصنفة موضوع البحث.

1) العنصر الاول : الفطرة اللغوية ،والحسب البياني .
2) أسرار الطبيعة في أنفسهم ،واسرار أنفسهم في الطبيعة[1].

فالقرآن اذن مباين بنفسه لكل ما عرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم و تنزيل كلامهم ،فالعرب رغم جوة صناعتهم الكلامية متى تقلبت العصور و اختلف الناس ثقافة ومزاجا كما اختلفت ذائقة الناس و اتجاهاتهم الادبية لذلك شهدت الفنون الادبية و الصناعة البلاغية قفزات نوعية جعلت الصناعة تتباين تباين الامزجة و الاذواق و الثقافات و الاتجاهات الفكرية لكن السؤال هل نجد في القرآن هذا الاختلاف .

ينقلنا الرافعي الى قوله تعالى :"و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بعد أن قدم التفسير هذه الآية بما ذكرته سابقا و من رحاب هذه الآية تفهم سر الاعجاز و لكنك لا تضع يدك عليه لا يمكنك أن تشير قائلا هذا هو سر الاعجاز فالقرآن في النهاية معجز بذاته.

"و في القرآن مظهر غريب لإعجازه المستمر لا يحتاج في تعرفه الى روية و لا الى اعانات و ما هو الا ان يراه من اعترض شيئا من أساليب الناس حتى يقع في نفسه معنى إعجازه "[2]

ويحضرني في هذا المقام ما أورده الدكتور عبد الكريم الخطيب في كتابه نقلا عن القاضي عبد الجبار في بيان اثر الجانب الذاتي للاستبيان و أثره في النظم " فالإنسان إذ يقع لنفسخ

[1] -اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص200.
[2] -نفس المصدر السابق،ص201.

خاطر من الخواطر من عالم اللامحسوس إلي عالم الحس مصورا في الكلمات وهنا تخرج معاني مختلفة الصور و الألوان باختلاف الناس في إدراكهم المعني و تفاعلهم به وقدرتهم علي التقاطه و تصويره وعرضه في معرض من الكلمات المحفوظة او المكتوبة " ثم يبين ذلك فبقول " قد علمنا أن مع حضور الكلام قد يختلف الاختيار في المتغير بحسب التجربة و العادة ".

"فلا بد مع العلم بالكلمات – وذلك في لدود الوضع اللغوي من أن تتقدم للتكلم هذه الطريقة في نفسه وفي غيره ليعرف مواقع جمل الكلام إذا تألفت فيفصل بين ما يأتلف من كلمات خصوصية وبين ما يأتلف من غيرها ويعرف الطرائف في هذا الباب ثم يقول " لابد مع ذلك من محاضرة ما يعلمه

ولأنه قد يجوز أن يتساوى الرجلان في المعرفة و احدهما أقوى محاضرة من الآخر وان كان الذي يقصر عنه مثله في العلم أو أزيد لكنه يحتاج –فيما نعلم – إلى تثبيت و فكرة و نسق من كلام عبد الجبار هنا عند قوله: "لأنه قد يجوز أن يتساوى الرجلان في المعرفة و احدهما اقوي محاضرة من الآخر "[1].

هذا هو الفرق بين إعجاز القران و فصاحته و بلاغته و بلاغة بني البشر و براعتهم في النظم ، الأول لا تفاوت فيه ولا مظهر أتقلب الأمزجة وتباين الثقافات و تأثير النفس " و ليس من شيء في أسلوب القران و بعض من موضعه أو يذهب بطريقته أو يدخل في السنة من كلام الناس " ثم يضيف "وما من عالم أو بليغ إلا وهو يعرف ذلك و يعد خروج القران من أساليب الناس كافة دليلا علي إعجازه وعلي انه ليس من كلام إنسان " [2]

[1] –الاعجاز في دراسة السابقين ، الدكتور عبد الكريم الخطيب ، ص 232

[2] – اعجاز القران و البلاغة النبوية الرافعي ص 201

صورة مزاج الكاتب فيما يكتبه و البلاغة:

لقد مارس أهل العربية فنونها منذ نشأة لغتهم حتي نشبت و ترعرعت و أصبحت في عنفوان شبابها عملاقا معطاء واستظهروا شعرها و نثرها و حكمها وامثالها وطاوعهم البيان في اساليب ساحرة حقيقة و مجازا ، ايجازا و اطنابا ، حديثا ومقالا و كلما ارتفعت اللغة وتسامت وقفت علي اعتاب لغة القران في اعجازه [1]اللغوى كسيرة صاغرة .

لكن قبل ان يعجزها القرآن و قبل ان يقف البلغاء و الفصحاء من اهل اللغة موقف الصاعر امام الاصناعة الالاهية ، فهل سلمت حقا صنعاتهم في فنون القول من العيب او النقص ، وهل كان القران اول من كشف اللثامة عن عيوبها ونواقصها وماهو سبب اعجاز القران البياني

في هذا المبحث مما يلاحظ علي الرافغي انه جعل اليبب مسببا و البعلة معلولا ، فبدلا من السعي لاثبات ان القران من عند الله و باثبات بانه معجز ، تراه يفعل العكس كما صبق و ان اشرت و ذلك ببيان ان الاديب و البليغ عادتا ما يخضع اسلوب نصه لمزاجه الخاص و ذكر ابن سينان الخفاجي ان قوما كانو يفضلون اشعار العرب علي شعر كافة المحدثين و من بين اسباب ذلك ان هذه الاشعار المتقدمة كانت تقع من قائلها من غير تكلف ولا تصنع و الاشعار المحدثة تقع بتكلف ، وما وقع بالطبع افضل مما صدر عن التكلف .

وفي ذلك يقول العقاد ايضا : ان الخيال وليد طالعاطفة ، و هو الذي ينتج الصور الكثيرة التي تشع الروعة في البيان العربي . فالتاثير النفسي – غالبا – نابع من السطور و

1

الاخيلة ، و عادتا ما تخون العاطفة الاديب و ياتي نتاجه مضطربا ، فيه من الحشو والغرابة و التكلف و الارتباك .

ان اختلاف الاساليب اذن راجع الي اختلاف شخصية الكتاب من حيث الضوق و الذهب الامر الذي يتاتي منه تنوع الاساليب وتباينها و لو اتحدت الفكرة الواحة

فترى كل أديب او شاعر قد امتاز بطابعه الخاص و تعتبر اللغة هي الوعاء الذي يحمل افكار وعواطف الاديب باعتبارها مقوم جمالي ينتظم في انساق تعبيرية تسعي للتاثير علي المتلقي .

المبحث الخامس :

أسس الاعجاز القرآني عند الرافعي

1مفهوم النظم القرآني عند مصطفى صادق الرافعي و أسس الإعجاز القرآني

يعد نظم القرآن من أكثر قضايا اللغة العربية جدلا ، لم يألُ علماؤها جهدا في دراسته، فما تركوا فيه جانبا ولا وجها إلا وأخذوه بالبحث والنّقد والتفنيد ، وكان أهم دواعي التأليف فيه، ظهور المدارس الكلامية واللغوية .

وكثير ممن ادّعى على الرافعي كونه أفرد لنفسه الكشف عن أسرار النظم والإعجاز ولكنّا نجده هاهنا ينفي ذلك بشكل جلي منكرا في تواضع جمّ :"انما تلك الجهات صفات من نظم القرآن وطريقة تركيبه ، فنحن الآن قائلون في سر الإعجاز الذي قامت عليه هذه الطريقة وانفرد به ذلك النظم ،وهو سرّ لا ندّعي أننا نكشفه أو نستخلصه أو ننتظم أسبابه 1"

1– تركيب الكلام :

يتركب الكلام عن عند الإمام من ثلاثة : حروف هي من الأصوات ، وكلمات هي من الحروف ، وجمل هي من الكلام .ويكمن سر الإعجاز في نظم القرآن إذ يتناولها كلها .

1 – إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص 209

ونحن نعلم أن معنى النظم يتردد بين معان متعددة بعضها مستمد من المعنى اللغوي ، وبعضها يرمي الى البيان والإنشاء ، وبعضها كصاحب الصناعتين يرى النظم في حسن التأليف وجودة التركيب وحسن الوصف .

أما القاضي الجرجاني فأخذه مأخذا نحويا :فالنظم هو أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو .[1]

ويبدو حاليا من البحوث البلاغية والنحوية أيّا كانت طبيعتها كما أشار الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة : أن قضية الاعجاز القرآني دفعت العلماء الى الخوض في مسائل البلاغة العربية كبيان أسرار النظم القرآني ، والكشف عن جمال نظم الكلام بوجه عام الى أن انتهى الأمر الى الامام عبد القاهر الجرجاني والامام الزمخشري فنالت بذلك الدراسات البلاغية على يديها تقدما وازدهارا [2].

ويبين الإمام منهجه في دراسة هذا الباب ولا ينفي السبق للإمام عبد القاهر الجرجاني في هذا المبحث من دراسة إعجاز القرآن وإن كان يختلف عنه في التأسيس والبناء .

ويوضح ذلك بقوله : " نحن إنما نبحث في القرآن من جهة ما انفرد به في نفسه على وجه الإعجاز ، لا من جهة ما يشركه فيه غيره على أي وجه من الوجوه وأنواع البلاغة مستفيضة في كل نظام سوي وكل تأليف مونق ، وكل سبك جيد ، وما كان من الكلام بليغا فإنه صار بليغا وإن كانت هي بعد في أكثر الكلام الى تفاوت واختلاف .

---

[1] –الصناعتين الكتابة والشعر ،،أبو هلال العسكري (تصحيح أحمد امين الخانجي) ،ط1 (محرم 1319–1320هـ) الأستانة العلية ، ص 39

[2] – قضية الإعجاز القرآني وأثرها في البلاغة العربية ، عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، ص 675

ومن أهم الفروق بين أنواع البلاغة في القرآن الكريم وبين هذه الأنواع في كلام البلغاء ، أن نظم القرآن يقتضي كل ما فيه منها إقتضاء طبيعيا لأنها في أصل تركيبه "[1]

إن نظم حروف القرآن الكريم وجه من وجوه البلاغة وذلك يختلف حتما عن كلام البلغاء التي تصنع لموضعها وتبنى عليه ، ويقصد هنا الكلام فقد يؤدي هذا الى تغير .

ويرى الإمام أن سر الإعجاز لا يقتصر على الجملة القرآنية أو الكلمة فقط إنما يتسع فيشمل إعجاز الحرف في موضعه ، وعلل ذلك بقوله : "لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازا أبديا ، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية وقارن ذلك بما يشبه الخلق الحي تماما "[2]

أولا : الحروف وأصواتها :

1- مفهوم الحرف :

مادة "ح ر ف " جاء في القاموس :" وواحد حروف التهجي "، والناقة الضامرة والمهزولة ، وعند النحاة : ماجاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وما سواه من الحدود فاسد ، ونزل القرآن على سبعة أحرف"سبع لغات من لغات العرب [3]

والحرف من كل شيء ، طرفه وشفيره وحده ، والحرف : واحد حروف التهجي الثمانية والعشرين ،الذي هو في الأصل الطرف والجانب ، وقال الفراءوابن السكيت : (وحروف المعجم كلها مؤنثة ، وجوّزوا التذكير في الألف ، والحرف عند النحاة أي في

---

[1] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص 211

[2] – المصدر نفسه، ص211

[3]– القاموس المحيط ، الفيروز ابادي ، إشراف نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع ،ط8(2005-1426) ص799 وانظر تاج اللغة وصحاح العربية ،أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ،ط4،دار العلم للملايين ،ج4 /ص 1342

اصطلاحهم ، ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وما سواه من الحدود فاسد .ومن المحكم الحرف : الأداة التي تسمى الرابطة ، لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل ، ك:عن وعلى ، ونحوهما[1] .

اصطلاحا : يكاد ينعقد الإجماع بين النحاة على تعريفهم لمصطلح الحرف ،وأدق تعريف نلتمسه تعريف سيبويه : إذ يقول : فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولافعل. ويضيف : إلى ذلك أن ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل نحو ثم وسوف وواو القسم[2] .

وعدّ الفارابي الحروف دوالا على المعاني وأبو يعلى الفارسي الذي ذكر أن الحرف ماجاء لمعنى في غيره .والشريف الجرجاني الذي عرفه على أنه ما دل على معنى في غيره والحرف الأصلي ما ثبت في تصاريف الكلمة ، وحرف الجر ما وضع في فضاء الفعل أو معناه إلى ما يليه : نحو مررت بزيد وأنا مار بزيد .

أما من الناحية الفيزيائية فإن الحرف هو الصورة السمعية للمسموع .فالحرف هو كيفية تعرض الصوت بها يمتاز الصوت عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميزا في المسموع لا يقال عروض الكيفية للصوت يستلزم قيام العرض بالعرض لأنّا نقول : اللام في الصوت لأجل التبعية ، فالمعنى أن الحرف كيفية تعرض للجسم بتبعية الصوت فلا يلزم ما ذكر "[3]

ويبدو أن الرافعي لم يبتعد كثيرا عن هذا المعنى إذ يذهب مذاهب القدماء في رؤيته المعاصرة : أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي وأن هذا الانفعال بطبيعته انما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مدا أو غنة أو لينا أو شدة ويضيف :وقد كان منطق

---

[1] – لكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ، مطبعة الخانجي ،ط3 (1988-1408) ، ج1 ،ص12

[2] – التعريفات ، الشريف الجرجاني ، ص 85

[3] – التعريفات ، الشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، ص868

القوم يجري على أصل من تحقيق الحروف وتفخيمها ولكن أصوات الحرف إنما تنزل منزل النبرات الموسيقية المرسلة وجملتها كيف اتفقت ، فلا بد لها مع ذلك من نوع في التركيب وجهه من التأليف حتى يمازج بعضها بعضا ، ويتألف منها شيء مع شيء فتتداخل خواصها وتجتمع صفاتها ، ويكون منها اللحن الموسيقي ولا يكون إلا من الترتيب الصوتي الذي يثير بعضه بعضا على نسب معلومة وترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده [1]

تظهر أهمية كلام الرافعي في هذا المقام عندما نرجع إلى قصائد الشعراء القدماء منهم والمحدثين لتنشد ضالتك من الإشباع الذوقي لكمال وتناسق المعاني والألحان ، ولا تتوقف جودة النظم في تأثيرها على النفس من انطباع دهشة الصورة في خيال المتلقي وانعكاسها على روحه ، لأن هذا لا يعتبر كافيا غالبا .

إن وقع الحروف وتناسبها مع وضع الكلمات إضافة إلى وقع هذه الموسيقى متكاملة هو ما يترك هذا التفاوت في ذوق المتلقي للفن الأدبي وهو ما يفشل فيه الشعراء غالبا وأهل الغناء أيضا والطرب إذ تجدهم يحاولون وفي غمرة تلك المحاولات يتجلى عجزهم ويتعرى النقص الذي يفهمون دواعيه وأسبابه على ما بذلوه من جادة الجهد .وكانت الذائقة العربية تجتهد لبلوغ هذا المرام ولكن أركصت راياتها ونكست بعد بلاغة القرآن وجودة بيانه .فوجدته في نصوص القرآن ولم تجده في غيره على اختلاف الأدوات وتطورها الفني وتأثرها تارة بالفلسفة وعلوم المنطق وامتزاج ثقافتها ومشاربها لكن يبقى القرآن يتسم بذلك الكمال الذي لم يبلغه أحد ولن يبلغه.

[1] – اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ، 213-214

من هذا المنطلق أسس الرافعي لقاعدة الإعجاز واعتبر الحرف أحد أهم عناصره ونبه الى أهميته بما أنه قوام الفصاحة العربية في أسبابها اللسانية[1] .

كما نبه الى أهمية حروف القرآن من حيث مخارجها الصوتية في تعديل ما رآه الرافعي معوجا لألسنة القوم وما إتسمت به حسب وصفه من استخفاف واستثقال ولين في حرف وجسأة في حرف آخر وبين نظم مؤتلف ونظم مختلف .وهو ما بنى عليه نظرية الاستهواء الصوتي التي في جدّة بنائها بدأها قدماء قبله كالجرجاني والباقلاّني وكذا الرماني .

ثانيا : الاستهواء الصوتي :

ويعني بها تلك الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن ،إذ تعتبر صورا تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى وهي متفقة مع آياتها في **قرار الصوت** [2] إتفاقا بلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه .

بما أن مادة الصوت في نظره هي مظهر الانفعال النفسي ، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته إنمّا هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مدا أو غنّة أو شدّة [3]

وإذا كان الجرجاني قد بدأ في نظرية النظم من التركيب ، ولم يدخل اللفظة في إعجاز القرآن ، فإن الرافعي قد بدأ بداية معاكسة ، بل أوغل فلم يبدأ من الكلمة في القرآن بل من الحرف [4]

---

[1] – أنظر : الصناعتين ، المصدر نفسه ، ص 34 وما بعدها

[2] – مصطلح يعرف في علم الموسيقى ويعني به :انخفاض في عدد اهتزاز نبرات الصوت ، ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة.

[3] – اعجاز القران والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص215

[4]– علوم القرآن الكريم ، نور الدين العتر ص210 وانظر لنفس المؤلف كتابه القرآن الكريم والدراسات الأدبية : ص261

وقد ظهرت هذه النظرية على يد الكاتب في وقت اشتدّت فيه سواعد الفنون ، وشغلت المسارح حيزا بارزا في كيان الثقافة العربية مما جعل عنصر النغم والموسيقى يظهر في الفن كعنصر مشارك للأدب في تحقيق هدفه بالنغم الملائم في الحوار وأحداث المسرحيات .

و إلى ذلك يشير القاضي الباقلاّني في بيان تميز الكلمة من القرآن عن غيرها من سائر الكلام إذ تذكر في تضاعيف الكلام أو تقذف بين شعر فتأخذها الأسماع وتشوق إليها النفوس ، ويبي وجه رونقها باديا غامرا سائر ما تقرن به ، كالدرة ترى في سلك من الخرز فذلك وجه عنده يشهد ببراعة النظم تجعل القرآن معجزا [1]

2- عناصر الاستهواء الصوتي :

1- ذروة الموسيقى القرآنية عند الرافعي :

ثمّة أمران لتبلغ الموسيقى في الكلام ذروتها ، وتحقق أثرها :

❖ **الأول** : طبيعة الكلمة النابعة من صوت النفس ، وهو الصوت الموسيقي الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها ، ومواقع ذلك من تركيب الكلام.

ويعد الإيقاع صورة للتناسق الفني في القرآن الكريم وآية من آيات إعجازه المتجلي في أسلوبه المتميز ، فالقرآن يحوي إيقاعا موسيقيا يؤدي وظائف جمالية رفيعة ، والجمال الصوتي هو أول ما التَقَطَته الأسماع العربية ، ويظهر هذا الجمال في انتظام الحروف ووقعها وترتيب الكلمات ، وعرض المشاهد المتنوعة ، والتجارب المختلفة ، كما لو أنها حية تراها العين .

[1] -الباقلاني وكتابه إعجاز القران ، عبد الرءوف مخلوف ، ص187

❖ **الثاني** : وهو موقع الكلمة من الكلام صرفيا ، وصوتيا ودلاليا مع تركيب الحروف ، والكلمات بنسق حتى يستجمع بها الكلام أسباب الاتصال بين الألفاظ ومعانيها .

إن الذروة في الايقاع إنما تكون في النظم ، وبمجموع الحروف ، والكلمات والحركات الدائرة في القرآن ، سواءا كان ذلك في اتحادها وتماثلها أو في انسجامها وتوازنها[1] .

وإلى ذلك يذهب فضيلة الشيخ الدكتور نو الدين العتر بقوله أن جوهر تأليف القرآن الصوتي يكمن في نظم حروفه ورصفها وترتيب أوضاعها : هذا ينقر وهذا يصفر وثالث يهمس ورابع يجهر وآخر حرف استعلاء وغيره حرف شدة أو رخاوة وهكذا ترى الجمال اللغوي ماثلا أمامك في هذا التناغم الموسيقي المعجز[2] .

وعن تأثير القرآن من خلال وقع حروفه وتناغم ايقاعه على سمع العالم والجاهل على حد سواء يثبت الرافعي نظرية إعجاز الحرف والاستهواء الصوتي : والجاهل الذي يقرأ ولا يثبت معه من الكلام إلا أصوات الحروف ، و ما يميزه من أجراسها على مقدار ما يكون من صفاء حسّه ورقة نفسه وهو لعمر الله أمر يوسع فكر العاقل ويملأ صدر المفكر ولا نرى جهة تعليله ولا نصحح منه تفسيرا إلا ما قدمنا من إعجاز النظم بخصائصه الموسيقية .

ولعلك تلاحظ سيدي القارئ أن جوهر نظرية الرافعي الاعجازية يدور بين ثلاثة محاور رئيسية : النظم ،الجرس الصوتي ، الايقاع .

---

[1] – د.كمال غنيم ورائد الداية ، جماليات الموسيقى في النص القرآني ، مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية ، المجلد /20عدد2/ يونيو 2012/ص7

[2] – علوم القرآن الكريم ، د.نور الدين العتر ، مطبعة الصباح ، دمشق ،ط1/ ص210

والموسيقى لفظ يوناني يطلق على فنون العزف على آلات الطرب ، وعلم الموسيقى علم يبحث فيه عن أصول النغم من حيث تأتلف أو تتنافر وأقوال الأزمنة المتخللة بينها ، ليعلم كيف يؤلف اللحن[1] .

والموسيقى اصطلاحا : الايقاع في النص الأدبي الناتج عن اختيار الحروف وتآلف العبارات ، وأنغام الاوزان ولقوافي وحروف الروي[2] .

ولا فرق بين الايقاع والموسيقى اذ درجت هذه المصطلحات على ألسن علماء اللغة .فإذا كان جمال بيان الشعر يتأتى من المعنى اللطيف واللفظ الحلو العذب ، والوزن المعتدل ، وإذا ما أمعنا البحث في المنظومة العربية الأدبية التراثية ، فإننا نجدها متوقفة في معظمها *على إبداعات* فنية يكتنفها الإيقاع المنغم بالموسيقى والألحان ، وقد تمثل هذا بداية بالحداء .والنغم القرآني عند الرافعي وجرسه تجده في إئتلاف الفواصل وتناسبها.

2– الفواصل التي تنتهي بها الآيات :

أ– تعريف الفاصلة :

جاء في تهذيب اللغة : أواخر الآيات في كتاب الله فواصل ، بمنزلة قوافي الشعر واحدتها فاصلة ، وقول الله عزّ وجل : (الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [3] له معنيان :

1– تفصل آياته بالفواصل

2–فصلناه ، بيّنّاه ، وقوله عز وجل :"آيات مفصلات " بين كل آيتين مهلة [4]

---

[1] – الصحاح في اللغة والعلوم ، العلايلي ،ج2 ، ص520

[2] – تهذيب اللغة ، الأزهري ، تحقيق محمد عوض مرعب ،ج1،ص219

[3] – الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ،ج3،ص 332

[4] – الصحاح في اللغة والعلوم ،العلايلي ،ج2،ص 520

وينسب السيوطي الى الجاحظ قوله :" سمّى الله تعالى كتابه إسما مخالفا لما يسمى به العرب كلامهم على الجملة والتفصيل ، سمى جملة قرآنا كما سمّوا ديوانا ، وبعضه سورة كقصيدة وبعضه آية كالبيت وآخرها فاصلة كقافية .

وعرّف الفاصلة : كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع وقال القاضي أبو بكر الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني ، وفرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي ، فقال الفاصلة هي الكلام المنفصل قد يكون رأس آي وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية [1]

ويعتبر الرافعي أن الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن ما هي الا صور للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى "وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق .

3- خصائص موسيقى الفواصل القرآنية :

- حرف النون والميم :

- حرف النون : هو من الحروف المجهورة كما جاء في تاج العروس ، ومن حروف الذّلق

- حرف الميم : أما الميم من الحروف الشفوية ، ومن الحروف المجهورة ، وكان الخليل يسمي الميم مطلقة[2] .

يحدثنا محمد زرزور عن أهمية هذين الحرفين في الإحكام اللفظي أو النظم الموسيقي :"أما الأحكام اللفظي أو النظم الموسيقي فإن دور الفاصلة فيه شديد الوضوح ،حتى إنّ هذه الفواصل أكثر ما تنتهي بالنون والميم ، وحروف المد واللين .وتلك هي الحروف الطبيعية في

[1] -تهذيب اللغة ، الأزهري ، تحقيق محمد عوض مرعب ،ج1،ص219

[2] -الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ،ج3، ص332 .

الموسيقى اللغوية وقد أشار إلى كتاب سيبويه مؤيدا رأيه:"أما إذا ترنموا – أي العرب فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ، ما ينون وما لاينوّن ، لأنهم أرادوا مدّ الصوت .

وقال : إذا أنشدوا ولم يترنموا فأهل الحجاز يدعون القوافي على حالها في الترنّم : وناس من بني تميم يبدلون مكان المدة النون [1].

ويبدو أن الإمام الرافعي قد نحى منحى الرماني في باب التلاؤم وبيان فائدته ما جاء في السفر القيم لعبد العزيز عبد المعطي عرفة ، ما مفاده :"أنه يقصد من فائدة التلاؤم القشرة السطحية للقرآن الكريم وهي الناحية الموسيقية من حيث ترتيب سكناته وحركاته في صورة ترتاح لها النفس وتتقبلها الأذن، وهذه الناحية مع حسنها وبلوغ القرآن فيها حد الإعجاز إلا أنها لا تقوم به كاملا .[2]

وقد كثر في القرآن الكريم ختم القرآن بحروف المد واللّين ، وإلحاق النون وفق الطبيعة الإيقاعية للقرآن الكريم ، ولذلك كان ورود حرف المد كثيرا في القرآن الكريم ، مبينا عن السرّ الصوتي المتجلي في فواصل الآيات القرآنية[3]

وإن كان اقتصار الرافعي في هذا على التنظير دون التمثيل يمكن الاستشهاد في هذا المقام ببعض الأمثلة لبيان نظريته .

– سورة الرحمن نموذجا :

وردت الألف مقترنة بالنون بشكل كبير في هذه السورة من خلال فواصلها ترى قوله تعالى:(ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ ٥) ترى في كلا الموضعين تحديد للصوت بما يحقق الترنم .

---

[1] – نفس المصدر السابق ،ج1 ،ص143

[2] – قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية ،د عبد العزيز عبد المعطي عرفة

[3] – الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط3(1988-1408) ،مكتبة الخانجي –القاهرة ، ج4،ص 204

- أما صوت الميم فله تميزه أيضا في الفواصل القرآنية بما يفيد الاستهواء الصوتي وصوت الميم صوت يتميز بالجهر وبالوضوح السمعي وأنه أنفي مرقق ، ويتشابه مع الواو والياء المدّيتين وهذه الصفة الصوتية تجعل من فاصلة الميم للآيات القرآنية التي التزمت بها ، فاصلة تلائم الموقع والموقف والمناسبة التي وضعت فيها ، إذ نجده في سورة الانفطار قد تناسبت ويجعل الرافعي سر التباين بين القرآن وسائر الكلام في ذلك الأثر الذي يتركه على المتلقي سواء كان عالما قادرا على تبين مواطن الجمال البلاغي وتركيب الحروف ، أو جاهلا فلا يتقن من القراءة الا ما يقع في روعه من أصوات تلك الحروف وإيقاعها.

فلا تمل النفس طول التكرار ولا تجده إلا وكأن اللفظة المكررة غضة الطرية في أناقة تركيبها ويوضح الرافعي ذلك بقوله : " ولا نرى جهة تعليله ولا نصحح منه تفسيرا الا ما قدمنا من إعجاز النظم بخصائصه الموسيقية ، وتساوق هذه الحروف على أصول مضبوطة من بلاغة النغم : بالهمس ،الجهر القلقلة ،الصفير ، المد ،الغنة ، ونحوها واختلاف ذلك في الآيات ، بسطا وإيجازا ، وابتداء وردا ، وإفرادا وتكريرا .إذا أسس إعجاز الحرف من حيث إيقاعه تدور حول ثلاث محاور جوهرية : التكرار ،التلاؤم ، الجرس الموسيقي [1]

- هل في القرآن سجع :

نفى أكثر العلماء السجع عن القرآن كما رأينا ، الرماني والباقلاّني والجرجاني وغيرهم كثير ، وما تحدث عنه الرافعي في هذا الفصل ليس له علاقة بالسجع .

يقول القاضي الباقلاني مستشهدا بجملة من الأدلة التي تثبت أن القرآن نوع منفرد في الجمال الأدبي ، فالسجع عنده : أن يأتي في الكلام بفقر تتساوى في الوزن وتتماثل في مقاطع الفصول :"قد علمنا أن بعض ما يدعونه سجعا متقارب الفواصل متداني المقاطع ،

[1] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص 218

وبعضه مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه ، وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير ، وهذا السجع غير مرضي ولا محمود ،فإن قيل : متى خرج السجع المعتدل الى نحو ما ذكرتموه خرج من أن يكون سجعا ، وليس على المتكلم أن يكون كلامه كله سجعا ، بل يأتي به طورا ثم يعدل عنه إلى غيره ،قيل : متى وقع أحد مصراعي البيت مخالفا للآخر كان تخليطا وخبطا [1].

ويرى الباقلاني أيضا أن التماثل في الوزن والصوت الأخير من الفقرتين أو الفقر ، شرط عنده في السجع ،وإذا لم يتحقق ذلك فإنّه لا يكون سجعا وينتهي محقق الكتاب إلى الجرم بأن التوسع في السجع بالمغايرة في الوزن وفي الفاصلة ، وبالتنقل من وزن إلى وزن آخر ومن فاصلة ذات جرس إلى أخرى ذات جرس مغاير ، هو سر الجمال في موسيقى القرآن وسرّ عدم الملل من ترداده أو السأم لتكراره [2]

يتضح من الكلام أن القاضي قد حاد عن جادّة الصّواب في تعريفه وحده لموضوع السجع ، والجمال الإيقاعي لجرس الفاصلة وتكرار وقعها .

لا غرو إذ أن الرافعي ينتهج منهج الباقلاني على انتقاده له كما رأينا في بداية البحث ، الا أنه يختلف عنه في جدة الطرح ، وكذا ما تعرّض له الباقلاني من نقد بسبب عدم ضبط معنى السجع والفرق بين أثره الموسيقى في الشعر وأثره في إيقاع الفواصل القرآنية .

بينما الرّافعي يضبط ذلك بقوله :" هذا على أنه ترسيل واتساق وتطويل ، لا يضبط بحركات وسكنات كأوزان الشعر فتجعل له بطبيعتها صفة من النظم الموسيقي ، ولا يخرج على مقاطع الكلمات التي تجري فيها الألحان وضروب النغم [3]

---

[1] –الباقلاني وكتابه اعجاز القرآن ، عبد الرؤوف مخلوف ، ص221

[2] – نفس المصدر السابق ، ص 223

[3] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،الرافعي ص 218

انطلق الرافعي كما رأيت سيدي القارئ ، في حديثه عن الإعجاز من الحروف وأصواتها ، ومدار ذلك :الحركة الصرفية واللغوية القرآنية المشتملة على تلك الحروف .ويمكننا القول أن عماد حديثه عن إعجاز النظم الموسيقي يعود بالدرجة الأولى على الألفاظ وعلى الجانب الصوتي منها على وجه الخصوص .[1]

ثم يأتي بعد هذا الفصل الماتع ليحدثنا عن جانب آخر من جوانب إعجاز القرآن ، عن الكلمة ومكانها من الجملة ووجه الإعجاز فيها وتأثيرها النفسي بسبب من موسيقاها وإيقاعها ، ووجه الاختلاف في رحلته بنا هذه المرة أنه خرج من التنظير إلى التطبيق ، فوجدته يستشهد هذه المرة بالأمثلة التطبيقية ليثبت نظريته .

ثانيا – الكلمات وحروفها :

1-**تعريف الكلمة** : جاء في شرح ابن عقيل أن الكلام المصطلح عليه عند النحاة :هو اللفظ المفيد فائدة يحسن السّكوت عليها واللّفظ جنس يشمل الكلمة والكلِم ويَشمل المهمَل ك : ديز والمستعمل : كعمرو

وَعندهم لفظٌ وضع لِمَعْنى مُفْرد.

وَعند المنطقيين مرادف للْفِعْل يَعْنِي كلمة دلّت على معنى فِي نَفسهَا مقترن بِأحد الْأَزْمِنَة الثَّلَاثَة ،الْكَلَام اللَّفْظِيّ: هُوَ الْمركب من الْأَلْفَاظ والحروف الدَّالَّة على معنى فِي نفس الْمُتَكَلّم.

الْكَلَام النَّفْسِيّ: هُوَ معنى فِي نفس الْمُتَكَلّم يدل عَلَيْهِ بالعبارة أَو الْكِتَابَة أَو الْإِشَارَة.وَقِيلَ: الكَلَام مَا كَانَ مُكْتَفِياً بِنَفْسِهِ وَهُوَ الْجُمْلَةُ، وَالْقَوْلُ مَا لَمْ يَكُنْ مُكْتَفِيًا بِنَفْسِهِ، وَهُوَ الجُزْء مِنَ الْجُمْلَةِ. وَقَدْ قَالَ سِيبَوَيْهِ: هَذَا بَابُ أَقل مَا يكون عليه الكَلِم، فذكر هناك

[1] – مباحث في إعجاز القرآن ،د.مصطفى مسلم ، ص102

حَرْفَ الْعَطْفِ وَفَاءَهُ وَلَامَ الِابْتِدَاءِ وَهَمْزَةَ الِاسْتِفْهَامِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَسَمَّى كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ ذَلِكَ كَلِمَة. وقال الْجَوهَرِي: الكَلَام اسْمُ جِنْسٍ يَقَعُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ[1]

واللفظ هو:الصوت المتقطع من اللسان المشتمل على بعض الحروف الهجائية ، وهو اسم جنس يشمل الكلام والكلمة والكلم .

ويقوم بناء الكلمة في اللغات السامية بمجموع الصوامت التي تكون كل مادّة وأكثر الكلمات في اللغات

السامية تتكون من مادة ثلاثية ن وقد عبر النحاة العرب عن هذه الصوامت بالفاء والعين واللام ، وتقوم فكرة الميزان الصرفي على أساس التمييز بين الحروف الأصول الممثّلة في الميزان الصرفي وبين ما يطرأ على الكلمة المفردة من تغيير بالإضافة أو الحذف [2].وبعد هذا التأصيل أردت الوقوف على ما فهمه الرافعي من الكلمة القرآنية .

2– الكلمة القرآنية عند الرافعي :هي صوت النفس : لأنها تلبس قطعة من المعنى فتختص به على وجه المناسبة ، قد لحظته النفس فيها من أصل الوضع حين فصلت الكلمة هذا التركيب[3] .

3–تعريف الصوت : (صاتَ يَصُوتُ) ، كقالَ يَقولُ. (و) صاتَ (يَصَاتُ) ، كخاف يَخافُ، صَوْتاً، فيهمَا، فَهُوَ صائتٌ، أَي: صائحٌ. والصَّوْتُ: الجَرْسُ، معروفٌ، مُذكَّر؛ وَقَالَ ابنُ السِّكِّيت: الصَّوْتُ: صَوتُ الإِنسانِ وغيرِه. والصّائتُ: الصّائح[1]

---

[1] – لسان العرب ، ابن منظور ، ج13،ص523 وانظر أيضا شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار التراث ط20، ص16، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس الرازي،ص47،وأساس البلاغة للزمخشري ، مادة ك ل م ، ج2/ص1

[2] –إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ،ص 220

[3] –علم اللغة العربية ، د.محمود فهمي حجازي ، دار غريب للطباعة والنشر ، ص142

4- عناصر بلاغة الصوت في الكلمة القرآنية :

و نسق الكلم البليغ عنده من ثلاثة أصوات ، صوت النفس ، وصوت العقل ، وصوت الحس

1-**صوت النفس** [2]: ويقصد به الصوت الموسيقي الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوقة ، وعلى نضد متساوٍ إذ تكون الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله الى النفس إن وقف عندها هذا المعنى قطع به .

2- **صوت العقل** :

وهو الصوت المعنوي الذي يكون من لطائف التركيب في جملة الكلام ومن الوجوه البيانية التي يداور بها المعنى ، لا يخطىء طريق النفس من أي الجهات انتهى إليها .

3-**صوت الحس** :

ويكون من دقة التصور المعنوي ، والإبداع في تلوين الخطاب ، ومجاذبة النفس مرة ، وموادعتها مرة واستيلائه على محضها بما يورد عليها من وجوه البيان .

ثم يضيف الكاتب مؤكّدا أنه على مقدار ما يكون في الكلام البليغ من هذا الصوت يكون فيه من روح البلاغة ، فإن خرج مما وقفت عنده الطباع النفسية ، فلم يكن في بعض

---

[1] – تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزَّبيدي، ج4،ص 597

[2] – وهو ما يعرف بالإيحاء في العصر الحديث ويقصد به : تجاوز الدلالة اللغوية والمعنى المعجمي للكلمة إلى معان ودلالات جديدة ومصادره قائمة على تصوير الإحساس بما يحتمل به من لحظة خاصة كالفرح والحزن ...الخ وعلاقة ذلك بثقافة الشاعر فكريا ولغويا وكذا إثارة جرس الكلمة : الإيقاع دلالات شعورية ونفسية ،انظر : التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني ،دراسة بلاغية ، أطروحة دكتوراه ، إعداد الطالبة :جنان منصور كاظم الجبوري ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية (ابن رشد)جامعة بغداد (2005-1426م) ص123

الكلام مقدارا معينا تحسه في جهة وتفقده في جهة ويشبه كل ذلك بألفاظ لخلقة النفس في دقة التركيب وإعجاز الصنعة ومؤاتاة الطبيعة وهنا تكمن روح الإعجاز برأيه .

ويعد هذا الصوت من أبلغ الاصوات شأنا إذ خلت لغة العرب في لسانهم من صريحه وانفرد به القرآن الكريم وهذا ما يجعلك وأنت تقرأ القرآن الكريم تجد من حروفه وأصواتها وحركاتها ومواقع كلماتها وطريقة نظمها ومداورتها للمعنى بأنه كلام يخرج من نفسك وبأن هذه النّفس قد ذهبت مع التلاوة أصواتا واستحال كلّ ما فيها من قوّة الفكر والحسّ إليها وجرى فيها مجرى البيان ، فصرت كأنك على الحقيقة مطويّ في لسانك[1]

وعلى هذا يعقب الدكتور محمود توفيق عد بقوله في هامش كتابه : " (كلامٌ يخرج من نفسك) وما بعده فيه من الإبهام كان يجمُل بالرافعي أن يزيله ، وقد تشغل النفس بغرابة منطق الرافعي ونسق بيانه ، فلا تلتفت الى ما ينبغي ان يحمله القلب من هذا الكلام "[2]

ويعزو الدكتور سبب غموضه الى قصور الفهم ، وعلو شأن الرافعي علميا وفكريا وبلاغيا ن ما يجعل رواد دراسة تراثه ضآلا مقارنة بعمق فكره .

وأظن ظنا أعتقد أنه الصواب لأنه يستند إلى الأسباب التي ذكرها المؤلف نفسه في مستهل سفره ، ومنهجه الذي اعتمده ، أنه أراد من قارئي الكتاب أن يجدوا فيه مفاتيح يُعملون فيها جادة فكرهم واجتهادهم لبلوغ القصد وفهم كتاب الله كما فهمه الإمام .وأظنه الرأي الصواب والله بما تخفي الصدور أدرى وأعلم .

إلا أنني لا أختلف مع فضيلة الدكتور عبد الكريم الخطيب [1]ولا الدكتور محمود توفيق سعد[2] او الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، كون المبحث الذي طرقه والمصطلحات التي أرادها لم أفهمها تمام الفهم ، ولم أجد من أشار إليها من القدماء والمحدثين .

---

[1]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،الرافعي ، ص222-223

[2]- العزف على أنوار الذكر ، محمود سعد ،241

" وكأني بالذي يحدثنا عنه الرافعي من صوت الحس : أمر غائم في نفسه هو لم يتبين له تبينا بعينه على أن يتبينه لنا بيانا يقينا ظلمة التحير "[3]

وانظر إلى فضيلة الشيخ د .فضل عباس يحدثنا عن المسألة قائلا : "فأما صوت الحس وهو تقدير الكلمات تقديرا محكما لمعانيها بحيث لا تجد كلمة فضفاضة تزيد عن المعنى الذي جيئت من أجله وأخرى لا تعبر على المعنى تعبيرا تامّا وهذا ما لا نجده في شعر أو نثر [4].

4- الحروف والحركات الصرفية واللغوية عند الرافعي :

ترى في كلام الرافعي بسط لأبعاد نظرية النظم عند الجرجاني وكأن بينهما تخاطر لا يفصل بينهما الا تلك المسافة الزمنية ، ورأي الرماني في موضع الكلمة ومناسبتها ، بل هي مدّ لها وإحاطة لما منه يكون البيان في مبناه ومعناه .

إذ ينتهي عند قوله مقررا : " الى أنك لو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة ، فيهيئ بعضها لبعض ويساند بعضا ولن نجدها الا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي حتى وإن الحركة كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان فلا تعذب ، ولا تساغ وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنا عجيبا ، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقا في اللسان واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي

---

[1] – نفس المصدر السابق ، ص 242

[2] – إعجاز القران الكريم في دراسات السابقين ،ص 200

[3] –العزف على أنوار الذكر .محمود توفيق محمد سعد المرجع نفسه .ص241 –

[4] – إعجاز القران الكريم ،د فضل عباس ،ص226-227

حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيئ ، وأرقه وجاءت متمكنة في موضعها وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة .[1]

ولألفاظ القرآن من حيث تركيبها وطريقة استعمالها كأنها فوق اللغة ، إذ ترتفع الى أنواع أسمى من الدلالة اللغوية أو البيانية التي هي طبيعة فيها ، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم ، وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللغة .

فلا أحد من البلغاء ولو اجتمعت له أسباب الفصاحة العربية لا تتفق له فصاحة كفصاحة القرآن ولو اجتمعت له ألفاظه ، وإن إتفقت نفس هذه الألفاظ بحروفها ومعانيها [2]

وهذا يفيدنا الى أن الكلمات لا تتسم في وجودها الانفرادي بقبح أو حسن أو ثقل أو خفّة ، فتلك صفات تكتسبها من وجودها الاجتماعي، فهي أشبه بنعت التقوى في الإنسان لا سبيل الى نعته به مفردا عن قومهم محجوزا عن الترابط بأمور حياتهم .فإقامة الكلمة مقامها الآنس بها يحجز النفس عن أن ترى فيها ثقلا او نفرة بل ترى ما فيها من حروفه مبعث أنس بها ، وهذا لايكون من الكلمة نفسها وإنما مما يصنعه المتكلم بها إذ يقيم من قبلها ما يوطئ لها السبيل الى مقامها الشريف ، فتتناغى أصوات مبناها مع ما قبلها وما بعدها مثلما يتآخى معناها مع معنى جاراتها وأخواتها.

المفردات في اللغة تشكل حركة عضوية صوتية ترمز الى شيء حقيقي وضعي ، وأما المفردات في السياق فهي عبارة عن تعانق اللغة والفكر لتوليد رموز جديدة .

فلا بدّ إذن من وجود صلة بين اللّفظ الذي هو صوت ، وما يدلّ عليه من المعنى : يقول ابن جنّي (395هـ) :وإنّما جُعلت الألفاظ أدلّة على إثبات معانيها لا على سلبها "[1]

[1] – اعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية ، الرافعي ،ص226

[2] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ،ص 225

فالألفاظ عبارة عن أصوات تكتسب دلالتها من جرس أصواتها فينشأ ما يسمى بالدلالة الصوتية التي تعتمد على طبيعة الأصوات في نغمها وجرسها : يقول الجاحظ : هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوحد التأليف ، لن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا الا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاما الا بالتقطيع والتأليف .

5- الطريقة التي انفرد بها النظم عند الرافعي :

على خلاف المباحث السابقة نجد الرافعي هنا ينتهج منهجا آخر ويختار ان يجعل لنظريته جانبا تطبيقيا وذلك بالاستشهاد بجملة من الشواهد القرآنية بيانا لعناصر الاعجاز في روح التركيب (صوت النفس ، صوت العقل ، صوت الحس)

ا- سورة القمر : قال تعالى : (وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۚ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝)والنذر هنا مصدر معناه : فكيف كان إنذاري ومثله عذرا ونذرا كما قال الى شيء نكر فثقل[2] . ثم يضرب لذلك مثالا من لفظة النذر " جمع نذير ، فإنّ الضّمّة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معا فضلا عن جسأة هذا الحرف ، وخاصّة إذا جاء فاصلة للكلام .

ويوجه المؤلف أسماعنا الى نبض كل حرف في القرآن وكأنه كما قال سعد زغلول عنه تنزيل من التنزيل : فمن خصائص الايقاع في هذه الاية أن الأصل أن توالي الضمة على النون والذّال تترك ثقلا ، خاصة إذا جاء فاصلة للكلام ، فتأملنا للتركيب في قوله تعالى : وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦ فإن مواضع القلقلة في دال لقد وطاء بطشتنا

---

[1] – الخصائص ، ابن جني ،ج3،ص100

[2] – معاني القرآن ، الفرّاء ،ج3،ص107

المتوالية فيما وراء الطاء والتاء الى واو تماروا ،مع الفصل بالمد ، وكأنها ميزان ينظم تتابع الفتحات ، حتى يكون ثقل الضمة مستخفا .

ويواصل منتشيا : " ثم ردد نظرك في الرّاء من تماروا فإنّهما ما جاءتا الى مسندة لراء النُّذُر حتى إذا انتهى اللّسان الى هذه انتهى اليها من مثلها [1]

6- الغنّة وتأثيرها الإيقاعي :

يأخذ العجب بأعطاف دهشة الرافعي وذلك من غنة سبقت حرف الطاء في نون "أنذرهم "وفي ميمها ، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في النُّذُر .

كما يضفي تكرار الصوت بعدا موسيقيا يكاد يكون مكوّنا للبنية الصوتية داخل التركيب اللساني ، ويمكن أن يقوم هذا التكرير على علاقة بين البنية الصوتية أو مجموعة من الفونيمات بصوت معين تحاكيه البنية محاكاة مباشرة أو غير مباشرة [2]وقد جاء عن "الزمخشري " فيما نقل عن كشافه القديم قوله: «لاتحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سردها، على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتآمه، فأما أن تهمل المعاني،ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه، فليس من قبيل البلاغة»[3]

---

[1] - اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي ، ص 228

[2]- نماذج من الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، دراسة دلالية ، د.دفة بلقاسم ن قسم الأدب العربي ،كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، جوان /2009 ص05

[3] - الكشاف ، الزمخشري ، ج5 ،ص274

وتكرار حرف الراء في النذر باعتباره من الأصوات الانفجارية فهو يؤلف صورا مشحونة بالعنف والشدّة غالبا ، ومن تلك الصور التكرارية هو يشبه أيضا تكراره في سورة النّازعات :"فإنّما هي زجرة واحدة،فإذا هم بالساهرة "[1]

7- طول المفردة القرآنية وأثرها :

سورة النور الآية 55: قال تعالى : وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ **لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ** ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ..... ٥٥ هي كلمة واحدة من عشرة أحرف وموضع الاعجاز فيها جاءت من تنوع مخارج الحروف ومن نظم حركاتها فإنّها بذلك صارت في النطق كأنها أربع كلمات

جاء في أحكام الجصاص :" وجد مخبره على ما أخبر فيه والدلالة على صحة إمامة الخلفاء "[2]وقوله عز وجل ليستخلفنهم في الأرض جاء باللام لأن معنى وعد وقال واحد والمعنى ليجعلنهم يخلفون من قبلهم وليمكنهم في دينهم وهو الاسلام .

وجاء في البرهان : قوله ليستخلفنهم تفسير للوعد ومبين له كقوله تعالى : : يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، فالجملة الثانية تبيين للوصية لا مفعول ثاني ولا يخفى عليك قول الألوسي ما بين الآيتين من المناسبة.[3]

وقد عاب ابن سنان الخفاجي ، طول الكلمات ولا يرجح جماله في القرآن بخلاف ابن الاثير ، الذي أشار الى أهمية جماليات المفردة الطويلة في القرآن ويستهجن ما جاء في بعض الشعر ، إذ يرى أن طول النَّفس في نطق معنى يسبب جهدا عضليا لأعضاء النطق يصحبه

---

[1] – اعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية،الرافعي ،229

[2] – –احكام القرآن ، الجصاص ، تحقيق محمد صادق القمحاوي ، دار إحياء التراث العربي ،ج 5 ،ص 191

[3] – روح المعاني ، الألوسي ، تحقيق عبد الباري عطية ، ط1، ج5 ، ص 148

ملل غي خفي والحقّ أن سماع كلمات القرآن ينفي هذا وإذا استطلعنا بعض الآيات الكريمة وجدنا مفردات ذات أحرف كثيرة مثل :

- نستدرجهم ، من قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون.
- و نلزمكموها في قوله تعالى : أنلزمكموها وأنتم لها كارهون .

وتلمّس ابن الأثير كالرافعي جمال هذه المفردات في القرآن ناسفا رأي ابن سنان الخفاجي ن وذلك من خلال ردّها الى الأصل الثلاثي ، وإذا طبقنا رأيه قلنا : إن الأصول الثلاثية هي صلب

وهو يختلف عن الرافعي في معيار الجماليات بالنسبة الى هذه المفردات فمعيار ابن الأثير صرفي لا علاقة له بقضية انسجام المقاطع الصوتية وسهولة نطق الاصوات ، فبعض القبح في الشعر كبيت المتنبي مثلا :

إنّ الكرام بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها [1]

فسويداواتها : من القبح في نفسها واستعمالها وليس السبب طولها ،يقول أحد الباحثين إن التطويل في المفردة الواحدة يزيد في زمن الصورة أمام العيون ، ويزيد أيضا من تأثيرها في النّفوس فطول الكلمة مقطعا وحروفا يوسع من دائرة الصورة مكانا وزمانا إذ أن الموسيقى فن تجميع النّغمات بطريقة تبعث السرور للأذن .

وترى الرافعي قد حلل تركيبها تحليلا فنيا صوتيا ضمن نظام العلاقات وأن الانتقال من البناء الشكلي للكلمة الى مضمونها ، تلاحظ أن هذا التكوين الصوتي في جسم الكلمة طولا وقصرا مرتبط بالمعاني والاغراض المراد تصويرها .

1- العرف الطيب في شرح ديوان أبو الطيب ، ناصيف اليازجي ، دار القلم ،دون سنة طبع ، دار القلم ،ص192

وقد يشتد الايقاع اللفظي ويقوى ، للايحاء بالمعنى الشديد كالتعبير عن يوم القيامة : الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة " .وكلّها ألفاظ شديدة تناسب في وقعها تناسب أهوال القيامة ،وقوة الجرس وشدته ، تلاحظها في بناء الكلمة الذي اعتمد على حرف ممدود بالألف : حا ، صا، طا " ثم إيقاع المد على حرف مشدد ، يقول الكاتب :" وهذا إنما هو الألفاظ المركبة التي ترجع عند تجريدها من المزيدات الى الأصول الثلاثية والرباعية ، أما أن تكون اللفظة خماسية فهذا لم يرد منه في القرآن الكريم شيء ، لأنه مما لا وجه للعذوبة فيه في الأصول"[1]

8-الاعجاز الايقاعي في غريب القرآن

:قال تعالى :(تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝)[2]

قيل ضيزى : ناقصة : ويقال جائزة : يقال ضازه إذا نقصه وضاز في الحكم إذا جار وضيزى وزنه فعلى كسرت ، الضاد للياء .وقال العكبري في التبيان ،أصله ضوزى مثل طوبى من كسر أولها فانقلبت الواو ياء ، وليست فعلى في الاصل .وقال الفراء: أن القرّاء جميعهم لم يهمزوا ضيزى ، وضيزى فُعْلى وإن رأيت أولها مكسورا فهي مثل قولهم بيض وعين ، كان أولها مضموما فكرهوا ذلك فكسروا أولها ليكون بالياء ويتالف الجمع والاثنان .

يقول الامام : وفي القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه وما حسنت في كلام قط الا في موقعها منه وهي كلمة ضيزى .

---

[1] -وظيفة الصورة الفنية في القرآن ،عبد السلام أحمد الراغب ،ط1،فصّلت للدراسات والترجمة والنشر ، ص390

[2] -سورة النجم / الاية 22-23

وأنت ترى أن سورة النجم جاءت كلها مفصلة على الياء ، وكلمة ضيزى جاءت فاصلة من الفواصل ، الكم الذكر وله الأنثى " وهي بذلك اشتملت على استفهام إنكاري ، والآية الثانية : تلك إذا قسمة ضيزى "إشتملت خاتمتها على التهكم وهما معنيان متناسبان أولهما كالمقدمة لثانيهما وتنقسم الى مقطعين :

أحدهما : مد ثقيل ، والآخر مدّ فيف وقد جاءت عقب غنتين في إذن وقسمة ، يقول :"فكأنها بذلك ليست الا مجاورة صوتية لتقطيع موسيقي [1]

وتأليف حروفها ، يترك اللفظة على غرابتها معنى حسي وفي تآلف أصواتها معنى مثله في النفس .

ثالثا: الجمل وكلماتها:

أ –تعريف الجملة :

الجملة فيما يفهم من كتب النحو هي اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عنده ، ويقول ابن جني : إن الكلام جنس للجمل التوأم مفردها ومثناها ومجموعها كما أن القيام جنس للمقومات مفردها ومثناها ومجموعها وكما يقول ايضا : الكلام كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل [2]

أما ابن هشام :"فالجملة عنده عبارة عن الفعل وفاعله ك: قام زيد والمبتدأ وخبره ك:: زيد قائم

[1]– اللمع في العربية ، ابن جنّي ، تحقيق فائز الفارس،دار الكتب الثقافية ،ص7وانظر أيضا شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، لابن هشام، تحقيق ، عبد الغني الدقي ، الشركة المتحدة للتوزيع ، ص23

[2] –إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص230

مفهوم الجملةعند الرافعي :

وتأتي ثالثة المراحل في دراسة الرافعي التطبيقية، وهي المرحلة الأخيرة من مراحل النظم عنده، والتي تتمثل في الجمل وكلماتها ويقدم الرافعي لتلك المرحلة بحديث عام عن الجملة فيشير إلى أنها هي مظهر الكلام، وهي الصورة النفسية للتأليف الطبيعي، إذ يحيل بها الإنسان هذه المادة المخلوقة في الطبيعة إلى معاني تصورها في نفسه، أو تصفها حتى ترى النفس هذه المادة المصورة وتحسه.

ثم يأخذ الرافعي في عرض مراتب النظم في الكلام البليغ حتى يصل إلى مرتبة النظم في القرآن الكريم قائلا: "فإذا بعد الكلام وأمعن حتى يكون بدقائق تركيبه وطرق تصويره كأنما يفيض النفس على الحواس إفاضة، ويترك هذا الإنسان من الإحساس به كأنه قلب كله، ثم يبلغ من ذلك إلى أن يكون روح لغة كاملة، وبيان أمرة برمتها لا يحيله الزمن عن موضعه، ولا يقلبه عن جهته، وإلى أن يجعل البلغاء على تفاوتهم فيما بينهم، وعلى اختلاف عصورهم وأسبابهم المتلاحقة، كأنهم معه طبقة واحدة وفي طوق واحد من العجز، يعنيهم طلبه، ويعنتهم إدراكه، ويعرفون تركيبه، ثم لا يجدون له مأتى من النفس ولا وجها من القدرة. فذلك هو الكلام المعجز.

وإنما اطرد ذلك للقرآن من جهة تركيبه الذي انتظم أسباب الإعجاز من الصوت في الحرف إلى الحرف في الكلمة إلى الكلمة في الجملة، حتى يكون الأمر مقدرا على تركيب الحواس النفسية في الإنسان تقديرا يطابق وضعها وقواها وتصرفها، وذلك إيجاد خلقي لا قبل للناس به، ولم يتهيأ إلا في هذه العربية على طريق المعجزة التي لا تكون معجزة حتى تخرق العادة وتفوت المألوف وتعجز الطوق"

أما عن هذا الوضع العجيب للألفاظ القرآنية في جملها إلى أن اكتملت الآيات كلها على هذا النمط من النظم فيقول الرافعي: "فأنت ما دمت في القرآن حتى تفرغ منه لا ترى غير صورة واحدة من الكمال وإن اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب ومواضع التأليف وألوان التصوير وأغراض الكلام، كأنها تفضي إليك جملة واحدة حتى تؤخذ بها .. وذلك أمر متحقق في القرآن: يقرأ الإنسان طائفة من آياته، فلا يلبث أن يعرف لها جهة من الحسن ترافد ما بعدها وتمده، لا تزال هذه الصفة في لسانه ولو استوعب القرآن كله على أن الرافعي بعد جهده في إبراز هذا النظم القرآني الذي يجري على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها، والذي يتجلى كذلك في تمكينه للمعنى بحس الكلمة وصفتها، ثم الافتتان فيه بوضعه من الكلام ... يقرر بعد هذا كله أن للنظم القرآني روحا خاصا انفرد به وجعل له ذلك الطابع الذي إذا التمس في غير القرآن

خصائص الجملة القرآنية :

1-قوة التأثير : يقول الكاتب : "فإذا ارتفع الكلام الى أن يصير في تقليبه ومداورته كأن طرق ما بين الحواس في أنواع إدراكها وبين النفس فلا يخطئ[1]

2-دقة التركيب وطرق التصوير : تتضمن الجملة القرآنية عند الرافعي ؛ كونه معجزة تبلغ إلى أن تكون وحدة متكاملة ، إذ تختلف ألفاظ الجملة الواحدة ولا تراها الا متفقة ، وتفترق ولا تراها إلا مجتمعة

3- روح التركيب : إنّ لكل سورة من سور القرآن مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها ويستدلّ عليه أوّلها وآخرها ويستدلّ عليها فيها على ما جاء في نظم الدرر ، إذ ترتب المقدّمات الدالة عليها على أتقن وجه وأبدع نهج ، فالسورة في تناسب جملها وآياتها

[1] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي ،ص237

ونجومها ومعاقدها ، تشبه الشجرة والتي يسري فيهاكلها عصارة واحدة فلا تختلف طعومها ولا رائحتها ، فالمقصد الكلّي للسورة في تناسقها وتلاؤم جملها هو الروح المهيمن على جميع عناصر السورة بدأ من الكلمة في أصغر صورها وانتهاء إلى المعقد ذي الآيات العدة في أكبر صوره وهذا ما ترى به كل عنصر معتمدا في أدائه رسالته الكلية على بقيّة العناصر كلّها ومتعاونا معها تعاونا لا تغفل عنه البصيرة " والتي لم تُعرف قط في كلام عربي غير القرآن الكريم وبها انفرد نظمه ، وخرج مما يطيقه النّاس ولولاها لم يكن بحيث هو كأنّما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت

وبهذه الروح يتحقق التمازج بين السياقين الكليين للقرآن الكريم ، السياق التشريعي ، والسياق التثقيفي .

ويعقب على ذلك كله بقوله : وإنّ من أعجب ما يحقق الإعجاز أن معاني هذا الكتاب الكريم لو ألبست ألفاظا أخرى من نفس العربية ، ما جاءت في نمطها .

وبالوصول إلى غرابة هذا الوضع التركيبي بما أضفى إليه من روح إلهي ينهي الرافعي دراسته لإعجاز القرآن في نظمه بعد أن رأى في القرآن الكريم من وجهة نظره –المعجم التركيبي من الوجهة البلاغية حين عده الأصل في فنون البلاغة كلها، فما يكون في المنطق العربي نوع بليغ إلا هو فيه على أحسن ما يمكن أن يتفق على جهته في الكلام حتى إنك لو قابلت ما فيه من أمثلتها بأحسن ما استخرجه العلماء من جملة كلام العرب لأصبت فرق ما بين ذلك في سمو الطبيعة اللغوية وإحكام البيان وانتظام محاسنه، كالفرق الذي تكشفه المقابلة ما بين النبوغ والتقليد .. ولله المثل الأعلى.

ولعل هذا ما أراد الرافعي أن يختم به رأيه في ذلك الإعجاز عندما قال: "وبقي سر من أسرار هذه البلاغة لا على طريقة المنطق

لأن هذه الطريقة المنطقية، تأتي على أوضاع وأقيسة معروفة مكررة يسترسل بعضها إلى بعض، يراد بها إلزام المخاطب ليتحقق المعنى الذي قام به الخطاب إلزاما بالعقل لا بالشعور، والسياق لا بطبيعة المعنى، ومن أجل ذلك تدخلها المكابرة وتتسع لها المغالطة، فرارا من الإلزام، وإن كان المعنى في نفسه واضحا مكشوفا والبرهان من طبيعته قائما معروفا[1].

أما طريقة البلاغة، والتي أوفى على الغاية منه القرآن، فإنما يراد بها تحقيق المعنى وأخذ الوجوه والمذاهب على النفس من أجزائه التي يتألف منها بعد أن تستوفي على جهتها في الكلام استيفاء يقابل ما يمكن أن تشعر به النفس من هذه الأجزاء حتى لا تصدف عنه، ولا تجد لها وجها غير القصد إليه، فيكون من ذلك الإلزام البياني الذي توحيه طبيعة المعنى البليغ وكان حتما مقضيا"

وهذا ما اشار اليه الامام : ثبت لنا من درس اساليب البلغاء ، وترداد النظر في اسباب اختلافها و تصفح و جوه هذا الاختلاف ، وتعرف العلل في مباينة بعضها لبعض من طبيعة البليغ وطبيعة عصره ان تركيب الكلام يتبع تركيب المزاج الانساني .

اللغة اوسع من التفكير الانساني الذي يقف عاجزا عن محاولة الالمام بكل جوانبها من خلال تعدد الصياغات اللغوية و الطرائق التعبيرية المجسدة لشواغل النفس الانسانية .

وهذا ما يفسره احد الباحثين : اما الاستجابة للنفس الكامنة و القومية فتمثل الحالة العكسية للقضية الاولي ، حيث تتحول بها اللغة من ادات مسيطرة و شاملة يصعب علي الانسان استدراكها والوصول الي اشتماليتها ، الي ادات مقيدة للذات الكاتبة او المعبرة عن مكنون نفسها ، هدا القبد الدي يحاول المرسل دائما تخطيه في اللغة الشعرية من خلالل خلق

[1] – أنظر : نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، ج14 ، ص2، وانظر أيضا : العرف على أنوار الذكر ، محمود محمد توفيق سعد ، ص89، وإعجاز القرآن ، د.فضل عباس ، ص197

ابداعات تركيبية و دلالية جيدة يدرك من خلالها عجز النمطية التعبيرية السابقة عن تجسيد الحالة الانفعالية .

فاللغة في الواقع في كل مظاهرها تكشف وجها فكريا ، ووجها عاطفيا و يتفاوت الوجهان كثافة حسب ما للمتكلم من استعداد فطري و حسب وسطه الاجتمذاعي ، و الحالة التطي يكون فيها يقول الامام : ان جوهر الاختلاف بين الاساليب الكتابية ، في الطريقة البتي هي موضع التباين لا في الصنعة كالمحسنات اللفضية و نحوها .

و يرجع طفي دلك الي نضرية ابيقراط 400 قبل الميلاد الي انماط الشخصية الانسانية الذي قسم الشخصية الي اربعة انماط حسب الاختلاطات العضوية الموجودة في جسم الانسان و يشرح بذلك الرافعي بطريقته و اسلوبه : انما هو صورة الفرق الطبيعي الذي به اختلفت البامزجة بعضها عن بعض ....كالعصبي البحت و العصبي الدموي و غير ذلك مما هو مقرر في الفروع الطبية .

ويصنف الجاحظ من الشخصيات المفوية التي امتاز ادبها بالترسل المتداخل و هذه من الاستدلالات الطريفة و التو ضيفات العلمية البديعة التي لجا اليها الرافعي في كتابه ، اذ يفسر ان عدم قدرة بعضنا علي تقليد بعض عضماء الادب و البيان انما مرده اخختلاف الانماط الشخصية لكل انسان ، و تباذينها من الناحية المادية فلا يمكن للانسان ان يكون بمزاجين مزاجه هو نفسه ، و مزاج ليكتب كابن المقفع او الجاحظ او عبد الحميد الكاتب مثلا اذن هكذا ينفرد اسلوب القران عن الاساليب الانسانية فلا يخضع للامسجة و تقلبها و اضطرابها فانظر سيدي القارء الي قوله تعلي : قل لئن اجتمعت الانس و الجن علي ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا قال الرازي في تفسير هذه الاية : بالغنا في بيان اعجاز القران و لناس فيه قولان : منهم من قال القراطن معجز في نفسه و منهم من قال انه ليس في نفسه معجزا الا انه تعالي صرف دواعيهم عن الاثبات

بمعارضته مع ان تلك الدواعي كانت قوية كانت هذه الصفة معجزة و المختار عندنا فب هذا الباب ان نقول القران في نفسه اما ان يكون معجزا او لا يكون و يقول ايضا لقائل ان يقول هب انه قد ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف عرفتم عجز الجن عن معارضته ؟ اجاب العلماء عن ذلك بان عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات كونه معجزا و ان ذلك لو وقع لوجب في حكمة الله ان يظهر ذلك التلبيس و حيث لم يظهر ادعاءهم ان القران من قول الجن ، وان محمد صادقا في قوله و لا يعقل ان يتحدى الجن انفسهم و قد اجاب الله عن هذا في سورة الشعراء : ها انبئكم علي من تنزل الشياطين تنزل علي كل افاك اثيم .

الفصاحة عند الرافعي :

الفصاحة من اهم مقومات الكلام ومن اسس الخطاب ، و بيان اللسان عن المعاني . و يفرق العلماء بين الفصاحة و البلاغة ، من حيث المفهوم ، في حين يجعلهما بعضهم واحدا فصاحة الكلام في الاصطلاح : خلوصه من التعقيد و فصاحة القران كونه لفضا عربيا مستعملا و رد المعني بوجه لاتعقيد فيه . فكل التعاريف التي تواضع عليها العلماء تدور حول فلك واحد و هو الاظهار و الوضوح مع الخلو من التعقيد . قال ابو اسحاق الفصاحة ميدان لايقطع الابسوابق الاذهان و لايسلك الا ببصائر البيان ، كما ان البلاغة كنز لايصل اليه الاالجهابذة الحذاق و لايتناول و لايبصر بالاحداق.

اما الرافعي فالبلاغة عنصر من عناصر الفصاحة جامعة لحر اللفظ ونوادر المعاني .باسلوب يحسم مادة الطبع في معارضته وهو الذي يراد به الكلام فتراه نفسا حية "[1]

وعناصر الفصاحة تجتمع عنده فيما يأتي :

[1]-كنز الكتاب ومنتخب الاداب ، ابو اسحق الفهري ، ج1 ص 78

-القدرة على التاثير في المتلقي

- تصفية وتهذيب الالفاظ .

- الاتساع في التاليف والتركيب وانعكاس اثر مزاجه واثر عاطفته كانه جزء مادي من روحه

- ارهاف الحواشي في النصوص .

- تجنب الحشو او الضعف والقلق

- التوكيد للمعنى بالمترادفات المتباينة في صورها[1] .

- الاستعانة بالمعطوفات ، والصور البيانية كالبديع والسجع وغيره وتعرف الفصاحة عند البلغاء ، بالذوق وجودة الصناعة وادراك أسرارها ، فلا يمكن لغيرهم تمييز الغث من السمين ، وقد اشار الى ذلك الجاحظ وابو هلال العسكري ولم يخرج ابن سنان الخفاجي ولا الجرجاني او الباقلاني عن هذه الشروط والضوابط الا ان عبد القاهر الجرجاني قد اخرج الفصاحة من كونها متعلقة باللفظ وحده ، واعتبره كالداء الذي يسري في العروق " وانما جعلها للمعاني[2] .

ويعرج بنا الرافعي الى المعارضة بين الغواية في اساليب العرب والغريب في القران الكريم واثر ذلك على البلاغة والفصاحة .

ويقصد بالغرابة : الكلمة الوحشية التي لا يظهر معناها ، فتحتاج في معرفتها الى النظر في كتب اللغة الواسعة ،

1- اعجاز القران والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص 205

2- دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص303

والذوق العربي لا يحب الاغراب في الكلمات ، فهو عندهم دليل قساوة الطبع وتشيع هذا في كلامهم هذه المعاني كما في قولهم الاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق في غير اهل البادية نقص .

يقول الرافعي : " فانظر هل تحس شيئا من كل ما تقدم في اسلوب القران الكريم وهل ترى فيه من الغرابة التي يكسوها البلغاء كلامهم في تجويد رصفه وحبكه ، الا ان غرابته في كونه منسجما لا غرابة فيه [1].

خصائص اسلوب القرآن : -

1- السهولة الغريبة : والتي يحس فيها المتلقي للخطاب القرآني معروف عنده الاسلوب ولكنه يعجز عن معارضته .

2- الرهبة الظاهرة : يتميز اسلوب القران في تاثيره على الانسان بتلك الرهبة التي يلقيها وتلك التي تجدها في اساليب الترغيب والترهيب والوعيد وايات الجنة والنار ن ووصف الخالق وقدرته واعجازه في الكون والخلق :

" والا اثرا من التمكن يصف له منزلة المخلوق من امر الخالق ، والا روحا اكبر من ان يكون نفسا انسانة او اثرا من اثار هذه النفس ، ثم هل تجد في أغراضه الا ما كان في وضعه مادة لتلك الرهبة[1] .

---

[1] -قال الجاحظ : " وكلما كان اغرب كان ابعد في الوهم وكلما كان ابعد في الوهم كان اطرف وكلما كان اطرف ، كان اعجب وكلما كان اعجب كان ابد وانما ذلك كنوادر كلام الصبيان ومُلَح المجانين ، فان ضحك السامعين من ذلك اشد وتعجبهم به اكثر ، والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البعيد " اهـ

انظر : البيان والتبيين ، الجاحظ ،ج1 ص 90 ، وذكر الخطابي : ان الغريب من الكلام يقال به على وجهين : بعيد المعنى ، غامضة ، لا يتناوله الفهم الا عن بعد والاخر كلام من بعدت به الدار ، من شواد قبائل العرب ، ويقول الزجاجي "377هـ" يعرفه : بما قل استماعه من اللغة ولم يدر في افواه العامة ، كما دار في افواه الخاصة ، كقولهم سمكت الرجل اي لكمته ، وقولهم للشمس : يوح ، انظر : معاجم معاني الفاظ القران الكريم ، فوزي يوسف الهابط ، مجمع الملك فهد للطباعة ، ص05.

3- الليونة والمطاوعة : وذلك يظهر في مرونته في التأويل بحيث لا يصادم الاراء الكثيرة التي تخرج بها سمات العصور المتعاقبة ، فكما فهمه العرب الذين لم يملكوا من العلوم الا فطرتهم ، فهمه الفلاسفة وارباب المناهج العلمية وارباب الفرق المختلفة ، والحق ان كان شغل طوائف كثيرة من الناس فترة من الزمن .

وهذا ما اشار اليه الرافعي : " واثبتت العلوم الحديثة كثيرا من حقائقه التي كانت مغيبة وفي علم الله ما يكون من بعد ، وان ما عهد من كلام الناس لا يحتمل كل ذلك ولا بعضه ، بل هو كلما كان ادنى الى البلاغة كان نصا في معناه ". ولبيان ذلك وقف – رحمه الله – على المعنى البياني للاية في سورة نوح :الاية 16 يقول الرافعي : فبعضهم يفهم من نسقها ان القمر نور والشمس نور ، ولكن اختلف اللفظان ليكون في ذلك تنويع بليغ " وجاء في الدر المنثور : ارأيت ضوء الشمس والقمر اهو في السموات السبع كما هو في الارض قال : نعم قال : الم تروا الى قول الله : خلق سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا ، واخرج عبد الحميد من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس : وجعل القمر فيهن نورا ، قال خلق فيهن حين خلقهن ضياء كأهل الارض وليس في السماء من ضوئه شيء "اهـ [2]

وعندهم يروى ان وجه القمر في السماء ، وإذا كان داخلها فهو متصل بالسموات ، ومعنى نورا أي لأهل الأرض " ، وقيل نورا لأهل الأرض والسماء وقال ابن عباس وجهه يضيء لأهل الأرض وظهره يضيء لأهل السماء .اما وجعل الشمس "سراجا " يعني مصباحا لأهل الارض ليتوصلوا الى التصرف لمعايشهم[3].

- اعجاز القران والبلاغة النبوية ، الرافعي ،ص 216- 207[1]

2- نفس المصدر ص 293الدر المنثور ، السيوطي ، ج8 ، ص 292-

- الدر المنثور ، السيوطي ، ج8 ، ص 292- [3]

وقال القرطبي : الم تروا كيف : على جهة الاخبار لا المعاينة وعلى ذلك علق الشنقيطي : اذا كان ذلك على جهة الاخبار ن فكيف يجعل الخبر دليلا على خبر آخر لا يدرك الا بالسمع .

ويجيب عن ذلك القرآن بقوله تعالى : : قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها اربعة ايام سواء للسائلين "

وقوله فيهن نورا قيل في ظرف القمر فيكون التقدير في احداهن وقيل ظرف النور فيكون فيهن جميعا ، وقيل اذا كان في احداهن : فهو فيهن وقوله سراجا اي فيهن فحذف لدلالة الاولى عليه واجمعو على ان الشمس في السماء الرابعة . [1]

كان بعض اهل العربية من اهل البصرة يقول : انما قيل : وجعل القمر فيهن نورا على المجاز : كما يقال : اتيت بني تميم وانما اتى بعضهم " [2]

كان بعض اهل النظر يذهب الى ان القمر نور في احداهن وهي سماء الدنيا ، ليس في جميعهن ويجعل ذلك حجة لقوله : حيث جعل الايام المعدودات ايام التشريق فلم يلزمه ان يبيح النحر في جميعها اعتمادا على ان الله جعل القمر نورا في بعض السموات وهو في اللفظ فيهن لا فيها .[3]

إلا أن التفاسير الحديثة اختلفت عن تفاسير المتقدمين جاء في تفسير المراغي : وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ، اي لم تروا كيف خلق السموات متطابقة بعضها فوق بعض وجعل للقمر بروجا ومناز وفاوت نوره فجعله يزداد حينا حتى يتناهى ثم يبتدئ

---

[1] – غرائب التفسير وعجائب التأويل ، برهان الدين الكرماني ، دار القبلة للثقافة الاسلامية ، مؤسسة علوم القرآن ، ج2، ص125

تفسير الطبري ، جامع البيان ، ج3 ، ص[2]300

[3] النكت الدالة على البيان في انواع العلوم والاحكام ، الكرجي القصاب ، تحقيق : شايع بن عبده بن شايع الاسمري

ينقص حتى يستقر ليدل على مضي الاشهر والاعوام وجعل الشمس كالسراج .وفي التحرير والتنوير يفسر النور هنا على انه صالح لاعتبار القمر من السموات اي الكواكب على الاصطلاح القديم المبني على المشاهدة لان ظرفية "في " تكون لوقوع المحويّ في حاوية مثل الوعاء كقول النميري:

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت به زينب في نسوة خفِراتٍ[1]

وقوله وجعل الشمس سراجا بتقدير : وجعل الشمس فيهن سراجا ، والمس من الكواكب والاخبار عن القمر بأنه نور؛ مبالغةً في وصفه بالإنارة بمنزلة الوصف بالمصدر والقمر ينير ضوءه الأرض؛ إنارة مفيدة بخلاف غيره من نجوم الليل فإن إنارتها لا تجدي البشر

أما السراج ك المصباح الزاهر نوره ؛ الذي يوقد بفتيلة في الزيت يضيء التهابها المعدّل بمقدار بقاء مادة الزيت تغمرها .

– **الصورة البلاغية** : الظاهر في الآية صورة بلاغية وهي التشبيه البليغ في الأخبار عن الشمس والغاية من تقريب المشبه من إدراك السامع ، فان السراج في مفهوم العرب كان أقصى ما يستضاء به في الليل وقل من العرب من اتخذه إنما كان في أديرة الرهبان .

ولم يخبر عن الشمس بالضياء كما في سورة يونس : هو الذي جعل الشمس ضياء ، والمعنى واحد هو الإضاءة ، فلعل ايثار السراج هنا لمقاربة تعبير نوح في لغته ، مع ما فيه من الرعاية على الفاصلة لان الفواصل التي قبلها جاءت على حروف صحيحة ولو قيل صفاء لصارت الفاصلة همزة والهمزة قريبة من حروف العلة فيثقل الوقف عليها .[2]

---

[1] انظر المؤتلف والمختلف ، ابو الحسن علي بن بن عمر الدارقطني ، ت :موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، ج1، ص 2236

[2] – التحرير والتنوير ن الطاهر بن عاشور ، ج29 ، ص203

ولم يخالف الرافعي شيئا من ذلك انما زاد عليه قوله : ثم يفهم اهل القلوب مع كل هذه الوجوه ان المراد من الاية إثبات ما كشفته هذه العلوم من القمر جرم مظلم ، وانما يضيء بما ينعكس عليه من نور الشمس التي هي سراجه اذ النور لايكون من ذات نفسه ابتداء ، ولابد له من مصدر يبعثه ن فذكر السراج بعد النور دليل على إن هذا مصدره ذااك [1]

فهذا القران لا يقف عند البلاغة والبيان من حيث الاعجاز لانه الهي المصدر وليس الهيا ، فهويداور المعاني ، ويرفع الاساليب ويخاطب الروح بما تفهمه من المعاني لا من الحروف .

فالطبيعة ميدان القران انتزع من عناصرها المختلفة تمثيلاته حتى يقرب الصورة العقلية في طبيعتها الكلية الى ذهن الانسان العربي الذي لم يكن يعرف المنطق او الفلسفة ، والذي لم يعد يعرف تماما فن القول كما كان العربي في عصره فهما متعادلان اذا من حيث تلقي الخطاب وتاويله ، غير ان لطائف التفسير ،واسرار التاويل ومناهج العلوم القرانية جعلت الافضلية للعصور المتقدمة .

[1] – اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص 207

الخاتمة

الخاتمة

وفي الختام بعد رحلتي هذه مع الرافعي وكتابه إعجاز القرآن الكريم أقول :

– أن القرآن الكريم معجز وإعجازه سر من الأسرار الإلهية ، على تظافر جهود العلماء وتغير الأزمان وتباين الأدوات ومناهج الدراسة ، إلا أنني لاحظت من خلال الدراسة النظرية لهذا البحث أن كل البحوث القرآنية كان يفضي بعضها إلى بعض وأن ضبط حدود الإعجاز مطلب عزيز المنال

الرافعي أديب وعالم له من الأدوات التي مكنته من تأسيس منهج خاص به لدراسة الإعجاز الإعجاز القرآني من غير الجهة التي مضى عليها الأقدمون، بعد أن أوضح أن الإعجاز القرآني إنما يرجع إلى الأسلوب والنظم والتأليف.

– على زعم الرافعي أنه انتهج منهجا مختلفا عن سابقيه في بيان وجوه إعجاز القرآن إلا أنه لم يختلف كثيرا إنما هو بعض من كل و الإعجاز عند الرافعي – كما يبدو من كتابه إنما هو في النظم والتآلف، وعندما عمد الرافعي إلى الحديث الفصل عن الإعجاز نراه قد جمع فى آرائه بين ما قاله الأولون. وبين ما اتفق له ولم يسبق لغيره. فهو – إذن –لم يتحدث عنه من وجهة جديدة كما قال.

–أن موسيقى ألفاظه نمط فريد ليس معروفاً لهم في كلام العرب وهنا وجه التجديدوإن كان قد ألمح إليه قبله ، حتى لم يكن لمن يسمعه بدٌّ من الاسترسال إليه، فإنه إنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية، كأنما يوقع إيقاعاً لا يتلى تلاوة.

–أن القرآن انفرد بصوت الحس الذي خلت من صريحه لغتهم وهو الذى يتكون من دقة التصوير المعنوي، والإبداع في تلوين الخطاب، بمجاذبة النفس مرة ومداهنتها منها مرة أخرى، والتنقل بها من شأن إلى شأن حتى تتصل بالمعنى وتصبح كأنها هي التي تطلبه فتقع في أسره.

تظهر الجدّة في بحث الرافعي في مصطلحات أشار اليها القدماء ولم يستعملوها استعمالا صريحا كالإيقاع الموسيقي ، وروح التركيب ، وإن كنا لم نمسك جيدا مراميه لقلة الزاد اللغوي والعلمي

– أن بلاغة القرآن لا تعتمد على الخيال الشعرى، أو العادة الثابتة،أو العاطفة المطمئنة، وإنما يرجع الأسر فيها إلى جرس الحروف في الكلمات ومواقع الحروف والكلمات وطريقة نظمها.

– كان ممكنا أن نستفيد من إبداع الرافعي لو أنه تجنب التكلّف في أسلوبه أو تجنب أسلوب التعميم في ترتيب المادّة العلمية .

– أن في تجنب الرافعي عزو النقل إلى المصدر يجعلنا نقف إزاء علمه موقف إجلال وتقدير لسعة مادته المعرفية .إلا أن بعض النقاد رأوا فيه عيبا من عيوب البحث وكذا قلة الشواهد القرآنية، وكأني به يرسم لنا ما يشبه الخرائط بمعالم ثابته تدلنا إلى الطريق الصحيح .

– إن الأمة الإسلامية والإنسانية في أمس الحاجة إلى أدب وأدباء يحملون لواء الذود عن أصالة ومقومات أمتنا .

– القرآن مُعجِز في تاريخه لكان معنى ذلك أن القرآن نزل خالياً من صفة الإعجاز واكتسب هذا الإعجاز بمرور الزمن أياماً ودهوراً. إذ لا يمكن أن يكون الإعجاز المتحدَى به هو هذا الوجه. ولكن يمكن حمل كلام الرافعي على أن تلك الوجوه المعجِزة التي أفاض في الحديث عنها لم ينتقض منها وجه على مر الأيام والدهور.فهى باقية كيوم تحدى بها.

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1) ابراهيم السامرائي ، فقه اللغة المقارن ، ط3 ،دار العلم للملايين ، /1983م/

2) ابن جرير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة،دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان 1422 هـ - 2001 م

3) ابن خلدون والشريف الجرجاني ، موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف علي الجرجاني ، رقيق العجم ،ط1 مكتبة لبنان ، 2004.

4) ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأبناء انباء الزمان ، تحيقي إحسان عباس ، دار صادر بيروت –لبنان ، بدون س ط

5) عبد القادر بن نصر الله القرشي ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية / تحقيق محي الدين الحنفي ، الناشر محمد كتب خانة

6) ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، 1402 هـ-1982م

7) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت– لبنان ،1415هـ – 1995م

8) ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز نط1 ،دار الكتب العلمية : 1422 هـ - 2001

9) ابن منظور ، لسان العرب ،دار صادر بيروت –لبنان،ط15(2000م)

10) ابو الحسن عبد الرحيم الخياط ، الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، تحقيق د.دينبرج ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة 1344 -1935م

11) ابو الفرج محمد بن اسحق الوراق المعروف بابن النديم ، تحقيق ابراهيم رمضان ن ط2 ن دار المعرفة ن بيروت –لبنان

12) أبو بكر محمد بن الطيب البلاقلاني ، شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت دس ط

13) ابو عبد الله القرطبي ، الجامع احكام القرآن ،تحقيق : أحمد البردوني وابراهيم اطفيش ،ط2 ، دار الكتب المصرية ، 1384هـ / 1964م ،

14) ابو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، عبد السلام محمد هارون ، ط1، دار الجيل بيروت لبنان 1411 **هـ – 1991 م**

15) ابو عثمان الجاحظ ، العثمانية ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط1، دار الجيل ،

16) ابو عثمان الجاحظ ن الحيوان ، عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت لبنان، 1411 هـ - 1991 م

17) أبو منصور الثعالبي ، الاعجاز والايجاز ، دار صعب ، د س ط

18) ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح : تاج اللغة وتاج العربية تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، ط4، دار الملايين ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ-1987م

19) أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، تعليق احمد أمين الخانجي ، مطبعة محمد علي صبيح بالازهر الشريف ، ط2 د س ط

20) أبو هلال العسكري ، معجم الفروق اللغوية بترتيب وزيادة ، تحقيق الشيخ بيت الله بيات ، ط1 مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، 1412هـ

21) ابي القاسم جار الله بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، دار المشرق ، بيروت

22) أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ،تأويل مختلف الحديث ، تحقيق: محمد محي الدين الأصفر ، ط2، المكتب الإسلامي بيروت ، مؤسسة الإشراق الدوحة قطر ، 1419هـ - 1999م.

23) ابي هلال العسكري ، الصناعتين : الكتابة والشعر ، تحقيق وتصحيح : محمد امين الخانجي ، ط1، مطبعة مامون بك ، 1319هـ

24) احسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ، دار الثقافة ن بيروت –لبنان

25) احمد ابن فارس اللغوي ، افراد كلمات القرآن العزيز ، تحقيق : حاتم الصالح الضامن ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع

26) أحمد جمال العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الاعجاز القرآني ، مكتبة الخانجي ، مصر 1410/19990

27) أحمد عبد الحميد الغراب ، الشخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1985م.

28) أحمد مطلوب ، البلاغة عند السكاكي ، دار التضامن ، بغداد ،ط1 1965

29) احمد مطلوب ، مصطلحات بلاغية ، بغداد ط1، 1392/1972.

30) أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر من اوائل القرن التاسع عشر الى الحرب العالمية الكبرى الثانية ،ط2 1971، دار المعارف ، مصر

31) الإمام ابي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي ، تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع واعجاز القرآن ، مكتبة الخانجي ن بدون سنة طبع

32) أمير عبد العزيز ، دراسات في علوم القرآن ،ط2 ، 1408/1988م ،دار الشهاب للطباعة والنشر ، باتنة ، الجزائر

33) بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،ط 1دار إحياء الكتب العربية ، 1376هـ-1957م .

34) بدوي طبانة، البيان العربي : دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ، ط1 ، المطبعة الفنية الحديثة ، مصر

35) البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين بن عبد الله بن بهادر الزركشي تحقيق محمد أبو الفضيل ط1(1376هـ/1957م)،دار إحياء الكتب العربية

36) بغدادي بلقاسم ، المعجزة القرآنية ، ديوان المطبوعات الجامعية .

37) تاريخ فكرة إعجاز القرآن ، نعيم الحمصي دمشق ن سوريا ، 1374/1955

38) التفتزاني ، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ،

39) جمال الدين القاسمي الدمشقي ، تاريخ الجهمية والمعتزلة ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 1399هـ-197م

40) الحاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة ومطبعتيها البهية ، 1934

41) الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ،تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن،ط1 ن دار الكتب العلمية ن بيروت- لبنان ، 1424-2004م

42) حسين ضياء الدين العتر ، المعجزة الخالدة ،ط3 /1999-1415م ،

43) حفني محمد شرف ، إعجاز القرآن البياني بين النظري والتطبيق مطابع الاهرام التجاري 1390-1970

44) خالد بن عثمان السبت ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : أصوله وضوابطه وآدابه ، 1415هـ/1995.

45) خير الدين خوجة الكوسوفي ، فضل القرن الكريم وأثره في حفظ اللغة العربية وإثرائها ، جامعة قطر ، مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب ، لاهور ، باكستان ، العدد 19 ،سنة 2012

46) د.ايميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في شواهد العربية ط1 (1996-1417م)، دار الكتب العلمية

47) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق صفوان عدنان الداودي ،ط1،1412، دار القلم الشامية ، دمشق سوريا

48) رحيل محمد غرايبة ، الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الاسلامية ، ط1 1421/200ن دار المنار

49) رشيد رضا ، تفسير المنار ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان. ط1

50) الرماني .الخطابي .عبد القاهر الجرجاني . ثلاث رسائل في اعجاز القران ، تحقيق محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام ، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، 1378-1968م .

51) الزملكاني ، البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ط1 1394/1974.

52) سامي عطا حسن ، الصرفة ودلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها ، جامعة اهل البيت

53) سامي محمد هشام حريز ، نظرات من الاعجاز البياني في القرآن الكريم : نظريا وتطبيقيا ، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، 2006

54) سعد سليمان حمودة ، دار المعارف الجامعية ، مصر 1996

55) سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجماليات السر الاعجازي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر

56) السيد جعفر السيد ، نظرية الصرفة ملامحها وابعادها واثرها في الفكر الاسلامي ،

57) الشريف الرضي ، تلخيص البيان في مجازات القرآن ، تحقيق : محمد عبد الغني حسن ، دار إحياء الكتب العربية –القاهرة ن مصر ، ط1: 1955

58) الشهرستاني ، الملل والنحل ، مؤسسة الحلبي

59) شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي : العصر الجاهلي ، دار المعارف ، بيروت –لبنان

60) صالح بلعيد ، نظم القرآن ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2001.

61) صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ط 16، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان.

62) صديق بن حسن القنوجي ، أبجد العلوم ، ط1، دار ابن حزم ، القاهرة ، 1423هـ – 2002م .

63) صلاح عبد الفتاح الخالدي ، اعجاز القرن البياني ودلائل مصدره الرباني ،

64) عبد الرؤوف مخلوف ، الباقلاني واعجاز القرآن ، دراسة تحليلية نقدية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت –لبنان 1978م

65) عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط1، 1420/2000م، مؤسسة الرسالة

66) عبد الرحمن بن معاضة الشهري القول بالصرفة في اعجاز القران ط1 دار ابن الجوزي القاهرة

67) عبد العزيز المقالح ، عمالقة عند مطلع القرن ، ط1 ، منشورات دار الاداب –بيروت ، 1404هـ-1983م

68) عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، ط1 1413/1992مكتبة وهبة.

69) عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق فواز احمد زمرلي ، دار الكتاب العربي .

70) عبد العليم عبد الرحمن خضر ، الطبيعيات والاعجاز العلمي للقرآن الكلريم ، ط1 ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، 1406-1986م .

71) عبد الفتاح لاشين ، من أسرار التعبير القرآني ، صفاء الكلمة ، دار المريخ للنشر ، 1403/1983

72) عبد القادر حسين ، اثر النحاة في البحث البلاغي ، عبد القادر حسين ، دار غريب للطباعة والنشر ، 1998م

73) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، تحقيق رشيد رضا ، دار المعرفة ن بيروت -لبنان

74) عبد الكريم الخطيب ، الاعجاز في دراسات السابقين ، ط2 1974، دار الفكر العربي

75) عبد الله بن صالح القصير ، تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،ط1، دار العاصمة ، 1411هـ

76) عبد الله بن عبد العزيز المصلح ن الاعجاز العلمي تاريخه وضوابطه ،ط3 ، دار اجياد للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، 1432-2001م

77) عبد الله دراز ، النبأ العظيم ،دار الثقافة ، الدوحة، قطر ، 1405هـ-1985م

78) عبد الله دراز ، دستور الأخلاق ، دراسة مقارنة الأخلاق النظرية في القرآن، تعريب وتحقيق وتعليق : عبد الصبور الشاهين ،ط10، مؤسسة الرسالة ،1418- 1989م.

79) عبد المنعم خفاجي ، النهضة : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ط1 دار الجيل العربي ، بيروت لبنان

80) العبودي الصادق ن أسس بناء الشخصية من خلال القرن الكريم ، 1989م ن الدار التونسية للنشر

81) عدنان زرزور ، القرآن ونصوصه ، مطبعة خالد بن الوليد ، 1999هـ-1400م .

82) علوم القرآن الكريم ، نور الدين عتر ،ط1،مطبعة الصباغ ، دمشق ، 1414هـ

83) علي بوسالم ، في الأسلوب الأدبي ، الطبعة الأخيرة ،1421-2000 ، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر

84) علي مهدي زيتون ، اعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الادبي من اول القرن الخامس الى نهاية القرن السابع ، علي مهدي زيتون ن ط1 دار المشرق بيروت – لبنان ن 1992م

85) عمار ساسسي ، الاعجاز البياني في القرآن الكريم ،دراسة تطبيقية للاعجاز البياني في البيات المحكمات العبادات والمعاملات ،دار المعارف ، الجزائر .2004.

86) عمر ابن احمد بن هبة الله بن ابي جرادة كمال الدين ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق :د سهيل زكار ، دار الفكر

87) عمر الملا حويش ، تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية ، مطبعة الأمة ، 1392/1972.

88) عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان 1984

89) فتحي أحمد عامر ، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ ، دس ط ، منشأة المعارف ، الاسكندرية

90) فتحي عبد القادر فريد ، فنون البلاغة العربية بين القرآن الكريم وكلام العرب ، منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع ،ط1 1400هـ

91) فخر الدين الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، تحقيق علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ط3،الدار العربية للكتاب

92) فخر الدين الرازي ، مفايح الغيب ،ط3، دار إحياء التراث العربي ن بيروت – لبنان ، 1420هـ

93) الفراهيدي ، كتاب العين ن تحقيق : د.مهدي المخزومي ،ابراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال

94) فهد بن عبد ارحمن بن سليمان الرومي ، دراسات في علوم القرآن ، ط5 ، مكتبة فهد الوطنية اثناء النشر ، 1482 هـ - 2007 م

95) الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، تحقيق مكتب التراث العربي ، مؤسسة الرسالة ، اشراف نعيم العرقسوسي ط8(2005-1142م)

96) القاضي ابي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ن ج3،ط1 1422/2001، دار الكتب العلمية

97) القاضي عياض ، بن موسى اليحصبي السني المغربي ، الشفا بتعريف المصطفى ، دار الفكر ، 1423هـ-2002م

98) قحطان عبد الرحمن الدوري ، التحدي في ايات الاعجاز ،ط1،مؤسسة الرسالة بيروت ، 1417هـ-1997.

99) كمال يوسف الحاج ، مصطفى صادق الرافعي وأدبه ن عن رسالة مطبوعة لنيل شهادة استاذ عن الدائرة العربية للعلوم سنة1964

100) المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء والقابهم وأنسابهم ، الآمدي ، تحقيق : ف .كرنكو، ط11411-1991م،دار الجيل ، بيروت لبنان

101) مالك بن نبي ،الظاهرة القرآنية ، مشكلات الحضارة ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، تقديم : محمد عبد الله دراز و محمود محمد شاكر ،ط4 دار الفكر المعاصر ،دمشق سوريا ،

102) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير : الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ط1،دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ن دمشق ، 1414ه

103) محمد ابو زهرة ، شريعة القرآن في دلائل إعجازه ،ط1381/1961م، دار العروبة ن القاهرة ن مصر .

104) محمد الدالي ، الوحدة الفنية في القصة القرآنية ، ط1، دار آمون ، 1414ه -1993م

105) محمد الديسي ، التقوى في القرن الكريم : دراسة في التفسير الموضوعي ،ط1 -1423 2008، سلسلة الرسائل الجامعية ن دار الملايين .

106) محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير : تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ط4 1984،الدار التونسية للطبع

107) محمد امين فرشوخ ، المدخل الى علوم القرآن والعلوم الاسلامية ، دار الفكر العربي ، بيروت -لبنان ، ط1، دس ط

108) محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، 1422-2001

109) محمد بن حسن بن عقيل موسى ، إعجاز القرآن بين السيوطي والعلماء ط1،،دار الأندلس الخضراء ، جدة –السعودية ، 1417-1997

110) محمد بن حيان السبتي ، صحيح ابن حيان بترتيب ابن بيبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ،ط2 مؤسسة الرسالة ، دمشق ، 1414ه

111) محمد بن عبد الرحمن بن شاكر صلاح الدين ، فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، ط1، دار صادر –بيروت ، 1979م.

112) محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي ابو بكر ، قانون التأويل ، تحقيق محمد السليماني ، ط1،دار القبلة للثقافة الاسلامية ، مؤسسة علوم القرآن ، 1406ه -1986م

113) محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في الأدب واللغة تعليق محمد ابو الفضل ابراهيم و السيد شحاتة ،د س ط ، د ط، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة

114) محمد رفعت احمد زنجير، مباحث في البلاغة واعجاز القرآن الكريم ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ،ط1، 1428-2007م

115) محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، دار المعارف مصر ط2، 1961

116) محمد سعيد رمضان البوطي ، من روائع القرآن (تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل) ،1420/1990م مؤسسة الرسالةن بيروت –لبنان .

117) محمد سيدي بدوي ، الاخلاق بين الفلسفة وعلم الإجتماع ، دار المعرفة الجامعية

118) محمد عبد الله دراز ، دستور الأخلاق تحقيق : عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة

119) محمد متولي الشعراوي ، تفسير الشعراوي ط:1997، مطابع اخبار اليوم

120) محمد محمد ابو موسى ، الاعجاز البلاغي ، دراسة تحليلية لتراث اهل العلم ، مكتبة وهبة

121) محمود أبو رية ، رسائل الرافعي التي بعث بها الى صديقه محمود ابو رية ، 1912 /1934ط2 دار المعارف ، مصر

122) محمود السيد شيخون ، الاعجاز في نظم القرآن ، ط1، 1978-1398 ، مكتبة الكليات الازهرية

123) محمود محمد شاكر ، جمهرة مقالات الاستا\ محمود محمد شاكر ، جمع د.عادل سليمان جمال ،ط1، 2003، مكتبة الخانجي .

124) مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ،علوم القرآن ..تاريخه وتصنيف أنواعه ،مجلة معهد الامام الشاطبي للدراسات القرآنية .

125) مصطفى الجوزو ، مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية العربية المطلة على السريالية ، دار الأندلس للطباعة والنشر نط1 1405/1985

126) مصطفى حلمي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلماء الاسلام ،ط1،منشورات علي بيضون ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،1424-2004هـ

127) مصطفى صادق الرافعي ، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، راجعه واعتنى به درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت

128) مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ اداب العرب ، دار الكتب الكتاب العربي ، ط2 1394/1974

129) مصطفى مسلم ، مباحث في اعجاز القرآن الكريم ،ط2 دار مسلم للنشر والتوزيع الرياض

130) مصطفى نعمان البدري ، الرافعي الكاتب بين المحافظةوالتجديد ،ط1

131) مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة ،ط2 ، 1420/1999

132) د. منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، 121 ط3 منشأة المعارف بالإسكندرية

133) منير سلطان ، مناهج في تحليل النظم القرآنية ، منير سلطان ، منشأة المعارف ، الاسكندرية

134) موريس كروزيه واندريه ايمار ن روما وامبراطوريتها ، ترجمة : يوسف أسعد داغر ، فوديم داغر ،ط2 1982/دار عويدات للنشر بيروت – باريس

135) ناصر الدين البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق محمد صبحي خلاف ومحمد أحمد الأطرش ، ط1 ، دار الرشيد ، 1421هـ/2000م

136) نذير حمدان ن حكمة القرآن والحضارة ، ط1 ، 1416، 1955، دار الكلم الطيب ن بيروت ن لينان

137) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، تحقيق : احسان عباس ، ط1 ن دار الغرب الاسلامي ، 1414هـ

138) يحي العلوي ، الطراز ،تحقيق ، عبد الحميد هنداوي ، ط1 ،المكتبة العصرية ،بيروت – لبنان ، 1423-1980م

مذكرات الماجستير وأطروحيات الدكتوراه :

139 – فكرة اعجاز القرآن / رسالة ماجستير ، الباحث : مقدم محمد ، المشرف د .محمد زعراط ،جامعة وهران ،كلية الحضارة الانسانية والعلوم الاسلامية تخصص دراسات قرآنية ، ، سنة 2003-2004.

140- الاسلوب البلاغي في القرآن الكريم ، سورة الكهف نموذجا دراسة وصفية ، م\كر مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية : تخصص الاسلوب والاسلوبية ، الباحث محمد بولحية ، اشراف ا.د.عبد السلام ضيف ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ،كلية الاداب والعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية وادابها ، الموسم الجامعي : 2009-2010

141-فضل القرآن الكريم وأثره في حفظ اللغة العربية وإثرائها ، د.خير الدين خوجة الكوسوفي،أستاذ التفسير والدراسات القرآنية ، جامعة قطر بنجاب لاهور ، باكستان، العدد19(2012)

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الآيات القرآنيـــة

رقم الآية	سورة البقرة	الصفحة
23	﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا..﴾	31
155	﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ..﴾	61
179	﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ..﴾	68
284-281	﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ..﴾	125
96	﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ..﴾	136
24	﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ..﴾	141
5	﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ..﴾	224
213	﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ...﴾	243
2	﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ..﴾	255

185	﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِیٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ..﴾	156
163	﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ..﴾	267
93	﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَ..﴾	271
171	﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِی يَنۡعِقُ..﴾	439

آل عمران

44	﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ..﴾	130
110	﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ..﴾	247
64	﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ..﴾	270

سورة النساء

174	﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ..﴾	11
82	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ..﴾	169
46	﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ..﴾	236
135	﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ..﴾	255

سورة المائدة

31	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ..﴾	12

83	﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ..﴾	137
8	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ..﴾	245

سورة الأنعام

38	﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ..﴾	165-24
110-109	﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ..﴾	25
127-123	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ ..﴾	114

سورة الأعراف

154	﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ..﴾	76
40	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ..﴾	86
72-46	﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ..﴾	113
156	﴿۞وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً..﴾	237
77	﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ..﴾	261

سورة الأنفال

59	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ..﴾	12
31	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ..﴾	33

سورة التوبة

127	﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ..﴾	83
137	﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ..﴾	

سورة يونس

38-37	﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ..﴾	21
24	﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ..﴾	75-21
12	﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا..﴾	139

سورة هود

72	﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ..﴾	13
13	﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ..﴾	39

سورة يوسف

17	﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا..﴾	98
84	﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ..﴾	224

سورة الرعد

31	﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ..﴾	99
40	﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ..﴾	127

سورة إبراهيم

3-1	﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ..﴾	106

سورة الحجر

94	﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ..﴾	74

سورة النحل

26	﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ..﴾	86
63	﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن..﴾	235
64	﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ...﴾	256

سورة الإسراء

59	﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ..﴾	-300-25 -10
88	﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ..﴾	-213-55 109
82	﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ..﴾	257
96-87	﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ..﴾	377

سورة الكهف

110	﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ..﴾	90

سورة مريم

58	﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ..﴾	126
76	﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ..﴾	241
97	﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ..﴾	3-14

سورة الأنبياء

5	﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ..﴾	35
62	﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ..﴾	126
22	﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ..﴾	141

سورة الحج

51	﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ..﴾	3-14

سورة المؤمنون

36	﴿۞هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ..﴾	499

سورة النور

39	﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ..﴾	71-118-128
37	﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ..﴾	83
7-8	﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ..﴾	25

5-4	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ..﴾	35
23	﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ..﴾	75
12	إ﴿ذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ..﴾	76

سورة الشعراء

171-170	﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ..﴾	13
156-153	﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ..﴾	19

سورة القصص

28	﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ..﴾	110
7	﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ..﴾	146
77	﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ..﴾	260
34	﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا..﴾	247
59	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ..﴾	434

سورة العنكبوت

51-50	﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦ..﴾	24

سورة الروم

3-1	﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ..﴾	142

سورة السجدة

21	﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ..﴾	76
8	﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ..﴾	289

سورة الأحزاب

46	﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا..﴾	76

سورة سبأ

5	﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ..﴾	14
38	﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ..﴾	14
43	﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ ..﴾	36

سورة فاطر

44	﴿أَوَ لَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ..﴾	13

سورة يس

70-69	﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ..﴾	36

سورة الزمر

73	﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ..﴾	68
23	﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا..﴾	146

سورة فصلت

26	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ..﴾	95-35

سورة الشورى

31	﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ..﴾	17
18	﴿أَوَ مَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ ..﴾	228

سورة الأحقاف

32	﴿وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ..﴾	15

سورة الذاريات

29	﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ..﴾	13
34	﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ..﴾	31

سورة النجم

23	﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم..﴾	68

سورة الرحمن

24	﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ..﴾	73
20	﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ..﴾	110
15-14	﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ..﴾	288

سورة الحشر

21	﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ..﴾	144

سورة الجمعة

5	﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ..﴾	72
4	﴿۞وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ..﴾	69

سورة الحاقة

6	﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ..﴾	69
8-3	﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ..﴾	124

سورة الجن

15-12	﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ..﴾	12

سورة القيامة

18	﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ..﴾	219

سورة النازعات

45	﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا..﴾	256

سورة الناس

4-3-2-1	﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ..﴾	443

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير	
المقدمـــــــة	
الفصل الأول :إعجاز القرآن الكريم في دراسات السابقين	
المبحث الأول : مفهوم الإعجاز	04
أ) تعريف الإعجاز لغة واصطلاحا	04
ب)الإعجاز والمعجزة وشروطهما	08
ج)معجزة النبي ومعجزة الأنبياء السابقين	15
المبحث الثاني : التحدي والمعارضة	25
أ) التحدي ومراحله	29
ب)المعارضة	36
المبحث الثالث : الإعجاز بشيء خارج عن محتوى القرآن	41
أ) تعريف الصرفة	41
ب)تقسيم القائلين بالصرفة	42

ج)أثر القول بالصرفة في البيئة العلمية	45
د) إعجاز القرآن عند النظام	48
هـ) الجاحظ والقول بالصرفة	51
و) الرماني والقول بالصرفة	57
المبحث الرابع : الإعجاز في محتوى القرآن	77
• **أولا :نظرية النظم**	77
أ) جهود العلماء ونظرية النظم	82
ب) جهود الخطابي	83
ج) ترجمته	84
د) خصائص النظم القرآني عند الإمام الخطابي	86
هـ) جهود الباقلاني ونظرية النظم	91
و)أهمية جهود الباقلاني	104
ز) جهود عبد القاهر الجرجاني	106
ح) ترجمته	106
ط) مفهوم النظم عند الجرجاني	106
ي) الفرق بين النظم والنحو	106
ك) تعدّد صور النحو عند عبد القاهر الجرجاني	107

• **ثانيا : الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم**	109
• **ثالثا : الإعجاز النفسي**	112
• **رابعا: الإعجاز العلمي بين مؤيديه ومعارضيه**	115
المبحث الخامس : مسيرة إعجاز القرآن التاريخية	120
أ) نشأة فكرة إعجاز القرآن	127
ب)مسيرة إعجاز القرآن التاريخية	131
الفصل الثاني : إعجاز القرآن الكريم في دراسات السابقين	
المبحث الأول : الرافعي النشأة والآثار	153
أ) مصطفى صادق الرافعي النشأة والآثار	155
ب) اسمه ونسبه	155
ج) نشأته	156
د) زواجه	156
هـ) ثقافته وعلمه	157
و) آثار الرافعي	158
ز) أسلوب الرافعي	168
المبحث الثاني : الإعجاز عند مصطفى صادق الرافعي	171
أ)إعجاز القرآن والبلاغة النبوية	171

ب)دوافع تأليف الكتاب	171
ج)تاريخ آداب العرب في ميزان النقاد	175
المبحث الثالث : مفهوم القرآن وآدابه عند الرافعي	172
أ) مفهوم القرآن وعلومه عند الرافعي	184
ب)القرآن	184
ج)لغة القرآن	189
د) أثر القرآن الكريم في اللغة	197
هـ) آداب القرآن الكريم	205
و) أصول الأخلاق في القرآن الكريم عند الرافعي	213
ز) دعائم الإنسانية في القرآن الكريم	225
المبحث الرابع: علوم القرآن عند مصطفى صادق الرافعي	236
أ) العلوم الناشئة منه	240
ب) القرآن والعلوم الإسلامية	246
ج) التفسير والمذاهب الإسلامية	248
د) التفسير العلمي ورأي الرافعي	254
الفصل الثالث : أسس الإعجاز القرآني عند مصطفى صادق الرافعي	
المبحث الأول : الرافعي وأقوال السابقين في إعجاز القرآن	271

• أولا : حقيقة الإعجاز القرآني عند الرافعي	272
• ثانيا : الرافعي وجهود الدارسين	276
• ثالثا : الرافعي والأقوال في إعجاز القرآن	280
المبحث الثاني : الرافعي وجهود المؤلفين في إعجاز القرآن	298
أ) نظم القرآن:الجاحظ	298
ب) إعجاز القرآن : الواسطي	303
ج) النكت في إعجاز القرآن :الرماني	304
د) إعجاز القرآن : الباقلاني	306
هـ) بيان إعجاز القرآن : الخطابي	312
و) تحرير التحبير : ابن أبي الأصبع	314
ز) التبيان في الإعجاز : الزملكاني	316
المبحث الثالث : التحدي والمعارضة ورأي الرافعي	320
أ)وجوه الإعجاز عند مصطفى صادق الرافعي	323
ب) سر الفصاحة وسلامة الفطرة	336
ج) التحدّي والمعارضة ودفوع الرافعي	355
المبحث الرابع خصائص أسلوب القرآن	355
1- تعريف الأسلوب	355

1. خصائص أسلوب القرآن الكريم	357
2. تمام الإعجاز والقصور البلاغي الإنساني	360
3. معجزات الصناعة البيانية	372
المبحث الخامس : أسس الإعجاز القرآني عند الرافعي	386
1) مفهوم النظم عند الرافعي	388
2) تركيب الكلام	388
• **أولا: الحروف وأصواتها**	388
❋ نظرية الاستهواء الصوتي	391
❋ عناصر الاستهواء الصوتي	392
❋ ذروة الموسيقى القرآنية عند الرافعي	392
❋ الفواصل القرآنية	394
❋ خصائص موسيقى الفواصل	395
❋ سورة الرحمن أنموذجا	394
• **ثانيا : الكلمات وحروفها**	399
❋ تعريف الكلمة القرآنية	400
❋ عناصر بلاغة الصوت في الكلمة	401
❋ صوت النفس	401

❋ صوت العقل	401
❋ صوت الحس	401
❋ الحروف والحركات الصرفية اللغوية	403
❋ الطريقة التي انفرد بها النظم عند الرافعي	405
❋ الغنّة وتأثيرها الإيقاعي	406
❋ طول المفردة القرآنية	407
❋ سورة النور أنموذجا	407
❋ الإعجاز الإيقاعي في غريب القران	409
• **ثالثا: الجمل وكلماتها**	410
الخاتمة	
المصادر والمراجع	426
الفهارس	
أ) فهرس الآيات	442
ب)فهرس الموضوعات	452

الملخص

ç å Ñ ç Ì Ë È Ò ç Ì Ú ? ç Ê ç Ó Ñ Ï ä Å Ý ß â á ¡ á ? Ì ê É Í Ï È Ð ã É ã ? É ã Þ ? Â Ñ Þ á È ç Ø ? ç á ß Ô Ï Þ á
? Ú ã ä Â Ñ Þ á · · ¡ ¢ » Í á Ú æ Ë Í Ì ê È ? Ï ? ç Ó Ñ Ï á Ñ Õ ã Ú Þ Í Å º å á ? Ê ? Ñ Ê ? á É Þ æ Ð á É ß á ç
á ç Ò í ? Ý ¡ ç Õ Ø ? æ ç Ú æ ã Ê Ñ Ë ß Å Ê Í Ë Ö ? á Ê ç Ó Ñ Ï á É Ë Ï ? ç Ì å ç á ç Ñ æ å Ù Ì æ ¡ È Ö ã ? í Ð á É Ú á á
? ä æ Ó Ñ ç Ï á ? æ Å Ï Þ æ ¡ Ý ç Ñ Ø ? ç È Ø Ô Ê å Ý Ë Í Ì ê ä ? ¡ Á ç Ø Ú á ø Ñ ã Ë Ê ã Ö Ý á Þ ç ø Ý ä Â Ñ Þ á ç Ð å
ä ç Ì ê æ ä ç Ú ã ä ã É Ú ? Ì ê ã æ æ á Ú ç å ç í ã Ë ? ç æ Ñ å Ù Ì æ Ò ç Ì Ú ? ç å æ Ì æ ä ç Ì Ë ã å ã ç ã Ê ç É Ê ? ç æ É Ï Þ ã á ã å Ë Ê
å ã Ï ? Þ í Ð á ã ? Þ á Ë Í Ì ê Ê ç Ó Ñ Ï á ß á Ê á ? ä ã æ É Ý Ú á æ ? Â Ñ Þ á Ò ç Ì Ú ? ç É ã Ï ? Ú Ï Ì ê æ
? á ? Â Ñ Þ á Ò ç Ì Ú ? ç Ó Ó Ï ã å Å Ì á Ú Ý Þ ä Å Ê á æ ç Í í Ð á í Ú Ý Ñ á Þ Ï ç Õ Ì Ý Ø Õ ã . ã ç ã ? ç È Ï ? ç
Ê á Û Ô Ê ? Ä ç Ó Ì ê ä ã É á ? Ì á Ú È Î Ì Å ä Å á ã Ú á ç Ð å á ? Î ä ã Ê á æ ç Í ç ã ß . å Ý Ø Õ ã ? Ê Ï Ñ æ
ä ç Ì ê æ í Ú Ý Ñ á ç å á Ú Ï ã Ë Ê ? á Ó Ó ? ç í å ç ã æ ¡ ? Â Ñ Þ á Ò ç Ì Ú ? ç É Þ Þ Í ä Ð Å í å ç ã Ý í á Ë Ë ä ? Ë ß
? æ Õ á Ú ç Þ ? ç æ È ß Ñ Ê á Í æ Ñ ? Ú ã ç ã æ ¿ ? Ý á È ß Ñ Ê á æ Ú ç Þ ? ç É á Ó ? å Ê ä Ú å Ì æ ç ã æ ¿ å Ê á ?
” ¢ â ¡ ® ç Ó Ñ Ï È í Ú Ý Ñ á Ñ Ë Ê Ì Ï ã ç ã æ ¿ É Ò ç Ì Ú ? ç É Ñ æ Õ á Ú í ä Ê ? Ñ Ë ç ã å Ú á æ á å æ ¿ Ý Ñ Í á á
. ä Ï á Þ ? ç æ Å ä Ï Ï ? ç ä ã ß â ? ä ç ß á å æ ¡ ? Þ È Ó á
. É í Í ç Ë Ø ? Ê ç ã á ß á
è Ø Ø º É - á Ñ Þ á É Ú ? Ì ê º ? Ý á Ó ? ç Ê æ Õ º ? Â Ñ Þ á È ç Ø ? ç º ? æ Õ á Ú ç Þ ? ç º ? Â Ñ Þ á Ò ç Ì Ú ? ç
. · · Å ? ç Ì Ñ ? ç Ñ å ç Þ á Ï Ë Ê º ? ? Þ Ì ê º ? Â Ñ Þ á ã Ù ä á º í Ú Ý Ñ á Þ Ï ç Õ

2016 ù¡29 õ ª Ìë û